كتاب انشا الشيخ عماد الدين عبلاد

غ





قد وقف هذه النسخة الملكية سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين
خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان ادام الله سعده
وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتبصر واعتبر
حرره الفقير احمد شيخ زاده المفتش
باوقاف الحرمين الشريفين
غفر لهما



في نوبة محمد الحسيني احسن الله عاقبته



بسم الله الرحمن الرحيم رب أعن
نسأل الله من الحمد ما يبلغ قضاء حقه وأن حق الله لعظيم ومن الرشد
ما يكتب سلامة ثباتنا في الطريق إلى كرمه وإنه لكريم ونشكر بسر
القلب وجهر اللسان إحسانه إلينا بأنهما حادث وقديم ونستزيد
ونستديم نعمه ولن نخيب على الشكر والرضا مستزيد ومستديم
ونستعين به على الدهر وقد تعاقب بأذى الذي بيننا وبينه عداوة
كأنه ولي حميم والحمد لله الذي بدأ بنعمه متطولا
ويزيده متفضلا وعلمنا شكر فضله الموفور وقبل منا عفو خاطرنا
المنزور فلا يكلفنا من الشكر فوق الطاقة ولا يطلع من النعم الطالعة
إلا وورآها من المزيد الشائقة وقد وصف المشكور منا نفسه بأنه
شاكر عليم فرب غافل منا عن الشكر ما غفل عنه فضله العظيم
فلا عدمنا ينابيع متتابعة راجيا وداعيا ومستيقظا وساهيا وصامتا
ومتقاضيا لنا منه على كل حال من مواهب ربما عطلت عنها لسان
شكرنا وضمير ذكرنا وأشارت إلينا لاطفا بك حقيقة على
أن نوم فكرنا ثم إن الله تعالى سامحنا في حقه من الشكر فقبله
من عيينا وبليغنا ومتبرعنا ومستبعثنا فتارة يقبله ضميرا مجمجما ولا
وتارة يحيط به قولا منزحما ومرة يعلمه نظرا من قلب ينفذ نور د

لذكر من ظلمات ضلوعه ومرة يسمعه همسا من لسان يناجي ملكه
إن مسموعه وكيف لا يعلم السر وأخفى من يعينه مباركه
من لا يعلم الغيب من عنده مفاتحه ونرغب إليه في أن يحمل
عنا حق نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأنا لا نرضى لعفو استحقاقه
من الوصف جهدنا فنصل إليه صلاتنا ونؤدي إليه ودنا ونعظم
موقعه حين كان منه كقاب قوسين أو أدنى ونشكره على أن فتح
علينا الدار التي كانت إلى الله طريقه ليلة أسرى به فانبعث صلى
الله عليه سهما فكان كقاب قوسين في اقترابه ما كذب الفؤاد وما
خاب المراد ولا صدق المراد وإن من أخبر عنه أنه رآه بالأفق
الأعلى ممن امتن عليه بأنك بالواد ثم كان في روض القرآن يسرح
فرقا بين المنزلتين رب اشرح وألم نشرح ونصلي على آله وأصحابه
ولاة الحق وقضاة الخلق ورتقة الفتق وعمار الشبق والسنة الفرق
وفتحة الغرب والشرق منهم من رد ردة العرب عن إسلامها ومنهم
من استنزل أرجل العجم عن أسرتها ويجانها عن هامها وأخمد عبدة
نيرانه أن يطعمها حطبا ولو وصلت إليهم لأكلتهم وأخمد عبدة أوثانه
عن أن يبغوا بحرا لها ولو تعت عليهم لقتلتهم ومنهم من أنفق في
سبيل الله وجهز ومنهم من قتل أعداء الله فأجهز ومنهم الأشداء

على الكفار ومنهم الاسرآء اذ زاغت الابصار ومنهم الساجدون
والراكعون ومنهم السابقون ومنهم التابعون ومنهم نحن اهل
الزمن الآخر وقد سلم علينا سلام الله عليه في زمنه الحاضر وسمانا
اخوانا واشتاق الى ان يلقانا فنحن الآن انما نرد عليه تحية والبادي
اكرم وانما نرجوا شفاعته بالمودة التي قدمها والفضل للبادي
هذا كتاب انتهمت فيه بين الادباء الذين يتطلعون الى الغرر
المتجلية وبين المستخبرين الذين يستشرفون الى السير المنجلية باخذ
الفريقان منه على قدر القرائح والعقول ويكون حظ المستخبر ان يسمع
والاديب ان يقول فان فيه من الالفاظ ما كان يعد نامن معادن
الجواهر التي تولدها ومن غرايب الوقايع ما صار به لسانا من السنة
العجايب التي نوردها وانما بدانا بالتاريخ به لاستقبال سنة ثلث و
ثمانين وخمسماية لان التواريخ معتادها اما ان تكون مستفتحة من
بدء نشاة البشر الاولى واما مستفتحة من الدول الاخرى فلا امة
من الامم ذوات الملك وذوات الدول الا ولهم تاريخ يرجعون
اليه ويعولون عليه ينقله خلفها عن سلفها وحاضرها عن غابرها تقيد به
شوارد الايام وتنصب به معالم الاعلام ولولا ذلك لانقطعت
الوصل وجهلت الدول ومات في ايام الاخر ذكر الاول ولم يعلم

الاخر الاول

لعرف
الناس انهم من عرق الثرى وانهم نطف في ظلمات الاصلاب طويلة
السرى وان اعمارهم مبتداة من العهد الذي تقادم لآدم وقد
اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم لما اراده من ظهورهم
فليعلم المرء قبل انقضاء عمره وقبل نزول قبره ما استبعده اهل
الطين من حقيقة النشر ويفكر في واحدة من الاطوار شهادة عشر
فقد قطع عمرا بعد عمر وسار دهرا بعد دهر وثوى وانشر في الف
قبر وانما كان من الظهور في لبث الى ان وصل من العيون الى الحجر
ولولا التاريخ لضاعت مساعي اهل السياسات الفاضلة ولم يكن بين
المداح بينهم وبين المذام في الفاصلة ولفات الاعتبار بسالف الاعوام
وعقوبتها وجهل ما وراء صعوبة الايام من سهولتها وما وراء سهولتها
من صعوبتها فارخ بنو آدم بيومه وكان اول من اشترى الموت نفسه
وقام النوع مقام شومه ثم ارخ الاولون بالطوفان الذي اهلك
الارض وغرقها ثم بالعام الذي تبلبل الالسن وفرقها وارخت الفرس
اربعة تواريخ لاربع طبقات من ملوكها اولهم كلشاه ومعنى هذا الاسم
ملك الطين فاليه ترجع الفرس بانسابها وعليه تنسق عقد حسابها
وهي الآن تؤرخ بيزدجرد آخر ملوكها وهو الذي نزع الاسلام تاج
ايوانه واطفا نور الله بيت نيرانه وارخ اليونانيون من فيلقوس ابي الاسكندر

وإلى قلونطرة آخرهم وهؤلاء المسلمون الحنفاء وهم الصابئون وأرخ الروم بالإسكندر
لعظم خطره وشهرة أثره وأرخ النبط بالعراق والقبط بمصر بتواريخ موجودة
في الكتب التي خلدوها والأزياج التي رصدوها وأرخ اليهود بأنبيائهم وخلفائهم
وبعمارة البيت المقدس وخرابه على ما اقتضاه نقل أوائلهم وآبائهم
وكانت العرب قبل ظهور الإسلام تؤرخ بتواريخ كثيرة وكانت حمير
تؤرخ بالتبابعة بمن يلقب به ويسمى بقيل وكان غسان يؤرخ بعام السد
حين أرسل الله عليهم سيل العرم وأرخت العرب اليمانية بظهور الحبشة
على اليمن ثم بغلبة الفرس عليه وأرخت معد بغلبة جرهم العماليق وإخراجهم
عن الحرم ثم أرخوا بعام الفساد وهو عام وقع فيه بين قبائل العرب لقوم
تنازع فتنقلوا أمنها وافترقوا عنها ثم أرخوا بحرب بكر وتغلب ابني في الديار
وائل وهي حرب البسوس ثم أرخوا بحرب عبس وذبيان ابني بغيض وهي
حرب داحس والغبراء وكانت قبل المبعث بستين سنة ثم أرخوا بعام
الختان قال النابغة الذبياني

فمن يك سائلا عني فإني ... من الفتيان في عام الختان

وأرخوا بعده من مشاهير أيامهم (وأعوامهم) بعام الحالق وعام الذنائب ويوم ذي قار
وحرب الفجار وهي أربع حروب ذكرها المؤرخون وأسندها الراوون
وآخر ما أرخوا قبل الإسلام بحلف الفضول بصرف قريش من الفجار

الرابع بحلف المطيبين وهو قبل حلف الفضول ثم بعام الفيل وهو الجاد
ذو القرب لتاريخ الإسلام وبعده خرج إمام الجمعة وطويت الصحف
وجفت الأقلام وأظهر الله على الأديان الدين القيم ونسخ تاريخ الهجرة — الهجرة
كل تاريخ متقدم فأمن وقوع الخلف الواقع في تواريخ الأمم وجبت الهجرة
ما قبلها جبت الأنوار للظلم ودفع الله الناس بعضهم ببعض واستدار
الزمن كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وسأل الله عباده على
وكيل حقه من الأموال والأنفس ما يعده إليهم مضاعفا من القرض
ووقت هذه الهجرة الوقت الذي أمر به أمر الإسلام ويومها اليوم الذي
ما ولدت الليالي مثله من بنيها الأيام وعامها العام الخاص بالفضل
(بعده) وكلما يعد من عوام الأعوام وأنا أرخت هجرة ثانية تشهد للهجرة
الأولى بأن أمدها بالقيامة معقود وبأن موعدها الموعد الصحيح
غير المدفوع والصريح غير الممذوق وهذه الهجرة هي هجرة الإسلام
إلى البيت المقدس وقائدها السلطان صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن
أيوب وعلى عام هجرته أن يبني التاريخ وينسق وتسفر عن أهلة هذا آدي
المداد وتشرق وهي وإن كانت هجرة الإسلام إلى القدس ثانية وهذه
الهجرة أبقى الهجرتين وهذه الكرة بقوة الله أقوى الكرتين فإن
العرب كانت إذا تناهت في وصف الرجل بالقوة قالت كأنه كسر ثم جبر

والحق ان يقول ان الطول الحيوتين حيوة المرء اذا مات ثم نشر والعيان
يشهد ان اعمار المنشورين ما عمر بعد ان بعث والفرق بين فتوح الشام في امنع
هذا العصر وبين فتوحه في اول الاسلام فرق يتبين تبين الخيط الابيض
من الخيط الاسود من الفجر فان الشام فتح اولا والعهد بالرسول صلى الله
عليه غير بعيد والوحي ما كاد يتعطل في طريقه من السماء الى الارض غير
بريده والعيون التي شاهدت رسول الله صلى الله عليه تبالت سيوفها من
اجفانها والقلوب التي شهدت مواقف معجزاته اوثق بحرزه في الفتح
منها بعيانها ورسل عالم الغيب الى عالم الشهادة بالآيات المؤتلفة
مختلفة ونجدات السماء الى الارض متصلة بالملائكة منزلة ومسومة
ومردفة وقد اخبرهم سيدنا وسيدهم ان الارض زويت له مشارقها
ومغاربها وانه سيبلغ ملك امته المتوية المرحومة ما ضمت عليه جوانبها حينئذ
والروم يومئذ بغاث ما استنسر والفرس يومئذ رخم ما استنصر والحديد
ما تنوعت اشكاله الرايعة ولا طبعت سيوفه هذه القاطعة ولا
نسجت ثيابه هذه السابغة والبروج ما عرفت الامشيدة لا بمحلدة
والمنجنيقات لا تتوثب ما تتوثب اليوم من خشبها المسندة والارواق
لا تتزاحم بالنيران المذكاة والاسوار ما تناطح بالكناين المشلاة وتصابر
السلف الصالح رضوان الله عليهم تقاتل بها لو كانوا عزلا والواحد

منهم يسوق العشرة كما يساقون الى الموقف حفاة عزلا وكانوا احرص
على الموت منا على البقاء وكان شوقهم الى لقاء الله باعثهم على لقاء
الاعداء بذلك اللقاء والشام الان قد فتح حيث الاسلام قد وهن العظم
منه واشتعل الراس شيبا وهرم شبابه واستشن اديمه وقد عاد
غريبا كما بدا غريبا وقد اطلع شرف السماية وهي للملك المعترك
وكثرت معايره بما نصب الشرك من الشرك واخلق الجديدان ثوبه
وكان القشيب وذوى غصنه وكان الرطيب ونصلت كفه وكانت الخضيب
وطال الامد على القلوب فقست ورانت الفتن على البصاير فطمست
وعرض هذا الادنى قد اعمى واصم حبه ومتاع هذه الحيوة القليل قد شغل
عن الحظ الجزيل في الاخرة كسبه والكفار قد خشنت عرايكهم واتسعت
ممالكهم واستبصروا في الضلال واستشجعوا القتال وخرجوا من ديارهم
يخطبون غاشية الموت ونفروا من وراء البحر يطلبون امامهم من
البر غاشية الصوت وقاتلوا اجنادا ورعية واستباحوا الانفس متورعين
بين ان ترى فلا نرى اعجب مما نرى استباحة ورعية وزين لهم الشيطان ما كانوا
يعملون وامدهم في طغيانهم يعمهون ورفعوا التكليفات فلا ينزع الحديد
لبوس لوضوء ولا لمسح واستشعروا البوس فلم يلبسوا وجها الا مزورا الشفاه
على القطوب بلا بشر ولا مزح شفتا كانما نحت وجوههم النار وهم فيها

كالح

كالحوت زرقاً كأنما عيونهم من حديد بردهم فهم يغبونهم وقلوبهم كالحوت
قد نزع الله الرقة من قلوبهم ونقلها إلى عيونهم وعذبتهم لما بردة
من تغذيتهم واشتعلت نار جهلهم في فحم ذنوبهم تستعيذ المردة من
مردتهم وتدعي للنار بالعون على الاطلاع على أفئدتهم فظاظ غلاظ
جهنميون كلامهم شرر وأنفاسهم شواظ لهم قلوب لا يفقهون بها
ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم
أضل أولئك هم الغافلون خلق الله الخلق من طين وخلقهم من حجارة
فهم المكنى عنهم بوقود جهنم حين قال وقودها الناس والحجارة وإلا
فالحجارة لا تستحق الوقود إلا أن يراد بها القلوب التي هي كالجلمود (في الجمود نسخة)
في الجلود ومضت ملوك الإسلام ومضت أيامهم كالبارق وإن لم تخلع
الإظلام وزانت أيامهم الأيام حتى لا تنازع الناس عنها طرائف الأحلام (أيامهم)
وجاء بعدها هذا العبد الكافر فما أثروا فيهم وكانوا المجازين كاسبين
وبذلوا أجرهم فلا نقول إنهم مظلومون بالعجز ولا نسميهم ظالمين
اللهم غفراً لكل أجل كتاب وكل يوم هو في شأن ولكل مقصد ورد
أجل ولكل ما خلق له تيسير ولكل ما تقدم الكتاب الموقوت أخير
والأيام تمخض وتمطل بالزبدة والسور تتلى إلى أن تأتي بالسجدة و
الناس يريدون الخروج ولكن ما أعدوا له عدة والعذر على كل لسان لكل قوم مدة

إذا عجزوا قالوا المقادير قدرت ... وما العجز إلا ما تجره المقادر

وأبى الله من يقبل عذراً صحيحاً وكفى بلفظ النبوة لو ما صرحنا فلما أراد الله
الساعة أن يجليها لوقتها وأظهر آيته التي لا أخت لها فنقول هي أكبر من أختها
أفضت الليلة الماطلة إلى فجرها ووصلت الدنيا الحامل إلى تمام شهرها وجاءت
بواحدها الذي تضاف إليه الأعداد ومالكها الذي له الغمام أخبية والحبك
أطناب والأرض بساط والجبال أوتاد والشمس دينار والقطر دراهم
والأفلاك خدم والنجوم أولاد صلاح الدنيا والدين ومهما دعونا له فإن الله
قد سبق إليه كوناً ورأينا من منا نادين كرمه بونا فهو سبحانه أكرم
بالنوال منا بالسؤال والكرم بكرم الله يجزي والساكت عن الدعاء له مكفي
فإن قلنا أحسن الله إليه فقد قال أنا لا نضيع أجر من أحسن عملا وإن قلنا
جزاه الله بالإحسان فقد قال هل جزاء الإحسان إلا الإحسان وإن قلنا
هداه الله سبيله فقد قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن
قلنا لا ضيع الله له عمله فقد قال فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل
عامل وإن قلنا لا جعل الله للعدو عليه سبيلا فقد قال ما على المحسنين (للعدو)
من سبيل وإن قلنا زاده الله هدى فقد قال والذين اهتدوا زادهم هدى
كل مسؤول يسائل في معاليه قد كملت ... لا يسألنه سائل سوى جود ما يأتي
وليفصح تأملاً لا تجد الله قد فعل

تعود إلى ذكره أعز الله ذكره نجاد إلى أن لم يبق مال ولا آمل وجاهد
إلى أن لم يبق سيف ولا ذلك ولا كفح على يديه فتح ومما هو فتح واحد ما هو
الا انجاز فتح والدم ذائب وفتح والذهب جامد فما البلاد التي جمعها فانجا
بأغرب من البلاد التي فرقها ما انجا فقد استوعب بأسه اكثر مما ولدت
المعادن حديدا او زاد لانه ضرب بالسيوف التي كبرها ثم ضربها واستوعب
جوده ما ولدت المعادن ذهبا وزاد لانه نقل الى الاعدا من سلبه نهبها
ونهبها فكل معاد معادي الاهد المعاد وكل مداد يكتب به اسود الاهذا
المداد افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اما يرى الناس ما على وجه
الصدق من قبول المراح وما على يد الجود من قبل المداح
الناس أكيس من ان يمدحوا رجلا ولم يروا عنده اثار احسان
وانا لنرجو ان تكون كتبنا بهجة مع الصادقين الذين امنوا ان يكونوا
معهم وان تكون قد كتبنا مع المحسنين لانا احسنا وصف احسان
الله الى عباده ولم يقطع بنا ما قطعهم وانا وان كنا رعاياه لنرى
انفسنا ملوكا في الملوك وهم له سوقة وان القلم في ايدينا ليهتز
طربا لذكره كانه جان وكان السيف يشيع بانه قرونه ولسنا نسميه
قصيرا وان جدع انفه ولكنا نكتبه كما كتب قصير العصا الى
وصف هذا السلطان لذلك وصفه ونقول للقلم اذا فاخره السيف

إن شانئك هو الأبتر ونزيد إذا أوردناه وصف مولانا بأنا أعطيناك
الكوثر على أن هذا القلم يلزم الأدب لذكره أعلاه الله فينكس رأسه
ويقبل بين يديه كما يقبل حاملة الأرض قرطاسه ولست بمبعد في
تشبيه هذه المفاخر وتشبيه هذه المآثر من رجال الطعن والضرب
الذين نحوا بين يديه وأوجبوا الحق عليه بل حقي من حقوقهم وأوجب ولي
من سيوفهم أضرى في أضرب ومن رماحهم أخطى وأخطب ومن سهامهم
أنجى وأنجب ومن قسيهم أكسى وأكسب ومن جيادهم أسرى وأسرب ومدادي
من نقعهم أعلى وأغلب وقرطاسي من راياتهم أجلى وأجلب وسيوفهم قد
أغمدت وجردت منه ما لا يغمد ولا يغمدوا آثار السيف من الجراح قد رفأها
وآثاري من الذكر لا تخلق ولا تمحى وما السيف أشوى ضربة من لسانيا
وكل أثر تختر به عنبري يموت الخبر بموته وينقطع صيته لا اثر بانقطاع
صوته والذي أخبرا به عنه روض يزهو وإذا أبلغت الأيام تخبا وتخم
يبدو وإذا أفاض الشفق على فضة النجوم ذهبا فهو قول يذكر ويبقى
كل فعل وفاعله لا قول يؤثر مهما عاش اليوم عالمه ثم لا يأتي في غد
إلا جاهله فهذه الكتب تهب الأعمار الثانية وتفاخر الألسنة القابلة
بها الأيدي الكاتبة الثانية فانظروا إلى إيوان كسرى وسينية البحتري
في وصفه تجدوا الإيوان قد خربت شعفاته وعفت شرفاته وتجدوا سينية

البحتري قد بني بها ايوان كسرى في ديوانه اضعاف ما بني بحصه في ايوانه
وانما تراوح بين الاوصاف الغادية وتراوح بين النعمات السامية الاشارة
الى من ينبه على مسماه وينوه بسيماه فانا من يقول الله لاسمه انت من معقبات
جمري ويقول الدهر لذكره وانت الباقي من بعدي فانما الزم الادب
بوصف فضله العظيم وتزع قدر القول بفضل وصفه الكريم وبشر الله
هذه الفتوح وانزل بها الملائكة والروح في ايام سيدنا ومولانا الامام
الناصر لدين الله امير المومنين ابي العباس احمد بن الامام المستضي بالله ابي
محمد الحسن بن الامام المستنجد بالله ابي المظفر يوسف بن الامام المقتفي
لامر الله ابي عبد الله محمد بن الامام المستظهر بالله ابي العباس احمد بن الامام
المقتدي بالله عبد الله بن الذخيرة محمد بن الامام القايم بامر الله
عبد الله بن الامام القادر بالله ابي العباس احمد بن الامير اسحق بن الامام
المقتدر بالله ابي الفضل جعفر بن الامام المعتضد بالله ابي العباس احمد بن
الموفق ابي احمد طلحة بن الامام المتوكل على الله ابي الفضل جعفر بن
الامام المعتصم بالله ابي اسحق محمد بن الامام الرشيد بالله ابي جعفر هرون
ابن الامام المهدي بالله ابي عبد الله محمد بن الامام المنصور ابي جعفر عبد
الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس صلوات الله عليه وعلى ابايه
الطاهرين والخلفا الراشدين وهي الايام التي زواهر ايامها زواه ومضا

مضا بها القضا امضاه فما اجلها فضلا وافضلها جلالا واقبلها مجدا واجدها
اقبالا وافرها ندى ونوالا وابعدها مدى ومنالا وما اعلا سنا مجدها واجلى
جنى زبدها وانعم ريا رياض فضايلها وانعم جنا جنا من فواضلها وابهج سما
سماحها امطارا وابهج جناح نجاحها مطارا وللسلطان صلاح الدنيا والدين
ابو المظفر يوسف بن ايوب ناصر دعوته وداعي نصرته ووليه الطايع
وسيفه القاطع والمحكم بامره والموتمن بحكمه فرايت ابدا اميا من
هذه الايام الغر على الاباد بغرر الاداب وقيدت شوارد معانيها
وسيرت محامد معاليها بهذا الكتاب واودعته من نوابد الكلام
والفرايد الفذ والتوام درر السخاب ودرر السحاب ثم سميته الفتح القدسي
تنبيها على جلالة قدره وتنويها بدلالة فخره وعرضته على القاضي الاجل
الفاضل وهو الذي في سوق فضله تعرض بضايع الفضايل فقال لي
سمه الفتح القسي في الفتح القدسي فقد فتح الله عليك فيه بفصاحة قس
وبلاغته وصاغت صيغة بيانك فيه ما يعجز ذوو القدرة في البيان
عن صياغته ولما كان هذا الفتح في سنة ثلاث وثمانين وخمسماية بدات بها
وانشات رياضي بسحبها وما سطرت الا ما شاهدته وشهدته وما استطرت
الا عهاد العهد الذي عهدته وما عنيت الا بايراد ما عاينته ولا ابنت
القاعدة الاعلى الاس ما بنيته وما توخيت الا الصدق وما نهجت الا الحق

ولا ذكرت كلمة تسقط ولا اعتمدت الا ما يرضي الله ولا يسخط وبالله
التوفيق والعصمة وله الحمد ومنه النعمة

دخلت سنة ثلث وثمانين وخمسمائة

وكتب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب الى الاقطار والبلاد
يستدعي من جميع الجهات جموع الجهاد واهلة الاستدعاء اهل الاستعداد
واستحضر للغزو من الحضر والبدو وبرز من دمشق يوم السبت مستهل
المحرم قبل استنجاد الجنود واحتشاد الحشود واصحار الاسود واحضار
البيض والسود مضي العزم ماضي العزم صايب السهم ثابت الفهم ثابت السعود
كابت الحسود وخيم على قصر سلامة من بصرى وكف رعب بدره البطو
من الفرنج اليد القصرى فاقام على ارتقاب اقتراب الحجاج وقد رتب
الفرنج من الارصاد افواجا على تلك الفجاج لا سيما ابرنس الكرك فانه كان
حريصا على الدرك باصباء شرك الشرك نصب الترك فلما سمع ذلك الذيب
رايحة الاستدعاء ودخول حصنه حذارا خروج روحه من الجسد ووصل
الحاج في اول صفر وقد قضوا حاجهم ورضوا منهاجهم وخرجوا عن فرضهم
ودخلوا الى ارضهم وفرغ القلب من شغلهم وخف ما لزم من ثقلهم وانتظر
السلطان وصول العسكر المصري المستدعى ورعى منه حصول العدد
المستدعى فابطا عليه وروده واختلف في الابتداء وعوده فامر ولده

الاكبر الملك الافضل نور الدين عليا ولم يزل مكانه عنده عليا
ان يقيم على راس الماء براس الماء ويجتمع العساكر الواصلة منه تحت
اللواء وتقدم السلطان في اتباعه واشياعه الى الكرك وضياعه فاقام عليها
يرهق ويرهق ويخرب ويحرق ويرعد بصاعقة باسه ويبرق ويلحق
الموجود بالمعدوم واتى بالقطع على البساتين والكروم ورعى الزروع
وعرى الضروع واستاصل الاصول والفروع حتى اقوت من الاقوات د
استعرت الغلة بغلاء سعر الغلات وحلت اجال الارزاق والحلت عرى
الارماق واقفرت بلاد الشرك وامتلات من الكرد والترك وسار الى
الشوبك فاثار به شوبا والحقه من عره ثوبا واخلاه من زرع ونبات
وفرغه من اقوات وثواب واذهب ميا تلك الضياع وازال بقايا تلك
البقاع وجاب الخلال ودابر الغلال وقشر الثرى ونشره وجنى الردى
ونشره وسلب قرار القرى وسكون مسكونها ونجع الفرنج بكرمها وزبونها
بعدم ليلها الاصباح وصباحها الاصطباح ووصل عسكر مصر فتلقاه
بالقريتين وقويه على اعمال القلعتين واقام على هذه الحالة في ذلك
الجانب شهرين والملك الافضل ولده مقيم براس الماء في جمع عظيم
من العظماء وعنده الجحافل الحافلة والجواهل الواصلة والعساكر
الكاسرة والعساكر القاهرة والبواتر الواترة والحضرم الضرم والعرمرم

العزم واللهام الملتهم والجيش الحايش والترك والاكراد والجنود والسود
والاسود السود والفيالق الفوالق والبيارق البوارق وبنات الاعواد قد
برزن من خدورهن محبا لمعانقة العذب ظاميات الى ورد الوريد وما احين
جلي بجيع الكفر على عرايس الهدى والعزم يستنهضه والعز يحرضه والدين
يستنطيه والنصر يستعطيه والقدر يحركه والظفر يدركه والكفر قد تاب
من ذعره والاسلام قد منت بعذره وهو ينتظر امر اخيه بما ياتيه ويكتب
اليه ويقتضيه من رايه بما رايه يقتضيه ولما استمر تاخر الامر استمر
التاخير وقدم في الاقدام التكبير والتكبير وانتهز الفرصة واحرز
الحصة وانتخب الانجاد والاكاد وجرد الجرد واستجاد الجياد
وسير السرية وامرها بالغارة على الغزة باعمال طبرية ومظفر الدين صح الشرية
ابن زين الدين علي كوجك المقدم المقدام والهمام الهمام والاسد الاسد
والارشد الاشد وعلى عسكر دمشق قايماز النجمي وعلى عسكر حلب دلدرم
الياروقي فساروا ممدحين وسروا مدلجين وصبحوا صفورية وبها صباح
المنذرين فخرج اليهم الفرنج في جمع شاك وجمهور ذاك وقنطاريات طايرات
وسابريات سابغات وللبراوي دوي وللاستبار هوي والبارون
يقدم على البوار والتركبولي يلقي نفسه على النار وقد ثار وار النار وقد
والجو قد عقد وقد انصدع زجاج الزجاج وارجز عجاج العجاج وانقض انقضا

وانقض القضا وكادوا يفلون الجمع ويجيزون الفل ويحلون العقد ويعقدون
ما انحل فثبت قايماز النجمي في صدورهم واشرع الاسنة الى نحورهم وردت
الهاذم من ناموره وعطف مظفر الدين يشلهم ويفلهم ولا يكترث بكثرتهم
ويستقلهم ولقيهم دلدرم بالوجه الابيض والعزم الانهض والجد الاجد والجد
الاحد ولجلي الغبار وقد عم الفرنج الفتك والاسار وبح بقتل مقدمهم
الاستبار وافلت مقدم الداوية وله حصاص ووقع الباقون ولم يكن لهم
من الهلك محاص واخلفت رنة البشرى انة الاسرى وكانت هذه النوبة بلا
نبوة والهبة بلا هبوة وسكنت القلوب بهذه الحركة وركنت النفوس
الى هذه البركة وسارت البشرى وسرت ودارت النعمى ودرت
وعند ذلك من اقبال الملك الافضل وفضل الملك المقبل وجنبت السنة
بالنصر واحسنت الالسنة في الشكر هذا والعساكر في كل يوم يفدون ويتكاملون
ويفيدون وفيما يجدون الطريق اليه من النكاية في العدو يجدون وجاءتنا
البشارة ونحن بالكرك فابقت الامال بالنجح والدرك وسار سلطاننا
الملك الناصر صلاح الدين ووصل السير بالسرى وختم بعشرة انعقت
بسيول الخيول الوهاد والذرى واجتمع به ولده وترعينا بسبل العرين
اسده وما رايت عسكرا ابرك منه ولا اكبر ولا اكثر للكفر ولا اكثر
وكان يوم عرضه مذكرا بيوم العرض وما شاهدة الاشراك والله جنود السموات
من شهده

والارض في الربيع عقدتها حور الجنان زخرفها وبارق كانما جنتها انف الرياض
بزهرها ويوم كالليل عجاجا وليل كاليوم ابتلاجا ومناصل بالمنى صلتت
وقساطل بالقسي طلت ونبلت لهام الهام تقلق وقلوب كانها برفاف
في صدور الاغماد تقلق وطيور سهام من اوكار الحنايا الى اوكار المنايا
تمرق وسوابغ مفاضة وبوارق مرناضة وهضاب راسيات وهواضب
ساريات ولما تم العرض حتم الفرض وتعين الجهاد وتبين الاجتهاد و
اضطربت السهول والوعوث وانبعثت الهمم وهمت البعوث ودمع الفرنج
بكثرة الجمع الجم وزخرة البحر الخضم وبروز التوحيد الى التثليث وانتهاض
الطيب على الخبيث فخافوا وخابوا وهبوا وهابوا وعرفوا ان جرحهم مخذول
وان غربهم مفلول وان حدهم مثلوم وان جدهم مهزوم وانه قد جاءهم
ما لا عهد لهم بمثله وان الايمان كله قد برز الى الشرك كله وقد كان بينهم
حينئذ خلف منبعث وحلف منتكث ووقوع نفار بين الانفار ووفود شرار
بين الاشرار ولما اشتد تواجيحهم سعوا في اصلاح ذات بينهم ودخل
الملك على القومص ليتمصر له بالود الاخلص ورمى عليه بنفسه واستبدل
وخشنته بانسه فاصطحبا بعدما اصطلحا واصحبا بعدما اجمحا وتزاور الفرنج
وتوازروا وتوامروا فيما بينهم وتشاوروا وقالوا هذا دين منه الوهى
هوى وعود اذا عاده الاذى ذوى فالمسيح لنا والصليب معنا والمعمودية

عمدتنا والنصرانية نصرتنا ورماحنا اجنادنا وصفاحنا صفاحنا وفي لوائنا
اللاواء ومع اودائنا الداوية الادواء وطوارقنا الطوارق وبيارقنا البوارق
وسيف الاسبتارية بتار وزند ولقوس البارونية من مقارنته بوار ومعنا
البلاص والصلاد والصعاب والضعاف وفي كل قنطارية قنطار وكل سارية
من اسبتاريتنا مسبار وقد عمرنا السواحل وشيدنا بها المعاقد والمعاقل
وهذه الارض تسعا بنفا وتسعين سنة وما تضيق بنا في هذه السنة وارماحنا
الى هذه الغاية من الاستواء اينوا هذه البقاع والامكنة وسلاطين
الاسلام ما صدقوا ان يسلموا الينا ويسالمونا ويبذلوا لنا القطايع ويقاطعونا
وطالما صافونا وماصافونا وهادونا وهادنونا وفي جمعنا تفريقهم وفي
وقعتنا تعويقهم فقال القومص وكان يحجر بالمنجر بالمتبر تامتبر ربا هذا
صلاح الدين لا يقاس باحد من السلاطين لتسلطه واقدامه على المخاوف
وتورطه وان كسركم مرة فلا يصح لكم الجبر وليس الا المغاورة والمراوغة
والصبر والصواب ان لا نخالطه ولا نباسطه ولا نخالفه ونقبل شرايطه
فقال له الملك انت قد قلبتك الالفة وفي قلبك المخافة وانت للجود رخو
وللخشية حشو وانا لا بد ان اصدمه واصده واكدمه واكده واردده
حتى ارده واقيم صليب الصلبوت فلا يقعد عنه من اهل الاحد احد وامد
يد الايد جمعي فلا يتمتد لاهل الجمعة يد فقبل القومص قوله على مضض وصح

ظاهره معه على ما كان في الباطن من مرض ولما احتضر منه الملك بالوفاء والوفاق
وعدم اهل الشفا لما وجدوه بينهما من الشقاق اشتغلوا بالحسد والحشر والطي والنشر

ذكر ما كان بين الافرنج وبين القومص من الخلف

لما هلك الملك مري بن ملك في اخر سنه تسع وستين وخمس ماية خلف ولدا مجذوما
وكان مع الوجود معدوما وما ابتدا اعضل داوه وايس شفاوه وسقطت اعضاوه
وطال بلاوه فوضع الفرنج التاج على راسه وتمسكوا مع امراضه بامراسه
ونفخوا في ضرمه ونسموا ابو رمه وصححوا سقمه ورنوا في بيلمه ورضوا
بتقدمه واكبروه واركبوه واقدموا به وقدموه وهم يكبرون
بحدث ملكهم هذا ولا يكبرون بجذامه ويحمون حماه الى ان بجم حلول
حمامه وبقي بينهم ملكا مطاعا مع امتناعا من اشفاقهم واتفاقهم مراعى فلما
احس بهلاكه وسكون حراكه احضر البطرك والقسوس والمقدمين
والرويس وكان له ابن اخت صغير عن التطاول الى الملك نصير وقال
لهم الملك في هذا ولكن القومص يكفله مدة سني صغره وهو يستقل به
بعد كبره فهو الان لا يستبد ومن امر القومص يستمد فتقبل القومص
الوصية وجمع اليه الاطراف الدانية والقصية وسكن طبرية فان
صاحبتها تزوجت به وطمعت في قوته وقربه وهلك الملك المجذوم
وظهر السر المكتوم وطمع القومص في الملك استقلالا لا بعدم موافقة

البادية وقالوا انه لو ملك العمل بشروط الوصية تكفل بالامر وهو مغلوب
وتفقد اختياره فاذا هو مسلوب ورغب في مقاربة السلطان صلاح
الدين ليتقوى بجانبه ويتحظى من مواهبه فاشتد ازره واشتد امره
واستقل بنفسه واستولى على جنسه حتى مات الملك الصغير فانتقل
الملك منه الى امه وبطل ما كان في عزم القومص برغمه وانتقل
الملك اليها واجتمع الفرنج عليها فقالت لهم زوجي اقدر وهو احق
بالملك واجدر فاخذت التاج من راسها فوضعته على راسه وعاش
رجاوه بعد ياسه وراش غناوه بعد افلاسه وانتاش ابليسه بعد
ابلاسه وقامت قيامة القومص باخلاسه وطالبه الملك الجديد
بحساب ما تولاه فما اجاب دعوته ولا لباه واستنصر عليه بسلطاننا
الملك الناصر واقام بطبرية في زي المتطاول المتقاصر وضم اليه
من الفرنجية من استرغبه بما استماحه من سلطاننا واستوهبه
وحث العزم السلطاني على قصدهم ليرد اليه الملك ويجدد له
في نظم امره السلك فلما اجتمعت العساكر الاسلامية وتالفت منها
الجزرية والديار بكرية والمصرية والشامية جا الملك الى القومص بقيسع
وفتح له ما وجده من وحشته وعدمه من انسه وقال اصحاب القومص
له ان لم تنصره فنحن ما خذلنا الدين ولا نكون بايدينا مسلمين الى المسلمين

ومن بينهم ليوم المصاف المصافاة وزالت المنافرة والمنافاة

ذكر دخول صلاح الدين بالعسكر الى ديار الفرنج

اصبح بالمخيم عارضا من العسكر لعارض ثجاج وبحر بالعجاج عجاج وخضم بالصواهل السوابح وبالمناصل والصفاح ذي امواج وقد رتب ابطاله واطلابه ونجب على وجه الارض سحابه ونقل من الترب الى الثريا ترابه واطار الى النسر الواقع من الغبار غرابه وقد نفض الفضا ختام القتام وشرفت للشداد بركت الكتب على حمام الحمام وحنت ضلوع الحنايا على اجنة السهام وتكفلت العوجا المعتدلة وضمت المتقلنة الى المقتلة ووقف الاوتار بلاوتار وثار كل طلب لطلب الثار ووقف السلطان يوم العرض يرتب العسكر ترتيبا ويبوبه تبويبا ويعبيه تعبية بعيدا وقريبا وقرر لكل امير امرا ولكل مقدم مقاما ولكل مرتق موقفا ولكل كمين مكانا ولكل قرن قرانا ولكل جمر مطفيا ولكل جمع مكفيا ولكل زند موريا ولكل حد مهيبا ولكل قضية حكما ولكل جنبة منهما ولكل يمين مقضبا ولكل يسار مقبضا ولكل ضامر مضمارا ولكل مغوار مغارا ولكل رام مرمى ولكل نام منتمى ولكل اسم مسمى وعين لكل امير في الميمنة والميسرة موقفا لا ينفك عنه منه ولا يغيب جمعه ولا يبرح احد منه واخرج للجاليشية الرماة الكماة من كل طلب ووصى كل حزب بما يقربه من حزب الله فقال اذا دخلنا بلد العدو فهذه هيئة عساكرنا وصورة مواردنا

ومصادرنا ومواضع اطلابنا ومطالع ابطالنا ومشارع اسنتنا وشوارع اعنتنا وميادين جردنا وبساتين وردنا ومواقف صفوفنا ومصارف وقوفنا ومرامي مرامنا ومجالي مجالنا وتوزى الآمال بما نزله من الاهوال وحقق في انجاز المواعد وانجاح المقاصد رجاء الرجال وجمع العدد وفرق العدد ووهب الجياد واجاد المواهب ورغب في العطايا واعطى الرغايب ونشر الخزاين ونثل الكناين وانفق الذخاير واستنفد كرايمها والاخاير وقسم اجمال الشباب تفرق النايرمنه باكثر من ملء الجعاب واجرى الجرد واحمى الاجناد واذكى المذاكي واشهد الاشهاد واذال مناقب المقانب واستمال معاطف المعاطب وقوى القواطع وروى الروايع وعاد الى المخيم مسرورا بمحبوره مقبولا مبرورا موفورا مشكورا وقد رتب ورتب وقنب وكتب وثبت وثبت وقد بر عمله وابر امله وفاح نشره ولاح بشره وتارج رياه وتبلج محياه وايقن بالظفر وظفر باليقين وامن الى الدعوة المستندعة للتابعين وتيمن باوضاح غرايه الميامين وانصلح اعرابه في اقتصاد دين الدين وانس ببهجة الخيل ولهجة الخير وبشر بشارة بما يسرى له من وجه التيسير وشد حزم الحزم وجد في العزم الجزم وقدم الاسراج للاسرا والجم العراب للغزاء ورحل يوم الجمعة سابع عشر ربيع الاخر والتوفيق مسايره والتاييد موازره

والتمكين مضافره والتسعد مظاهره والجد مكاثره واليمن محاضره والعز
مسايره والظفر مجاوره والإسلام شاكره والله عز وجل ناصره
وسار على الهيئة التي قدمنا ذكرها من المقانب المقنبة والكتائب المكتبة
والمراكب المرتبة والمذاهب المذهبة والسلاهب المجنبة والصوائب المجعبة المهذبة
والقواضب المقربة والهواضب المقربة والثعالب المذربة واللهاذم الهاذمة
والصلادم اللادمة والضراغم الضاغمة وقد جثم على خشفين وقد أذن الله
لحتف بالعدو وحتوفه وكيف الكفر وكسوفه وبات والوجوه سافرة
والعيون في سبيل الله ساهرة والأيدي بسيوف الأيد شاهرة والألسن
لنعم الله شاكرة والقلوب بالإخلاص عامرة والأنفس للأنس سامرة
والأقدام بالأقدار متضافرة متظاهرة ثم أصبح سائرا ونزل على الأردن بالإقدام
بثغر الأقحوانة بعزم الصيال وعز الصيانة وأحاط ببحيرة طبرية بحره المحيط
وضاق ببساط خيامه ذلك البسيط وبرزت الأرض في قشب أثوابها وفتحت
السماء لتنزل الملائكة من أبوابها ورست سفن المضارب على تلك الأثباج
وطمت الأطلاب أمواجا على أمواج وانعقدت بسماء العجاج وطلعت بها
أنجم الخرصان والزجاج وأعاد الأقحوانة رياضا نضرة وحدائق مزهرة من
فرس ورد وفارس كالأسد الورد ومشرفيات كطاقات الرياحين ويزنيات
كأشجار البساتين ورايات صفر تخفق كعذبات الياسمين وألوية حمر كشقائق

النعمان وموضونة زغف كالغدران ومصقولة بيض كالخلجان ومريشة زرق
كالأطيار ومحنية عوج كالأفنان وبيض تلمع كثغور الأقحوان وجنب ترائك
على نحور الدارعين وعقبان ضوامك تروق وتروع الناظرين والسامعين
والفرنج قد صفقوا راياتهم بصفورية ولووا الألوية ومدوا على مدود القوام
الزواخر قناطر القنطاريات وأوقدوا في ظلام القتام النائر سرج
السريجيات وصوبوا إلى صوب قرى الأقران زيات البرنيات وأحاطوا
حول مراكزهم بدوائرهم وحاطوا بواترهم بوائرهم وجمعوا الأوشاب والأوباش
ورتبوا الجيش وثبتوا الجاش وحشدوا الفارس والراجل والرامح والنابل
ونشروا ذوائب الذوابل وحشوا أبطال الباطل ورفعوا صليب
الصلبوت فاجتمع إليه عباد الطاغوت وضلال الناسوت واللاهوت
ونادوا في أقاليم الأقانيم وصلبوا الصليب الأعظم بالتعظيم وما عصاهم نوادي أقاليم
من له عصا وخرجوا عن العد يعد والإحصاء وكانوا عدد الحصا وصاروا في زهاء
خمسين ألفا ويزيدون ويزيدون وقد توافوا على صعيد ووافوا من قريب بالجدون
وبعيد وهم هناك مقيمون لا يرومون حركة ولا يريمون والسلطان صلاح
الدين في كل صباح يسير إليهم ويشرف عليهم ويراميهم وينكي فيهم
ويتعرض لهم ليتعرضوا له ويردوا عن رقابهم سيوفه وعن شعابهم سيوله
فربضوا وما نبضوا وقعدوا وما نهضوا فلو برزوا لبرز إليهم القتل في

مضاجعهم وعاينوا مقام مصارعهم في بيوتهم الى مصارعهم وتزعزعوا بما نابه
وتبعوا وجبنوا عما له تشجعوا ورأى السلطان ان يطيف بحيرة طبرية ويشرف
على خطتها بالخطية والمشرفية ويحوز حوزتها ويملك ممالكها ويجري على الاردن
اردان الردينيات واطلع النقع المثار من البحر بحار العجاجات واشتبهت
عليها ولم يستوعر بها العربات فامر عساكره وامراء جيشه واكابره
ان يقيموا قبالة الفرنج ويضيقوا عليهم واسع النهج فان خرجوا للمصاف بادروا
الى الانتقام منهم والانتصاف وان تحركوا الى بعض الجوانب وثبوا اليهم
وثب الاسود بالارانب وان قصدوا طبرية ليصونها وان ركنوا في عونها
عجلوا الاعلام ليعجل عليهم الاقدام ❊

ذكر فتح طبرية

ونزل على طبرية في خواصه وذوي استخلاصه واحضر الجاندارية والنقابين
والخراسانية والجاندارين واطاف بسورها وشرع في هدم معمورها وصدقها
القتال وما صدف عنها النزال وكان ذلك يوم الخميس وهو يوم الخميس واخذ
النقابون النقب في برج نهدوه وهدموه وتسلقوا فيه وتسلموه ودخل الليل
وصباح الفتح مسفر وليل الويل على العدو معكر وامتنعت القلعة
بمن فيها من القومصية ست طبرية وبنيها ولما سمع القومص بفتح طبرية واخذ
بلده فسقط في يده وخرج عن جلده وهيج للفرنج بسبده ولبده وقال

لهم لا قعود بعد اليوم ولا بد لنا من قصد القوم واذا اخذت طبرية اخذت
البلاد وذهب الطارف والتلاد وما بقي لي صبر وما بعد هذه الكسرة
لي جبر وكان الملك قد خالفه وما حالفه ووافقه وما نافقه وما حضه ثم ماذقه
ووادده ثم راده وواعده ثم عاوده ورحل بجمعه وبصره وسمعه
وثعابينه وشياطينه وسراحينه (وسراحيبهم) واتباع غيه واشياع بغيه ثم دنت الارض
بحركته وغامت الشمس من غبرته ووصل الخبر بان الفرنج ركبوا وثابوا
عن ثباتهم ووثبوا وعتوا وعبوا ودبوا وشبوا النار ولبوا الثار (فحشدوا)
وقدموا للنزال بدار البدار وذلك في يوم الجمعة رابع عشر ربيع الاخر (للنزول)
فما كذب السلطان الخبر حتى صدق عزمه بما سبق به حكمه وسر حين
احاط بسيرهم علمه وقال قد حصل المطلوب وكمل المخطوب وجاءنا
ما نريد ولنا بحمد الله الجد الجديد والحد الحديد والباس الشديد والنصر
العتيد واذا صحت كسرتهم وقتلت واسرت اسرتهم فطبرية وجميع الساحل
ما دونها مانع ولا عن فتحها وازع واستخار الله وسار وعدم القرار وجاء
يوم الجمعة رابع عشر ربيع الاخر والفرنج سايرون الى طبرية بقضهم و
قضيضهم وكلهم على ايقاع في حضيضهم وقد ماجت بحار زمرهم وهاجت
ضراغمهم وطارت قشاعمهم وثارت غماغمهم وسدت الافاق غمايمهم وقتامهم
ضاربيها جماجمهم (بجماجمهم) وهم كالجبال السايرة وكالبحار الزاخرة امواجها ملتطمة

وامواجها مزدحمة وفجاجها مجتدمة وافلاجها مصطلمة وقد جوي الجو
وضوى الضوء والفضاء منفض والقضاء منقض والثريا قد استترت ان الثرى
وجرد ذيل الخيل قد ترب البرى والحوافر للارض حوافر والفوارس للبيض سوافر
ودبت الذباب واجلاد الجلاد قد حملوا كل عدة واكملوا كل عدة من نشب
السلطان في مقابلتهم لطلابه وقصر على مقاتلتهم ارابه وحصل بعسكره
قدامهم وركب على الجملة اقدامهم وحجز بينهم وبين الماء ومنع ذمامهم
على الدماء وحلاهم عن الورد وصدعهم بالصد ذلك يوم جمعة واليوم قيظ
وللقوم غيظ وقد وقدت الهاجرة توقدها غير هاجرة وشربت ما
كان في اداواتها فهي على الظماء غير صابرة وحجز الليل بين الفريقين و
حجزت الخيل على الطريقين وبات الاسلام للكفر مقابلا والتوحيد للتثليث
مقاتلا والهدى للضلال مراقبا والايمان للشرك محاربا وهيئت دركات
النيران وهيئت درجات الجنان وانتظر مالك واستبشر رضوان حتى اذا
اسفر الصباح وسفر الصباح وجر الفجر اهداب النهار ونفر النفير غراب
الغبار وانتبهت في الجفون الصوارم وانتبهت الضوامر الضوارم وتيقظت
الاوتار وتقيظت الثار وسلك الغرار وسلب القرار وخرج الجاليشية
تحرق نيران النصال اهل النار ورنت القسي وغنت الاوتار ورقصت
مران المراد جلاء عرايس الجلاد وبرزت البيض من ملاءها في الملا عارية

ودوي الجو — اللوابس — الجوافر

برجا الفرج

وريقت البيض لكلاها من الكلى راعية ترجا وطلبت طلبهم المخرج محرجا وكلما
خرجوا جرحوا وبرح بهم حر الحرب فما برحوا وحملوا وهم ظماء وما لهم سوى
ما بايديهم من ماء الفرند ماء فنشوتهم نار السهام واشوتهم وصممت عليهم
قلوب القسي القاسية واصمتهم واعجزوا وارعجوا واحرجوا وكلما حملوا
ردوا وارددوا وكلما ساروا واسروا وشدوا وشدوا وما دبت منهم نملة
ولا ذبت عنهم حيلة واضطرموا واضطربوا والتهفوا والتهبوا وناشبهم
النشاب فبادت اسودهم قنافذ وصافتهم السهام فوسعت فيهم
الخرق النافذ فاووا الى جبل حطين يعصمهم من طوفان الدماء فجاءت
حطين بوارق البوار وافتنهم الظبى وفرشتهم على الربى ورشقتهم
الحنايا وفترتهم المنايا ورشقتهم الرزايا وصاروا للردى دريا وللقضا
رمايا ولما احس القومص بالكسرة حبس عن دراع الحيرة وافتال
من الغريمة واحتال في الهزيمة وكان ذلك قبل اضطراب الجمع واضطرام
الجمر واحتدام الحرب واحتدام الحر فخرج بطلبه بطلب المخرج
واعوج الى الوادي وما وجد ان يعوج ومضى كومض البرق وبيع
خطى خرقه قبل اتساع الخرق وافلت في عدة معدودة ولم يلتفت الى
ردة مردودة وغاب حالة حضور الوغى وناله الرعب الذي نوى الهزيمة
به وما ونى ثم استحرت الحرب واشتجر الطعن والضرب واحيط بالفرنج

واحرجوا — عليهم — وشقتهم — وفرشتهم البلا — يا

حوى الهم

من حرّ الهجير بحرّ الهموم ودارت دائرة الدوائر عليهم وشرعوا في ضرب
خيامهم وضمّ نظامهم فحطّوا على حطّين مضاربهم وثلّت جدود الرماة الكماة
مضاربهم واعجلوا عن نصب الخيم ودفعها وشغلوا عن اصل الجوة
وفرعها ونزحوا حتى انتزحوا عن الخيل وتجلّدوا وتجالدوا وانحوهم السيف
حرف السبيل واحاطهم العسكر احاطة النار باهلها ولجاوا الى حزم
الأرض فلم يجز اسهم الطبيين من سهلها واسر الشيطان وجوده وملك الملك
وجنوده وجلس السلطان لعرض الاكابر الاسارى وهم يتهادون في القيود
تهادي السكارى فقدّم بداية مقدّم الداوية وعدة كثيرة منهم ومن
الاسبتارية واحضر الملك كي واخوه جفري واولى صاحب جبيل وهنفري
والابرنس ارناط صاحب الكرك وهو اول من وقع في الشرك وكان السلطان
نذر دمه وقال لا امهلن عند وجدانه عدمه فلما احضر بين يديه اجلسه
الى جنب الملك والملك بجنبه وقرّعه على غدره وذكّره بذنبه
وقال له كم تحلف وتحنث وتعهد وتنكث وتبرم الميثاق وتنقض وتقبل
على الوفاق ثم تعرض فقال الترجمان عنه انه يقول قد جرت بذلك عادة
الملوك وما سلكت غير السنن المسلوك وكان الملك يلهث ظما ويميل
من سكرة الرعب منتشيا فآنسه السلطان وحاوره وفثا سورة
الوجل الذي ساوره وسكّن رعبه وامّن قلبه واتى بماء مثلوج ازال

لهثه واراح من العطش ماكرثه وناوله الابرنس ليجيد ايضا لهبه فاخذه
من يده وشربه فقال السلطان للملك لم تاخذ مني في سقيه اذنا فلا يوجب
ذلك له مني امنا ثم ركب وخلّاهما وبنار الوجل اصلاهما ولم ينزل الى
ان ضربت سرادقه وركزت اعلامه وبيارقه وعادت عن الحومة الى الحمى
فيالقه فلما دخل سرادقه استحضر الابرنس فقام اليه وتلقاه بالسيف فحلّ
عاتقه وحين صرع امر براسه فقطع وجرّ برجله قدام الملك حين اخرج
فارتاع وانزعج فعرف السلطان انه خامره الفزع وساوره الهلع وسامره
الجزع فاستدعاه واستدناه وامنه وطمّنه ومكّنه من قربه وسكّنه
وقال له ذلك ردآته ازدته وغدرته كما تراه غادرته وقد هلك بغيه
ووزره ببغيه وبان بخيانته وورد ما عن وزره وصحت هذه الكسرة وتمت
هذه النصرة يوم السبت وضربت ذلة اهل السبت على اهل الاحد
وكانوا اسودا فعادوا اذلّ من النقد فما افلت من تلك الالاف الا
نلك آحاد وما لحاس اولئك الاعداد الا اعداد وامتلا الملا بالاسرى
والقتلى وانجلى الغبار عنهم بالنصر الذي تجلّى وقيدت الاسارى في
الحبال واجنة القلوب وفرشت القتلى في الوهاد والجبال واجنة
الجنوب وحطّت حطّين تلك الجيف عن متنها وطاب نشر النصر بنتنها
وعبرت بها فلقيت اشلاء المسلوبين في الملتقى ملقاة بالعرا عراة ممزقة

بالمارق مفصّلة المفاصل مفرّقة المرافق مفلّقة المفارق مجذوفة الرقاب مقصوفة
الأصلاب مقطّعة الهام موزّعة الأقدام مجدوعة الآناف منزوعة الأطراف
معضّاة الأعضاء مجزّأة الأجزاء مفقوءة العيون مبعوجة البطون مخضوبة
القصاب معضوبة المرايز مبرية البنان منبرية اللبان مقصومة الأشاجع رضيضة — الأصابع مقضوبة
الصدور مفضوضة النحور منقصفة الأجياد مقصّفة الأعضاد مقلّصة الشفاه
مخلّصة الجباه قائبة الذوائب دامية الترائب مشكوكة الأضلع مفكوكة
الأذرع مكسورة العظام محسورة اللثام بائدة الوجوه بادية المكروه
منشورة الأبشار معثورة الأعشار منثورة الشعور مقشورة الظهور
مهدومة البنيان مهتومة الأسنان مهرقة الدماء مرهقة هاوية الذرى — الذماء
واهية العرى سائلة الأحداق مائلة الأعناق مفتوتة الأفلاذ مبتوتة
الأفخاذ مشدوخة الهامات مسلوخة اللبات غريبة الأرواح هشيمة
الأشباح كالأحجار بين الأحجار عبرة لأولي الأبصار وصارت تلك المعركة
بالدماء دأماء وعادت الغبراء حمراء وجرت أنهار الدم المنهمر
وسفر بتلك الخبائث المظلمة وجه الدين المطهر فما أطيب نفحات الظفر
من ذلك الخبث وما ألهب عذبات العذاب في تلك الجثث وما أحيى عمارات
القلوب بقبح ذلك الشعث وما أجرأ صلوات البشائر بوقوع ذلك الحدث
هذا حساب من قتل فقد بهرت ألسنة الأمم عن حصره وعدّه وأما من أسر

فلم تكف أطناب الخيم لقيده وشدّه ولقد رأيت في حبل واحد
ثلثين وأربعين يقودهم فارس وفي بقعة واحدة مائة ومائتين يجمعهم حارس — يحميهم
وهنالك العتاة عناة والعداة عراة وذوو الأسرة أسرى وأولو الأثرة
عثرى والقوامص قنائص والفوارس فرائس وعوالي الأرواح رخائص ووجوه
الداوية داوية عوائس والرؤوس تحت الأخامص ومطالع الأجسام ذوات — الداوية
المقاطع والمخالص فكم من أصيد صيد وآبد قيد وقيد ومشرك مكشّر
وكافر مكفّر ومثلّث منصّف ومكثّف مكتّف وجارح مجروح وفارح
مقروح ومالك مملوك وهاتك مهتوك ومثبر مثبور ومجير محسور
وكاذب في الكبول ومغتال في الغلول وحرّ في الرق ومبطل في يد المحق

ذكر الصليب الأعظم والاستيلاء عليه يوم المصاف

ولم يؤسر الملك حتى أخذ صليب الصلبوت وأهلك دونه أهل الطاغوت — وهلك دونه أولياء الطاغوت
وهو الذي إذا نصب وأقيم ورفع سجد له كل نصراني وركع وهم يزعمون
أنه من الخشبة التي يزعمون أنه صلب عليها معبودهم فهو معبودهم — ومسجودهم
وقد غلّفوه بالذهب الأحمر وكلّلوه بالدر والجوهر وأعدّوه ليوم الروع
المشهود ولموسم عيدهم الموعود فإذا أخرجته القسوس وحملته على
الرؤوس تبادروا إليه وانثالوا عليه ولا يسع لأحدهم عنه التخلف
ولا يسوغ للمتخلف عن اتباعه في نفسه التصرف وأخذه أعظم عندهم

في أسر الملك، وهو أشد مصاب عندهم في ذلك المعترك، فإن الصليب
الصلبوت ما له عوض، وما لهم في سواه غرض، والتأله له عليهم مفترض،
فهو إلههم، وتعفر له جباههم، وتسبح له أفواههم، يتغاشون عند إحضاره،
ويتعاشون بإبصاره، ويتلاشون لإظهاره، ويتغاصون إذا شاهدوه، ويتواجدون
إذا وجدوه، ويبذلون دونه المهج، ويطلبون به الفرج، بل صاغوا على مثاله
صلبانًا يعبدونها ويخشعون لها في بيوتهم ويشهدونها، فإذا أخذ هذا
الصليب الأعظم عظم مصابهم، ووهت أصلابهم، وكان الجمع المكسور
عظيمًا والموقف المنصور كريمًا، فكأنهم لما عرفوا إخراج هذا الصليب لم يتخلف
أحد من يومهم العصيب، فهلكوا قتلًا وأسرًا، وملكوا قهرًا وقسرًا، ونزل
السلطان على صحراء طبرية كالأسد المصحر والقمر المبدر

ذكر فتح حصن طبرية

وندب إلى حصنها من تسلمه أمانًا، وأسكنه بعد الكفر إيمانًا، وكانت الست
صاحبة طبرية قد حمته، ونقلت إليه كل ما ملكته وحوته، فأمنها على أصحابها
وأموالها، وخرجت بنسائها ورجالها، وسارت إلى طرابلس بلد زوجها القومص،
وعادت طبرية آهلة آمنة بأهل الإيمان، وعين لولايتها صارم الدين
قايماز النجمي، وهو من الأكابر الأعيان، هذا والملك الناصر نازل ظاهر
طبرية، وقد طبق البرية وعسكره طبق البرية

ذكر ما اعتمده في الأسارى الداوية والإسبتارية من ضرب رقابهم وإعطاء بشر الوجوه بإعطائهم

فلما أصبح يوم الاثنين سابع عشري شهر ربيع الآخر بعد الفتح بيومين طلب
الأسارى من الداوية والإسبتارية وقال أنا أطهر الأرض من الجنسين، وجعل
لكل من يحضر منهما أسيرًا خمسين، فأحضر العسكر في الحال مائتين، فأمر بضرب
أعناقهم، واختار قتلهم على أسرهم، وكان عنده جماعة من أهل العلم
والتصوف، وعدة من ذوي التعفف والتعبد، فسأل كل واحد في قتل
واحد، وسل سيفه، وحسر عن ساعده، والسلطان جالس ووجهه باشر، والكفر
عابس، والعساكر صفوف، والأمراء في السماطين وقوف، فمنهم من فرى
وبرى فشكر، ومنهم من أبى ونبا فعذر، ومنهم من يضحك منه وينوب سواه
عنه، وشاهدت هناك الضحوك القتال، ورأيت منهم القوال الفعال،
فكم وعد أجره، وحمد أحرزه، وأجر استبد أمه بدم أجراه، وبر أعنق إليه
بعنق براه، ونصل خضبه لنصر خطبه، وأسل اعتقله لأسد عقله، وداء
داواه لداء أدواه، وقوة أهدى لها الهدى قواها، ولواء نشره للأولياء
طواها، وكفر أماته لإسلام أحياه، وشرك هدمه لتوحيد بناه، وعزمة
أمضاها لأمة أرضاها، وعدو قصمه لولي عصمه، وسير ملك الفرنج وأخاه
وهنفري وصاحب جبيل ومقدم الداوية وجميع أكابرهم المأسورين إلى

دمشق ليدعو النبيون وينتبذ لحركاتهم الساكنون وتفرقت العساكر
بما حوت ايديهم من السبي ايدي سبا وخمد جمر جميع الكفر وخبا

ذكر فتح عكا

ورحل السلطان ظهر يوم الثلثا ظاهرا على اهل التثليث مذيلا للطيب
مزيلا للخبيث وسار عسكره وثار غباره وظهرت راياته وبهرت اياته و
نعرت كوساته وصاحت بوقاته وجالت خيوله وسالت سيوله وطلعت في
سما العجاج نجوم خرصانه وتلعت قلاع تلك الجبال جبال فرسانه وحفرت
حوافر الصلادم اصلاب الصلاد الصلاب ونضحت بلعاب الحمام ضبوا بهل الجياد
العراب والاسنة مشرعة وبحور السوابغ متموجة وغدران السوابغ والاعنة منزعة
مترجرجة وبوارق البارق متبرجة واوضاح الجرد وغررها كاوضاح
النصر وغرره متبلجة ونزل عشية بارض لوبية لداعي الفتح ملبيا ولجيش
النصر معبيا ولمولود الملك العقيم بتلقيح الحرب العوان مربيا وبات بها
معرسا لابناء عروس الظفر البكر جانيا ثمار الاماني من غروس البيض
والسمر واصبح وقد اصحب جماح الدهر وصح نجاح الامر وهيض جناح الكفر
واسفر فجر الفرج وسفر نهج البهج وسار سيارا سره بارا بارباب الدين بره
زايرة اسوده طايرة بنوده ظاهرة جنوده زاهرة جدوده سامية
اضواوه هامية انواوه رايعة مواكبه بجنبة عنانه مدربة رفاقه وكان
رايقة مراكبه

امير المدينة النبوية صلوات الله على ساكنها في موكبه فكان رسول الله
صلى الله عليه سيّر الفقير الى نصرته من بشرى به من بشره وهذا الامير الى
عز الدين ابو فليتة القسم بن المهنى الحسيني قد وفد في تلك السنة اوان
عود الحاج وهو ذو شيبة تقد كالسراج وما برح مع الملك الناصر ماثور
الماثر ميمون الصحبة مامون المحبة مبارك الطلعة مشاركا في الوقعة
فما تم فتح في تلك السنين الا بحضوره ولا اشرق مطلع من النصر الا بنوره
ورايته ذلك اليوم للسلطان مسايرا ورايت السلطان له مشاورا وانا
اسير معهما وقد دنوت منهما استمعاني واسمعهما ولاحت اعلام
عكا وكان بيارق الفرنج المركوزة عليها السنة من الخوف تشكى
وكان غربان النيران تصاعدت لعذاب اهلها وقد توافرت عساكر
الاسلام الهامن وغمرها وسهلها فلما قرب منهم خيم وراها فاذنت
عروش معاشر الشرك بثلها وعقود معاقد الكفر بحلها واصبح يوم
الخميس وركب في خميسه ووقف كالاسد في عريسه فخرج اهل البلد
يطلبون الامان ويبذلون الاذعان فامنهم وخيرهم بين المقام و
الانتقال ووهب لهم عصمة الانفس والاموال وكان في ظنهم انه يستبيح
دماهم ويسبي ذريتهم ونساهم وامهلهم اياما حتى ينتقل من اختار النقلة
واغتنموا الملك المهلة وفتح الباب للخاصة واستغنى بالدخول الى البلد جماعة

من ذوي الخصاصة فإن القوم ما صبروا من الخوف المزعج والفرق المحرج كيف
يتركون دورهم بما فيها ويسلمون وعندهم أنهم إذا نجوا بأنفسهم أنهم يغنمون
فترك معظمهم المدينة وعندهم أنه ما كسب السكينة الا من ركب السفينة
وذلك أن الجند لما دخلوها واستولوا على الدور ونزلوها وركز كل منهم
بيرقه على دار وقال صاحبها كيف يصح المقام مع الأسد في غابه ولا مقام على
زأره وكان السلطان جعل للفقيه عيسى ضياء الدين الهكاري كل ما يتعلق بالداوية من
منازل وضياع ومواضع ورباع فأخذها بما فيها من غلال تسلم ومتاع ووهب عكا
لولده الملك الأفضل فأجراها من نظره على الأحسن الأجمل ودخلناها يوم
الجمعة مستهل جمادى الأولى فأقمنا بها الجمعة ووصلنا من بعضها المنقطعة و
أعدنا الكنيسة العظمى مسجدا جامعا وعاد نور الهدى الخافي بالضلالة
لامعا وحضر القاضي الأجل الفاضل فأمر بترتيب القبلة والمنبر وتبسم
بميامنه للإسلام بعد الإظلام سنا الصباح المسفر وخطب جمال الدين عبد
اللطيف ابن الشيخ أبي نجيب السهروردي فإنه تولى بها القضاء والخطابة وما زلنا
بعد الذباب بالأسياد السائدة تلك الغابة وخلى سكان البلد دورهم
ومخازنهم ومذخورهم وتركوها لمن أخذها ونبذوا ما حووه لمن حواها وما
نبذها فأثرى من الفرنج أغنياء واستغنى من أجنادنا فقراء ولو ذخرت تلك
الحواصل وحصلت تلك الذخائر وجمع لبيت المال ذلك المجموع الوافر لكان

عدة ليوم الشدائد وعمدة لنجح المقاصد فرتعت في خضرائها تلك صفرائها و
بيضائها بمروج الأطماع وطال لمستنجديها ومستنجحيها الإمتاع بذلك المتاع
وأقام السلطان بباب عكا على التل بخيمة وعلى فتح سائر بلاد الساحل
مصمما ولتملكها متمما وكان قد كتب إلى أخيه الملك العادل سيف الدين
أبي بكر وهو بمصر بما أتاحه الله من النصر وقيضه له من اقتضاض الفتح البكر
فوصلت البشرى بوصوله باشرا وللواء الجهاد ناشرا والاستفتاح ما في طريقه
من الحصون مباشرا وأنه فتح حصن مجدل يابا ومدينة يافا عنوة فاغتنمها غزوة
وتسلمها حظوة فقصده من عسكرنا القصاد ووفد إليه الوفاد فحباهم (من عندنا)
بالحباء من السبايا وآتاهم المرباع والصفايا وخصهم من الحاصل بالنقود
ووعدهم بما سيحصل بالنسايا وشرع يستضيف حصنا فحصنا ويستقبض
حينا وحينا ويشتري بلدا ويستمد مددا ويبني لهم من الكفر يدا
ويستميل إلى الهدى هدى والدين بسيف سيفه منصور والإسلام
بنصر ناصره مستبشر وهو الملك العادل مالك بعدله ممالك نهج النجح بفضله
مالئ العزيمة جالب الغنيمة ماضي الضريبة فاضي الكتيبة ميمون النقيبة مأمول الرغيبة

ذكر فتح عدة من البلاد

وأقام السلطان بخيمته ظافرا بمغنمه ظاهرا بمكرمه شاكرا لعزائم عزمه
منهضا أمر بحزمه مرتبا وأمر لهذمه وأمر أمراءه بقصد البلاد المجاورة

وامدهم بالضراغم المراوغة المغاورة

فتح ناصرة وصفورية

وجهه حسام الدين

فسار مظفر الدين كوكبري الى الناصرة فاستباح حماها واستبى دماها وحلها
فاستحلها وازالها وازلها وخفض اليها واستخفها واستشفها وشفها وشانها
بشفار البواتر فشفه منها موارد الذخاير واجلى عن انيسها واجتنى مغارسها
وجمع نفايسها ونزع ملابسها واستنزل رطبها واستزد يابسها واستقل منها
ما استقلت به من كل عانية عانية ورقيقة رقيقة ومصابة مصبية ومسبية
مصبية ومجلوة مجلوبة وبالية مسلوبة ودمية دامية وجارية لطيفة
بالعنف جارية واسيرة من اسرة وحاسرة عن حسيرة وثاكلة لواحدها
وآكلة ليساعدها وعاصة على يديها وفاضة ختم الدمع على خديها وناهدة
متنهدة وفريدة متفردة وناعمة شقية وقينة نقية وعذراء مفترعة
وحسناء منتزعة ومخطفة مختطفة وثوبة مستضعفة وعزيزة ذليلة وصحيحة
عليلة وساجية عبرى وصاحية سكرى وعزيزة عزاء وظبية ظمياء
وغضيضة غصة ونضة منفضة وخمارة مخمورة وسحارة مسحورة ومخدرة بضة
مهتوكة وموقرة منهوكة وجاء الاسارى يزيدون مقرنين في الاصفاد مقودين
في الاقياد مسوقين الى السوق لحيد منهم في الاعناق والسوق وصفرت صفورية
من سكانها فلم يوجد بها صائن وكان بها من الذخائر مبلغ وافر

فتح قيسارية

وتوجه بدر الدين دلدرم وغرس الدين قلج وجماعة من الامراء الى قيسارية
فافتتحوها بالسيف وسلطوا على الانفس والنفايس بها طوارق الحتف والحيف
وسبوا وحبوا وسلبوا وجلبوا وجالوا ونالوا ووقذوا واخذوا واحتووا وادووا
وربطوا وضبطوا واستفادوا واستقادوا وافترسوا الفوارس وكنسوا الكنايس
واستبوا الابكار العرايس والعون العوانس وتسلمت بعدما خففوا او يوسف
واستولى على تلك الاقمار والشموس الخسوف والكسوف

فتح نابلس

وسار حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين على سمت نابلس حاسما بحسامه داء
الشرك ماليا بسهام الفتك جعاب الترك نائلا اتى الفتح حاليا راى النجح
ووصل الى سبسطية فتسلمها وتعجل مغنمها ووجد مشهد زكريا عليه السلام
قد اتخذه القسوس كنيسة والعادوها بالصور والالات النفيسة انيسة
فاستخرج المصونات والمصوغات واستوعب العدد والالات واعاده
بالاسلام مشهدا ورده مسجدا ووضع فيه من ترد منبرا واصبح الدين به مثريا والكفر
مقترا ثم اناخ على نابلس وناب حجره غير ناب وطرف حده غير كاب
وجد باسه طريرا وناظر الدولة به قريرا وكان من قبل سلب ساكنوها
من الفرنج والنصارى المسكون وابتغوا الهم ان اقاموا الا يامنون المنون

بأن المسلمين بها وبأعمالها نهضوا إليهم في مواطنهم فأجفلوا من مساكنهم و
انتقلوا من أماكنهم وخلوا دورهم وأخلوها وتسللوا منها وسلوها وتحولوا إلى
قلعتها وتحصنوا بقلعتها ونازلها حسام الدين وحاصرها وطال عليه حصرها
وصابرها ولم يزل عليها مقيما ولقتالها مديما إلى أن وثقوا بأمانه وعلقوا
بإحسانه وسلموا واستسلموا واستأمنوا وأمنوا وحصلت له نابلس وأعمالها و
حليت به أحوالها ولكون معظم أهلها وجميع سكان نواحيها مسلمين لم يتبع الفرنج
المتحصنين عند مضايقتهم إلا أن يكونوا لهم مسلمين فأنحى بالسعود
نجم النحوس ونزع عنها لبوس البوس وانبسطت وجوه أهلها بعد
العبوس وقام جاه الأذان وانكسر ناموس الناقوس

فتح الفولة وغيرها

وكانت الفولة أحصن قلعة وأملأها بالرجال والعدد وأشحنها وهي للداوية
حصن حصين ومكان مكين وركن ركين ولهم بها منبع منيع ومربع مريع
ومسند مشيد ومعاذ مهيد وفيها مناخهم ومصيفهم ومقراهم ومضيفهم
ومربط خيولهم ومجر ذيولهم ومجرى سيولهم ومجمع أخوالهم ومشرع
شطاطهم وموضع صلبانهم ومورد جمهم وموقد جمرهم فلما اتفق يوم المصاف
خرجوا بأجمعهم إلى مصرعهم وأيقن بأن الكيد لا يمكن من صفو مشرعهم فلما
كسروا وأسروا وخسروا وبخسوا وأخلت طلول الفولة لجدود أهلها المفلولة

ودماء داويتها المطلولة ولم تجتمع بها غمودها بالسيوف المسلولة ولم
يبق بها إلا رعايا ورعاع وغلمان وأتباع وأشياع فعدموا الإمكان ورعاية المكان
وجدوا الأمن في الاستيمان فسلموا الحصن بما فيه إلى السلطان وكانت فيه لخاير
الذخاير ونفائس الأعلاق فوثقوا بما أحكموه من الميثاق وخرجوا آمنين ودخلوا
في الذمام لاجين وللسلامة راجين وتسلم جميع ما كان في تلك الناحية من
البلاد مثل دبورية وجينين وزرعين والطور واللجون وبيسان والقيمون
وجميع ما لطبرية وعكا من الولايات والزيب ومعليا والبعنة واسكندرونة ومنوات

فتح تبنين

ولما خلصت تلك الممالك والأعمال وقلصت من الضلال تلك الظلال
وصفت الممالك ووفت المدارك تقدم السلطان إلى ابن أخيه الملك المظفر
عمر بن شاهنشاه تقي الدين بقصد حصن تبنين وأن يتوكل على الله فيه ويستعين
فألقى عليه جران بأسه وأخذ في مضايقته بأنفاسه ولج ما لمع من قبس
نجحه فشعف باقتباسه وسنح له قنصه فاشرأبت لاقتناصه وافتراسه وكتب
إلى السلطان يبعثه على الوصول إليه بعسكره والنهوض نحوه بأبيضه وأسمره
فضرب الكوس وسمت النفوس وثارت في ظلام القتام من المراكب والترائك
الأقمار والشموس واشتعلت من شيب البيادق في شعاع تلك البوارق الرؤوس
وتحرك السواد بكميت النقا واشتبك على الآساد غيل القنا وسالت

وسالت الأودية بالسابحات العتاق وطالت على البيض أعناق الأعناق ومالت
إلى الرقاب الغلاظ من أهل الكفر رقاق الرقاق (رقاق) وجرت العجاج وجرت الزجاج
وتموجت الأفواج وتفوجت الأمواج وتحركت عذبات السوابغ من رياح السوابق
وتداركت صوافن الضوامر بالإرفاد من أرداف الحق اللاحق واستغرق من بريق
البيض والبيض فلق الفيالق وترنمت الصواهل وتراجعت الذوابل وساح الساحل
وراح الراحل ووصلنا إلى تبنين في ثالث من رجب ورمينا أهل التثليث فيها
بثالثة الأثافي وأوطأناهم بشفار الشفار على حدود الأشافي ونزلنا عليها
بالنوازل وبسطنا من المجانيق عليها أيدي الغوائل فتبلدوا من الرعب وتجلدوا
على الحرب ثم جاروا وخاروا وحاروا وجاروا وارعبوا وارهبوا وصحوا من
سكر الجماح واصحبوا وعجزوا وجزعوا ودهمهم الحصر ففزعوا وشكوا الندب ودنوا
وندبوا ودانوا وأذعنوا وأذعنوا واعتذروا واستماحوا وراسلوا السلطان
وسألوا الأمان واستمهلوا خمسة أيام ليبذلوا أموالهم فأمهلوا وبذلوا
رهائن من مقدميهم ودنوا ثم بذلوا واقتلع من بالقلعة عن الجهالة وتعلق
لبث العلق بالمهلة وتقربوا بإطلاق الأسارى المسلمين وترقبوا انقضاء المهلة
لسلامة المسلمين فخرج المأسورون مسرورين وأصبح الصحب المكبوتون بعد الشدة
مجبورين محبورين بالفرج بحبورين وسرهم السلطان وسرهم وآواهم وقواهم
وحباهم وكساهم وأتاهم بعد ردهم إلى مغانيهم غناهم وهذا دأبه في كل بلد

يندو

بفتحه وملك يرحمه الله بالأسارى فيفك قيودها ويعيد بعد عدمها وجودها
ويحيي بعد اليأس آمالها ويوسع أرزاقها بعدما أحال عليها ضيق الأسر آجالها
تخلص تلك السنة من الأسر أكثر من عشرين ألف أسير للقيود إلف ووقع في أسرنا
من الكفار مائة ألف ولما أخلوا القلعة وأخلوا البقعة سيرهم ومعهم من
العسكر المنصور من أوصلهم إلى صور ورتب في الموضع مملوكه سنقر الدوري
فأرشد به ذلك الصقع الغوي فإن أعمال جبل عاملة كانت مجبولة على الشر
وأهلها وإن كانوا مسلمين كانوا أعوانا لأهل الكفر فوصى سنقر بتأنيس النافر
وتعكيس الكافر وتأليف الجافل وتعريف الجاهل وقال له تبنين تبنين ما هدم
بالمنجنيق وجد لسورها وخندقها كل ما يلزم من التوثيق والتعميق وحل ومعه
رفيق التوفيق وكان النزول على تبنين يوم الأحد حادي عشر جمادى
الأولى وتسلمها يوم الأحد الثامن عشر منه

فتح صيدا

يوم الأربعاء الحادي والعشرين من جمادى الأولى يوم النزول عليها وسيحت له
صيدا فتصدى لصيدها وكانت همته في قيدها وبادرها إشفاقا من مكر
العداة وكيدها وسرنا وسرنا مراح ونصرنا مناح والجد جد والمزاح مزاح
والعزم حزم والحلم حتم ونفحات الفتوح لمناشق أهل الهدى تفوح ولمحات
الردى لأعين العدى تلوح ونص النصر قد تنزل ونصبة الصد قد تعزل

وركد الكفر وقد تورّع وشرك الشرك قد تقطّع وتقلّع وظلّ الظفر ضافٍ
وسنا البشر وغير خافٍ والقدر ذو عون والمعين بادر والنظر سعيد والسّعد
ناظر وأوجهنا وأوجه البشائر ناضرة ووجوه النوائب في أوجه المشركين كاشرة
والألسن بحديث الفتح ناشرة وقد حفّت أجنادنا البواتر الواترة
وجلت دياجير النقع في لمعان الحديد السوافر الوافرة واتصلت للممالك من الملائكة
أمداد النصرة المتوافية المتواترة ووصلنا في يومين إلى صيدا التي منهل
فتحها بادر وعزّ حمى الحق دونها لأهل الباطل صادر ولما نزلنا من الوعر
إلى السهل سهل ما توعّر وصفا من الأمر ما ظن أنه تكدّر فصرفنا الأعنّة
إلى صرفند وأيمنّا في مسارحها الجدد وهي مدينة لطيفة على الساحل موروده
المناهل ذات بساتين وأنهار ورياحين وأشجار النارنج والأترج تعرب
مبشراتها الجنايا عن أشجان الفرج فجبنا خلالها وكل قلب مشغول خلا لها
وراقتنا وشاقتنا تلك الحالة والحلية وقرّتنا بما اشتهينا من فواكهها تلك
القرية ولم نعرّج عليها حتى خيّمنا على صيدا وقد حصلنا على صيدها وخلصنا
من كيدها وانطلقت هممنا من قيدها فقد جاءت رسل صاحبها بمفاتيحها
وأذهبنا ظلماتها من العزائم الغرّ بمصابيحها وطلعت الراية الصفراء بالبيد
البيضاء على سورها وجلت غياهب تلك المذاهب بنورها وفتحت أبوابها
وأنجحت آرابها وعزّ مسلموها وذلّ مشركوها وسكن ساكنوها وهلك آهلوها

وعادت معالمها مأهولة بعد أن كانت مقفرة مجهولة وصدح منبرها وصدقت
مفخرتها وربح متجرها ووضح منظرها وأقيمت بها الجمعة والجماعة وأسندت
بها بعد العصيان لله تعالى الطاعة ه

فتح بيروت ه

وكان النزول عليها يوم الخميس ثاني عشري جمادى الأولى وتسلّمها يوم الخميس
التاسع والعشرين منه ولما فرغ من شغل صيدا وتبنين وجمع لهما التحصين
والتحسين قال لعصمة الله شيدي ما بصيدا وتبنين تبيّن والحفيهما رداء
الحماية فما يضيع ما تحفظين ولا يطرق ما تحمين ثم صرف عنانه وأرهف سنانه
ورحل على سمت بيروت مالئًا بعسكره الآكام والمروت وسار على الساحل
بتلك الجحافل بحر على البحر مائج وبحر يجري إلى الهياج هائج وتقدم من عقده بجري
الجد رائج وعزم على صدق القصد عاج ووصل إليها ونزل عليها وبنيت
القباب وطفا على خضم المعسكر من الخيم الحباب وزحف إلى الأعداء
الأحباب وصوبن البلد وفرق الجلد وأحاط الرجال بأرجائه ورجمت
بشهب النصال شياطين الضلال في سمائه وانقضت نجوم السهام من أبراجه
وتلاطم عباب ذلك الجمع الجم بأمواج أفواجه وترجّل دونه النائر وتعالى
نحوه الثائر واصطفقت التراير واشتدت المراير وأخذ دونه القتال واحتدم
النزال وامتد المصاع والمصال واتصل خروج الخروج بالخروج ودام اختراق

البروج على ابتراج الفروج ومدت الجفاتي كانها اعناق البخاتي وانى العاني وعنا
الآني واجد النصب الوانى في المواني ودارت كؤوس المنايا بالارواح بجذى وتهانى
وطارت الفواريد وثارت المساعير واشتعل المتقد واشتغل المتهوط والتهم الزراق
والتهب الحراق وبرق النسهم الكمي مروق السهم من الرمي وابنى الوادي فطم
على القرى ودبت الدبابة دبيب الرتال وصبت الصبابة غيوث النبال
وابتزت قواعد الابطال وانجزت مواعيد الاجال وجالت في الضمائر ضوامر
الاوجال وهالت بالنوازل نوازي الاهوال ورعدت بوارق البوارد واسعد
الافراد بالافراد وشعلت الرقاب قواضب القواضب وحملت العدد النواكب على
المناكب وخفت للاثقال كاف المتاك وهتكت ستائر السور وتم ما ثم من الاشراك
الاشراك ودام القتال اياما تتضاعف اصطلاء واصطلاما وتتطاير اضطراما
واضطراما وبنات الحنايا باهابحة وامات المنايا بالحة ورجمت شهب
النفاطات شياطين الزاوية المردة وتبادرت الاسود العادية على اولئك
المردة حتى خرق الخندق وطرق وعلق النقاب بالسور فنقب وعلق
وكاد النقب يتسع والبرج يتقع والجدار ينقض والحجارة ينفض وسوار
السور ينكسر وتتابع النقع لا ينجاب وخرج من البلد رجال الى الموت عجال
وتقوا دون السور مباشرين ولمعاشر اصحابنا معاطاة كؤوس المنون
معاشرين فلاقوا بسلام السلام وكلام الكلام وتصافحوا بالصفائح وتجاذوا

بالجوارح وتواصلوا بالقواطع وتعانقوا بالمقامع وتصارعوا على المصارع وتجالدوا
وتجالدوا وتواجحوا وتواقعوا وتعاقروا وتقارعوا والبيض تقد والبيض تقد
والباسلات ترد والبابين ترد والصفيك الصادي تصد بالدم وتردى وحزب
الكفر يضعف وحزب الاسلام يقوى ثم انحصروا في البلد ولحبنوا واعلى البلد
وضاقهم الرعب وضاق بهم الرحب وذلوا وحاروا وضلوا وحادوا ولما نام
المقاتلة وحذر لواظن اهل بيروت ان المسلمين دخلوا فاجفلوا الى البحر واد
عدموا سكينتهم ليركبوا سفينتهم وخلوا مدينتهم فخرج احد المقدمين
يستدعي الامان ويستعدي الايمان ويطلب منا ما يعصمهم ودماء ما حرمهم
وعهدا يسلمون به ويسلمهم وعقدا في عقد الامن ينظمهم وكنت يومئذ
في مرض قد ارعجني واعجزني ومضض اخفاني وعن عيون العواد ابرزني وانقطعت
عن الحضور عند السلطان وضعفت عن تحرير كتاب الامان فطلب السلطان
كل كاتب في ديوانه وكل من يمسك قلما من امثال الملك واعيانه فلم يرضه
ما كتبوه ولم يكفه ما رتبوه فجاءني في تلك الحالة من استهلاه مني ومرضت
اذ ذاك اصحابي ولم يمرض ذهني فتسلم بيروت بخطي واصبحوا وانا الاخذ
والمعطي وكان النابين قد انسوا بما سطره وانسوا سوى ما ذكره
واجيزه والفوا الصحة بيه فالفوه ولقوا السقم في غيره فالفوه فلم يكن
في ذلك التوقيع تعويق بل كله بتوفيق الله توثيق ولم يتم منه الا بمفتاحه

ولا رتق فتق الا باصلاحه ولا جلي ظلام الا باصباحه ولا ورى زند الا باقتداحه
وكانت يومئذ جمرة الجزر متوهجة ووقدة القيظ متاججة وضرم مرضي ملتهبا
ودوح روحي منتهبا وبقيت مفطرا مضطربا ولقيت من ذلك الوصب نصبا و
جهلت من الاقامة او السفر على الخطر او الحذر وتعذر المقام لعذر السقام و
اشتغلت عن الاشتغال بالآلام وحملني اختلالي نصبي على اخلالي بمنصبي وعزمت على
مفارقة السلطان وهو باعزازي على مواصلة الاحسان فمضيت على مضض وانصرفت
بمضرة ومرض وحملت الى دمشق في محفة وحصلت بفضل الله في طيب هوائها بعد
الثقل خفة فتفضل الله بالشفاء وبدل الكدر بالصفاء وعدت الى السلطان يوم
فتح القدس وانتهت الوحشة الى الانس وتسلم السلطان بيروت يوم الخميس
التاسع والعشرين من جمادى الاولى مطاع الامر مشايع النصر مذاع النشر تفوح
النشر ويوضح البشر مستفيض السيادة مستضيف الزيادة ناجح الارادة راجح
العبادة رابح المتجر واضح المفخر فذهبت غرب الهدى وجبت غارب العدى
واستجدى من الله منحا واستجد باستفتاحه فتحا واستفاد ملكا واسترد ملكا
وبيروت اذ برئت واستبرئت لبوسها فابرئت وقرر مصالحها ومناجحها فاستقرت
وحفلت له اخلاف الفتوحات فدرت واستمرى صوب الصواب من غرابه وصرايمه فاستمرت

فتح جبيل

يوم الثلثاء سابع عشرين جمادى الاولى وصل كتاب الصفي بن القابض وهو يومئذ قد

اوكد
ورد منه دمشق الى الكافي الناهض يتضمن ان صاحب جبيل استاليه في اسره
واستشاره في امره وقال له ان فتح مني تسليم جبيل سلمت وسلمت واتحتها
لكم وتحرمت واخرجتها من عصمتي وخرجت واعتصمت فانا اطلقتها ان اطلقت
وان لها من وثاقي اذا اوثقت فاجيب باحترازه من كيده واحضاره في قيده
فاحضر في صفده وسمح ببلده فخلص ناجيا وملص راجيا وملكت مدينة جبيل
وجرت عليها الفتوح الذيل ونحن يومئذ على بيروت حاضرون وحاصرون
ولاعداء الله مصابرون وبهم مكابرون وكان معظم اهل صيدا وبيروت وجبيل
مسلمين مساكنين لساكنة الفرنج مستبسلين فذاقوا العزة بعد الذلة وفاتوا
الكثرة بعد القلة وصدقت البشائر وصدحت المنابر وترنمت المحاريب وتجنبت
المطاريب وتليت الآيات وجليت الغيابات وخربت الكنايس وعمرت المدارس
وظهر عيب البيع وشهر جمع الجمع وقرئ القرآن واستشاط الشيطان ونطقت
الاعواد وخفقت الاعياد وخرست النواقيس وبطلت النواميس ورفع المسلمون
رؤوسهم وعرفوا نفوسهم وانتعشوا من شكاة عثارهم وانتقشوا من شوكة
عارهم وقروا في ديارهم وقروا ابصارا بانصارهم وكان كل من استامن من
الكفار يمضي الى صور ويحتمي في الذمار وصارت صور عش غشمهم ووكر مكرهم
وملجا طريدهم ومنجا شريدهم ومأمن خائفهم ومكمن غاشيهم وهي
التي فزع القوم اليها يوم كسرهم بل يوم حشرهم

ذكر هلاك القومص ودخول المركيس الى صور

ولما عرف القومص قرب السلطان منها اخلاها وخلاها واوى الى طرابلس ثم انها لما منع بما ملك وكان كما قيل راح يبغي نجوة من هلاك فهلك فما النجاة الفرار من القضاء ولا فوت من البلاء الى بلاده فوقع في البلاء وظن ان صور خلت وان بجانبها حلت وان حماتها اذعنت وان كفاتها استكنت وان قوتها انبهرت وان حصنها اجهزت وان زيادها الطباع وان مرادها استطاع لكنها تعوضت عن القومص بالمركيس كما يتعوض من الشيطان بابليس فادرك دماء الكفر بعد ما شفى وايقظ روع الروع بعد ما اغفى وضبط صور وذب دونها من مهج ذوي الفرنج ومنتميها وكان المركيس من اكبر طواغيت الكفر واغوى شياطينه واضرى سراحينه واخبث ذيابه والحس كلابه والهش صلاله وافحش ضلاله واغوى غواته واخون خوانه وابغى بغاته واجفى جفاته وارعى حماته واحمى رعاته وشر شراره وانكر نكاره وافجر فجاره واروغ ثعالبه والسب عقاربه واخبث معاهديه وانكث معاقديه وهو الطاغية الداهية الذي خلقت له ولامثاله الهاوية ولم يكن وصل الى بلاد الساحل قبل هذا العام ولا خلف مقتدى الكفر غيره في الاقدام على خلاف الاسلام واتفق وصوله الى مينا عكا وهو بفتحها جاهل وعن فتحها من المسلمين ذاهل فعزم على ارساء الشاني بالمينا ثم تعجب وقال ما ارى احدا من اهلها يلتقينا

وراى زي الناس غير الزي الذي يعرفه فارتاب وارتاع وحبس عن الدخول توقفه وبان تندمه وتاخر تقدمه وسال عن الحال فاخبر بها فتفكر في النجاة وكيف يعلق بسببها ثم وقف بالقرب فلبث على الرعب والهواء راكد والقضاء عنه راقد فانه لو خرج اليه مركب لاخذه ولو وقف له قاصد لوقذه فاحتال كيف يخرج بسفينته ولا يدخل مع فقد سكينته وانتظر هبوب الريح الموافقة فلم تهب وما تم له الافلات على ما احب فسال عن البلد ومن اليه امره ومن بيده نفعه وضره فقيل هو الملك الافضل ابن الملك الناصر فقال خذوا لي منه امانا لاجيء ادخل وادفع اليكم ما معي من المتاع وانفذ لمجيء اليه بالامان ونيل هذا بعلامة السلطان فقال ما اثق الا بخط يده ولا انزل الا بعقده الى بلده فما زال يردد الرسل ويدير الحيل حتى وافقته الريح فاقلع وافلت من الشرك بعدما وقع وصار في صور وزم الامور واجمع الجمهور وجرا الكفر بعد خوره وبصر الشيطان بعد عماه وعوره فاستعلى بالخزي واستولى بالغي والبغي وارسل رسله الى الجزاير وذوي الجرائر يستعدي ويستدعي ويستودع ملة الصليب عباده ويستدعي ويستثير ويستنير ويستنفر ويستنصر وثبت في صور وثبت وجمع اليه من الفرنج من تشتت وما فتح بلد بالامان الا سار اهله في حفظ السلطان حتى يصيروا الى صور ويامنوا المحذور

فاجتمع اليها اهل البلاد المفتوحة بالقلوب المقفلة المغلقة المقروحة فامتلأت
وكانت خالية وانتشأت وكانت بالية وتعلّت وكانت معتلّة وتعمّرت وكانت
متخلّلة وتسدّدت وكانت مختلّة ولم يحتفل بها فاخترق فتحها وما ظنّ بها الفتح
على شحّها فاستجدّت رمقا بالمهلة وتبعثت بعد مقادتها السهلة تقضي امهالها
باتمامها وعادت عيونها الى الاغفا باغفالها والهي عن طلبها طلب ما هو اشرف
والعزم بفتحه اشغف وهو البيت المقدس فان فتحه من كل فتح انفس والمركس
في اثنا ذلك حفر الخندق وتحكيمه وتعقد الموثق وبترميمه وجمع المفترق ونظمه
وسنذكر ما تجدد منه في اوقاته وما فات من فرصة الامكان في دفع افاته

ذكر فتح عسقلان وغزة والداروم والمعاقل التي نأخذ في ذكرها

وكان النزول على عسقلان يوم الاحد السادس عشر من جمادى الاخرة ولما نزع
السلطان من فتح بيروت وجبيل ثنى عنانه بحرًا وجرى من العسكر والعثير
على السماء والارض الذيل والسيل وعاد عابرا على صيدا وصرفند وقد اورى فيها
باقداح اقتراحه الزند وصار الى صور ناظرا اليها وعابرا عليها غير مكترث
بامرها ولا متحرث في حصرها ولا منعقد في تعقدها ولا آمنا بد في توردها
وعلم ايضا انها ممتنعة وعن سومها مرتفعة فعمل بالحزم وعمد الى العزم و على
ذلته القرابة ان تحاولتها تصعب ومزاولتها تتعب وليس بالساحل بلد منها
الحصن فعطف الاعنة الى ما هو منها اهون وكان قد استحضر ملك الفرنج ومقدم
الداوية

وشرط معهما واستوثق منهما انه يطلقهما من الاسر والبلية متى تمكن
باعانتهما من البلاد البقية وعبر والعيون صور الى صور والمركبين ما شك
انه بها يحصرها فلما ارخى من رنافه واتسع ضيق خناقه حلق في مطاره وطار
وحرك لعوانه اوتار اوتاره واجتمع السلطان باخيه الملك العادل واتفقا على
طي المراحل ونشر القساطل وحلّ معاقد المعاقل وسل قوائم القواصل
ونزل على عسقلان وسد بها تلك الزور وقد انما الله الخذلان فتحلى من بها على
الحصار وحرقت اسوديها الخادرة من الاصحاب فرهبوا ونصبوا واشرابوا و
تشتروا وحاصوا وصاحوا وجاتوا وناحوا ابلسوا وابسلوا واعولوا انما غليه
عولوا وشبوا وشابوا وخبوا وخابوا لكنهم استقبلوا الموت واستقتلوا وتعقدوا
على الفتح وما تحللوا واخرنوا في الاباة وما انتهلوا وجهدوا وجهلوا فامر
السلطان عليها المجانيق تحت سقفها وتحت بالحجارة طرقها ورجت بالتقريق
دريقها ووشعت بالتصيب صفيحها واضعفت بالتوفيق شقفها وجمعت شمال دثورها
الحجارة بالنار التي وتودها الناس والحجارة ولفحتهم بنيرانها وتوالت عليهم الشرارة
بعد الشرارة وخربت منهم العمارة ووجبت بالجبار منالهم الخسارة وتهدمت
الصخور بالصخور ولزم عيث بورهم بالثبور وحسر النقاب بخيبر النقاب
وباشر الباشورة نزع الحجاب واشتد القتال واحتد المصاك وراسلهم
عند ذلك الملك المأسور وقال قد بان غدركم حين نقب السور وجرت

حالات وترددت رسالات وقال لهم الملك الأسير لا تخالفوا ما به أشير و
أطيعوني فيما استطعتم واسمعوا مني إذا سمعتم واحفظوا رأيي فهو رأس مالكم وحلية
حالكم ولا تخطروا وتغرروا بمالكم فإنه إذا أغلقت خلصت وإذا استنفذت استنفدت
وخرج مقدمون وشاوروا الملك ونحوا في التسليم نحو سلكه وسلموا عسقلان
على خروجهم بأموالهم بالمتن وأمنوا بذلك الميثاق واليمين وذلك يوم السبت
لانسلاخ جمادى الآخرة وتلألأت السعود في أوجها بالأوجه السافرة وممن
استشهد على عسقلان من الأمراء الكبراء إبراهيم بن الحسين المهراني وهو أول
أمير افتتح بالشهادة واختتم بالسعادة وكان السلطان قد أخذ في طريقه إليها
الرملة ويبنى وبيت لحم والخليل وأقام بها حتى تسلم حصون الداوية غزة و
النطرون وبيت جبريل وكان قد استصحب معه مقدم الداوية وشرط معه أنه
متى سلم معاقلهم أطلقه فسلم هذه المواضع الوثيقة لما أخذ موثقه واجتمع
بالسلطان ولده صاحب مصر الملك العزيز عثمان على عسقلان بشارة وبشارة
ورأيه وآية وهيئة وهيبة وثروة وثروة ودهرة وعزة وعدة وعدة وجدة
وجدة وشدة وشدة وجدة وجدة وضوعة وروعة ونخوة وسطوة وصبوة وصيت
ومصاعب ومصاليت ومساعير ومغاوير ودهم وذهم وشهب وكمت وصلاب وصلاد
ونجائب وأنجاد وجلب وجلب وبيض وبلب وبيض وسود وأساود وأسود وجرد
ومرد وكهول وخيول ورماح وصفاح ونقود وبنود وأطلاب وأبطال وفوارس

ورجال وخفاف وثقال وعرب وأعاريب وسراحين وسراحيب وجد لا يكل
وجد لا يمل وجمع يثني وجمع لا يلتقي ومعه رماة الأحداق كماة الأتراك وهداة
التوحيد عداة الإشراك فقرت عينه بولده واعتضد بعضده ووضع يده
بتأييد الله في يده وكان قد استدعى الأساطيل المنصورة فوافت كالفتخ الكواسر
بالفلك المواخر وجاءت كأنها أمواج تتلاطم أمواجها وأفواج تتزاحم أفواجها تدب
على البحر عقاربها وتخب كقطع الليل سحائبها وتجر بالذوائب ذوائبها وتزاحم مناكب
الأطواد مناكبها والحاجب لؤلؤ مقدمها ومقدامها وضرغامها وهمامها تلحق وتكسر
وتكبس وتسلب وتسلب وتقطع الطريق على سفن العدو ومراكبه وتقف له في جزائر
البحر على مذاهبه وسيأتي ذكر ذلك في موضعه ويظهر في وقائعه حسن موقعه

فتح بيت الله المقدس

ثم رحل من عسقلان للقدس طالبا وبالعزم غالبا وللنصر مصاحبا ولذيل العز
ساحبا قد أصبح ربض مناه وأخصب روض غناه وأصبح رائح الرجاء أرج الأرجاء سيب
العرف طيب العرف طاهر اليد قاهر الأيد سنا عسكره قد فاض بالفضاء فضاء وملأ الملا
فأفاض الآلاء وقد بسط عثير فيلقه ملاءة على الفلق وكأنما أعاد العجاج رأد الضحى
جنح الغسق فالأرض شاكية من إجحاف الجحافل والسماء خاطية بأقساط القساطل
وسار سائرا بالأجوال الجوالي مروية أحاديث فتوحه العوالي من العوالي مطوية
مدارج مناهجه على ما نشرته الآمال من الأماني وقد حلت وعلت من معادن البصر

ومطالعه المحاسن والمجالي والاسلام يخطب من القدس عروبا ويبذل لها في
المهر نفوسا ويحمل اليها نعمى ليحمل عنها بوسى ويهدي بشرا ليذهب عبوسا
ويسمع صرخة الصخرة المستدعية المستعدية لاعداها على اعدايها واجابة دعايها
وتلبية ندايها واطلاع زهر المصابيح في سمايها واقصا الذين اقصاهم الله بلعنته
من الاقصى وحزب تبادينجه الذي استنقصه واسكات الناقوس منه بانطاق
الاذان وكف كف الكفر عنه بايمان الايمان وتطهيره من انجاس تلك الاجناس
وادنان ادنا النابين والخام الافهام باخراس الاجراس وطار الخبر الى القدس
فتحارت قلوب من به رعبا وطاشت وخفقت افيدتهم خوفا من جيش الاسلام
وجاشت وتمنت الفرنج لما شاعت الاخبار انها ما عاشت وكان بها من مقدمي
الفرنج باليان بن بارزان والبطرك الاعظم ومن كلي الطايفتين الاسبتارية و
الداوية المقدم فاشتغل باليان واشتعل بالنيران وخمدت نار
البطرك وضاقت بالقوم منازلهم فكان كل دار منها شرك للشرك وقاموا
بالتدبير في مقام الادبار وتقسمت افكار الكفار وايس الفرنج من الفرج
واجمعوا على بذل المهج ۞

ذكر كنيسة قمامة ۞

وقالوا ها هنا نطرح الرؤوس ونسكب النفوس ونسفك الدما ونهلك
الدهما ونصبر على اقتراح القروح واجتراح الجروح ونسمح بالارواح شحا بمحالها

الروح بهذه قمامتنا فيها مقامتنا ومنها تقوم قيامتنا وتصح بها امتنا وتصح
ندامتنا ونسبح علامتنا ونسح غمامتنا وبها عرامتنا وعليها غرامتنا وباكرامها
كرامتنا وبسلامتها سلامتنا وباستقامتها استقامتنا وفي استدامتها استدامتنا
وحلينا عنها لزمتنا ملامتنا ووجبت ملامتنا فيها المصلب والمطلب والمذبح و
المقرب والمجمع والمتعبد والمهبط والمصعد والمرقى والمرقب والمشرب والملعب
والمموه والمذهب والمطلع والمقطع والمرقى والمربع والمرخم والمخرم والمحلب
والمحرم والصور للاشكال والانظار والامثال والانداد والاشبال والاشباه
والاشباح والاعمدة والالواح والاجسام والارواح وفيها صور الحواريين
في حوارهم والاحبار في اخبارهم والرهابين في صوامعهم والاقسا في مجامعهم
والسحرة في حبالها والكهنة وخيالها ومثال السيدة والسيد والهيكل والمولد
والمايدة والحوت والمنعوت والمنحوت والتلميذ والمعلم والمهد والصبي
المتكلم وصورة الكبش والحمار والجنة والنار والنواقيس والنواميس قالوا
وفيها صلب المسيح وقرب الذبيح وتجسد اللاهوت وتاله الناسوت و
استقام التركيب وقام الصليب ونزل النور وزال الديجور وازدوجت
الطبيعة بالاقنوم وامتزج الموجود بالمعدوم وعمدت عمودية المعبود
وتمخضت البتول بالمولود واضافوا الى متعبدهم من هذه الضلالات ما ضلوا
فيه بالشبه عن نهج الدلالات وقالوا دون مقبرة ربنا على خوف فوتها نفوت

وعنها نُدافع وعليها نُقارع وما لنا لا نُقاتل وكيف لا نُنازع ولا نُنازل ولا نرى
معقل نشركهم حتى نأخذ ونزعهم حتى يستخلصوا ما استخلصناه منهم ويستنقذ وا
وتأهبوا وتباهوا وما انتهوا ولا تناهوا ونصبوا المجانيق آفات الاسوار على الاسوار
وبثوا وانطلقت النيران وجوه الانوار واستشاطت شياطينهم وسرحت سراحينهم
وطغت طواغيتهم واصلتت مصاليتهم ونشرت طواميرهم ونبغت مساعيرهم
وهاج هائجهم وماج مائجهم ودعت دواعيهم وعدت عواديهم وبعثت
افاعيهم وحضتهم قسوسهم وحرضتهم رؤوسهم وحركتهم نفوسهم ثم وجاهم
نجوى اليسوع حابسيهم واخبرهم باقبال العساكر الناصرية منصورة الجنود
منشورة البنود موصولة القواطع بالاشاجع مهجورة الغمود مشهورة
القواضب مشهودة الكتائب معقودة الضوامر بآثار العدى مويدة
الضمائر بانار الهدى مشبوبة العزائم مجنوبة الصلادم مسلولة الظبى
مطلولة الربى مجنونة أجنة أعمادها مسنونة أسنة صعادها مطلقة أعنة
جيادها محققة مظنة طرادها قد سالت الوهاد بأكامها وجالت الاعلام
في اعلامها وسدت الفجاج أفواجها ومدت العجاج أمواجها وحجبت الغزالة
عقبانها والهبت الذبالة خرصانها وعرت بالجبال احبالها وجرت كالجبال
رماحها واشتملت على الضراغم غيلها واقبلت بالعظائم قبيلها واني كلت

البياض صح غلط رزنيها

وان يعهد رنة كاف لكف خطبه ناف لهم قلبه صاف بفيض شربه طاف
في لبوسه مناف لبوسه باسل باسه عاسل بامراسه ناسل من الغمد جفنه
عاسل بنت الجدير مرنه واصل ببيض الهند بسواعده ناصل خطاب الخطوب
ببوارقه ورواعده حاجحه جاد بجده ولكل نائب الحرب شائب ورب دين
لدين الرب راتب وكل جيش كالبحر عباب وكل سائل ذي ذباب عن الهدى ذاب
وكل قائل بالآخرة للحيوة الدنيا قال سائل من الله الشهادة عن حب البقاء
بال مائل في سبيل الله الى انفاق ماله واقبل السلطان باقبال سلطانه
وابطال شجعانه واقبال اولاده واخوانه واشبال مماليكه وغلمانه وكرام
امرائه وعظام اوليائه في مقانب كالمناقب مقتبة وكتائب بالمواكب مكتتبة
وذوابل بالكواكب متصلة وجحافل بمضاء المضارب محفلة والوية صفر
للاولياء الاصفر وبيض وسمر تزرق العدى من الموت الاحمر وقبائل ذ
قبائل وقنا وقنابل وصوافن وصواهل وعوامل وعواسل وفوارس
فوارس وكل من يبذل للشح بدينه النفوس والنفائس واضحى يسال عن الاقصى
وطريقه الادنى وفريقه الاسنى ويذكر ما فتح الله عليه بحسن فتحه الحسنى

وصف البيت المقدس

وقال ان سعدنا من الله على اخراج اعدائه من بيته المقدس لما اسعدنا واي
يد له عندنا اذا ابدنا وانه مكث في يد الكفر احدى وتسعين سنة لم يتقبل الله فيه

من عاينه حسنه ودامت جميع الملوك دونه متوسنة وجلت القرون عنه متخلية
وتخلت الفرنج به متولية ثم ادخر الله فضيلة فتحه الا لال ايوب وليجمع لهم بالقبول
القلوب وخص به عصر الامام الناصر لدين الله ليفضله به على الاعصار وليجز
مصر وعسكره على سائر الامصار وكيف لا نهتم بافتتاح البيت المقدس والمسجد
الاقصى المؤسس على التقوى وهو مقام الانبياء وموقف الاولياء ومعبد الاتقياء
ومزار ابدال الارض وملائكة السماء ومنه المحشر والمنشر ويتوافد اليه من
اولياء الله بعد المعشر المعشر وفيه الصخرة التي صينت جدة ابلاجها من الانهاج
ومنها منهاج المعراج ولها القبة الشماء التي على راسها التاج وفيه ومض البارق
ومضى البراق واضاءت ليلة الاسراء بحلول السراج المنير في الافاق ومن
ابوابه باب الرحمة الذي يستوجب داخله الى الجنة بالدخول الخلود وفيه كرسي
سليمان ومحراب داود وهو اول القبلتين وثاني البيتين وثالث الحرمين وهو
احد المساجد الثلثة التي جاء في الخبر النبوي انها تشد اليها الرحال وتعقد الرجاء
بها الرجال ولعل الله بعبده بنا الى احسن صورة كما شرفه بذكره مع اشرف
خلقه في اول سورة فقال سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى وله فضائل ومناقب لا تحصى واليه ومنه كان الاسراء والى ارضه
فتحت السماء وعنه توثر انباء الانبياء والاولياء ومشاهد الشهداء وكرامات
الكرماء وعلامات العلماء وفيه منازل العباد ومسارح الزهاد وصخرة الطولى

وجلت — الاعصار — الآثار صح

القبلة الاولى ومنها تعالت القدم النبوية وتوالت البركة العلوية وعندها
صلى نبينا صلى الله عليه بالنبيين وصحب الروح الامين وصعد منها الى اعلى عليين و
فيه محراب مريم عليها السلم الذي قال الله فيه كلما دخل عليها زكريا المحراب والنهار
التعبد ولليله المحيا وهو الذي ابتناه داود واوصى ببنائه سليمان ولاجل
اجلاله انزل الله سبحان وهو الذي افتتحه القاري واستفتحت به سورة من
القرآن فما احله واعظمه واشرفه وافخمه واعلاه واجلاه واسماه واسناه
وايمن بركاته وابرك ميامنه واحسن حالاته واحلى محاسنه وازين مناهجه
وابهج مرائيه وقد اظهر الله طوله وطوله بقوله الذي باركنا حوله وكم فيه من
الآيات التي اراها الله من خصائصه ومزاياه ما وثق على استعادة الاية مواثيقه
والاياه واقسم لا يبرح حتى يسر فيه ويرفع باعلاه علمه ويخطو الخطى زيارة
موضع القدم النبوية قدمه ويصغي الى صرخة الصخرة ويبقى بالبشرى بشر
اسرة الاسرة ويباد وابقا بكمال النصرة وزوال العبرة وخيس قناع الحيرة
ونزل على غزة القدس يوم الاحد خامس عشر رجب وقلب الكفر قد وجب
وحزب الشرك قد شارف الشجى والشجب والقدر قد اظهر العجب وكان في
القدس حينئذ من الفرنج ستون الف مقاتل من سائف ونابل وبطل
للباطل وعابس عاسل بالعاسل قد وقعوا دون البلد يبارزون ويحاجزون
ويعاجزون ويناجزون ويرمون ويرمون ويحمون ويحمون ويجدون ويحتدمون

الفرنج صح

ويضطربون ويضطرمون ويبدون ويعيدون ويشبون ويشيبون ويصرخون ويحرضون
ويلهثون ويتعوثون ويلوذون ويجولون ويجوبون ويتقدمون ويحجمون ويتململون
ويألمون ويتعاوون ويتضاغون ويجترئون للبلايا ويفترعون المنايا وقاتلوا اشد
قتال وناضلوا اجد نضال ونازلوا الحتوف نزال وطافوا بصحاف الصفاح لارواء
الظبى الظماء من ماء الارواح وجالوا بالاوجال ولجوا في فجاج الآجال وصالوا لقطع
الاوصال والتهوا والتهبوا ونشبوا ونشبوا واستهدفوا للسهام واستهدفوا
للحمام ووالوا الكر واحتموا بعشرين وكل عشرة بمائتين ودون الهامة تقوم
القيامة وحُبست السلامة فقل السلامة ودامت الحرب واستمر الطعن والضرب
فانتقل السلطان يوم الجمعة العشرين من رجب الى الجانب الشمالي وخيم هنالك
وضيق على الفرنج المسالك ووسع عليهم المهالك ونصب المجانيق ورمى من
آفاتها الافانين واصرخ الصخرة بالصخود وحشر حشر السوء منهم وراء السور
فما عادوا يخرجون من السور الا ويلقون البوس واليوم العبوس ويلقون
على الردى النفوس للذادة دوي وللبادرة من البوادر في الهاوية هوي
وللاستبسال تبار وما للقرين من الموت فرار وما بين الحجار المحلقة وبين المرمي
اليهم حجاب وفي كل قلب من الفريقين من نار حرصه التهاب اذ الوجوه لقبل النصال
مكشوفة والقلوب للوجد بالقتال ملهوفة والايدي بقوايم السيوف المسوحة
مضمومة والنفوس لاستنباط الهمم في الاهتمام مهمومة وقواعد السور وتواجد

شرّفه بالاحجار الخارجة من الكفاف مهدومة مهتومة وكان المجانيق مجانين
يرامون ومناجيق لا يرامون وحبال الجذب بها جبال ورجال المجذبها رجال وآلات
الدواهي والمنابة حوامل ثكل البلايا لا يحجر عليها في حجر ولا امن عندها من حذر
ولا تخطر سهامها الا بالخطر ولا يقطعهم وربها الامرات ذوي الخطر فكم نجم
من سمائها بنقض وصخر من ارضها برفض وجمر من شرارها بنقض وما شئ كآفات
كفاتها وآيات نكاياتها ودركات دركاتها ولقيات فلتاتها وجذبات
عذباتها فما زالت تقلع بمقالعها وتقرع بمقارعها وتنبح باشطانها وتمرح في ارسانها
وتصدم وتهدم وتصرع وتصدع وتبهر بلائها وتجهر بلائها وتحل تركيب
الجلاميد بازداد جلاميدها وتفك نظام المباني بتفريقها وتبديدها وتقوض
القواعد بنقض امراسها ونقض المعاقد بحلها في امراسها وتشفه الموارد
بشربها من كاس شاخ تركت سورا سورا وجعلت التراب عنه محبوسا
وعاد العد وتم نظمه المنثور منثورا وخرق الخندق وجف الزحف وظهر
للاسلام الفتح وللكفر الحتف واخذ النقب وسهل الصعب ونزل المجهود
وحصل المقصود وكمل المراد وكلم المراد وثغر الثغر وامر الامر وازف
الارب وانبتت السبب وخاف القوم الوقم واستعاضوا من الصحة السقم
واسلم البلد وقطع تاريخه فيه وبرز ابن بارزان ليأمن من السلطان
بموثقه وطلب الامان لقومه ومنع السلطان وتسامى في سومه وقال لا امن لكم

ولا امان وما هو الا ان نريكم الهوان ونغير ملككم قسرا ونوسعكم قتلا واسرا
ونسفك من الرجال الدماء ونسلط على الذرية والنساء السباء وابى في تامينهم
الا الاباء فتعرضوا للتضرع وتخوفوا عاقبة التسرع وقالوا اذا يئسنا
من امانكم وخفنا من سلطانكم وخبنا من احسانكم وايقنا انه لا نجاة ولا نجاح ولا
صلح ولا صلاح ولا سلم ولا سلامة ولا نعمة ولا كرامة فانا نستقتل فنقاتل قتال
الدم ونقابل الوجود بالعدم ونقدم اقدام المستبشر بالشر ونتقحم اقتحام
المستضري من الضر ونلقي انفسنا على النار ولا نلقي بايدينا الى التهلكة والعار
ولا يجرح واحد منا حتى يجرح عشرة ولا تبصر ايدينا بالفتك
منتشرة وانا نحرق الدور ونخرب القبة ونترك عليكم في سبينا السبة ونقلع الصخرة
ونوجدكم فيها الحسرة ونقتل كل من عندنا من اسارى المسلمين وهم الوف وقد عرف
ان كلا منا من الذل عزوف وللعز الوف واما الاموال فانا نعطيها ولا نعطيها
واما الذراري فنبادر الى اعدامها ولا نستبطيها فاية فايدة لكم في هذا الشح
وكل خسر لكم في هذا الربح ورب خيبة جات من رجا النجح ولا يصلح التسويف
الصلح ورب مدلج اظله ظلام الليل قبل اسفار الصبح فعقد السلطان مجلسا
للمشورة واحضر كبرا عسكره المنصورة وشاورهم في الامر وحاورهم في السر
والجهر واستطلع خبايا ضمايرهم واستكشف خفايا سرايرهم فاستورى زندهم
واستعلم ما عندهم وراوضهم على المصلحة المترجحة وفاوضهم في المصلحة المرجحة

وقال ان الفرصة قد امكنت فنحرص في انتهازها وان الحصة حصلت ونستنجز الله
في انجازها وان فاتت لا تنثني ركن وان افلتت لا تملك فقالوا قد خصك الله تعالى
بالسعادة واخلصك لهذه العبادة ورايك راشد وعزمك لما له الفوز ناشد
وامرك لاشتات المصالح وانساب المناجح حاشد وكلنا لك في اغتنام فتح هذا
الموضع الشريف مناشد واستقر بعد مراودات ومعاودات ومفاوضات و
تقويضات وضراعات من القوم وشفاعات على قطيعة تكمل بها الغبطة وتحصل منها
الحوطة اشتروا بها انفسهم واموالهم وخلصوا بها رجالهم ونساءهم واطفالهم
على انه من عجز بعد اربعين يوما عما لزمه وامتنع منه وما سلمه ضرب عليه الرق
وثبت في ملكه لنا الحق وهو عن كل رجل عشرة دنانير وكل امراة خمسة وكل صغير
وصغيرة دينارين ودخل ابن بارزان والبطرك ومقدما الداوية والاسبتار
في الضمان وبذل ابن بارزان ثلثين الف دينار من الفقرا وقام بالادا ولم ينكل
عن الوفا فمن سلم خرج من بيته امنا ولم يعد اليه ساكنا وسلموا البلد يوم
الجمعة السابع والعشرين من رجب وردوه بالرغم رد الغصب لا الوديعة وكان فيه
اكثر من مائة الف انسان من رجال ونساء وصبيان فاغلقت دونهم الابواب و
رتب لعرضهم واستخراج ما الزمهم النواب ووكل بكل باب امير ومقدم كبير
يحصر الخارجين ويحصي الواجبين فمن استخرج منه خرج ومن لم يقم بما عليه قعد في
الحبس وعدم الفرج ولو حفظ هذا المال حق حفظه لفاز منه بيت المال باوفر حظه

لكنما تم التفريط وعم التخليط فكل من رشا مشى وتنكب الامناء نهج الرشد بالرشا
فمنهم من ادلي من السور بالحبال ومنهم من حمل مخفيا في الرحال ومنهم من
غيرت لبسته فخرج بزي الجند ومنهم من وجدت فيه شفاعة مطاعة لم تقابل
بالرد وكانت في القدس ملكة رومية مترهبة في عبادة الصليب متصلبة
وعلى مصابها متلهبة وفي التمسك بملتها متصعبة انفاسها متصاعدة بالحزن و
عبراتها متحدرة تحدر القطرات من المزن ولها حال ومال واشياء واشياع
ومتاع واتباع فمن عليها السلطان وعلى كل من معها بالافراج واذن في اخراج
كل ما لها في الاكياس والاخراج ولجت فرحى وان كانت من ترحها ترحى وكانت
زوجة الملك المأسور ابنة الملك اماري مقيمة في جوار القدس مع ما لها من
الخدم والخول والجواري فخلصت هي ومن معها ومن تبعها ومن ادعى انه من صحبها
وشيعها وكذلك الابرنساسة ابنة فليب ام هنفري اعفيت من الوزن وتوفر
مالها عليها في الخزن واستطلق صاحب البيرة زها خمسماية ارمني ذكر انهم
من بلده وان الواصل منهم الى القدس لاجل متعبده وطلب مظفر الدين
ابن علي كوجك زهاء الف ارمني ادعى انهم من الرها فاجراه السلطان من
اطلاقهم له على ما اشتهى وكان السلطان قد رتب عدة دواوين في كل
ديوان منها عدة من النواب المصريين ومنهم من الشاميين فمن اخذ من احد
الدواوين خطا بالاداء انطلق مع الطلقاء بعد عرض خطه على من بالباب

من الوكلاء والامناء فذكر لي من لا اشك في مقاله انه يحضر في الديوان ويطلع
على حاله فربما كتبوا خطا لمن نقده في كيسهم وبلغ امر تلبيسهم فكانوا
شركاء بيت المال لا امناءه وخانوا على ما حصل لكل من الغناء النفع وما ضر
غناءه ومع ذلك حصل لبيت المال ما يقارب مائة الف دينار وبقي من
بقي تحت رق واسار ينتظر به انقضاء المدة المضروبة والعجز عن الوفاء بالقطيعة المطلوبة

ذكر يوم الفتح

وهو سابع عشري رجب واتفق فتح البيت المقدس في يوم كان في مثل ليلته منه
المعراج وتم بما فتح من منهاج النصر الابتهاج وزادت الالسنة بالدعاء والابتهال
الالتهاج وجلس السلطان للهناء للقاء الاكابر والامراء والمتصوفة والعلماء
وهو جالس على هيئة التواضع وهيبة الوقار بين الفقهاء واهل العلم جلساؤه
الابرار ووجهه بنور البشر باشر وامله بعز النجح ظافر وبابه مفتوح ورفده
ممنوح وحجابه مرفوع وخطابه مسموع ونشاطه مقبل وبساطه مقبل ومحياه
يلوح ورياه يفوح ونجيبته تروق ومهابته تروع واياته تضيء واخلاقه تضوع
ويده لفيض امواه السخاء وفض افواه العطاء ظاهرها قبلة القبل وباطنها كعبة الامل
قد حلت له هالة الظفر وكان دسته به هالة القمر والقراء جلوس يقرأون ويرشدون (وينشدون صح)
والشعراء وقوف ينشدون والاعلام تبرز لتنشر والاقلام تبرز لتنثر والعيون
من فرط المسرة تدمع والقلوب للفرح بالنصر تخشع والالسنة بالابتهال الى الله تعالى

تضرع والكاتب ينشي ويوشي ويوشع والبليغ يسهب ويوجز ويضيق ويوسع فما شهدت
تلمي الابشار بوادي البشاير ولا وجهت كلمي الا لطايف وتحى اللطايف وما ارسلت
براعي الا براعي الرسايل ويشيع الفضايل ويشبع القول ويسع الطول ويطول
بالحجة وان كان في حجمه يقصر ويصول بالمهجة وان كان في مهجته حصر ويمن الملك به
وهو نحيف ويثقل الجيش به وهو خفيف ويبدي بياض الغرة من سواد الدهمة
ويجلو بهجة الضيا من محجة الظلمة ويجري بالآجال والارزاق والمنع والاطلاق
والخلف والوفاق والارفاق والاعتاق والعدة والانجاز والحدة والاعواز
والفتق والرتق والرتع والخرق وهو الذي يجمع الجيوش ويرفع العروش ويوحش
المستانس ويونس المستوحش وينعش العاثر ويعثر المنتعش يجري بالاعدا على
الاعدا وبالالآء للاوليآء تبشرت بالاولى اقاليم البشر وعبرت باعاجيب
عن عجايب العبر وملات البروج بالدراري والدروج بالدرر ودربت تلك
البشرى حتى اطابت ريا الري في سمرقند وعلقت لفتح القدس بلاد
الاسلام وزينت وشرحت فضيلتها وبينت وادنت فريضة زيارتها وعينت

ذكر حالي في العود الى الخدمة

وكنت قد انقطعت من الصحبة لما عرض لي المرض من النوبة فاقمت بدمشق اداوي
مزاجي واداري منهاجي واعالج تدبيري واداوي علاجي الى ان وصل الخبر بان
السلطان نزل على القدس فوجدت خفة في النفس وانست بابلال بعض الانس

[illegible]

وامنت لوثوقي بالصحة والاستقامة من النكس فاوجفت الى تلك الجهة
وسرت بطاعة النفس المتنزهة وعصيان الطبيعة المتكرهة واخترت تعب
السفر على راحة الاقامة وقد يئست في ذلك الطريق العطب ووجه السلامة ووصلت
بكرة السبت ثاني يوم الفتح بالسعد واليمن والنجح ووصلني السلطان عند وصولي
باجلي بشاشة واحلى هشاشة وسري عنه وسر وابر وبر وقال اين كنت ولم
ابطأت وحيث اصبت في المجي ما اخطأت وقد كنا في انتظارك والسوال عن
اخبارك وهذا اوان احسانك فان احسان اوانك فاخر بنا لك بجراة بيانك
واجر في ميدانك وما للبشاير الا واصفها وللفرايد الا راصفها وللفصاحة الا
فتيها وللحصانة الا تبنيها وكان قد جمع امر كتاب ديوانه على انشاء كتب ما ارتضى ما
واقتضاب معان ما اقتضاها وكانوا ياوه في كتاب الديوان العزيز فقال لهذا
من هو اقوم به وعنا بي فلما رآني ابتدرني نصرت الى امتثال امره عناني
وسلم الي الكتب التي كتبوها بالالفاظ التي رتبوها وقال غيرها ولا تسيرها
وغرضه اني اعدل معوجها وابدل منشجها وانتزع المعنى البكر للفتح البكر
واوشح ذكر آياته بآيات الذكر فاستجدتها فما استجدتها واستملحتها فما استملحتها استملحتها
وثمنتها وبها يهتك وكشفتها وسترها هتك وكان قد ايفا وتواعلبها وفيها الهم
ترك فشرعت في اقتضاض الابكار واقتضاء الافكار واقتراح القريحة واقتراء
رحاب الكلم الفصيحة الفسيحة وافتتحت في بشرى الفتح العزيز كتاب الديوان العزيز

وأوردت المعنى البليغ في اللفظ الوجيز ووشحت ووشيت وشيعت وأشبعت
وأطلت وأطنبت وجبت وأصبت وأعجزت وأعجبت وأطريت وأطربت
وأبعدت وأبدعت ورصعت وصرعت وطابقت وجانست ووافقت وآنست
وبينت فضل عصر الإمام الناصر على الأعصار السابقة بالأنصار الصادقة
وأن هذا الفتح ادخره الله لزمانه ومكن منه لمكانه وسلطه عليه لسلطانه
وحبسه لنا بإحسانه فقد غبرت القرون الماضية على حسرته وظفرنا وأشياعنا
بمسرته وما حصل لنا إلا ببركة أيامه وحركة اعتزامه وذكرت من هذا
كل ما شاق وراق ونور الآفاق وأن هذه الفتوح تفوح بأرج نشره وتجنى بحيا
بره ثمار يمن أيامنا بأيامه وما أسعد آمالنا بإنعامه وكتبت إلى كل ذي طرف
بمعنى طريف ولفظ فصيح حصيف وسهرت تلك الليالي حتى نظمت اللآلي
وحليت المعالي وترحت المعادي وفرحت الموالي وسرحت شواردي إلى المشرق
والمغرب عن هذا الفتح المغرب عن النصر المذهب وبشرت المسجد الحرام بخلاص
المسجد الأقصى وتلوت شرع لكم من الدين ما وصى وهنأت الحجر الأسود بالصخرة
البيضاء ومنزل الوحي بمحل الإسراء ومحل سيد المرسلين وخاتم النبيين بمقر
الرسل والأنبياء ومقام إبراهيم بموضع محمد المصطفى صلى الله عليه وعليهم
أجمعين وأدام أهل الإسلام بشرف دينه متمتعين وتسامع الناس بهذا النصر
الكريم والفتح العظيم فوفدوا للزيارة من كل فج عميق وسلكوا إليه في كل طريق

وأحرموا من البيت المقدس إلى البيت العتيق وتنزهوا من أزهار كراماته في الروض [illegible]

ذكر ما جرت عليه حال الفرنج في خروجهم من القدس

وشرع الفرنج في بيع الأمتعة واستخراج ذخائرهم المودعة وباعوها بالمجان في
سوق الهوان وتقاعد الناس عنهم فابتاعوها بأرخص الأثمان وباعوا بأقل من دينار
ما يساوي أكثر من عشرة وجدوا في بيعها نفائسهم ونقلوا منها الذهبيات والفضيات
من الأواني والقناديل والحريريات المذهبات من الستور والمناديل ونفضوا
من الكنائس الكنائز واستخرجوا من الخزائن الدفائن وجمع البطرك الكبير كل ما
كان على القبر من صفائح التبر ومصوغات العسجد ومصنوعات اللجين وجمع ما
كان في قمامة من الجنسين والنسجين فقلت للسلطان هذه أموال وافرة وأحوال
ظاهرة تبلغ مائتي ألف دينار والأمان على أموالهم لا أموال الكنائس والأديار
فلا تتركها في أيدي هؤلاء الفجار فقال إذا تأولنا عليهم نسبونا إلى الغدر
وهم جاهلون بسر هذا الأمر فنحن نجريهم على ظاهر الأمان ولا نتركهم يرمون
أهل الإيمان بنكث الأيمان بل يتحدثون بما أفضناه من الإحسان فتركوا ما ثقل
وحملوا ما عز وخف ونفضوا من تراب تراثهم وقمامة قمامتهم الكف وانتقل
معظمهم إلى صور وكثفوا الديجور وبقي منهم نحو خمسة عشر ألفاً أبوا من
مشروع الحق فأخضعوا بمشروط الرق فأما الرجال وكانوا في تقدير سبعة آلاف
فإنهم ألفوا ذلاً لم يكونوا بالألاف فاقتسمتهم أيدي السبي أيدي سبا وتفرق الغانمون

جمعهم في الوهاد والربى، واحتسبت النساء والصبيان ثمانية آلاف نسمة عادت بيننا
مقتسمة، وأصبحت ببكائها وجوه الملك مبتسمة، فكم محجوبة هتكت، ومالكة ملكت
وعزباء نكحت، وعزيزة منحت، وبخيلة تسمحت، وحيية توقحت، ومحذرة مزحت
ومصونة ابتذلت، وفارغة شغلت، وعقيلة امتهنت، وجميلة امتحنت، وعذراء
افترعت، ولمياء رشفت، وظمياء فرشت، وربضة أصحبت، وروضة أصحرت، فكم
تسرى منهن سرى، وتجرى عليهن جرى، وقضى وطره عزب، ونقع بهن سغب
وفثأ بهن ثورة شغب، وكم غانية استخلصت، وغالية استرخصت، ووالية اعتزلت
وعالية استنزلت، ووحشية صيدت، وعرشية قيدت، ولما تقدس القدس من رجس
الفرنج أهل الرجز، وخلع لباس الذل، ولبس خلع العز، أبى النصارى بعد أداء
القطيعة أن يخرجوا، وتضرعوا في أن يسكنوا ولا يزعجوا، وبذلوا خدمًا وخدموا
بمبذول، وقابلوا كلما التزموا به بالتزام وقبول، وأعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
ونجحت أنواؤهم بما نجاهم، وزاد شجاهم وهم فاغرون، ودخلوا في الذمة، وخرجوا إلى
العصمة، وشغلوا بالخدمة، واستعملوا في المهنة، وعدوا المنحة في تلك المحنة ۞

ذكر ما أظهره السلطان في القدس من الحسنات ومحاه من السيئات

ولما تسلم السلطان القدس أمر بإظهار المحراب، وحتم به أمر الإيجاب، وكان
الداوية قد بنوا في وجهه جدارًا، وتركوه للغلة هريًا، وقيل اتخذوه مستراحًا عدوانًا
وبغيًا، وكانوا قد بنوا من غربي القبلة دارًا وسيعة، وكنيسة رفيعة، فأوعز برفع

ذلك الحجاب، وكشف النقاب عن عروس المحراب، وهدم ما قدامه من الأبنية
وتنظيف ما حوله من الأفنية، بحيث يجتمع الناس في الجمعة في العرصة المتسعة، و
نصب المنبر، وأظهر المحراب المطهر، ونقض ما أحدثوه من السواري، وفرشوا تلك
البسط عوض الحصر والبواري، وعلقت القناديل، وتلي التنزيل، وحق الحق
وبطلت الأباطيل، وتولي الفرقان، وعزل الإنجيل، وصفت السجادات، وصفت العبادات
وأقيمت الصلوات، وأديمت الدعوات، وتجلت البركات، وانجلت الكربات، وانجابت
الغيابات، وأنابت الهدايات، وتليت الآيات، وأعليت الرايات، ونطق الأذان
وخرس الناقوس، وحضر المؤذنون، وغاب القسوس، وزال العبوس، وطابت الأنفاس
والنفوس، وأقبلت السعود، وأدبرت النحوس، وعاد الإيمان الغريب منه إلى
موطنه، وطلب الفضل من معدنه، وورد القرآن، وقرئ الأوراد، واجتمع الزهاد
والعباد، وتوافد الراكع والساجد، والخاشع والواجد، والزاهي والزاهد، و
العالم والشاهد، والجاهد والمجاهد، والقائم والقاعد، والمتهجد والساهد
والزائر والوافد، وصدح المنبر، وصدع المذكر، وانبعث المعشر، وذكر البعث
والمحشر، وأملى الحفاظ، وأبلى الوعاظ، وتذاكر العلماء، وتناظر الفقهاء، وتحدث
الرواة، وروى المحدثون، وتحنف الهداة، وهدي المختفون، وأخلص الداعون، و
دعا المخلصون، وأخذ بالعزيمة المترخصون، ولحق المقصرون، ووقر المحصون، وابتدر
الفضلاء، وانتدب الخطباء، وكثر المترشحون للخطابة، المتوشحون بالإصابة، المعروفون

بالفصاحة الموصوفون بالحصافة فما منهم الا من خطب الرتبة ورتب الخطبة و
انشا معنى شايقا ووشى لفظا رايقا وسوى كلاما بالموضع لايقا وروى منكرا
من البلاغة فايقا وفيهم من عرض على خطبته وطلب مني نصبته ومنى ان تنجح
فضيلته وتنجح وسيلته وتسبق امنيته فيها اسنيته وكلهم طال الى الالتفات عنقه
وسال من التهاب عليها عرقه وما منهم الا من يتاهب ويترقب ويتوسل
ويتقرب وفيهم من يتعرض ويتضرع ويتشوف ويتشفع وكل قد لبس وقاره
ووفر لباسه وضرب في الخماسه اسداسه ورفع لهذه الرياسة راسه و
السلطان لا يبين ولا يعين ولا يخص ولا ينص ومنهم من يقول ليتني خطبت في
الجمعة الاولى وفزت باليد الطولى واذا ظفرت بطالع سعدي فما ابالي من
خطب من بعدي فلما دخل يوم الجمعة رابع شعبان اصبح الناس يسالون الخطيب
السلطان وامتلا الجامع واحتفلت المجامع وتوجهت الابصار والمسامع وفاضت
لرقة القلوب المدامع وراعت الجلية تلك الحالة وهالة تلك البهجة الروايع
وشاعت من سر السرور ولبس حبر الحبور الشوايع وغصت بالسابقين اليها
المواضع وتوسمت العيون وتقسمت الظنون وقال الناس هذا يوم كريم وفضل
عميم وموسم عظيم هذا يوم تجاب فيه الدعوات وتصب البركات وتسال
العبرات وتقال العثرات وتيقظ الغافلون ويتعظ العاملون وطوبى لمن عاش
حتى حضر هذا اليوم الذي انتعش فيه الاسلام وانتاش وما افضل هذه الطايفة

الحاضرة والعصبة الطاهرة والامة الظاهرة وما اكرم هذه النصرة الناصرية والاسرة
الامامية والدعوة العباسية والمملكة الايوبية والدولة الصلاحية وهل في بلاد
الاسلام اشرف من هذه الجماعة التي شرفها الله بالتوفيق لهذه الطاعة وتكلموا فيمن
يخطب ومن يكون المنصب وتفاوضوا في التفويض وتحدثوا بالتصريح والتعريض
والاعلام تعلى والمنبر يكسى ويجلى والاصوات ترتفع والجماعات تجتمع والافواج
تزدحم والامواج تلتطم وللعارفين من النشيج ما لعرفات من الحجيج حتى جاز الزوال
وزال الاعتدال وجعل الداعي وعجل الساعي نصب السلطان الخطيب بنصه
وابان عن اختياره بعد فحصه واوعز الى القاضي محيي الدين ابي المعالي محمد بن زكي الدين
علي القرشي بان يرقى في ذلك المرقى وترك جباه الباقين بتقديمه عرقا فاعرته
من عندي اهبة سوداء من تشريف الخلافة حتى يكمل له شرف الاضافة والاضافة
فرقى العود ولقي السعود واهتزت اعطاف المنبر واعتزت اطراف المعشر
وخطب فانصتوا ونطق فسكتوا وافصح واعرب وابدع واغرب واعجز واعجب
واوجز واسهب ووعظ في خطبته وخطب بموعظته وابان عن فضل البيت
المقدس وتقديسه والمسجد الاقصى من اول تاسيسه وتطهيره بعد تنجيسه
واخراس ناقوسه واخراج قسيسه ودعا للخليفة والسلطان وختم بقوله تعالى
ان الله يامر بالعدل والاحسان ونزل وصلى في المحراب وافتتح بسم الله رب
ام الكتاب فاتم بتلك الامة وتم نزول الرحمة وكمل وصول النعمة ولما قضيت الصلاة

انتشر التائبون واشتهر الانابون وانعقد الاجماع واطرد القيام وكان قد نصب للوعظ
تجاه القبلة سرير لبرنعة كبير فجلس عليه زين الدين ابو الحسن علي بن نجا فذكر من
خاف ورجا ومن سعد ومن شقي ومن هلك ومن نجا وخوف بالحجة ذوي الحجى
وجلا بنور عظاته من ظلمات الشبهات ما دجا واتى بكل عظة للراقدين
موقظة وللظالمين محفظة ولاولياء الله مرققة ولاعداء الله مغلظة وضج
المتباكون وعج المتشاكون ورقت القلوب وخفت الكروب وتصاعدت
النغرات وتحدرت العبرات وتاب المذنبون واناب المحجوبون وصاح التوابون
وناح الاوابون ودرت حالات جلت وخلوات خلت ودعوات علت وضراعات
قبلت وفرص من الولايات الالهية انتهزت وحصص من العناية الربانية
احرزت وصلى السلطان في قبة الصخرة والصفوف على سعة الصحن بها متصلة
والامة الى الله تعالى بدوام نصره مبتهلة والوجوه الموجهة الى القبلة عليه
مقبلة والايدي الى الله مرفوعة والدعوات له مسموعة ثم رتب في المسجد
الاقصى خطيبا استمرت خطبته واستقرت نصبته ؎

وصف الصخرة المعظمة

واما الصخرة فقد كان الفرنج بنوا عليها كنيسة ومذبحا ولم يتركوا فيها للايدي
المتبركة وللعيون المدركة ملمسا ولا مطمحا وقد زينوها بالصور والتماثيل
وعينوا بها مواضع الرهبان ومحط الانجيل وكانوا لها اسباب التعظيم والتبجيل

وافردوا فيها الموضع القدم قبة صغيرة مذهبة باعمدة الرخام منصبة وقالوا
محل قدم المسيح وهو مقام التقديس والتسبيح وكانت فيها صور الانعام
مثبتة في الرخام ورايت في تلك الصور اشباه الخنازير والصخرة المقصودة
المزورة بما عليها من الابنية مستورة وبتلك الكنيسة المعمورة مغمورة
فامر السلطان بكشف نقابها ورفع حجابها وحسر لثامها وقشر رخامها وكسر رجامها
ونقض بنائها ونقض غطائها وابرازها للزائرين واظهارها للناظرين ونزع لبوسها
وزفافها عروسها واخراج درها من الصدف واطلاع بدرها من السدف وهدم
سجنها وفك رقبتها واراءة جبينها واضاءة يمينها وابداء وجهها الصبيح وجلاء
شرفها الصريح وردها الى الحالة الحالية والقيمة الغالية والرتبة العالية
وهي التي حليها عطل وعطلها حلي وعريها كسوة وكسوتها عري فعادت
كما كانت في الزمن القديم وشهدت حين شوهدت حسنها الكريم وسيمها
حسنها الوسيم وما كان يظهر منها قبل الفتح الا قطعة من تحتها قد اساء اهل
الكفر في نحتها وظهرت الان احسن ظهور وسفرت امن سفور واشرقت
القناديل من فوقها نورا على نور وعملت عليها حظيرة من شبابيك حديد
والاعتناء بها الى الان كل يوم في مزيد ورتب السلطان في قبة الصخرة اماما
من احسن القراء تلاوة وازينهم طلاوة وابداهم صوتا واسماهم في الديانة
صيتا واعرفهم بالقراءات السبع واطيبهم في العرف والنشر اغناه واقناه

وأولاه لما ولاه، ووقف عليه دارا وأرضا وبستانا، وأسدى إليه معروفا بادرا و
إحسانا، وحمل إليها وإلى محراب المسجد الأقصى مصاحف وختمات وربعات معظمات
لا تزال بين يدي الزائرين على كراسيها مرفوعة وعلى أسرتها موضوعة، ورتب لهذه
خاصة وللبيت المقدس عامة قوما تشمل مصالحها ضمانة، فما ترتب إلا العارفون
العاكفون القائمون بالعبادة الواقفون بما أبيح لسلها، وقد حضرت الجموع وأزهرت
الشموع، وبان الخشوع، وذاب الخضوع، ودرت من المتقين الدموع، واستعرت من
العارفين الضلوع، فهناك كل ولي يعبد ربه، ويأمل بره، وكل أشعث أغبر
لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره، وهناك كل من يحيي الليل بقومه ويسمو
بالحق بسومه، وهناك كل من يختم القرآن ويرتله، ويطرد الشيطان ويبطله
ومعرفته بعرفته الأسحار، ومن ألفته لتهجده الأوراد والأذكار، وما أسعد نهارها
حين تستقبل الملائكة زوارها، وتحف الشمس أنوارها، وتحمل القلوب إليها
أسرارها، وتضع الجناة عندها أوزارها، وتشهد صبيحة كل يوم منها إسفارها
وما أظهر من تولى إظهارها، وأطهر من باشر إطهارها، وكان الفرنج قد قطعوا
من الصخرة قطعا وحملوا منها إلى قسطنطينية، ونقلوا منها إلى صقلية، وقيل باعوها
بوزنها ذهبا، واتخذوا من ذلك مكسبا، ولما ظهرت ظهرت مواضعها، وقطعت
القلوب لما بانت مقاطعها، فهي الآن مصونة للعيون، تحرزها باقية على الأيام
بعزها مصونة للإسلام في حرزها وحرزها، وهذا كله تم بعد انفصال السلطان

والشروع في العمران، وأمر بترخيم محراب الأقصى وأن يبالغ فيه ويستقصى
وتنافس ملوك بني أيوب فيما تؤثره من الآثار الحسنة، وفيما تجمع لهم ود القلوب
وشكر الألسنة، فما منهم إلا من أجمل وأحسن، وفعل ما أمكن، وجلى وبين وحلى
وزين، وأشفق وأنفق، وأغنى وأقنى، واعتنى وابتنى، ووفى وأوفى، وأضفى وأصفى
وأتى الملك العادل سيف الدين أبو بكر بكل صنع بكر موجب لكل شكر، وكل فعل
جميل، ورفد جزيل، ومن جلي ومنح جليل، ومكرمة حميدة، ومحمدة كريمة
وفضيلة بها ترجح، ووسيلة بها تنجح، وأتى الملك المظفر تقي الدين عمر بكل ما عم
به العرف وعمر، ونهى وأمر، ونهى وعمر، ومن جملة أفعاله المشكورة ومكرماته
المشهورة أنه حضر يوما في قبة الصخرة مع جماعة من سراة الأسرة، ومعه
من ماء الورد أحمال، ولأجل الصدقة والزيارة مال، وانتهز فرصة هذه الفضيلة
التي ابتكرها بالانتزاع، وتولى بيده كنس تلك الساحات والعراص، ثم غسلها
بالماء مرارا حتى تطهرت، ثم أتبع الماء بماء الورد صبا حتى تعطرت، وكذلك طهر
حيطانها وغسل جدرانها، ثم أتى بمجامر الطيب فتبخرت وتضوعت و
تعرفت ونفحت، فما شق نشر الهدى وأرغمت آناف العدى، وما زال مع قومه
في تطهير البقعة المباركة طول يومه حتى تيقنت طهارتها وتبينت عمارتها
وراقت نضارتها، ووقفت عليها الاستحسان نظارتها، ثم فرق ذلك المال
فيها على ذوي الاستحقاق، وافتخر بأن فاق الكرام بالإنفاق، وجاء الملك

لا نفصال نور الدين على بكل نور جلي وكرم ملي في احسان سني وانعام هني
وعرف زكي وعرف ذكي وعطاء مبتدع وسخاء مخترع وجود مبتكر ورفد
معتبر واتى بكل ما خلد الاثر الحسن فانطلق بحمده الالسن وبسط بها الصنيعة
ونشر فيها البسيط الرفيعة وهدى واهدى واعاد بعد ما ابدى واناد واسدى
واناض الندى وفض الجدا ونقض الاكياس حتى حلنا به الانفاض والافلاس
وسيأتي ذكر ما عمره من بناء اسوار القدس وحفر خنادقه واعجز بما اعجب
من سوابق معروفه ولواحقه ما لم يشق فيه احد غباره ولا ملك سابق فيه
مضماره واما الملك العزيز عثمان فانه اتى بالاحسان الذي استظهر به الايمان
وذلك انه لما عاد الى مصر وقد شاهد الفتح والنصر ترك خزانة سلاحه
بالقدس كلها ولم يرد بعد حصوله بها نقلها وكانت احمالا باموال وثقالا لجبال وعددا واقية صح
وذخائر واقية ودروعا سوابغ ونصولا دوامغ وخوذا وترايك ورماحا وبيازك
وقنا وقنابل وصوائل وذوابل وجروخا وقسيا ويمانيا وهنديا ودبوسا و
زرديا وجفاتي وخوذات وطوارق وقطاريات ورايات جديد وزانات
وآلات وزيارات وزرافات ونفاطات وقطاعات وعددا للنقوب وجميع
ادوات الحروب واستظهرت بها المدينة وتوثقت بها عراها المتينة وكان من جملة
ما شرط على الفرنج ان يتركوا الناخلهم وعددهم ويخرجوا قبل ان يستوفي الباقون
في اداء القطيعة مدتهم ثم توفرت بذلك عدد البلد واستغنى بذلك عما يصل من المدد

ذكر محراب داود عليه السلام وغيره
من المشاهد الكرام وتسبيل الكنائس وانشاء المدارس

واما محراب داود عليه السلام خارج المسجد الاقصى فانه في حصن عند باب المدينة منيع
وموضع عال رفيع وهو الحصن الذي يقيم به الوالي فاعتنى السلطان بامره له
الحوالي ورتب له اماما ومؤذنين وقواما وهو مثابة الصالحين ومزار الغادين بـ
والرائحين فاحياه وجدده ونهج لقاصديه جدده وامر بعمارة جميع المساجد
وصون المشاهد ونجاح المقاصد واصفاء الموارد للقاصد والوارد وكان
موضع هذه القلعة دار داود وسليمان عليهما السلام وكان زيارتهما ينتابها الانام
وكان الملك العادل نازلا في كنيسة صهيون واجناده على بابها يحيطون وفاوض
السلطان جلساءه من العلماء والابرار والاتقياء والاخيار في مدرسة للفقهاء
الشافعية ورباط للصلحاء الصوفية فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بصندحنه
عند باب اسباط وعين دار البطرك وهي بقرب كنيسة قمامة للرباط و
وقف عليهما وقوفا واسدى بذلك الى الطائفتين معروفا وارتاد ايضا مدارس
للطوائف ليضيفها الى ما اولاه من العوارف وامر باغلاق ابواب كنيسة قمامة
وحرم على النصارى زيارتها والالمامة وتفاوض الناس عنده فيها فمنهم
من اشار بهدم مبانيها وتعفية آثارها وتعمية نهج مزارها وازالة تماثيلها
وازاحة اباطيلها واطفاء قناديلها واعفاء اناجيلها واذهاب تسابيلها واكذاب

أقاويلها وقالوا اذا هدمت مبانيها والحقت باسافلها اعاليها ونبشت المقبرة
وعفيت واخربت ابنيتها واطفيت ومحيت رسومها ونفيت وحرثت ارضها ودمر
طولها وعرضها انقطعت عنها امداد الزوار وانحسمت عن قصدها مواد اطماع
اهل النار ومهما استمرت الزيارة وقال اكثر الناس لا فايدة في
هدمها ولا هدها فلا يؤذن بصد ابواب الزيارة عن الكفرة وبعد ما كان متعبدهم
موضع الصليب والقبر لا ما يشاهد من البناء ولا ينقطع عنها قصد اجناس النصرانية
ولو نسفت ارضها الى السماء ولما فتح امير المومنين عمر رضي الله عنه القدس
في صدر الاسلام اقرهم على هذا المكان ولم يامرهم بهدم البنيان

ومما كتبته الى الديوان العزيز مجده الله للبشارة بفتح القدس مع الرسول ضياء الدين الشهرزوري من رسالة

قد سبقت البشاير بما من الله به من الفتح العظيم والنصر العميم والعرف الجسيم
والفضل الوسيم واليوم الاغر الكريم والشرف الذي ذخره الله لهذا العصر
لتفضله على الاعصار واراد تاخير ادخاره الى هذه الايام ليكون بها تاريخ الفخار
فقد اعجز الملوك عن اقتضاء نصرته وافتضاض عذرته وخص من اجراه على يده
بسمو قدره وعلو قدرته واعاد به القدس الى قدسه واظهره وطهره من رجز الكفر
ورجسه وقد رجع الاسلام الغريب الى داره وخرج قمر الهدى من سراره
وذهبت ظلم الضلالة بانواره وعادت الارض المقدسة الى ما كانت موصوفة

به من التقديس وامنت المخاوف فيها وبها فصارت صباح البشرى ومناخ التعريس
وقد انقضى عن المسجد الاقصى الاقصون من الله والابعد ون وتوافد اليه المصطفون
الاقربون والملايكة المقربون وخزي الناقوس بنطق المسبحين وخرج المفسدون
بدخول المصلحين وقال المحراب لاهله مرحبا واهلا وشملت جماعة المسلمين من اقامة
الجمعة والجماعة ما جمع للاسلام فيه شملا ورفعت الاعلام العباسية على منبره
فاحرزت من بره اوفى نصيب وتلت بالسنة عذبها نصر من الله وفتح قريب
وغسلت الصخرة المباركة بدموع المتقين من دنس المشركين ونعت اهل الاحد
من قربها بقرب الموحدين فذكرتها ما كان دينها من عهد المعراج النبوي وقامت
بدلائلها براهين الاعجاز المحمدي ووضحت الايدي منها موضع القدم ونجدد لها
من البهجة والرياسة ما كان لها في القدم فهو ثاني المسجدين وثالث الحرمين
فليهن البيت الحرام بخلاص اخيه البيت المقدس من الاسر واسفار صبح الاسلام
بعد طول اعتكار ليل الكفر وتطهير مواقف الانبياء صلوات الله عليهم من
ادناس الارجاس وتضوع ارج الرجاء في ارجايه بعد الياس فالحمد لله الذي ابدل
الموحشات بالايناس ونزع عنه بافاضة خلع الرحمة عليه لباس الباس وجعل عصر
مولانا امير المومنين صلوات الله عليه على الاعصر متفضلا وكمل بهذا الفتح الشريف
عرف زمانه فاصبح الدين به مكملا وبشر ببركات ايامه فتح البلاد الساحلية
باسرها وعجل هلاك هذه الطايفة الطاغية من الفرنج بقتلها واسرها ولقد

حل الكفر عروة عروة وهد الشرك ذروة ذروة وعادت حاله رثاثا و
عقوده انكاثا ومساكنه اجداثا وصار حريثا بعد ان شوهد اهل الذمة احداثا
فالرماح متشتجرة والرجا مستنجح والبلاد مستخلصة والقمم العوالي منها بسوم
العوالي منتخصة والعقائل مقتسمة والمعاقل منتفضة ومناهل المنى بمياه النجاح
مرتفضة ونجوم الرجوم على شياطين الكفر بسيوف اهل الايمان منقضة والثغور مبتسمة
والامور منتظمة والحصون متسلمة والخصوم مذعنة مستسلمة وارض الكفر
ينقصها الاسلام كل يوم من اطرافها بل يستولي على اوساطها واكنافها ويعيدها الى
الطاعة كرها مذهب خلافها ولقد اينع زرعها وثمرها من رؤس المشركين وهذا
اوان حصادها وقطافها والنعمة بحمد الله عظيمة والموهبة وان خصت هذا الاقليم
فهي في جميع اقاليم الاسلام عميمة ولو شرح ما لهذا الفتح من جلالة المعظمة ودلالة
المكرمة لكاد قلم البليغ في مضمار البيان مداه لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا والقاضي ضياء الدين
القسم الشهرزوري قد توجه لهذه النعمة واصفا وعند ما يومر به من انها البشرى
بها واقفا فاولى من وصف العرف من كان لاوصافه عارفا واحق من شرح الحق
الحقيقة من يفي بشرح الصدر ومصادر شرحه ويفتح على الاسلام ابواب الهنا بالهنا
ما انتج من فتحه وهو ترث وهو الضياء باسفار صبحه

عاد الحديث الى ما جرى بعد فتح بيت الله المقدس

واقام السلطان على القدس يتسلم ما بقربها من حصون واستباح كل ما للكفر من
حصون ورحل ولده الملك الافضل قبله الى عكا عائدا وعن حوزتها بباسه وجوده
ذائدا ثم تبعه الملك المظفر ورحل وسار الى عكا وبها نزل ثم عمد السلطان الى
ما جمعه ففرقه واخرجه في ذوي الاستحقاق وانفقه وفرضه بعوارفه ونضه في
مصارفه فسد خلة المعيل واسهم منه ابن السبيل وحمل به عن الغارم واحيا به
سنن المكارم ووضعه في اهله واحله في محله وصرفه في حله وقدم التوسعة على
ذوي الاضاقة والانفاق في اهل الفاقة ولخي الاجناد منه معاطفه وجعل للمجاهدين
منه وظائفه وابقاه بافنائه ذخر الاخرة وكسبا للمحامد الفاخرة فاكثروا
عذله على بذله واستكثروا ما نضه بفضله فقال كيف امنع الحق مستحقيه وهو
انفقه هو الذي ابقيه واذا قبله مني المستحق فالمنة له علي فيه فانه يخلصني من
امانة ويطلقني من وثاقها فان الذي في يدي وديعة احفظها لذوي استحقاقها
ثم عاد الوفد الاوفر والافاضة في نظم من جد ونثر وجاز كل فضيلة منه فضلا
ونقيا كل رقبة من فيه طلا وكثر السائلون بالفضائل والنائلون بالوسائل و
القاصدون بالقصائد والوافدون بالفوائد والواردون بالفوارد والسابقون
بالشوافع والشافعون بالسوابق والسالكون للطرائق والمالكون للحقائق فما ترى
الا قاريا بالبيان الفصيح وراويا للكتاب الصحيح ومتكلما في مسألة ومتفحصا عن مشكلة
وموردا لحديث نبوي وذاكرا لحكم مذهبي وسائلا عن لفظ لغوي ومعنى

الذي

(مفرطا)

نجوى او مفرطا بتعريض او معرضا لتصريح او مصرحا بتعريض او جالبا لمدحة او طالبا
لمنحة او مستضعفا بفاقة او مستسعفا بافاقة او ناشدا بنشيد او مسمعا بتغريد و
تغريد وما يهمو الا من احظى بسهم او ارضى بقسم واطاب بنصيب واجاب
واجزل بتقريب وتقريب فقيل له لو ذخرت هذا المال للمآل لتشفيت به ما يقع
من الاعتلال وكفيت بالحقيقة ما يستنح من الاختلال فقال املي قوي من
الله الكافل بنجح الآمال وجمع الاسرآء المطلقين وكانوا الوفا من المسلمين فكساهم
واساهم وآساهم واذهب اباسهم وانطلق كل منهم الى وطنه ووطره ناجيا
من ضرره وضيره وتكشف السلطان عليه منفهما للنظر في مصالحه مستبدا ثم
يقبل ما يعود ذلك عن صور فانهض اليها عسكره المنصور وانت تدخلها يوم
وصولك وتحظى منها بمرادك وسولك فانو البشير واخو الخير واحضر الجبور واحظر
التاخير وفي تعجيل النهضة تحصيلها في القبضة وفي بدار الالمام بدارها بشرى
اهله الفتوح المقمرة بابدارها فاسر بالعسكر واسرع واقطع عن الكفر تلك الاعمال
واقطع واكثر من كان يستحثه وعلى النهوض يبعثه الامير علي بن احمد المعروف بالمشطوب
وكان من اكابر الامرآء الكافين للخطوب الكائنين في الحروب وكانت معه صيدا
وبيروت وهما بقرب صور وقد اشفق ان يفتحها بفوت وراى الحظ في الحفز وحرض
على الفرض ولم يفكر في قوتها بانتقال رجال الساحل اليها وانه يشق في هذا الوقت
النزول عليها وكان المركيس عند اشتغالنا بالقدس باحكام صور مشتغلا وعلى الاستهتار

بتحصينها مشتغلا وقد استنجد قدامها من البحر خندقا وجعل الطريق اليها مضيقا
واحكم اسباب الاحكام واخذ بالعزم في الاهتمام ه

ذكر رحيل السلطان عن القدس على قصد حصار صور

ورحل السلطان عن القدس يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان وودعنا الامره
كل قاصد وزود زوده وودعه ولده عزيز مصر في اول منزله وسايره لكراهة فراقه
مقدار مرحلة ثم وصاه وشيعه واستصحب اخاه الملك العادل معه مستظهرا
ومستبشرا بالائه مستبصرا بارائه مستنصرا بمضائه مستغنيا بغنائه موفيا بوفائه
وهو بعقده يعقد وبحله يحل وبشده يشد وبحلوه يحلو والعساكر بالفضاء فايضة و
للخطوب رابضة والى اسنتها ناصر النصر لانصارها ناهضة ومن هواها
اهلها في دماء الدماء من اهل الكفر خائضة فوصل الى عكا في اول شهر رمضان فخيم
بظاهرها ظاهر الخيمة بباخرته ونفذ به قاهر اشباه المبير زاهر اسناه المنير
جاهر اسره ظاهر في نحره واقام اياما يتفكر ويتدبر ويستشير ويستخير
والمشطوب يستعجله ولا يمهله ويحرض بالبعث ويحذر من المكث ويقول الفرصة
تدرك بالجد وتفوت بالتلبث فسار لبدايته ملبيا والجيش النصر معينا ولرايته
مقلدا وبالله عز وجل متأيدا فوصل الى صور تاسع شهر رمضان يوم الجمعة
بالجحافل المختلفة والجموع المجتمعة فنزل بعيدا من سورها ينتظر في ترتيب
امورها مضرب خيامه بحيث غرابه يحويه بالبنود والجنود ارضه وسماؤه

منشورة راياته منصورة آراؤه خافقة على الأعداء أعلامه عذبات عذابه دافقة
في ثرى النجح زائب صوب صوابه وتركيت خيامه عزى العراء ونفضت أشعة
بيضه وبتره الفضة بالفضاء وحثوت مضاربه المضية بالآبه وآرائه على مضارب
المضاء وباحت استباحة المشركين للموحدين بسر السراء وتمكنت أيامًا حتى تواصل
المدد وتكامل العدد واستحضرت آلات الحصار واستكثر من المجانيق الصغار
ثم تقدم إليها وخيم عليها الثاني والعشرين من الشهر يوم الخميس في خميس يبرز في الوشيج
كالأسد في الخيس ونزلت النوازل المركسة من نزوله ونزاله بالمركيس فنوّع في
الدرديس والعذاب البيس وكأنما نفخ في صور صور وحشر أهل جهنم وامتلأوا
السور واتصلت زيارة الزيارات للجروح بالجروح وتوافت مناجاة المجانيق
بالجدوى والشدوخ وأرسلت الحجارات حاجزة والسنة أهل الرجز والرجس
بالنجشا راجزة وكانت صور على الشوى مشتوية وعلى كل من خرج من الغدر و
بلاد الشاجات بحوية فضجوا وارتجوا وعاجوا وعجوا ولجأوا ولجوا ونصبوا على
كل برج منجنيقًا وشدوا من كل جانب ركنًا وثيقًا وشدوا في الحبال ومدوا في
الحبال ورموا في الشرفات بالشرور والآفات وسلب الحجار محالها وأمر الأمة
وجاهاتكم من دوس الطارث ونفوس الأيارث وبرجيسفت وبرد كيسفت وبخير
برت وطردسيفت نحول السلطان إلى قربها الخيمة صغيرة وانهضت بات
الحبايا بالمنايا عليها مغيرة وصف الحجارات تصدف أنها آلات وعارض نحرها
بعرض نحره وردّ كيد الكفر من المنجنيق بما نصبه من المجانيق في نحره فما خبط
أعمالهم بأعماله واضطر رجالهم برجاله وقابل الأبراج بالأبراج وحاول
بالردى علاج الأعلاج وواصل المجانيق رسلًا صخورًا حتى جعلت السور رصوفًا
وجد في أمرها وأجاد في حصرها ووصل إليه في تلك الأيام من قوي به ظهر
الإسلام ولده الملك الظاهر غياث الدين غازي وهو الذي جلّ في سماحته و
حماسته عن الموازن والموازي فقدم مبارك القدوم متدارك النعم عالي الهمم
عالي القيم ومعه عسكر لجب جلبه من حلب فدا ستنجح البيض والسمر
والبيض والبلب فظهر من الملك الظاهر ما ملك به نبول القلوب وأغرى سيفه
بسفك دم الكفر المطلوب غير المطلوب ورأى نصب خيمته ورا خيمة أبيه المنصورة
وجد في استرجاع مدينة الإسلام المغصوبة وتقدم بين يديه كل نجار راج
وكل نقاب ناج لصم الصفاح مصافح وكل حجار رجاز درء الردى للكفار
وكل زراق زرق الخسارة على أهل النار بالنار وكل منجنيقي من جنانه
تقتبس ذبالة البسالة وكل جرخي رخي البال بالهدى لا صماء أهل الضلالة
وكل رام رام النجم في الأفق فراماه وكل همام همه بالخطب النازل فحاماه وكل
مقدام قرنه دام وكل ضرغام صبغ صبغه في رغام وكل قمقام ضارب بصمصام
وكل حام شارب كأس حمام وكل ذمر مشيح لدمار الكفر مبيح ولروح الجد مريح ولدماء
المراح مريح وكل فاتك لحبل الوريد باتك ولستر الجوة هاتك ولدم العداة سافك

وكل شجاع إلى الموت داع وإلى المجد ساع وللأبطال مداع وللأشر الدناع وكل
فارس للفوارس فارس وللدوابل في البحور غارس وفي اليوم العابس غير عابس وكل
راجل للقنا العدو دارج وبيسر البأس مازج ومن شر الناس بشجاعته ناج وباعث
المنون لمن يلاقيه شاج وكل عنان عاث ونجاد ونشار ونجاب وجراد وقنيز وكل دابر
للعدى مجيز فاجتمعوا ورجفوا على القوم ورجفوا وأصموا وصمموا وأوقدوا نارا وأضرموا
وأطاروا من أعشار الأفواه شرار الأوكار الأحداق أفلاذا واستصرخوا الأقدار لا بدارهم
فجنبهم حين اجتنبهم اصراخا وغلظوا على الرقاب الغلاظ بالرقاق وألوا الشقاء الأولي
الشقاق وتباعدوا وتصابروا وتطاولوا وتقاصروا وما بينهم الأمن أبان عن حد
وأبان حد والآن الشديد وأعان السديد وأفلح نفلح بالحديد الحديد وحز الجريد
ومد المديد وصور منجنيقه أبوابها مرتجة أربابها مغتصة جوانبها مرتصة عصابتها
مشحونة أبراجها مسجونة أعلاجها محصورة كلابها محبوسة ذيابها محشورة ثعالبها
محشودة كتائبها والمركبين بها متحصنهم وإبليس عليه متحكم وقد سقط في يده وتخبط
لبلده وارتبط بجلده واختلط بكده وغلبت مراجل غلوائه وعزبت عوائد
عدوائه وطاش وجاش وأوحش الأوباش والأوحاش وتوشح بالشر وتوحش وترشح
للردى وتحرش واشتعل بجمره وتعلل بأمره وضري بضره وجال بوجله في مكر
مكره وكر في وكره وعشا غشه وعشي عشه وثبت على لجاجه وثبت في أجاجه
وتسعر وتعير وتوصر وتصبر والسلطان مصيب حكمه صائب سهمه ماض عزمه قاض حزمه

بارع حده جار جده وارزن مساده وقده بانك عزمه فاتك ضربه قاطع شبا بأسه ساطع
سنا إيناسه قد اتسقت أسبابه واتسعت رحابه واجتمع أصحابه فازدحم على بابه
وحول قبابه كل مبارز بارز وكل ضارب ضار وكل مجار حار وكل رامح ورام وكل
حامل سلاح حام وكل سايف حايف وكل عاصف قاصف وكل آكل للحرب شارب
وكل طالع بالضرب غارب وكل هاجم هائج وكل راجم رائج وكل معتقل متقلد و
كل مجرب مجرد وكل ذكر مذكور وكل غضنفر مشكور وكل ليث ملاث وكل غيث
غياث وكل سفاك لدم الكفر سفاح وكل جراد لسيف القتل جواح وكل متلبس في
درعه مكتمن في نقعه متلثم بزغفه مستلم بجرنه مقنع بلأمه ملتفع بقتامه سابح في
بحر الموت بسابحه وسابح في الصباح صوت صائحه فجمع إليه أمراءه واستحضر
عظماء ملكه وكبراءه وقالوا هذا البلد حصين ومكانه في الأرض مكين وفي البحر ثلثة
أرباعه وفي السماء ارتفاع بقاعه وطريقه التي يسلك من البر إليه قد حاطه البحر
من جانبيه وقد قطعوه بخندق في عرضه وعمقوه ونزلوا في أرضه وكان من
إحكام الحزم وإتمام العزم تكميل الآلات وتتميمها وتحصيل المنجنيقات وتقديمها
وتركيب الأبراج والدبابات وتأليفها وتقريب الجفاتي والحويات وتصفيفها و
تسوية مناصب المجانيق وتشقيقها وتنحية أثقال العسكر وتخفيفها وتنخية نخب
الرجال وتصريفها وتنبية الأنشاب وتهيئة الأخشاب واستحضار كل ما يراد
للجهاد واستنفار كل من يرام من الأنجاد فإذا حضرت هذه الأشيا والأشياع

ويتشوّف وتوثّقت الاصول والاتباع رحب الذرع في الحصر والمضايقة وطال الباع
اذ طالت الآجال او مطلت الاوضاع على الحال واعتل النزال والنزاع وامر السلطان
بازاحة العلل وازالة الخلل وشغل الصناع بالعمل ونقل الآلات الى طريق الاجل وتقدم
بقطع اشجار الغياض وحمل ما بتلك النواحي من الانقاض فاجتمع هناك كل آلة وآلة وذبابة
وذبالة وقضيب ومقضب ومجوب ومحرب وسهام وسهم وشهب ودهم واحمال واثقال
ونظمت السنان من القضيب وصففت من سور دسور بالمكان القريب وكمنت من ورائها الكماة
واستترت الجفاة فداموها الرماة واشتغل كل صانع بصنعه وكل جامع بجمعه وكل
دافع مانع بمنعه ودفعه فمن جان منجنيق ودار الى بنو ودابّ بدبابة وذاب بزبابة وناع
في جنبة ونار بنية وقاذف بشرارة وحاذف بحجارة وهاتك من ستارة وفاتك بحسارة
وجاذب في حبال وحاطب لوبال ومرو في تلع ومسو للمقالع ومبذر بالجحاف ومدمر بالجاع
ولم تزل المنجنيقات ترمي والحجارات تدمر وتدمي والزبابات تطير من اوكارها عقبان
لجروح والطباق البرج ينبي ويعطي بالسلوخ حتى امتد الزمان واشتد الحران وضاق الحصر
واعتاق النصر وكان العسكر قد الف تيسّر الفتح وتيسّع النجح فعصب عليه حين صعب
وتبع هواه لما تعب ولم يألف الناس الطراد واتيانهم بمهله والحصول على اكتساب سهلة
ونجح ما يقصدونه من البلاد بغير مهلة فلما توقف هذا النجح وتوقفوا واملّوا وضجروا
وتاقفوا والسلطان مع ذلك يزداد في جده حدة وفي شده شدة وفي حره حرة يبثّهم
ويحثهم على الثبات ويقويهم بجوده ويوحشهم الفوات ويقول ان الله يأمر بالمصابرة

ولا مصابرة الا بالمثابرة فاصبروا افلحوا وصابروا انجحوا

ذكر ما تمّ على الاسطول

وقد كان السلطان قد نفذ من صور واحضر الباقين على ما كان بها من مراكب الاسطول
المنصور توصلت منها عشرة شواني على العدى حوار وللردى لهم جوار يعمّرها
بالرجال وجهّزها للقتال واتصلت بها مراكب لنا من بيروت وجبيل واستتبع المراكب
واشياعه منها الويل وعمر والهم مراكب وسفننا بالساحل عند نامس بوطة ومحفظتها
مضبوطة محوطة ودامت تثبت عقاربها وتثبت سوارها وتجري سوارها وتسري
جواريها وتطير للقنص بزاتها وتغير للفرس غرابها وتكسر للمواسر بها وتبدو زبد وابو ها
وتلاطم الامواج بامواجها وتزاحم الاثباج باثباجها وترفع شرع الهداة بشراعها
وتقلع عن الغواة باقلاعها وتنقض على شياطين الكفر شهبها وترفض بشآبيب الذعر
سحبها وكأنها الاسد السود ركبتها الاسود من كل انعوان حملة انعوان
وشجاع امتطته شجعان وغراب بشتات العدى ناعق وسحاب بوميض الهدى
بارق وفيها من اغربة دارت بعقبان واجنحة طارت بظلمان وابن سواد
وعوان بعوان وقد ملئت برماة الحدق وكماة الحلق وزرافي النفط وطرّاقي النار
والخاطفين بالخطاطيف والقاذفين بالمقاذيف والكاليين بالكلاليب والسالبين
بالاساليب والجارين بالمحاريب والراجمين بالرجام والمعلمين على الاعلام فانشقت
مرابو الفرنج وازاحت شغفها عن النجح وقرنصت بزاة البرانية وتلصصت جناة الجوية

وكثرت أدواء الداوية وكثرت أسواء الإسبتارية وزادت آلام الألمانية وعادت
انتقام الإفرنسيسية وصارت مراكبهم في المبالاتين وشددتهم بشدة شوانينا
تكاد تلين وقد ربطوا عندهم السفن فلو خرجت كانت رجالا لسفن وأنس أصحابنا بعلو
الأمر وخلو البحر وأمنوا من الخوف وأدمنوا على الطوف ودام تطوافهم واستقام
انجافهم واغتروا بالسلامة وبسروا بالاستقامة وباتت لنا شوان خمس لها بزوال
الوحشة أنس وربطت بقرب باب مينا صور راصدة ولأخذ ما يخرج منها من
شوانيها قاصدة والدياجي مدلهمة والدواهي ملمة وعيون الزهر راقدة
وجفون الكفر ساهرة وللمكايد مصايد وللعوادي عوائد وللغوائل طوائل
وللمسائل دلائل وللمقاصد مفاسد ولذلك المراد مراد فخفظ أصحابنا إلى
السحر الخريز وسهروا إلى أن شارفوا الغلس وكل منهم لما استأنس نعس وغاص في
النوم وما انتبهوا إلا وسفن الفرنج بهم محدقة ونيرانهم محرقة فولجوا في البحر
والتجوا وتطافروا إلى الماء لينجوا وعبرت العداة وأخرجت تلك الشواني الشاة
وأسر وأمنها عدة ولقي الباقون شدة فاغتم السلطان بسبب هذه النكبة
وفرح الكفار بتلك الضربة وكانت تلك أول حادثة كرثت وكارثة حدثت و
نائبة رابت ورابية نابت فضاقت القلوب وضاقت الكروب وحصلت تجربة
الغارين واتصلت حركة القارين واستيقظ الناعس واستوحش الآنس وهب الراقد
ودب الراكد وذاب الجامد وشب الخامد وهاج الزائر وماج الزاخر وتحرك الساكن

وتورك الراكن وعقل من غفل وذهل من ذهل وتيقظ من غفا وتحفظ من
هفا وتقبض من انبسط وتقيد من نشط وتهمم من عف وألم من كف ورجفت الآفاق
بالمرجفين وطالت ألسنة المعتقبين فمنهم من يؤنب ويثرب ومنهم من يقول و
يطنب والعاذل من يجنب ويقيم العذر لمن يذنب ويقول هذه من الله موعظة
وآية لنا موقظة وأشار الناس بإنفاذ الشواني إلى البر وتجمعوا بأن هذا القطع لا
يكفي لملاقاة من يلاقي بحرا وهاتها او صبرا وأسرها جهارا وأمر وانتسبها
إلى بيروت ورجوا أن يستبق ويفوت وركب العسكر في الساحل يسايرها وهي
بالقرب تجاريه في البحر وهو في البر يجاريها فأبصر ملاجؤها شواني الفرنج لمبادرة
منبورة وللأخطار وراءها مجهزة وكانوا رجالا من حربه مصر مجتمعة وأصبحت
قلوبهم على ما جرى على أنظارهم مروعة فنزعوا إلى الماء وخافوا على أنفسهم و
دماؤهم في الدماء وخرجوا إلى البر على وجوههم وخانوا أكثرهم في ملكهم وهم
وفروا وفارقوا وطاروا وثاروا ولم يلتفت أحد منهم لينا ولم يردهم دعاؤهم على
التجمع إلا تشتيتا فظهر بهذه النوبة الواقعة والنبوة الرابعة أن نواب مصر
لم يحز منهم بالأسطول احتفال ولم يرتب فيه على ما يراد رجال فإنما حشدوا
إليها مجمعة مجهولة غير عارفة ولا معروفة مستضعفة غير ألفة ولا مألوفة
فلا جرم لما شاهدوا الروع ارتاعوا ولما ألزموا بالطاعة ما استطاعوا وكان في
جملة شوانينا قطعة بنوالها يسر جيد كأنها جبل وفيها جرية من ذوي النجدة

والتحرك والتجربة بالمجانيق ولا مثل فطال بأسلحة الدفاع وطار بأجنحة الشراع
وفاز بالسبق وفات ومنها تأتى درك هيهات نجا النجا وأبى الإباء تبقيت
المراكب الباقية وقد أخلاها حماتها الواقية فرفعناها إلى البر ورأينا الفتحة منها
في الكسر وفرغنا من شغل المراكب في البحر هذا والمنجنيقات ترميهم والمفوقات
الموثقات تحميهم وتنميهم والقتال نازل والنزال دائر والصخور تقلق والصدور
تقلق والأحجار تتقلقل والأسوار تتخلخل والأطواد تتضعضع والأبراج القيام تسجد
وتركع والأصلاد تقرح والأخلاد تفرح والألواح تتصدع والأرواح تودع
والحزون بشفاه الشفار ملثومة والحدود بضراب الأضراب مثلومة والجروح
من أكفاء الكفاح مقسومة والقروح بأفواه القوارع موسومة والحنايا من سوره
والخبايا وأبراجه موتورة والمنايا بالموتورة مؤثرة وطعان الطعان تحدث
بصليل البواتر وصهيل الضوامر وخفوق الحقود تنقضي بأسنة الأسنة
وعنتا لاعتقه من الغريم الكائد والأوداج شاخبة كالعيون البواكي والأسناد
دامية من الزبور كانت والنار كانت النواكي وهناك العقل معزول بالتهور
والرأي مشغول عن التدبير والعلم والحلم خالطهما الجهل والسفاه والجرحى
ينادي بسم الله والمنجنيقي يختم بلا إله إلا الله والزراق بالنار يطلق القارورة
الثائرة والسباق إلى المضمار يساور السور ويباشر الباشورة ۞

ذكر خروج الفرنج للقتال ۞

ولما عثر الفرنج على تلك العثرة وظنوا أننا نفوت لأجل تلك الفترة وقالوا مراكبهم
لأجل تركيبها وكأنا بهم اختل ترتيبها ومتجرى بأعنتنا الندامة إلى بحر ثارها جرينا
وهم الآن على صوت لهم نحيف ونوبتهم مضعف فلا معنى لتقاعدنا عنهم ولا
وجه لتباعدنا منهم فلو خرجنا صدمناهم وأقدمنا عليهم وهزمناهم وخرجوا
يوما قبل العصر في عدة كالليل خارجة من الخندق قد التأموا واستلأموا والتحموا
وانتظموا وتقدموا وأقدموا للطوارق حاملين وبالحملات مطوفين وعلى الغرب
مجتمعين وللجماعات متفرقين وبالرماح حاذقين وبالحذر متقين وللعقود حالين و
من الغمود سالين وللمناصب منتصبين وللطوائل متقضين وللسيوف مجردين
للسيول مجرين وبالزغف ملتبسين وفي الجحفة متحجفين وبالقنطاريات طاعنين وبالنبال
رامين من كل مغوار ذي بصار ضار وختار جار وجبار بار ذي عند وعنود
وكند وكنود وداو ذي دوي وبار ذي غوي ومن كل مصمم إذا ... متصمم
إذا انهم مصر إذا دعر هائج إذا استنهر مائج إذا زحم متنمر إذا زمر متنذر إذا زجر
فتناوبوا وتوثبوا وتجاولوا وتجاوبوا وتداولوا متاريس المنجنيقات وحجبوا مغارس
الجوبات وبنوا أمرهم على أن الناس ناسون غافلون وأن أهل الباب في جمعهم
هاجعون نائمون فلقيناهم منا كل ضارب للهام ضار بالحمام جاز إلى الإقدام ملب
للصوت مجيب للموت متشبه بالعنا متنبه للقا متشبث بالبلاء ماض بالمواضي
متقاض بالقواضب القواضي وكل أبيض بالبيض ضارب وبيضنا ناض وغلب

للقلب تضفاض وإلى الحرب نهاض وكل معتقل رماحه معتقد من راحه نهتز للحرب
الشهادة معتز بأرب السعادة متمن للمنون متحرج على الحور مضطرم نار الحديد
في ماء الوريد متغرم بتنبيه الهدى إلى الصريخ البهيج قد تلثم باللدم وتلفع باللثام وتقنع
بالزرد وتدرع بالجلد وتجوشن بالصبر وتحصن بالزبر وصال بالقضب وجال
بالهضب وطال بالهندي إلى الفرنجي وخاض من دم الشرك في البحر اللجي فلم
يسمع إلا رنين الحنية لحنين المنية ورنين الأوتار من كتين الأوتاد وحفيف السهام
لزفيف الهام وصليل بنات الغمود من غلائل بنات الجفود وهمهمة الأبطال
وغمغمة الأقيال ونئير الضرغام وزفير الضرام ووقع الظبى بالظبى ووقع
الشبا على الشبا وضجة الحديد من الحديد وعجة الشديد من الشديد وجعجعة
رحى الحرب وقعقعة أداة الطعن والضرب وجرجرة الفحول وزمجرة الذحول
وهدير حمام الحمام وهبوب قروم الإقدام ووعوعة ذئاب الوغى ومعمعة
التهاب اللظى ودغدغة صاع المصاع وحلحلة سباع القراع وصلصلة الزجر
وولولة الزمر وجعجلة دعاة النصر وهيضلة رعاة الكفر ورقرقة المرهفات
الراشقة وهتهتة الطعنات الناهقة وزهزهة أصوات الشجعان وهزهزة
أعطاف المران ونعير الغالبين وصخب السالبين ولجب الجالبين وزحر الطالبين
وهيف الأسود ونصيف الرعود وهدة الأركان ودهرهة الرعان وقهقهة
الأقران وفرفرة كوم الكماة وصرصرة بزاة الغزاة وكشيش صلال الضلال

[illegible]

ونشيش مراجل الرجال وهزيز ريح البأس وهزيم رعد المراس وأنين المعاجس و
أزرام القاعس وهيعة الصارخ وصيحة النافخ وزعقة المستفزع ونعقة المستنزع
وشعشعة الخرصان وزمزمة النيران وهيتمة الأطلال وجمجمة الرجال وتكبير المؤمنين
وتهليل الموحدين وصرير أبواب الجنان للشهداء وصريف أنياب النيران للأعداء والدعاء
إلى اللقاء والنداء إلى الإرداء وارتفعت الأصوات واشتبهت الأحياء والأموات
ووقع أصحابنا فيهم وقوع النار في الحطب ودار وهم في مرأى البيض وجوه العطب
وولوا مدبرين بعدما تولوا مدبرين ووجدوا ثاثلهم وحدودنا تفلهم ولتوثبنا
ترضهم وليوثنا تفضهم وعادوا إلى البلد عادمي الجلد وفيهم ندوب وعليهم
نوادب وأبرى الردى فيهم لواعب ومنهم لواغب ودخل الليل وعمهم الويل
واستأمن منهم مقدمين سموا على الموت مقدمين ومن اسمه الحسنو وهو من عظيم بلد
شيطان رجيم فترك في قيد الإسار ليكشف عن حاله بالنهار وكان الملك الظاهر
غازي لم يحضر فيما تقدم من المغازي فرأى أن يحقق اسمه بقتله فضرب عنقه
بحد نصله وكان للمركيس شبيه بأرض الفرنج وجيها فظنوا أنه هو الشبه وبات
أهل الكفر بالعمى والعمه ثم عرفنا أن المركيس في نفسه لم ينكأ ولم ينكب ولما عطب
أشياعه لم يعطب وندم على ما قدم ومن تقدم على غيره تندم

ذكر ما دبروه من الرأي ورأوه من التدبير

ولما امتنع البلد واندرع الجلد وارتج العدو ولج وضجر العسكر وضج واجتمع أمراء

يحوزون الاقلات ولا يكرهون الفوات وقالوا استطاله ما تقصر عنه تتعب ومزاولة
ما تزول تتعب ومحاولة الممتنع محال ومطال غريم هذا الفتح مطال وما تتسع لنا
في هذه الحلبة الضيقة مجال وهذا السلطان جلد على المصابرة ومجد في المكابرة
المكثوث بالكارث ولا يدخل سمعه حديث الحادث ولا يبالي بمن يلي ولا يفكر
فيمن ولي او تولى ولا راحة له الا في التعب ولا يعلم له نصيب سلامة الا من النصب
وكل ما جرى منا ومن القوم لم يرعه ولم يردعه وقيل اذا لم تستطع شيئا فدعه فكيف
السبيل الى استعطافه وما الذي يبني في استبقائه ثم نتوسل ونتوصل اذا عزمنا
ان الرأي يعضل والخطب يشكل لعله يجنح الى الاقامة ويرحل فاطلع على ما اسروه
ومن به ما اسروه وهمهم ما به هموا والمه ما به الموا فايلهم بالهبات وواصلهم
بالصلات ورغبهم بما عند الله من الزلفى ووعدهم بكل ما على الملهم اوفى وقال لهم
كيف نخلي هذا المكان وما استفرغنا في شغله الامكان وما استنفدنا في مضايقته
الوسع وما حسنا بعد في محاصرته الصنع ولا زحف اليه الجمع ولا حفر منه المنع
ولا اصابنا من مكر اهله مكروه ولا ورد الصبر منه بشفاه شفاه مشفوه
وكيف نخرج بنا الخلو عنه قبل التجريب وهذا الارب لا يخطر بخاطر الاريب وما
عذرنا الى المسلمين اذا تركناه وكيف نقول فاتنا هذا الغنم وما ادركناه والفرص
اذا فاتت لا تدرك والبغية اذا واتت يحققها تملك ونواظر الناس الى ما يسلكون
بنا في صونه تصون وهذه الظلمة المدلهمة لا يجلوها الا نور ومن لا يبعث لا يبتهج

ومن لا يحترق من الوجد لا يفترح وان حدوا وانجدوا وان تردوا عن المنهل
العذب تردوا وان تصبروا وتصيبوا فارجعوا الى الله وانيبوا وهذا الواجد
متواصل والغرض به حاصل ونحن نقسمه على المجانيق ونوبها ونلزم كلا منهم ملازمة
البقعة التي هو بها وهذا البرج قد ارتفع والوسع قد اتسع وقد امتلات بالرجال
طبقاته وتوالت منها في الكفر شفاته والنصر قد آن ان تطيب نشفاته والمر
ابعده الله قد قرب ان تخرج نفاثاته ورأينا طول الازواح لا التطاول الى
الرواح وفي التثبت على المقام التوثب على المرام ثم اخرج المال وصبه من اكياسه
وفرقه على ناسه وانفقه في اهل باسه وواصل البذل وهاجر العذل وملا
الايدي بالغنى وروح للرجاء نجح المنى وامر فامتثل وقال فقبل ونادى فسمع
وحشر فجمع وعادت عادة الحصار وانبعثت سعادة الانصار ۞

ذكر فتح حصن هونين ۞

وورد الخبر عن هونين انها هانت ودنا امرها ودانت وان طرق فتحها بانت
وانها عنت فان الطاف الله اعانت وانها بذلت ما صانت ولم تبق للكفر على ما
كانت وان شدتها لانت وكان السلطان قد وكل بها بعض امرائه وامده بعدد
جنده وعطايه فلبث الى هذه الغاية يضيقها بسهام النكاية حتى طلب اهلها
الامان على الوفاء بما يشترطون ويشطون منها ولا يشتطون فاول ما قالوا انهلونا
حتى نعلم ما يكون من صور وتنكشف هذه الامور فان اخذتموها اخذتم هذه

وشفعنا امر السلطان بنفاذه وان خليتموها فانا هوازهون فندب السلطان بدر
الدين دلدرم الياروقي وهو من اكابر عظمائه واكابر امرائه باستنزالهم واستنزالهم
والامان لنسائهم ورجالهم فمضى ورغبهم في الامن والسلامة وخوفهم عقبى الحسرة
والندامة وقال لهم انتم بين حصنين وهما تبنين وبانياس وماذا تصنعون اذا خاب
رجاؤكم وبان ياسكم واذا ابيتم التسليم عدمتم سلامتكم وافنتم فئاتكم واستباحكم
السلطان واستباكم وكرهكم واباكم وحل بالقتل حباكم وقل شبابكم فما زال
يرغب ويرهب حتى رغبوا ورهبوا واخذوا الامان على ان يذهبوا ووصل الخبر الى
السلطان وهو على محاصرة صفد وبمقاتلة اهلها مستديم والى ما عند الله من
نصره مستديم وتسلمت هونين بما فيها من عدة وذخيرة وقوة وميرة وآلات
وادوات كثيرة وتسلمها يوم اخو صاحب بانياس واستشعر الفرنج منها الياس
وكانت قد بقيت من الحصون التي تعذر فتحها وبرح بالقلوب برحها من عمل صيدا
قلعة ابي الحسن وسقيف ارنون من عمل طبرية والغور صفد وكوكب وهما من احكم
الحصون وقد وكل بهما اميرين من خواصه كبيرين وقد ضيقا على من بهما من العلوج و
منعا من الدخول والخروج وقام السلطان على صفد محاصرا وللدين الحنيف ناصرا وليد
الشرك بمطاولته قاصرا يقاتلها بكل سلاح ويقابلها بكل كفاح حتى كادت تستكين
وابيتها تدين وشدتها تلين وسورها يبين وكان قد دخل كانون وظهر من ضر الشتا المكنون
وقبض البرد الايدي عن الانبساط واعدم الهمم دواعي النشاط وعادت الرواعي المتوهجة

تبرد والضرائم المتأججة تخمد والنيران المتحركة تجمد والحميات المتيقظة تركد والصوارم
المجردة تخبو والحسام المخذم ينبو والطباع تتأوه والسباع تتأوه وصبا ونبه
القتال تحتال ومعاقدة النزال تحل فالجأهم السلطان على ما لاح وعرفهم ان في
الصبر الفلاح وامرهم بالمقام والاستقامة على الامر وانه لا ظفر الا مع الصبر
وان الظلم تنجلي عند تجلي الفجر وكان في الامراء جماعة منتخبون متحجرون اماثلهم
في حمية الدين يرنخون مقيمون على الكريهة ولا كراهة منهم للمقام ويحبون ان
تقام وظيفة الاسلام والانتقام ويؤثرون بانفسهم في سبيل الله وموافقة السلطان
وعصيان الشيطان في مفارقة المكان فاذا ارجف بالرحيل رجفوا وضعفوا راي
المشير به وتحفوا واضطربوا واضطرموا وتذمروا وتلوموا وقالوا كيف نترك
ما حويناه ونعوج ما سويناه وننشر ما طويناه ونهجر ما نويناه ونترك
توحيدا اشقيناه ونشقي اشراكا ادويناه وما للراحة اليوم طالب الا وهو غدا
بالتعب مطلوب ومن امسى وهو الان غالب يوشك اذا ولى ان يصبح وهو مغلوب
وهذه صورة قد تشوهت ومواد قوتها شفهت وهنت من غشية خشيتها
ونبهت وتارك المصابرة مصاب والاخذ بالمثابرة مثاب فمنهم الامير طمان
ابن غازي ما اطمان يوما في الغزو ولا يسكن وعز الدين جرديك النوري كم جرد على
اعناق المشركين سيفه الذي به تمكن هما همامان متقدمان من عادتهما الوثبات
على ثبات العداة يرومان الثبات ولا يريمان وجماعة اخرى ما ينشتهون وبالكريهة

لا يتركونه وأما الباقون فإنهم أحبوا البقاء وأبغضوا اللقاء واتقوا الاتقاء وأبوا
إلا الإباء وقالوا قد لقينا وما بلغنا وجرحنا وما ربحنا فلو ربحنا أنجحنا ثم نجحنا
ورجعنا وما نحن بأول واضع للأمر راجع عن الجسر معتذر للعقل مستضعف من
الثقل عامل بمحض العزم عالم بوقت الحزم هذا وقد علم ما عرا من ضروب الكروب
وثلم ما بوى من غروب الحروب وبقدر ما هدم من مباني البلد هدم أكثر منه
من مباني الجلد فقال السلطان لا بد في القتال أياما وتقدم بإيابنا وأقدامنا وترجف
بجميع رجالنا ونصدمهم في بيتنا ونقاتلهم في جميع النواحي فإن تعذر نجاح العذر للآخر
وأصبح العسكر وقد تشعب وامتد قبالة البلد من البحر إلى البحر وللنصرانية ركب
الأمراء بأجنادهم ووقفوا أثر لهم ورق الحديد الأخضر تعطفوا وتناوبوا في الزحف
وتعاقبوا على الحتف وكلما رحلت طائفة فألت ثم رجعت وجاءت الطائفة الأخرى
فصدمت وصدعت وقرعت وسارعت وصرعت فلم نر أشد من ذلك اليوم
في وقم القوم واجتراء أصحابنا وإقحامهم أصحابنا وخاضت خيلنا في البحر خلف
منهزميهم وأقدم من أقحم منها الإقحام مقدميهم فحسبت طارت الخيل من السهام زنابير
وأشرفت الحرب بصرام الضراب مساعيرها وامتلأت السعير بقتلاهم وقالت هل
من مزيد وتبحت الجنة لمن باع نفسه بها فقالت هل من مزيد وانقضى ذلك اليوم
وقد بلت الأسلحة وكلت الأجنحة وانهاضت قوادم الإنهاض وانقضت الجموع من أنواء
القوى وانقاض وبات الناس على ضجر وضجاج وحجب ولجاج فلو عادوا ذنا البلد بهلك

ذلك اليوم أياما ما نلنا من فتحه مراما لكنهم أصبحوا على ما أمروا ملموا بأبواب الهم وقالوا
قلت كثرتنا فلو ثبات عثرتنا لجبرت كسرتنا وفينا الجريح والطليح وحتى متى لا
نستريح وقد توالت الأمطار فلا مطار وعلينا من الحصار صار وكانت الجراحات
كثيرة والاحتياجات بها مثيرة ومنع البرد من العمل وامتنع سد الخلة وتسديد
الخلل وما زالوا يراسلون السلطان ويشيرون بالرحيل ويقولون لا تتعب على تحصيل
المستحيل ولا تذهب الأيام في أيام التشحيل ودعنا نستجد دعة ونستزيد قوة
عند لطف الله تعالى بعودة ونشتغل بفتح الأيسر وهو الأكثر ونؤثر التشاغل
بما لعله يتيسر وكان السلطان في تلك المدة أنفق أموالا كثيرة على تلك الآلة و
العدة وما أمكن نقلها ولا إبقاؤها لقوى بها الكفر واشتغل بسببها الفكر ورأى
نقضها وتك بعضها وأحرق منها ما تعذر حملها وشتت بعد الجمع شملها و
حمل بعضها إلى صيدا وبعضها إلى عكا وجرت أعاجيب ما تكاد تنجلي وشرد ذلك الرجل
يوما وأبكى يوما فأضحك وأبكى وتأخر السلطان وتباعد عن قبضون إلى المنزلة
الأولى وتدبره على جميع الأحوال طولى فشرع العسكر في الانصراف وتزودوا
للانكفاء والانكفاف وأخذ الجمع في الافتراق وانتشر في الآفاق وذهب من ذهب
على مواعدة في المعاودة ومسارعة في الرجوع إلى المساعدة وودع الملك المظفر
تقي الدين من هناك ووعد بوعد عوده الأشراك وسار على طريق هونين إلى دمشق
مغذا وفارق الغزو وكان له ذلك المغزى مغذى وسارت معه عساكر الموصل

وسجاب وديارهم وكل طير اشتاق الى وكره وعلموا ان هذه الراحة القليلة
تعقبهم تعبا كثيرا وان هذا الهدو الذي ما لوا اليه يجتث حركتهم مثيرا وبقي
السلطان يتلهف على ما تركه ويتأسف على الفتح الذي ما ادركه والذين اشاروا
بهذا الراي يستهلون الصعب ويهونون الخطب ويقولون نصطنع بعد ونتساعد با
السعود وتجدد الجنود وتتجدد الجدود ويورق العود ونصدق الوعود واذا
اقبل الربيع اقبل الجميع وطاب الزمان وتوفي الضمان وامكن الاستعداد واسعد الامكان
وما زالوا بنا حتى رحلنا وعلى الراي الذي ابيت منهم احللنا ولو اقمنا لتقمنا وقمعنا
العدو ووهمنا لكن الله قدر ونفذ ره مختوم وسر غيبه المكتوب في اللوح المحفوظ
مكتوم واراد لامر دلره مراده وقضى ولا يجيد لقضائه في عباده ان يبقى صور في
بلكه حاله للكفر وكرا وللمكر مكرا وللشرك شركا وللنار جهنم دركا
وقد منعنا عن صور الارتحال اخر شوال غرة كانون الثاني وعم البرد في القاصي والداني
وتوجمت السما من حامل السحائب وتوحلت الارض من سوائل المذانب والقرب الرياح
عواصف عواسف قواصم قواصف والسحب البراح هوامل هوامر رواعد رواعف
والبرد قارس قارص والما جامد جامس والشتا شنان بنات وما مع مقامه وثباته
مقام وثبات وسرنا عابرين في لبابيد وبين جلبيد وجلامد على الناقورة وطريقها عبادید
والاثقال قد ازدحمت في طرقها والاحمال بتوانع والاجمال سقاطع والسبيل تسد .
والسابلة تزتد وسلكت الخيل الجبل وقطع العسكر طريقه الى المخيم ووصلوا اخر الثقال .

الى ان تخلص وتقدم من سبق وتأخر ووصلنا الى عكا في ثلث مراحل وقد غطا بحر
عسكرنا الساحل وخيم السلطان على باب البلد بجانب التل ساري المجد نامي
الفضل دايم الفكر في تدبير الامر وتدمير الكفر واثقا من الله بانجاز عدة النصر ۹

ذكر الحادثة التي تمت على محمود اخي جاولي حتى استشهد هو واصحابه

ويوم رحلنا من صور رتبنا محمود اخو جاولي وكان من جملة الامرا اعف ولي وعاش
مجاهدا زاهدا وعيشه زهيد وتقضى صابرا مصابرا وهو سعيد شهيد وسبب ذلك
ان السلطان لعلمه بديانته وامانته وباسه وبسالته ونفضه ونهضته وحزامته
وكله بحصن كوكب التي على الغور وكانت فيها جمرة الاسبتارية القريبة الجور
البعيدة الغور وقد تمنعوا بشدتهم واشتدوا بمنعتهم وهو حصن لا يرام وركن
لا يضام ومعقل لا يسامى ولا يسام وذروة لا تفرع وعقيلة لا تفترع وبكر
لا تخطب وقلعة لا تطلب ولما ملك الساحل وهلك الباطل وانتظمت الحصون
في سلك الحصول وظفر الاسلام بالفتح المامول وانتحت طبرية واعمالها
وتملكت اغوار تلك البلاد وجبالها تمنعت قلعتا صفد بالداوية وكوكب بالاسبتارية
ولعذر فتحهما وتعسر منحهما وتفاقم امرهما واغرى البلاد ضرهما رتب على صفد جماعة
يعرفون بالناصرية من اهل الابية والنخوة والحمية ومقدمهم مسعود الصلتي اصلتت
سعادته منه سيفا اصليتا لا يلفت عن لقاء العدو ولبنا ورتب على كوكب هذا
محمودا وكان بها امر الحفظ محمودا وذلك بعد الكسرة وصحة النصرة فاحاط بالحصن
طا

واحتياطا وظهرت كفاية كليهما بما تعاطى الحفظ متسنما واحتياطا متنفرا فجى ابن محمود
بضعف اهل الحصن وظن انهم في غاية وبكر الى شكوهم واغمضت عينه لنومهم اغماض
عيونهم واسترسل فيما جرب واستسهل ما صعب واخل بالحزم وخلا من العزم
واحتقر عدوه وحسب من العجز هدوه وكان مقامه بحصن قريب من كوكب يقال له
عفربلا بدا قائما بحانا ما معا فيه ما امن وحا وكان ذا دين متين ومكان من النسك
مكين وهو يسهر اكثر ليله متهجدا وقد جعل منزله مسجدا واصحابه من حوله يحفظون
بقوة الله وحوله فلما كان اخر ليلة من شوال وهي ليلة ذات اهوال مظلمة مدلهمة
كانونية مكفهرة لبلاد باردة مقشعرة انوارها بائرة وانواؤها جائرة ودهم بحجتها
دجوجي ودهر بهيم ودهمها الجي في بحبها يحجم وانطارها دهم وصبيرها صيب وصبرها
مشيب لا يفرق فيها السما من الارض ظلمات بعضها فوق بعض خرج اهل كوكب
وقت السحر ومضوا اليه وقدر قد بعد طول السهر والنائمون قود والحائرون هجود
والجنود جمود والانفاس خمود والهمم ركود والنفوس بين اذا صموتها الغمود و
العدم قد دنا منه الوجود فما احس بجموده المجمود واصحابه الهمود الا بالفرج وقد
سلكوا اليهم وبركوا عليهم فقصروا عن الامتناع ولم يقدروا على الدفاع فجاتهم
السعادة وجاتهم الشهادة وبقي الامير حتى استشهد مجبورا وكان امر الله قدرا
مقدورا ونقلوا الى القلعة ما وجدوه من سلاح وخيل وكراع فلما عرف السلطان
ما اصابهم احتسب عند الله مصابهم واحال الى الجنة مآبهم فندب الى كوكب صارم الدين

قايماز النجمي الصارم المخذم والحازم المقدم والعضب البتار والندب المغوار
والاسد الاسد والاجمي الاحمر في حمى ابطال من ذوي النجدة والباس والشدة
فسد الطرق فضايقها عنها ومنع من الدخول اليها والخروج منها ولم يزل عليها مقيما
ولحصنها مستديما الى ان يسر الله فتحها وسهل للامال فيها نجحها وسنذكر ذلك
في موضعه كيف اشرق صبح النصر من مطلعه ؞

ذكر ما جرى بعد نزول السلطان على عكا بعد عوده من صور ؞

استاذن الملك الظاهر ولده في العود الى حلب فاذن له وودعه بعد ما امره بكل
ما يجب تقديمه من الاستعداد فامتثله واتبعه وودع الملك العادل واتجه
الى مصر مستقبل الظفر والنصر واقام الملك الافضل بعكا مستقلا بالاراء مستهلا
بالالاء مستنيرا بنيرات الهدى مستبعدا للندم من احزاب العدى وانما
الحكم لخدمة السلطان ملازمين ولاقامة شرايطها مداومين وكلت يطالب اذنا
في الانصراف ويستقيم على نهج الانحراف حتى خف من عندنا من الجند وثقل
علينا عب البرد وساوحت الهوج وتراجت الثلوج وزحت الدروج ونجت
النووح وانجر عجاج الودق وانجس ثجاج البرق وجنت الجرجف وطمت الازمف
وتقطعت الخيام وتقلعت الاوتاد وتخللت بابراد الجليد من البرد الاكام والوهاد
ومال ثبك وتم عمود البراد فورد امر تواصل البوارح والبوارق ودخل السلطان
الى المدينة وسكن بها في السكينة مستغنما على المحجة المستبينة مقيما للحجة المبينة

وشرع في إعداد العدد واستمداد المدد وإبرام معاقد الحل والعقد وإحكام
قواعد الدين والمجد وإحياء سنة السماح والفضل وإعلاء بناء الإحسان والعدل
وإفادة الكرم وإكرام الوفود وإعادة ما باد من إفاضة الجود وإجازة الراجين
وإسعاف العافين وإسعاد العائدين وإدناء أهل العلم وإغناء ذوي العدم وإنجاح
المقاصد وإنجاز المواعد

ذكر رسل وردوا في هذا التاريخ

وكانت رسل الآفاق من الروم وخراسان والعراق عاكفين على بابه قاطفين جنى جنابه
واثقين لروح جنابه متشفعين لنعمائه مستعطفين لإنابته متعرضين لنواله متعرفين
في خطابه وكلهم يهنيه بما أفرده الله بفضيلته وخصه بنجح وسيلته وأقدره
عليه وقد عجز عنه الملوك وهداه إلى سبيله وتعذر عليهم إليه السلوك وهو
في فتح القدس الذي درج على تمنيه القرون الأولى وتقاصرت عنه أيديهم المتطاولة
وتمكنت منه يده الطولى فما منهم إلا من يعترف بمنه ويغترف من يمه ويقر بحكم
التنزيل له وينزل على حكمه ويخطب السعادة ويخاطب في الصدق وتحقق
المظاهرة لإظهار الحق ويتقرب بالوفاء والوفاق عن الشقاء والشقاق ومن جملتهم
رسول صاحب الروم قلج أرسلان ورسول ابن بهلوان ورسول قزل أرسلان المستولي على
ممالك همذان وأذربيجان وآران وهو عز الدين الطالب للعز الراغب في
الفوز فما من يوم يمضي وشهر ينقضي إلا ويصل منه رسول ويتصل به سول وتنجلي
غمة وتنجلي نعمة وتتجدد بشرى وتستبشر وجوه وينكف مكر ويكفي مكروه

ونظر في أحوال عكا فرتبها وفي أمورها فمهدها وفي مضارها فأذهبها وفي مناقبها
فقررها وولى عز الدين جورديك بها والياً وأعاد عطلها بفضله ولده الملك الأفضل حالياً
ووقف بها وقوفاً وأجرى المستحقين منها نطوفاً واستدعى معروفاً وأعطى ألوفاً وأرغم
من الأعداء أنوفاً وكانت فتوحه لهم حتوفاً ووقف نصف دار الاستبار رباطاً
للمتصوفة وللوافدين من أهل الطريقة والمعرفة ونصفها مدرسة للمتفقهة وللطلبة
المتنزهة المتعففة فجمع بين العلم والعمل والنجح والأمل وكتب الرزق لهم إلى
كتاب الأجل واتخذ لطلب مرضاة الله دار الأسقف بيمارستان المرضى وأنى بكل ما
يحبه الله وبه يرضى فلم تمض سنة إلا خلدها ولا منة إلا قلدها ولا أجر إلا أحرزه
ولا هدى إلا أهداه ولا أمر إلا أمره ولا در إلا أدره ولا فريضة إلا أداها
ولا فضيلة إلا أتاها ولا فرصة صواب إلا انتهزها ولا حصة ثواب إلا أحرزها ولا
رسم فواضل إلا أنشرها ونشرها ولا اسم فضائل إلا حسنها وحبرها وما ترك قاريا
إلا قراه ولا راويا إلا أشبعه وأرواه ولا حافظ حديث إلا حفظه من الحدثان ولا
محسن صنعة إلا اصطنعه بالإحسان ولا ناظم مدائح إلا نظم له المنائح ولا موافيا
بقريض الأوقات فروضه وأعجز عن القيام بحمل جده نهوضه وتقدم بالوالي بالتردد
في الأعمال وتفقد الأحوال وسد الخلة وتسديد الاختلال وتقليل السمر
يستقيم المعتل وتحليل العقد وتعقيد المنحل فاستقرت بولايته الولاية واستمرت
لرعيته الرعاية ودرت أخلاف الوفاق ودارت أسواق الأرزاق

ذكر وصول أخي تاج الدين أبي بكر حامد من دار الخلافة

في العتب على أحداث نقلت وأحاديث نقلت ووشايات أثرت
وأرثت وسعايات في السلطان عشت في الأحوال وشعثت وذلك
في شوال ونحن على حصار الصور في نزاع ونزال

السبب في ذلك

لما تم الفتح الأكبر وحصل وعم النجح الأظهر وقطع دابر المشركين وحط إقبال المسلمين أوزار
أدبار الكفر حطين أمرني السلطان بإنشاء كتب البشائر إلى الآفاق وتقدم بالبشرى به إلى
العراق فقلت هذا فتح كريم ومنح من الله عظيم وملك عقيم وسمو وسنيم فلا يجب أن يكون
مبشر دار الخلافة بما أنزله الله لنا من الرحمة والرأفة إلا من هو عندنا أجل وأجلى
وأعظم وأعلى وأجمع لفنون الفضائل وأعرف بأداء الرسائل فلا تتوجه بهذه الكرامة
إلا الكريم الوجيه ولا تنتبه لهذه المقامة إلا الفهيم النبيه ولا تزع العظيم إلا بالعظيم
الرفيع فإن الشريف يتضع شرفه بمقارنة الوضيع فقال هذه نصرة مبتكرة بكرت و
موهبة مبتشرة بدرت وبدرت فنحن نخص بها بشيرا ونوجه للإجلال كما ذكرت سفيرا
وكان في الخدمة شاب بغدادي من الأجناد قد هاجر للاستنجاد ونوجه بعد وصوله
ونبه بعد خموله فسار في البشارة إلى بغداد وزعم أنه يروم إليها الإغذاذ وشفع
له جماعة من الأكابر حتى خص بأشرف البشائر فقلت هذا لا يحصل له وقع ولا يصل
إليه نفع والواجب أن يسير في هذا الخطب خطير وفي هذه النصرة الكبرى كبير فإن
الرسول من يندب للتفهيم والتفخيم ويرتب في الأمر العظيم للتعظيم ثم سار المندوب

وشغلت عن إرسال سواه الفتوح والحروب ولما فتح البيت المقدس أرسل بشارته
ونفذ بها كتاب ووصل البشير الجندي فلم تحل يده على كفو الجلالة من الهدى
حقروه وما وقروه فإنه كان عندهم بعين قطروه بتلك العين وحوه بما يليق به من الرثة
والعين ونقم على السلطان إرسال مثله وأنه لم يعصب المنصب في تلك الرسالة بأهله
ونسج المندوب بكلام أخذ عليه وبدرت منه أحاديث نسبت إليه وقال في سكره و
حاله نكره ما يعرض عن ذكره فخيل وموه وتنكر وتكره وظن أن الكلام أصلا و
لقطعه منا وصلا وأهبت إلى الغرض لا أرب فما لأنه وعلمت جهالاته ونجني على السلطان
بإرساله وطرق إلى هذا ما أنكروه من مقال المذكور وصلا له ووجد الأعداء حينئذ
إلى السعاية طريقا وطلبوا لشمل يتشيعاده بالخدمة تفريقا واختلقوا أضاليل ولفقوا
أباطيل وقالوا هذا يزعم أنه يقلب الدولة ويغلب الصولة وأنه ينعت بالملك الناصر
نعت الإمام الناصر ويدل بما له من القوة والعساكر فأشفق الديوان العزيز على السلطان
من هذه وبرز الأمر المطاع بإرسال أخي وإنفاذه وقالوا هذا تاج الدين أخو العماد
يكفل لنا في كشف سر الأمر بالمراد فإن أخاه هناك مطلع على الأسرار وهو
منتظم في سلك الأولياء الأبرار وعول عليه الديوان العزيز في السفارة ورد معه
جواب البشارة وكتبت له تذكرة بوجهات مقاصد العتب ومكدرات موارد
القرب والمخاطبة فيها وإن كانت خشنة خشنة والمعاتبة مع شدتها للعواطف
الإمامية لينة ونشر الأعتاب في طي العتاب وروح الأعضاء في تمحص الإغضاب

وبرد الموهبة في برد المهابة برد ظن الخطأ إلى يقين الإصابة وشرف من الديوان الخ
نثار وهو بذخ وقد أصحب جيلا وأنجب من التشريف والإنعام ذيلا وألحف من
نور الأهبة العباسية نهارا وليلا ووصل البشير بالبشرى وقطع الوهاد والذرى
وجاء إلى دمشق ببشارة رائقة وبشارة رائعة وإشارة رادعة وشعار مهيب وشرع
مصيب وهيبة روعة إمامية وهيبة عصبية عصامية وزي نبوي لا ينبو وزند
وري لا يكبو ولسان في الصرامة جري وجنان بالشهامة جري وبلاغة بالبلاغ
ما ليس بلاغ دونه وافية وصيغة بصياغة كل غريبة قول ورغيبة طول كافلة
كافية وسنا نور وقاد يستعير منه سنى وثبات خلق يخلق به ثبير وكان قد عاد
المندوب نادبا عاديا جاحدا للنعمة شاكيا ذاكرا أنه عدم الحفاظ ووجد الإحفاظ
وأكثر الكلام فما حرك شاما وقال أخو العماد قد وصل بكل عتب ممض وخطب مقض
وغضب مغض ولفظ فظ وحض على غير حظ ومعه الملامات المولمات والظلامات
المظلمات فقلت له اسكت واصمت وبالك من وسم الوهم تمت ولا تدخل هذا
الباب واخرج وليس هذا بعشك فادرج وقلت للسلطان سمعا وطاعة لأمر الديوان
فإن إظهار سر العتب لكم من غاية الإحسان فقال نعم ما قلت وقد طلبت بإرساله
وطلبت وما أسعدني إذا شرفت بالعتاب وأسعفت بالخطاب والمملوك ينفعه
التأديب ويزعه التهذيب على أنا لم نأت إلا بكل ما نوى الهدى وأضعف العدى
وكف الكفر وأدنى الدين وما زلنا في طاعة أمير المؤمنين مجدين أما فتحنا مصر وقد كانت

بها دعوة الدعي وقد رحنا أما استأنفنا بها تاريخ الدولة العباسية بعد أن كانت
سنين بسواها أرخت أما استخلصت اليمن وللداعي بها داع وللهدى فيها ناع
وللضلال فيها داع أما أرحت من رق الشرك الشام أما أزحت عن وجه الملك الباطل
أما فتحنا البيت المقدس وألحقته بالبيت الحرام وألبسته رداء الإكرام وأعدت
إلى الوطن منه غريب الإسلام أما رعشت الغرب بغرب عزمي وزعت الشرق بشرع
حلمي وما تعدت إلا بالعبودية للدار العزيزة وهذه النظرة متمكنة مني في الغريزة
فأهلا وسهلا بالرسول وبالسول وحيا ومرحبا بالإقبال والقبول وما أنا إلا
بالحب والجود وللأمر الأمود ولإظهار السرور والبادر بنشاط إذا رعد و
الصادق بإبرام إذا وعد وما أسرنا بالوصال وأوصلنا بالمسرة وآثرنا بالجدة وأجدنا
بالمبرة وسمعت منه كلما هذا سمعي وأبر المعنى وجمع شملي واشتمل بالعز جمعي ولما
قرب أخي أصبحت لقدومه أنحى فأمر السلطان الأمراء على مراتبهم باستقباله
وتقدم إجلالا لقدومه وإجلالا له ثم ركب وتلقاه بنفسه وخصه من تقريبه بأنسه
ولم يزل حتى أراه مواضع الجهاد ومصارع الكفار ومواطئ أقدام ذوي الإقدام
حا ومواطن بسالة أهل الإسلام ثم نزل وأنزله بالقرب وعقد له بالحباجي الحـ
ويسفر وجهه لوجاهة السفير وأحل محله التوقير والتوفير وسلك له سبيل التبجيل
ونال منه نجح التأميل ثم حضر عنده وقد أخلى مجلسه لخلو له وجده فأدى الأمانة
في مشافهته ووجه مقاصده في مواجهته وأفض التذكرة وقد جمعت المعرفة والنكرة

نقرأت عليه بفصولها ونصوصها وأمرته حكمي الى عمومها وخصوصها ووقفته على
ظواهرها وبواطنها وكانت في الكتب غلطة عرضت من الكاتب غلطة وجلت سقطة و
جلبت سخطة وقال إن الامام اجل من أن يأمر بهذه الالفاظ الفظاظ والاسجاع
فقد امكن ابداع هذه المعاني في ارق منها لفظا وارفق واوفى منها فضلا واوفق
ومعاذ الله أن يحبط عملي ويخيب املي وانتقض وارتمض ثم اعرض عما عرض ورجع
الى الاستعطاف وقال اما ما نحلته الاعداء وعدا به المتحملون ونفق به المتقولون
المبطلون فما عرفت مني الا الاعتراف بالعبادة وما هززت منذ اعتززت
اعطاف العز الا بما يعزني من العاطفة وان شرفني بالنعمة السالفة يوجب التقي من
هذه الانفة واما النعت الذي انكره ونبه على موضع الخطأ فيه وذكر هذا من عهد
المستضيء رضوان الله عليه وجرى لتحققه مني على الالسنة ومني عذبته ما عذب من الحسنة
والان كل ما يشرفني به امير المؤمنين من التسمية فانه اسمي الذي هو اسمي واشرف والطرف
والطرف وارفع واعرف ومازاده ذلك العبد الا خلوصا ولا وخصوصا اعتزازا واعتزاء
ثم قال كل ما اعتمدته من نصرة الدين وقتل اعداء امير المؤمنين فانما طلبت به وجه الله
ورضاه وما تعبدت به سواه فاني افترض الطاعة الامامية للدين لا للدنيا وما اتقوى
فيها الا بالتقوى وما في عزمي الا استكمال الفتوح لامير المؤمنين وقطع دابر المنافقين و
المشركين واذا عادت عواطفه عطفت على في الحين العوائد وقطفت الفوائد وصفت
الموارد ووفت المقاصد وبعد الاباعد وبعد الحاسد الحاشد وهجر هجر الساعي

وأجزى أجر الداعي وعلم جهل الواشي وعزره فقر الخاشي وجرب غش الغاشي و
جرب عشق العاشي ودوت هموم ذوي الهمم واوليت كرامة اولي الكرم ومازال
السلطان مدة مقام اخي عنده يوري في اعظامه زنده ويامر باكرامه جنده
فلما شعر من تكدر ذات البين بعود الانس والصلة الى الوحشة والبين وان جماعة
اجمعوا بالسلطان وقالوا له قد نسب حقك الى البطلان ورميت بالبهتان ولحظنا عند
العصيان فكيف خفت وما عففت والفت وما انفت ورغبت وما رغبت وصبرت وما
سبرت واغضيت لما غضبت واغتنت لما عوتبت ورافقت وما رفقت فقال
تذللي للديوان العزيز تعزز به ادبي وتوسلي الى مرضاته توصل بالله فيه اشتغل
تواضعي ترفع وتخشعي تورع وحبل حبي متين ومكان قربي مكين وما قلت له واوضحت
له سبيله انا كنا بطاعة امير المؤمنين نطول ونصول وتزول بها الملوك وعنها لا
نزول وهذه فضيلتنا التي بحثت وسيلتنا التي حثت وكنا بها مستعدين وعليها
محسودين وقد شملت بركاتها وكملت حسناتها وصفت مشارع يمنها وضفت مدارع
حسنها فلا تلتفت الى من يلفتك ولا تثبت لمن لا يثبتك واعرض عمن يعرض
لمذهب الخلاف وانهض لمن ينهضك للائتلاف فقال هذا ديني وديدني وبه اعني
واعتني والنوره اجتلي واجتني ثم ندب مع اخي من سار في خدمته لزيارة القدس
وامر بأن يقف به على مواقف الطهر التي طهرت من اهل الرجز والرجس ثم ودعه واودعه
من شفاهه كل ما في النفس وبالغ في ابداء التضرع واظهار التخشي والتخشع وانشأ الى الديوان

كتبا معه وبعده ضمنتها كل ما حلا وحلا جدة وجزة وكل ما يبطل سوق المنافقين و
يعطل نفاق المتسوقين ويهجن خلق المتخلقين ويزيف تمويه الساعين وينبه سعاية الملفقين
ويتعرف الى العوارف للعذر بالشكر ويستعطف العواطف الغر بالعذر وجهد في استفراغ
المجهود للاستنفاد وينفض عن وجه البشر ما عليه من الغبار وظهرت بعد ذلك
آثار الرضا ومضى ما مضى وقضى القدر من اعزاز الديوان بدر السلطان ما قضى وفي هذه
السنة استشهد الامير شمس الدين ابن المقدم بالموقف بعرفة لابداعه رسما ما عرفه
فذهب غلطا وعطب فرطا وذلك ان امير الحاج طاشتكين انكر عليه ضرب الطبل
فامتنع فندب اليه من به وباصحابه اوقع ونمت من هذه الفتنة فتنة ونمت نفرة
ولما انتهى الخبر الى السلطان لم يبد منه سوى الاذعان وقال لا شك ان طاشتكين
طائش وقصد بعد الانيابين الانجاش وعد الديوان العزيز هذا من ذنوب طاشتكين
في عزله واعتقله بعد سنين ۞

نسخة كتاب جامع للفتح القدسي انشأتها الى سيف الاسلام اخي السلطان باليمن

صدرت هذه المكاتبة الى المجلس السامي ضاعف الله علاه وظاهر آلاءه وسنا ونعماه
واظفر بالنجح رجاه واضعف حساده واعز اولياءه واذل اعداءه ولا زالت ايامه
بالامن مسفرة ولياليه بالمحاسن مقمرة ومكارمه بالمحامد مثمرة وعهود
مواليه بشكر النعم محكمة ومعاهد معاديه بغير النعم مقفرة دالة على البشرى
بالفتح الاكبر والنجح الازهر والنصر الاشهر والعصر الانور والفضل الاكثر والاثر

الاوفر واليوم الانور والبشر الانضر والفجر الاسفر والفخر الاظهر والجد الاشم الاشمخ
والمجد الابلج الانجح والعز الابهى الاسمى والنور الاتم الانمى والظفر الاجل الاجلى
والوطر الاحل الاحلى والشرف الاسنم الاسنى والعزم الاعنم الاغنى والسعد الامجد
الاجدى والصيت الابد الابدى وهو الفتح الذي تفوح بمجاريه نفحات الفتوح
وتبوح بسر وجهه وبذكره سرائر الملائكة والروح وتغدو غوادي النعم وروائحها
الى روض الهدى المروح وتلوح بشائر بشراه في لوح الدهر لكل مؤمن يلقاه بالوجه
الباسم والصدر المشروح وتنوح ناعية الكفر في كل ناحية لكل نادبة للاديان
على قتيلها واسيرها المذبوح وبالقلب المقروح وهو فتح بيت الله المقدس الذي
غلق بيفا وتسعين سنة مع الكفر رهنه وطال في اسره سجنه واستحكم وهنه وتوكد
كرهه وضعف ركنه وزاد حزنه وزال حسنه واجدبت من الهدى ارضه و
اخلف مزنه ووصله خوفه وفارقه امنه واشتغل خاطر الاسلام بسببه وتباطأ
ظنه وذكر فيه الواحد الاحد الذي تعالى عن الولد ان المسيح ابنه واربع فيه
التثليث بصليبه وصلبه واودع عنه التوحيد فكاد يهي متنه ودرج الملوك
الاقدمون على تمني استنقاذه فابى الشيطان غير استيلائه واستحواذه وكان
في الغيب الالهي ان معاده في آخرة الى معاذه وان نفاذ نيل الشرك بانفاذ
صبح امرنا واشراق مطلع نفاذه وذخر الله هذه الفضيلة لنا ولهذا العصر و
انزل على نصلنا نصر النصر واطلع ليل عزمنا فجر الفخر ووفقنا لوصال اسباب الاسلام

وقطع دابر الكفر وذلك انا استفتحنا سنة ثلث وثمانين بقمع اهل التثليث واعززنا
الاسلام بالجد المنجد والعزم المغيث وخرجنا من دمشق في المحرم بالعزم المصمم
والرعب المجهز الى الكفر والباس المقدم وكنا اشفقنا على طريق الحج من قصد الفرنج
فشغلناهم عن القصد بقصدنا بهم وتصدينا لجهادهم بردهم عن المراد وصدهم
واقمنا بظاهر بصرى مخيمين على سمت الكرك وقدمنا الطلايع الى المناهل
ونظمنا سلك امدادهم في ذلك المسلك حتى وصل الحاج سالما وذل الكفر
عن قصده راغما ولما فرغ القلب من شغله وفاز كل بجمع شمله باهله سرنا
الى الكرك في الامرا والمرديين والخواص وشيعنا للجهاد في سبيل الله الفاتحة
بالاخلاص وقد كنا استدعينا العساكر والجموع للجهاد من جميع الجهات ورتبنا
توابعهم للميقات وامرنا ولدنا الملك الافضل ان يقيم براس الما ويكون في خدمته
جميع الامرا وسرنا الى الكرك والشوبك فاخربنا عمارتها واحرقنا غلاتها و
قطعنا ثمراتها وازعجنا ساكنيها واخفنا امنيها واجلينا عنها فلاحيها واقمنا النوايح
عليها في نواحيها ووصل الينا ونحن بالقريتين العسكر المستدعى من الديار المصرية
تقويت به قلوب الامة المحمدية واجتمع بالمخيم الافضلي براس الما من العساكر الشامية
والفراتية والجزرية والموصلية والديار بكرية فانتهز ولدنا هناك فرصة الامكان
وانهض الى الكفر سرية من اهل الايمان فساروا ثايرين واغاروا غايرين واخذوا
ونهبوا وسبوا وسلبوا فلم يشعروا الا وجميع الكفر قد سدت عليهم الطريق واخذت دون

خروجهم الى البقعة الضيق فثبتوا ثبوت الجبال للرياح العواصف وشرعوا الى غمارين
الكفر اسنة الرماح القواصف وكان مقدم عسكرنا مظفر الدين ابن زين الدين ومعه
مملوكانا قايماز النجمي صارم الدين فلقيا بصدريهما صدور العوالي وحملا في عسكرنا
على الفارس والراجل وحصل الفرنج منهم في دايرة الردى وخذل الضلال ونصر
الهدى وكثر من الفرنج القتلى والاسرى وعاد المسلمون بالميسرة العظمى والمبرة
الكبرى واتصلت بنا ونحن في بلاد الكرك البشرى وشكرنا الله على نصرته الاولى
وقلنا هذه مقدمة الاخرى ولما قضينا الوطر من تلك البلاد ودنينا باطراف
اقوات اهل النار بالنار رحنا للجهاد فاجتمعنا باصحابنا القادمين من مصر وتناصرت
لدينا دلايل الظهور وتظاهرت امارات النصر عبرنا الى الشام وقد تكاملت به
جموع الاسلام وزخر بحر الفضا بامواج الاعلام وطفا على امواج لجه حباب الحمام و
نقض الفضا ختام القتام وعلق بالفلق من ذلك الفيلق غرام الرغام فخيمنا
بعشترا شهرا وقد اعددنا لشهر بنات الغمود شهرها جهرا وخطبنا من الله الكريم بكر
فتح جعلنا بذل المهج لها مهرا وقد سمع الفرنج بجمعنا فجمعوا ونادوا في بلادهم
فاسمعوا واجتمعوا على صفورية في صفر وحشر وفي تلك الاشهر من جمعهم في المحشر
جموع سقر واخرجوا صليب الصلبوت وقايد اهل الجبروت فتهافتت الى شعلة
ناره فراشهم وثوى في الحطة صلال لدحنا شهم واقاموا قيامة رعبهم فانبثت
وسوانح جرادهم في بحر العجاج عايمة وطلايعهم سارية وسراياهم طالعة ومقدماتهم

رعبهم منا الثابرة جنوبهم وقلوبهم منقضة خالعة فلما تكامل منا الجمع واخذ
بعجاجه وعجيجه في الافاق البصر والسمع عرضنا عساكرنا في يوم يذكر بيوم العرض
وتتلو مشاهده لتنزل الملائكة ولله جنود السموات والارض في رايات خافقة
كقلوب الاعداء غالبة كهمم الاولياء وسرنا في جموع ضاق بها واسع الفضاء و
وسار في كتائبها نازل القضاء وتحجب ذيل الارض بغبار نقعها على السماء وقطعنا
الاردن بتأييد الله مواصلين وتدرعنا بانذارنا على الاعداء كافلين فلما الممنا بطبرية
فتحناها بالسيف ودخلناها دخول الغيور لا دخول الضيف وتسلمنا المدينة
ونازلنا قلعتها البكر الحصينة وذلك يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع
الآخر والخميس يوم الخميس واسد الوغا قد اتخذت من وشيجها العرين هذا والملك
العادل عنا غائب ومعه ايضا بعض كتائب وتوفيق الله له مصاحب وكنا عزمنا
قبل قصد طبرية ان نلاقي الفرنج على صفورية من مركزهم ومجتمعهم ونلاقيهم
في مخيمهم فحين نزلنا من الثغر بالاقحوانة وتمسكنا من الله بالاستنجاد والاستعانة
ركبنا قبل قصد طبرية الى الفرنج في مجمعهم واشرفنا عليهم في موضعهم فما
برحوا من مكانهم ولا تحركوا برجالهم ولا فرسانهم وابرزنا في صحراء الوبية موضعا
للمصاف واسعا وفضاء لمبارزي الجمعين جامعا ورتبنا هناك بالطلاب الابطال ميمنة
وميسرة ووجدنا بتأييد الله اسباب الظهور ميسرة وجئنا في خواصنا والجاندارية و
نزلنا في العدة المجردة على طبرية واخذ النقابون ساعة النزول في النقب فصرع تام

بسورها الجنب ودخل الناس اليها ليلا للنهب وكانت ليلة مبرهمة معتمة وارجاء
المدينة مظلمة فاشتغلوا وتبددوا ودخلوا الدور وتفقدوا ما لم يفقدوا وكانت بها
حواصل من زيت وكان علقت بها النار فاحرقت تلك المساكن والديار وتحصن
اهلها بقلعتها وتمنعوا بمنعتها فاصبحنا على حصرها وسلكنا جدد الجد في امرها جاءت
رسل الامراء ان الفرنج قد تحركت وانزعجت لكون عقيلتهم من طبرية تملكت وادركهم
الندم كيف تركت وما ادركت وانها قد عدمت جودها وشبت وتودعها ولبثت بدا جوعها
وصبت عليها ما ادر وعيها وعاصت في غدر ان بيوا بغيها الثابرية وفاضت بحار سواحلها
الاعوجية وان جمرهم قد استعر وان بحرهم قد زخر وانهم قد اتوا في عددهم و
عديدهم وحدهم وحديدهم وخيلهم ورجلهم وطلهم ووبلهم وفارسهم وراجلهم
واحزاب ضلالهم وابطال باطلهم وانهم حين عرفوا استيلاءنا على طبرية وسبقنا
بفضيلة فضلها البرية غاروا على العقيلة السبية واشعلت نخوتهم نار الحمية
وساقوا الى معترك الردى وملتقى المنية ولما عرفنا قربهم قصدنا ناحيتهم وزحفنا
اليهم واشرفنا عليهم واللجب الثائر كالجبل الرابي وافاض الحديد من قلبه
على الحجر القاسي ولمعت بوارق بيارقه وراعت طوارق طوارقه وبرقت قوانس قوابضه
وارتعدت فرائص فرائضه وامكنت فرائس فوارسه وماج الحديد على عوابسه بوساوسه
وماجت بحار سلاهبه واشتعلت نيران قواضبه وشدت الجياد لصوارم صوارمه
وبدت بعرض افواجه لجاج مخارمه وقرنت الدلفات بلاماته وظهر من جيشره

يوم الحشر بعلاماته فاغتنمنا الفرصة في اللقاء وهجمنا الى الهيجاء واترعت الاعنة
واشرعت الاسنة ونقع النقع اوام الجو واجاب الصدى دوي البرق وجال الجاليش
وطار السهم المريش وعصفت رياح السوابق واستعرت عيون البوارق ولقيناهم
في عرمرم عارم وبحر جارم وعوامل جوازم وصواهل صلادم وضراغم ضوار وجوارح
جوار واسود قد اعتقلت اساود وجياد قد حملت اجاود وسوابح قد اقلت بحورا و
صقور قد ركبت صقورا وواقفناهم نهار يوم الجمعة وسواكنهم لا تتحرك وثباتهم لا
يترك وصفهم لا ينفض وجدارهم لا ينقض وبنيانهم مرصوص وطايرهم من الطيران
مقصوص حتى دخل الليل وفرق الوادي ذلك السيل وبات الفريقان على تعبيتهما
واجابة داعي الموت ملبيتهما واصبحا يوم السبت واهل الاحد على حالهم لم يرموا
موضع قتالهم ومازالت الحملات تتناوب والابطال تتواثب وتتناوب والسعود
بنزع القسي سواع والرماح في زرع الطلى رواع والمنايا تبين والجنايا تخز والبيض
تصافح البيض صفاحها والذكور لنتاج الحرب العوان بالنجح البكر عند اللقاء لقاحها
والذوابل في اشاج الشجعان جايلة والصوارم لجوارح النيران شوارب وصوامر الجرد
قد باحت باسرارها ونواظر الجفون قد تخلت عن غرارها ولما احسوا باسنا وامراد
امرايسنا والهجير متلظي وقد وقد عليهم ناره والاوام يتوقد ولا يتوقى احرارهم
باواره مالوا الى طلب الماء واخذوا الطريق الى البحيرة للارتواء فاخذنا قدامهم
ووقفنا امامهم وحلاناهم عن الورد والجاناهم الى الردى بالرد فاعتصموا بتلك

حطين وصرناهم محيطين وتحكمت فيهم نواصي القواضب ونشبت من النشاب فيهم نيوب
النوايب وقد كان جمعهم جمرا وقد صبت عليهم السيف نهر الخمد وفضوا بالفضاء
وفرشوا بالعراء وعبت دماء الدماء وغصت الفجاج بالقتلى والاسراء واسر الملك و
اخوه والابرنس الكركي ومرازبه ووجوه الكفر ومقدموه ومقدم الداوية و
اعوانه وصاحب جبيل واعيانه وهنفري بن هنفري وابن صاحب اسكندرونة وصاحب
مرقيه ولم يفلت الا ابن بارزان والقومص وتم لهما من الورطة المخلص وكان كلاهما ملهما
عند اللقاء بالقتال وعند الفرار بالاحتيال فاما القومص فانه لما مر بطرابلس ادركه
الموت في برجه المشيد ونقله الغدر المبيد الى عذابه المؤبد وذل ذلك اليوم اهل
الجبروت وجيء بصليب الصلبوت وبار وباد اولياء الطاغوت وهلك عبدة الناسوت
واللاهوت وملك عليهم القدر كتاب الاجل الموقوت وقدمنا الابرنس وضربنا
رقبته وفاء بالنذر وعجلنا به الى النار دما وي اهل الغدر والحقنا به الداوية
والاسبتارية وادرنا عليهم صبيب كؤوس المنية وروينا ظماء الظبى بنجيعهم وفرينا
بسيف الفلا من صريعهم وعدنا الى طبرية فتسلمنا قلعتها وحللنا عقدتها وفرعنا
ذروتها وافترعنا عذرتها ثم سرنا الى عكة ففتحناها بالامان واعلنا بها شعار الايمان
واستقرينا بعدها البلاد الساحلية من جبيل وجبل طرابلس الى الداروم وغزة
صور فانها امتنعت بسورها ولم يبق في كافر الكفر غير سورها وانها وجدت فسحة
في ايام اشتغالنا بفتح اخواتها وكثرت من عدد المحاصرة والاتها وكنا لما فتحنا عسقلان

بدأنا بالنزول على القدس وذلك يوم الجمعة ثالث عشر رجب ووجف بها قلب الكفر
ووجب وظن اهلها انهم يعتصمون وانهم من باسنا يسلمون فنصبنا عليها منجنيقات
هدت احجار السور بقوة احجارها واذن ركوعها بسجود الابراج في انجازها و
وقف النحور باصراخ الصخرة وعثرت تلك القلعة فاقالة ما دام بها من العثرة وكشف الاستار
ونقب الاسوار ورمت الجنادل جوانب ذلك الجدار وعلم الكفار لمن عقبى الدار
وايقنوا بالقتل والاسار فخرج مقدموهم متذللين بالاذعان متبتلين في طلب الامان
فابينا كل الاباء الا سفك الدماء من الرجال وسبي الذراري والنساء فخوفوا
بقتل الاسرى واخراب العمران وهدم البناء فامناهم على قطيعة موازية لاثمانهم
لو اسروا او سبوا فامنوا من ان يسلبوا وهم على الحقيقة قد سلبوا ومن وفى منهم
بالقطيعة خرج بحكم العتق ومن عجز عن ادائه دخل تحت الرق وعاد الاسلام باسلام
البيت المقدس الى تقديسه ورجع بنيانه من التقوى الى تاسيسه وزال ناموس
ناقوسه وبطل بنص النصر قياس قسيسه وفتح باب الرحمة لاهلها ودخلت قبة
الصخرة لفضلها وبانت الجباه بها مواضع سجودها وصافحت ايدي الاولياء اثار
القدم النبوية بتجديد عهودها وشوهد مقام المعراج وموطئ براقه ونادى
نور الاسراء ومطلع اشراقه ودنا المسجد الاقصى للراكع والساجد وامتلا ذلك الفضاء
بالاتقياء الاماجد وطنت اقطاره بقراءة القرآن ورواية الحديث وذكر الدروس وحلت
هدية الهدى من الصخرة المقدسة جلوة العروس وزارها شهر رمضان ضيفا لها

نهار صومها بالتسبيح وليل فطرها بالتراويح وشفا الله بتيسير هذا الفتح ما كان
دهم القلوب لاجلها من تباريح التباريح فالبيت الحرام مسبا وللبيت المقدس مقدى
منا كلاهما من المهج والانفس وانه من المساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال الرحال
ونضيق في حلبة البيان المجال وهو الحرم ثالث ولا تثليث في حرم توحيده فتجرد
جد الاسلام بتجديده ولما فرغ البال من تدبيره وقضينا حق تقديسه وتطهيره صرنا
الى صور وبان لنا ان عسكرنا المنصور وفي صور سور الكفر وبقيته وقد تحصن
بسورها ومنعته شرذمته وهي مدينة حصينة متوسطة في البحر كانها سفينة وقد
نصبنا عليها المنجنيقات فلكت فيها ورمت من اعاليها وهدمت من مبانيها ولم يبق
في جبهة الكفر سوى نشابها وان جمحت علينا فنصرة الله وعوايد تاييده لنا توذن
باصحابها واذا تسلمنا ما تسلمنا باذن الله كل بلد للفرنج باق وما لهم من عذاب الله
الواقع بهم واق ثم راينا ان حصار صور يطول وان مسالة سكان العسكر فيها تعول
وان فتحها لا يفوت وله وقته الموعود ووعده الموقوت وكان العسكر قد ضجر
وملّ واعيا وكلّ وقد دخل الشتاء وبرد الهواء وجادت السماء وتواترت الانداء
د ولا بد من استيناف جمع العساكر في ايام الربيع واستمداد النصر الذي يعم لاستجداد
الفتح شمل الجمع ورحلنا عنها بعد ان رتبنا حولها في الثغور المجاورة لها من يديم
شن الغارات عليها ويواظب على النهوض اليها وفتحنا لاجنادنا في الاستراحة مدة
شهرين الى النيروز فانا في تلك الايام نشوق العزيمة على المبارزة والبروز وقد جرت

المواعدة على المعاودة والمعاقدة للمعاضدة والمعاهدة للمساعدة فليس في الفرنج
من يقاتل الآن على الخيل والنهار عليهم في إظلام الليل والعز متقلص الظل عنهم
والذل ضاف الذيل وقد حرب حزبهم من جرى بنا من الحرب والويل وقد اشتمل الفتح
على البلاد المعينة وهي طبرية •• عكا •• الزيب •• معليا ••
اسكندرونه •• تبنين •• هونين •• الناصرة •• صفوريه •• الفوله ••
جينين •• زرعين •• دبوريه •• عفربلا •• بيسان •• سمطيه ••
نابلس •• اللجون •• لجا •• سنجيل •• البيره •• يافا ••
ارسوف •• قيسارية •• حيفا •• صرفند •• صيدا •• قلعة ابي الحسن ••
جبيل •• مجدل يابا •• مجدل حابة •• الداروم •• عسقلان ••
غزه •• تل الصافيه •• التل الاحمر •• الاطرون •• بيت جبريل •• لد
بيت لحم •• الرمله •• قريتا •• القدس •• صوبا ••
هرمس •• السلع •• عفربا •• السعف •• ولم نذكر ما تخللها من القرى
والضياع والابراج المحصنة الجارية مجرى الحصون والقلاع ولكل واحدة من البلاد
التي ذكرناها أعمال وقرى ومزارع وأماكن ومواضع قد طاب المسلمون خلالها
واستوهبوا ثمارها وغلالها وقد كنا عند قصدنا البلاد وعرضنا الجهاد الاجناد
كاتبنا أخانا الملك العادل سيف الدين أن يدخل العساكر المصرية من ذلك الجانب
وينتظر كتابنا بنصر هذه الكتائب فلما بشر بكسر الفرنج وفتح طبرية وعكا والظفر الذي

صح والمعاقل الحصينة
الطور صح

أضحك الأولياء وأرغم الأعداء وأبكى وتلي عليه قد أفلح المؤمنون وقد أفلح من تزكى
كان قد بلغ إلى السواد في سواده وبياضه وكاثر جيشه وبراضه وورد من موارد
النصر الجمام منه فجاش بجيوشه وحاز العريش بعريشه وزاد الداروم بزمورها
واحتلت قدامه البلاد في كل ما اعتمد عليه بأمورها ووصل إلى يافا ففتحها عنوة ونال
ونال العسكر منها بالنهب والسباء حظوة ثم حضر مجدل يابا وحصرها وطلبت منه
الأمان فأنظرها وكتبنا إليه بالإقامة في ذلك الجانب ماضي العزائم قاضي الغواصب
وان نستفتح من البلاد ما نتعجل فتحه ونقدم من الرجاء ما نيسر نجحه إلى أن
نفتح ما في جانبنا من البلاد ونتسلمه وننتهز فرصة الإمكان فيما نحن بصدده ونغتنمه
وقد كنا نهضنا إلى كل بلد من الناصرة وصفورية وحيفا وقيسارية من يتولى افتتاحه
ويستقبل من مهب النصر أرواحه فنصرهم الله على الناصرة وقيسارية فتسلموا
وتسلمت البواقي سلما ورأى من كان بها سلامته غنما ورضي بالقوم رغما
وتسلمنا نحن تبنين وهونين بالأمان بعد أن قاتلنا أهلها قتالا شديدا ألجأهم إلى
الإذعان فأما صيدا فإن صاحبها أذعن إلى التسليم بعد أن بات منا بليلة السليم
وأما جبيل فقد سلمها صاحبها وخلص من الأسر ورأى ربح خلاصه فيما تعجله من
الخسر وحينئذ سرنا واجتمعنا بالملك العادل على عسقلان وهان لنا كل ما استصعب
منها ودان وظهر لنا منها وجه الفتح وبان وأمكن كل ما نعده واستعد ولان
وزاحمنا مناكب أبراجها من المنجنيقات بمناكب وأصبنا أبدانها لما رمينا بصائب

وأصمينا مقاتل الأسوار بسهام نقبتها وعاقبناها بحبالها وعصيتها وأمددنا بجرائم
الكره أنف الطاغية من عصيتها وصافحنا ببيض الصفائح يد الرضا من أبيتها وباشرت
سهام المجانيق سواكنها بأيدي الشرفات فهتمتها ونقضت أحجار الرماة إلى أحجار البناء
فهدتها وصدعتها وغنى صعوك النقاب فرقصت للاضطراب لا للاطراب وعادت
الحجارة إلى أصلها من التراب ولما أيقن أهلها بالعطب لاذوا بالضراعة والطلب و
خرجوا مسلمين مستسلمين وانقادوا مستكينين مذعنين وأسلم البلد وجدع أنف
الكفر وأرغم وعاد منه الإيمان الغريب إلى وطنه وقر منه الإسلام العرب في مسكنه و
عند ذلك تسلمنا غزة وأعدنا إليها العزة وأتينا على الرملة ولد والنطرون وفتحنا
بيت جبريل وجبل الخليل وجميع تلك المعاقل والحصون ثم ختمنا فتوحات
هذه السنة بفتح الأرض المقدسة والحمد لله على نعمه المفرجة للكروب والطائفة ظ للقلوب
المغنية وقد جعلنا هذه البشارة القدسية بما هناه الله من الموهبة السنية وهناه
من المنحة الهنية لمملوكنا حسام الدين سنقر الخلاطي وأمرناه أن يسير فيها من أصحابه
من يقوم فيها مقامه والمجلس السامي يشيع سناها ببلاد اليمن ويجلو عروسها
البكر في حسنها الحالي وحليها الحسن ويشكر نعمة الله التي خصنا بها وعمت الأمة
ويديم شكرها فإن دوام الشكر يديم النعمة لا زال المجلس مشكور النية
عالي الهمة منصور العزمة إن شاء الله تعالى وحده

ودخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة

والسلطان مقيم بعكا وربيب الربيع رضيع ووشي الروض وشيع وصنيع القطر نصيع
وشمل اللطف جميع ونضا الفضائل وسيع ومواد المراد مريع ونسيم الأسحار لأسرار
الأزهار مذيع وأريج الجو العليل في شفاء غليل الجوى شفيع والدهر قد تهلل وأفاق
والزهر قد شمل الآفاق وللسحاب سحابات وفي الشعاب أعشاب وخدود الشقائق
محمرة وثغور الأقاحي مفترة وعيون النرجس مصفرة وشفاه المنابع مخضرة وأحداق
الحدائق الناضرة ناظرة ووجنات الجنات النامية زاهرة وغزلان المنابت
متموجة وحافات المناهل مدبجة وجباه الغدران متغضنة وجفون النور
متوسنة والأفنان مورقة والورق منطقة وخد الخيري متورد وجسد العرار
مجرد وعرف البهار قد تأرج ووجه الجلنار قد تضرج وعذار البنفسج قد تبقل
وعذار الريحان قد قبل وشارب النبت قد طر وهارب البرد قد فر وسر الصيف
قد سرى وطي الطيب قد حفل ودر وتقاضى السلطان غريم عزمه بدين الدين
وآن أن يصحر ليث بأسه الخادر من العرين فأبرز مضاربه وجهز كتائبه وضرب
سرادقه وعرض سوابقه ونشر بيارقه وحشر رواعده وبوارقه وأنفق خزائنه
وأنفد دفائنه وبذل في صون الدين دنانيره وأشعل في حفظ ماء الهدى على العدى
ناره وسار على سمت حصن كوكب وعن قصده ما تنكب ونزلنا عليه في العشر
الأوسط من المحرم وما منا إلا من له بقتال العدو وفيه لهج المحب المغرم ولعزمه
وهج اللهيب المضرم ووجدنا كوكباً من سمائها كأنها الكوكب وظن الفرنج أنها لا تنكى ولا تنكب

وهي من المصاعب لا تترك ولا تركب فأحطنا بالحصن وخيمنا حوله واستمددنا قوة الله
وحوله وزحف إليه الرجال وتناوب عليه القتال وركب إليه السلطان ورازه و
استصعب اختباره ورأى أن مقاتلته تطول وأن مستكنه تغول وأن محاولته في
مطاولته ومصابرته في مصابرته وإضاقته في مضايقته وأن ما في هذه الحال اقتضاء
تعذر اقتضاض عذرته ولا مطمع الآن في فرع ذروته ولا قرع مروته وكان في خواصه
وأهل استخلاصه لم تجتمع عساكره ولم تتموج زواخره فأقام هناك بالتدبير مشتغلا
وللاشتغال مدبرا وبالاستظهار متأيدا وبتأييد الله مستظهرا حتى رتب على قلعة
صفد خمسمائة فارس من كل مجرب للحرب ممارس وسلمهم إلى طغرل الجاندار
لمرابطتها بالليل والنهار ووكل بكوكب قايماز النجمي في جمع من كل مقاتل
ناصر للحق وللباطل خاذل وكان سعد الدين كمشبه الأسدي بقلعة الكرك موكلا وبحفظها متكفلا

ذكر حال الكرك في أول الفتح

وقد مضى ذكر وقوع ابرنس الكرك في الشرك بمعسكر يومه في المعترك وافتتاح
الفتح بحتفه وبسط كف الانتقام عليه بقبضه وكفه وأنه أخذ رأسه وقطع أنفاسه
وقلعت أسبابه وكانت زوجته ابنة فليب صاحبة الكرك بالقدس مقيمة ولحفظ معانيها
مستديمة وحصل ولدها هنفري بن هنفري في قبض الإسار وقيد الخسار وعمة الانكساف
والانكسار فلما يسر الله فتح البيت المقدس وأصبح الإسلام عالي اليد والكفر راغم
المعطس خرجت صاحبة الكرك متعرضة للخضوع متضرعة بالخشوع وبرزت مستكينة

مستكينة مستعطفة مراحم السلطان مستلينة دافعة عقيرتها بالابتهال شافعة
في فك ولدها من الاعتقال معتفرة خداها لمن شأنه التضرع مبتغية عن وجهه من
عادته التجاوز متجاسرة بحيرتها بأسوة لحزنها بأسيري وهي والدة تنشد ولدها
والهة دخل الرعب خلدها مطلقة ميسورها مستطلقة مأسورها نائية عن معطف
العطف لواجدها رانية بعين الذل في خلاص ساعدها سائلة في فلذة كبدها حائلة
بجذوة كمدها باسطة يدها بالقبض يدها ناثرة خرزات دموعها عاثرة بحزازات
ولوعها خافضة جناح استعطافها ناهضة في نجاح استسعافها زاجرة بنوحها
عاجزة عن بوحها وخرج معها زوجة ابنها ابنة الملك كأنها من بنات الفلك باديا
صبح وجهها البقوي في ليل شعرها الحالك مشرقة في أوجها مشفقة على زوجها بحزنه
على فداء الخليل مفترجة شفاء الغليل حادرة قد استعرت من مطالعها وأنجرت
حادرة عبرة في مدامعها منجرت ناهدة متنهدة واجدة متوجدة متعثرة
متذللة متهترة متململة باكية متلهفة شاكية متأسفة مستدعية مستعدية
عاطبة مستعطية ساكبة عبراتها راكبة عثراتها حاشية وحشتها حادثة بشرتها
وحضرت الملكة في زوجها الملك خاطبة ولفرقها الندب نادبة فتزاعت وعنت
لفكاك عانيها وطلبت بعلها الذي هو عامر دارها وبانيها فأكرم السلطان وفادتهن
ووقر إفادتهن وقرب إرادتهن وقرر زيادتهن ووهب لهن ولأتباعهن وأشياعهن
ما كان يلزمهن ويلزمهم من مال القطيعة ووصلهن بصلاته الرفيعة وحجتهن بآلاف

بكرمه من حسن الصنيعة وتفرّق نجح الذريعة واما المملكة فانه مكّن محلّها وجمع
بالملك شملها وتقرر مع صاحبة الكرك اطلاق ابنها على تسليم قلعتي الشوبك والكرك
ودخولها في معاقلها وخروج اصحابها منها في الدرك فاستحضر ابنها هنفري من دمشق
اليها واقرّ برؤيته عينيها وسار معهم من الامراء الامناء من يتسلم منهم تلك المعاقل
ويحوز من تلك العقيلة العاقلة تلك العقايل فمضت اليها مع ولدها حسنة الظن باهل
بلدها فلما وصلت قاطعوها ودافعوها عن حصونها وما نفعوها واخلفوا ظنها وخالفوها
حيث ما الفوها كما الفوها وجنحوا وجمحوا واجترؤوا وغالبوها واحرجوها وعصوها واتعبوها
وعددوا عليها الذنوب واحصوها واخشنوا لها في خطاب الخطاب واحشموها بالتنحي
عن صوب الصواب وسفّهوها وسبّوها والى موافقة الاسلام نسبوها وكلما لاينتهم
خاشنوها وكلما قاربتهم باينوها وجدت نبوة نوابها وعدمت اصحاب اصحابها وذكّرتهم
حقوقها وحذرتهم من عقوقها ولاطفتهم فتغلظوا واسترضتهم فاحفظوا واستوعظتهم
فما حفظوا ونبهتهم لامرها فما استيقظوا وانفصلت عنهم خايفة مخففة مهابة مشفقة
تخشى من ردّ ولدها الى السجن وعوده من الاصحار الى البرجن ومضت منه الى الحصن الاخر
فحصلت منه على صفقة الخاسر فانها لما المّت بالشوبك المّت من شوب كدرها و
املت نفعها فعادت بضرها ولقيت من نوابها نوايب وفي موارد المراد منها اقذاء
وشوايب فآبت بالامل الخايب والعمل العايب والخوف الصادق والرجاء الكاذب
فلما رجعت قبل السلطان عذرها واراك ذعرها واعلمها ان ولدها محفوظ وبالرعاية

ملحوظ وبالعناية محفوظ وهو في حصن السلامة الى ان تتسلم الحصون واذا بذلت
حصونها بذلنا لك منه المصون فسكنت الى الوعد وسكنت بعكا في ظل الرفاهة والرغد
ثم انتقلت قبل خروجنا من عكا الى صور واستودعت السلطان ابنها المأسور و
امر السلطان سعد الدين كمشبه في حصار الكرك والشوبك بامراء يساعدونه
في الحفظ والبرك فاقام على كل قلعة من يكفي لمحاصرتها ويفي بمصابرتها ويلبث في
مقابلتها ولا يعبث بمقاتلتها فانها تبقى على قوتها ما لم تقو من قوتها وتدوم على طغيانها
ما لم تزل عن طاعونها فلما رتب السلطان هذه المراتب ورتب هذه المآرب اقام
حتى وثق باستمرارها وتحقق حق استقرارها

ذكر ما دبّره في عمارة عكا

اختلفت الآراء في امر عكا فانها كانت مدينة متخرقة وسورها متفرقة وسورها غير
معمور ومقتضيها بلا سور دور وان في بقائها خطرا وان في اخلائها ضررا فمن اصحابنا
من اشار بخرابها وحفظ الحصون وبناء قلعة الثمين ومنهم من قال اذا اصيبت عكا
ملك البحر وملك الكفر وكان على البلاد الساحلية ثقلا وكانت بها بلاد الكفر غفلا فمن
قايل نخشى بها من ادناها ومن قايل نجدد سورها ونحكم امورها ونبقيها بحالها
ونعمرها بكمالها على ان اسوار هذه البلاد سيوفها التي هي عند الفتوح مفاتيح
اقفالها واجالوا الفكر فيمن تجلى عوايلها ويجلي عن اطلالها ويتوحد بتدبيرها
ويتفرد بتعميرها ويجتهد في تسويرها

ذكر وصول بهاء الدين قراقوش لتولي عمارة عكا

فقال السلطان ما أرى لكفاية الأمر المهم وكف الخطب الملم غير الشهم الماضي البهم المضي الفهم الهمام المجرب النقاب المجرب المهذب اللوذعي المرجب الألمعي الراجح الرأي الناجح السعي الكافي الكافل بتذليل الجوامح وتعديل الجوانح وهو الثبت الذي لا يتزلزل والطود الذي لا يتخلخل بهاء الدين قراقوش الذي يتكفل جأشه بما لا تتكفل به الجيوش وهو الذي أدار السور على مصر والقاهرة وفات الفحول بآثار سعيه القاهرة فأمره أن يستنيب هناك من يكفيه لتمام تلك العمارة ويتوفر لهذا الأمر فهو جدير بالأمر والإمارة وكوتب بالحضور لتولي أمور عمارة السور فوصل متكفلاً بالشغل متحملاً للثقل منشرح الصدر بالعمل منفسح السرور والأمل مبتهجا بالأمر مبتهجا بالشكر وقد استصحب معه كل ما يفتقر إليه من أسباب العمارة وآلاتها وأدواتها وأداتها وأثقالها وأبقارها ورجالها وعمالها وعمارها ومهندسيها ومؤسسيها ونجاريها ومعماريها والأسارى والصناع والنحاتين والقطاع والمال الكثير للنفقة والذهب الإبريز والرقة ومثل بالخدمة السلطانية على كوكب وحضر الموكب وشرف بأسنى الخلع وأعطي المنشور والمركب وفوض إليه وقلده وأسعفه من عنده وأسعده ووثب جانبه وأعذب مشاربه وأوضح مذاهبه وألحم آربه وأيده وأجد جده وكثر مدده وزاد عدده وخصه بعطاياه واستخلصه لوصاياه فتوجه إلى عكا وشغله متوجه وعزمه متنبه وسره مترفه

ونكره في بياض الهدى منيره وأموره ماضيه وحكمه قاض والله عنه راض. فقام بما أتم له ونهض بالعبء وحمله ومشى بكفايته عمله وشرع في التعمير والتسوير وتسوية الأمور بحسن التدبير وسيأتي شرح ما جرى بعد ذلك في مكانه وما ظهر من حسن آثاره وإحسانه

ذكر وصول رسول سلطان الروم قلج أرسلان وغيره من الرسل

لما شاع خبر السلطان باستيلائه على البلاد واستعلائه في الجهاد وتأرجت الأرجاء بعرف عرفه وأرجت المسامع بمحاسن وصفه وعنت الأمصار لمصره وأذعنت الأملاك لملكه وانقادت الأمراء القادة لأمره وعادت هبات السحاب تفوح بما له من الفتوح وشروح إيراده وإصداره تجلت في صدر الزمان المشروح بنسبته بالضراعة كل عظيم وألقى له بالطاعة كل إقليم ورهبه ملوك الأطراف وتعلق بأسباب أداة الشرف منه آمال الأشراف وكاتبوه مستشفعين وخاطبوه مستعطفين وراسلوه بالتحايا وواصلوه بالهدايا ورغبوا إلى امتراء أخلاف الامتزاج والانتاج والالتحاف بحلف الانتساج خطبوا الوصلة وطلبوا الصلة وكان يطلب لبلده منه أمانا ولبده وقدمه من تمكينه وتأييده إمكانا وإمكانا ويتوصلون ويتوسلون ويتلطف ويتطفل ويتوسل ويستميل ويترجى مواهبه ويتخشى عواقبه ويديم التردد للتودد والقصد لبلوغ القصد فما يعود رسوله إلا برسوله ولا يقبل عليه منه إلا بقبوله ومن جملة الملوك المتقربين بالوداد المتسببين إلى حصول الاتحاد سلطان الروم

قلج ارسلان بن مسعود بن قلج ارسلان فانه بذل الاذعان وسال الاحسان وادى في
المودة الامانة وابدى للرغبة الاستكانة واستنهض في سفارته السفير الالمعي
الندب وانفذ اكبر امرائه واعظم سفرائه وهو اختيار الدين حسن بن غفراس وكان في
دولته مقدما وفي مملكته محكما وعند اهله ولايته معظما وقد استعلى عليه
واستولى واستبد بالتدبير عليه كانه بملكه اولى ولا تصرف له في ملك ولا مال
الا بتصريفه ولا تعرف له عن حادث وحال الا بتعريفه فوصل هذا الكبير بنفسه
لتمهيد القواعد وتشييد المقاصد وتجديد العهود وتاكيد العقود وقدم مكرما فاكرم
قادما وتقدم حاضرا وحضر خادما وقبل البساط وبسط وجه القبول وتمثل له الشرف
فتشرف بالمثول وحيا تحية المماليك للملوك وحفظ الادب ولم تتنكب فيه عن النهج
المسلوك فتلقاه السلطان بالبشر والترحيب والبر والتقريب واعزه بنزوله في ذراه
واعز بنزوله ذراه ووسع عليه من الانعام ما ضاق عنه امله واوصله من الجميل ما
راقت تفاصيله وجمله وشفع رسالته بالاصغاء ورفع مقالته عن الالغاء وسمع ما
جاء به واجابه واهتز بابداء ما ادى به ما رابه وشافهه بشفاهه وازواه برواية و
اواه لولايه وعرفه بالتعرف الى الايه ونصبت له خيمة مسردقة تشهد ان الاقبال
الناصري لها مصدقة ووجوه الرايات بها محدقة وعين المبرات لها مغرورقة فاقام
اياما بالامن مقيمة ومحاسن من احسان الشيم السلطانية مسيمة فلما استقام امره
واستقل واستدر له بارق البر من سماء السماح واستهل ومارام حتى نال ما رام

ووثق لاحكام المواثيق الاحكام ووصل في تلك المدة ايضا الصلاح تنلغ ابه وهو
اتابك قطب الدين سكمان بن محمد بن قرا ارسلان وافيا موافيا باختيار الخطبة و
خطبة الاختيار راغبا في تتميم الوصلة وتعميم الصلة اخذ لصاحبه ملك ديار
بكر عهدا محكما وعقدا من الميثاق مبرما وقد احضر قضاة بلاده شهودا وانتقى
لصاحبه بحضورهم عهودا وكان قد خطب لصاحبه ابنة الملك العادل ومت بكثرة
الشوافع والوسايل وكان خايفا على آمد فانها من فتوح السلطان ووهبها لنور الدين
قرا ارسلان فاشفق من استرجاعها بالحق بعد وفاة والده وراى الامن عليها وعلى جميع
بلاده من اكبر مقاصده ورغب في المصاهرة للمظاهرة وان يفتح بها باب المؤازرة
للموازرة فاواه الملك العادل الى ظل هذه المواشجة وثبت بعقد المزاوجة
حكم الممازجة فتم امنه وعم يمنه وزاد قربه وزال رعبه وجلس السلطان وحضر
عنده الاماثل والاعيان ووكلني وكان وكيل اخيه الغايب في انشاء العقد مع وكيل
الزوج الراغب فلما تم العقد بارك له واعتضد ملك ديار بكر بمكانه وبيا رصاحبه
بالبشارة مصحوبا وعاد ذيله بالمفاخر مسحوبا وقال له قد وجدت الحرز فلا تخف و
اشتد ركنك فالى سواه لا تركن وما من كبير او امير الا وقد وصل منه اكبر امرايه لينتظم بعهد
السلطان في زمرة اوليائه

ذكر رحيل السلطان على صوب دمشق

واقمنا على كوكب الى آخر صفر نستطلع منها بن كف الظفر ثم راينا انه يطول حصرها ولا يفوت
امرها وان الفتح يبطي وان كان السهم لا يخطي فامر الامراء الموكلين بها وبغيرها من الحصون

بالمقام عليها وابتذال سترها المصون ورحل السلطان نحو دمشق طاهر الشيمة ظاهر العزيمة
يباري اللواء هاديا لانواء يحكي الانوار في مطالع المضاء ودخل اليها يوم الخميس سادس
عشر ربيع الاول بالصدر الارحب والباع الاطول وتلقاه اهل البلد بوجوه لاقباله
متهللة والسنة بالدعاء مبتهلة وعيون لابداره مجتلية وقلوب بولايته ممتلية
واسماع لامره مستمعة وايدي الى الله في نصره مرتفعة وصدور بايامه منشرحة
وامال في انعامه منفسحة ونفوس على طاعة الله في طاعته مجبولة واعمال في رضا الله
لمراضيه مبرورة مقبولة ودخل المدينة وادخل اليها السكينة فوجدت الروح
بسلطانها وعادت الروح الى جثمانها وقرت به عيون اعيانها واقرت له بحسنها و
احسانها وابتدا بالجلوس في دار العدل وحضرته القضاة والعلماء من اهل الفضل
واستمع قصص المتظلمين واستمع غصص المتالمين وكشف الظلامات المظلمة ونصل
الحكومات المستحكمة ونزل لكل قصة وترا لها بكل حجة وحقق الحقوق ورتق الفتوق
واقام للشرع واتم لرجال الرجاء بعدله الوثوق وحل باثباته كل مشكلة وطب
باسعافه كل معضلة واعجبت [illegible] واصبح جناح النجاح واغرى المستعدي
واروى الصدى واحيى الجدى واردى المردي ومحق المجدي [illegible] هو
المهدي فما انقضى ذلك اليوم وانتقض اولئك القوم الا عن مظلوم اجير بالحق ومعلوم
اخرج من الرق وعالم اعين وظالم اهين وهاد [illegible] ومخلف [illegible]
عقد ومعتل شفي ومعتر كفي وما [illegible]

بالطل ابيه وابنه وراح ادنى نوبة الاح [illegible] وجلس يوما اخر للاكابر والاماثل
والاكارم والافاضل فاضاء المنادي وفاضت الايادي [illegible] الندى وصدق الهدى
وكثر الكرم وقل العدم وحفل الندى ودر الحفل وشمل النظام وانتظم الشمل وصان العلماء
بالبذل واعان بفضله اعيان اهل الفضل ونازلهم وجاز الثناء واجاز الشعراء واكرم
الكرماء وروج الرجاء واولى النعماء واتم الاولياء وتقاضاه عزمه بالحركة لاستفاضة
البركة واستضافة المملكة الى المملكة فلم يستقر به دار ولم يدر به قرار ولم يثنه في
جفنه نوم [illegible] ومن جنبيه جنب [illegible] العدى اهل الثار وكان الصفي ابن القابض غرارص
قد استجد للسلطان على بعض ابراج القلعة دارا واذهب في [illegible] ذهبا ونضارا
وهي متطاولة بين البروج مطلة على المروج مشرفة على [illegible] كاشفة غطاء
النظر عن الغوطتين صحيحة البناء فسيحة الفناء بهية البهو شهية [illegible] مجددة لاهل
الجد ذكرى اللهو نرشها بماء الورد ونرشها بالورد ونبسط بسطها [illegible] و
اعلى نورها وحبر حبورها وسرى سرورها وسوى انواع نمارقها واسمى [illegible]
وتوصل الى حضور السلطان بها في جلوسه [illegible] الزمان
وعبوسه واحضر كل [illegible] تعريض وكل [illegible] بتصريح وتعريض وكل منشد
ضاله رجايه بنشيده وكل قاصد حلاله ارجايه بقصيده وكل مغرد مغرب و
كل مطرب مطرب وظن ان السلطان يروقه تلك الحلية واحاله وتلك الجلوة و
الجلالة وتلك البقعة المشيدة وتلك الرتبة المقدسة وتلك المترف العالي

وذاك المشرف العالي انظر نظر استحسانه باحسانه وتوقع تمكينه لموقع مكانه فما
اعاره لحظا ولا اعاره حظا ولا لحظه بطرف استطراف ولا منحه حرف استعطاف
بل اعرض بنظره عن تلك النظارة واغضى عن تلك الغضاضة واشتغل عن تلك
الرياض بالرياضة فالعاقل من لا يتخذ في دار البوار معقلا ولا يجد في منازل الزوال
منزلا ولا يركن الى فناء الفناء لبيب ولا يسكن في غار الغرور اريب وكيف يبني العمران
والعمر الهدم والغنم في الدنيا الدنية غبن الغرم وقال السعيد من سعى لدار الآخرة
ونجا من امواج الدنيا الزاخرة ثم صرف في تلك الايام الصفي عن دواته وابقاه
في شغل الخزانة على مكانه وسمعته يقول في بعض محافله وقد اجرى لهم حديث من يفرح
ببنيان له كان من ذنوب الصفي عندي انه بنى في تلك البنية يدل على انه لم يوافق الامنية
وقال ما يعمل بالدار من يتوقع المنية وما خلقنا الا للعبادة والسعي للسعادة وما
خطر لنا في هذه الدار خلود بالخلد وما لنا والمقام في البلاد والبلد وما جئنا لنقيم وما
نروم ان لا نريم وما تحركنا الا للسكون وما اهلنا انا للعود الى الحزون فما يجني ثمر
الراحة الا من مغرس التعب وما يجتني نصيب المغنم الا من مغرم النصب فاين الاين الذي
تقربه العين وما نحصل السكون في المسكن ولا نهمل الوطر في الوطن لاسيما والدين يطالبنا
بدينه والكفر يستقرب منا حين حينه والبلاد سابية والبلاد هابية فلا نفوح الفتوح
الا بهبوبنا ولا ينزل النصر الا بركوبنا وعد الحزم متمما وللعزم مصمما ووصل الخبر بوصول
عسكري الشرق والغرب الماضي والحد القاضي والجمع الوافر الوافد والجمر اللافح الوافد

وان عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي قد اقبل بقبيله ووصل برعيله وقدم بجده
واقدم بجده وانه حل بحلب ثم سار عنها مبادرا وجاء معه الجيش للنجدة والجدة
جامعا فازهف العزم السلطاني خبر وصوله ووصل بالشد للرحيل عقد حلوله وكان
القاضي الاجل الفاضل ذو الجلالة والفضل والنباهة والنبل متاخرا في بيته بدمشق
لشكاة اقام في غمرها واستقام مزاجه الكريم منها وهو في ترقب زوال اثرها والسلطان
نجح بسعيه مشترك وينجح رايه مشتك وبطوله عالم وبقوله عامل وبعبارته
قائل وباشارته فاعل فاراد السلطان ان يقدم بلقائه الاجتماع وبرايه الانتفاع
ويستلم بنوره ويستشير في اموره ويفاوضه في تفويضاته ويقلده في تقليداته
ويتبرك بتيامنه ويتيمن ببركاته فانه طالما اجتلى سنا السعادة في مطالعه واجتنى
جنى الارادة في منابعه وافتتح الاقاليم بمفاتح اقلامه واحكم الممالكة بثبوت احكامه
ووافاه بامداد السعود دالوافي بسواد مداده وجاه بالوجاهة في دينه ودنياه
باسعافه واسعاده وكان قد خرج الى جوسق بالشرف الغربي الاعلى لينفرغ هناك
للعبادة ويتخلى فاصبح السلطان بكرة يوم الثلثا حادي عشر ربيع الاول على
الرحيل فقصده لابرام ما وجده في مملكته من الامر الثقيل واقام عنده بالجوسق
شفاه الى الظهر مستظهرا به على الدهر حتى كشف مبهمات مهماته ورشف شفا فامشافهته
وانتجى معه في الاراء والارب وانتجع لديه من رايه صوب الصواب وارتج ودبعه
سر الغيب ممن عنده علم من الكتاب ثم استودعه الله وودعه ودعا له الاجابة

الفاضل وشيعه تلك الليلة مخيما بالعرادة مخيما بالسعادة رائح السيادة ناجح الارادة
ثم سلك في جبل بيوس الى عين الجر الى الزلهبية على البقاع وهو مطيع امر الخالق ومتبعه
والخلق تابع امره المطاع واتى بعلبك المحروسة وخيم برج عدوسة واقام حتى امر
امورها وادر درها وقسم لها من عزله وعدل بها من قسمه وحكم فيها بفضله وافضل عليها
بحكمه وكشف الظلم والمظالم وصرف المكاره وصرف المكارم ورفع من المعالي المعالم
واجرى رسوم الاجور والمراسم وامر الرعاة بمراعاة امر الرعية وحكم على القضاة بالحلم
في كل قضية بالجهة الشرعية ثم رحل على بيت اللبوة معصوم البنوة من النبوة مصون
الكتيبة من الكبة والكبوة ثم توجه الى الزراعة وزرع الطمع قد توجه وشرع النصر
الصافي الشرعة من الكدر قد شرعه وقد حل عقيرة العسكر طرف الجو الامره وقد آن لعين
الشمس الراقدة من الهبوة ان تعاود الهبة وتنبه وزرع بالزراعة من السمر المركوزة
والبيض المهزوزة وبنات الخط وقنا الخرط وصار ذلك الفضاء الواسع محط رحال الرهط

ذكر وصول عماد الدين زنكي صاحب سنجار والاجتماع به

ووصل الخبر بان عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي وصل جامعا من الاداني والاقاصي وترك
طائعا على العاصي وخيم على قدس وخيمه قد تقدس والدين بقدومه قد تانس والكفر بقدومه
تعكس وانه ينتظر قدوم السلطان والاتفاق معه على قهر الشرك ونصر الايمان تركنا وابن
ذكاء في سفاره والصبح قد زحف على الليل برايات انواره والفجر قد نحر انهار نهاره
وسرنا بصدق النزاع وقصد الاجتماع فلقينا وقد ركب مستقبلا وقرب مقبلا ولما رآه

السلطان حياه ولقيه بالكرامة واكرم ملقاه ونزلا فتعانقا ثم ركبا وتوافقا وتساوقا
وخيمنا بقرب مخيمه وجئنا عند مخيمه وحططنا هناك رحالنا وخلطنا برجاله
رجالنا وتساعد الجيران وسعد الجوار وجد السعدان وانتظم الجمعان واجتمع
النظمان وانحدث الكلم وائتلف ادب الهمم ونال السلطان من بواره وبروره وبحضوره
حضوره وحبوره فساق معه الى مخيمه وصافاه في موكبه وانقلب الى قربه وتقرب
الى قلبه وارتفع في صدره ورفع من قدره وصار العسكران مختلطين وجلسا متبسطين و
وقف الامراء والعظماء سماطين كالسمطين وقرأ القراء واورد الشعراء وتجاذب بينهم
اطراف الطرف والآداب الادباء والفضلاء والعلماء وكان مع عماد الدين شاعره السنجاري
ابن الهائم ومن عادته ايراد المدائح في مثل تلك المواسم فانشد مدحا ونشد منحا
ثم بسط السماط وبسط البساط ومدت الموائد وجادت العوائد ونضدت الخوان ولونت
الالوان وصفت الصحاف واحضر الطهاة من كل حاجة وباجة وخروف ودجاجة وحلو
وحامض وحامز وحامض ونقيه وقابض ومطبوخ ومشوي ومصنوع ومقلي ما طاب
ما طاب مذاقه ومحضه وطالت الايدي في بسطه وقبضه فلما رفع من تاديبه
القرى ورفع باياديه الذرى قدم ما اعده للهدايا والتحف ليسنيها من الجياد المقربة
والثياب المذهبة والعدد المعجبة والاسلحة المذربة وكل ما يروق ويروع ويضيء
ويضوع ثم انفض النادي عن ندى منفض وسدى لسكر الشكر منتقض وعين السلطان
يوما لحضور عماد الدين عنده وانه يستضيف فيه خواصه وامراءه وجنده فوسع

بسوادته ووشيع نمارقه وضرب بين الخشب له الجيب بينه وابيت الحسنى لحسن بيته
وسمته واحتفل بحفله واجل لاجله وارجت ارجاوه لنادي بالند وراق مرآى النواظر
النواضر في ذلك الرواق المنمق وبسط على البسط ما حضر من الياسمين والورد وفاح
النشر ولاح البشر وفرش الثرى وشرف البرا ورفع الحجاب واشرعت القباب وتو
الاسباب وتنزهت الالباب وتضوعت نوافح النوافج ووضحت مناهج المباهج ووضعت
المطارح والمساند والاسرة والوسايد وجاء عماد الدين في خواصه وامرايه وصحبه
فتلقاه السلطان بوجهه وقرب له السرير وسر بقربه واجلسه الى جنبه وحياه بحبه
واقبل عليه بوجهه وقلبه وجلس من جرى بالجلوس رسمه وسما في الرؤوس اسمه ووقف
الامراء والحجاب والعظماء والاصحاب على مراتبهم في مواقفهم ودب للاعتزاز الاهتزاز
في معاطفهم وكان النادي مهيبا والندي مجيبا والذرى رحيبا والقرى قريبا والظل
ممدودا والفضل مورودا والحفل حافلا والشمل شاملا والبساط مقبلا والنشاط مقبلا
والمرئي حاليا والمرء غاليا والممنوع مطربا والمجموع معربا والمنظر والمخبر جليلا جميلا
والمطلع والمطلب منيرا منيلا والمكان عليا والزمان حليا والربيع في انتهايه والضيع في
انتهايه والمصيف في ابتدايه والمضيف في ابتدايه والنعيم في نضرته والكريم في
نصرته والاديب في اربه والطروب في طربه والقريب من الخلق الحسن في ضربه وكان
ايام المشمش وقد وصلت من دمشق احمالها وحلت في تلك الحالة حالها واقدم الجلال
قدومها وطلعت في ابراج الاطباق نجومها كانها كرات من التبر مصوغة او بالورس

مصبوغة صفر كانها ثمار الرايات الناصرية جلادة وفاء واحلى شوقا ولو نظم جوهره
لكان طوقا وهو احلى من السكر واعبق من العنبر واحسن هيئة من النارنج الاحمر
والليمو المركب المدور وقد زفت عروسه في الثوب المعصفر والخمار المزعفر كانما خرط
من الصندل وخلط بالمندل وجمد من الثلج والعسل فهو الذي يضرب به مثال
الثمار وتقصر من قصبه لقب الفيل ونظر منه ما نضر وما خطر ما حضر وراى منالك
لقطوفه رطاب والجوانبه طواف ولعقوده مصارف ولنقوده صيارف فكانها
وجوه العشاق الكيبة اصفرارا وجمرات تشتعل نارا وتبدي شرارا وقد اعاد جنتها
صواغ القدرة الالهية نضارا بل هي احداق الحدايق وقلوب البوارق ووجنات
الجنات صبغها بلونه البرق وصفرها من خوفه الرعد ودورها بوقده الودق لا بل
اصفرت من مهابة الجناة والتطمت من جرائم الجناة بالجهوة واضطرمت لهاها
شوقا الى فتح اللهاة ثم صرفت الاطباق ورفعت الاقاق وبسط المكان ومد الخوان
ونبهت اجفان الجفان للقدور والزبود وشبهت المراجل لغليانها بصدور ذوي
الحقود وتزيد مقال المقالي النشاشة وتزينت مقادر المقاري بالبشاشة ومادت
اعطاف المواير بالالطاف وتهادت كاسات السرادق بحوشي الانواف وهناك المسموط
والمسلوخ والمحطوب والمطبوخ والمقلو والمقلوب والمحبو والمحبوب والاغذية
والجمان والاشربة والحملان والالبان والالوان والجواني والروايب والصواني والاواني
وقد صفت البوارد وصفت الموارد وتشوفت الطهاة وتنوعت المشتهاة وحلت الاطعمة

تداهم

وعلت الأسنمة وجاشت الجاشنكيرية رابط وعاشت إخوان الخوانسلارية الغابط وتطاولوا و
تناولوا النوالات والحلاوات والحالات وكان يوما مشهودا وحوضا مورودا
وروضا معهودا وزورا قائما ودا وزورا قاعدا ودا وجمعا مسعودا وصنعا محمودا
ولما فرغت الموائد وبلغت المقاصد أحضر السلطان لعماد الدين هدايا وحياه بالجنيبين
من نجايب من خيل صفون وحصن لحون وعراب جياد من طرايف الطرنقيات و
سوابق سوابح العتاق الأعوجيات والمذاكي المنسوبات من كل مطهم مطهر الجسم
وكريم من نسل الكريم وصافن صاف في الأديم ومغرب مقرب ومجنب مكرب وسكب
مشذب ونيض سلهب ونحجوم مرد وطرف لهوم وسرحوب شيظم ويعبوب صلدم
وأجرد قود وضامر قيد وذو افتب نهد وجواد ورد ومسبح رفل حمر وأشقر امر عمر
ومفرع طموح وعتيق غير جموح وهيكل عال وعنجوج ذيال واختار منها كان طرف
قد خط من نيمته إذا قوم بألف من كل أشهب ترطابي وأشعل سوسني وأغر
صنابي وأدهم غيهبي وأحم أحوى وأشقر مدمى وأبرش مدنر وكميت مضمر وأخضر
وأدبر وسمند وأغبس ثم أحضر له ما يناسبها من التحف اللايقة والطرف الرايقة
والعدد الرايعة والأسلحة المانعة والسابريات والسابغات والدروع والزرديات
والتراس والزانات والخوذ والترايك والبواتر البواتك والدلاص الموضونة والنصال
المسنونة ومن المستعملات المصرية الذهبية والحريرية والملحم والديبقي والمصمت و
المغربي والعراقي ومن نسج تونة وتنيس كل ثمين ونفيس وما شاكله من أنواع الطيب على النمط

والترتيب ثم انصرف وعرف حمده متضوع وعرف حمده متنوع وشده وشكره وعطف
نحره منشرح ثم منسرح وأمره منجح مترح ووده مترج ودعاؤه صالح وثناؤه
صادح ولسانه داع وجنانه واع وعهده راع وسعده ساع وتصاحب هو والسلطان
في الركوب والجلوس والتناجي بما في النفوس والتدبير فيما يتقدم ويتأخر ويغرب ويقرب
ويورد ويصدر وتكررت المشاورة في الموضع الذي يبتدأ بالقصد ويوفى العزم فيها
بالجهاد حق جهده واتفقوا على عزتا وعزتها وعفرتها والنزول بعفرتها وأنها إذا ملكت
ملكت طبرية وأسفر عن صبح فتحها الغلس وأقام العسكر أياما على قدس وبقيس النصر
قد دنا نيره ولسان الظفر قد حسر وإلى الغرب وإلى الأرب واجتمعت الجيوش وجاشت الجموع
وآن لليل العزم المنبلج من صبح النجح الطلوع ونبعث النهوض من النعم وفاض الينبوع و
ابنعت ثمار المبار وطابت الينبوع ثم رحلنا في أول شهر ربيع الآخر إلى البقيعة تحت
حصن الأكراد وخيمنا على الربى والوهاد ووصلنا إلى الجهاد هوادي الجياد وأذنا
بجاب ألطاف الله لأجناء الأجناد وكانت الأعشاب بالشعاب وامية والشوابيب
من المشارب فاضية والقضب للقرب في طاعة الله عاصية وطار الرعب وثار العجم
والعرب وخاف الكفر وطاف الذعر ونال نفر الشرك نفر ولا سفر وتشوروا وتشاوروا
وجاروا وتحاوروا وكأنهم في قبو رحصرتهم أصوات لا ترتفع لهم من الوهل والوله
أصوات واجتمعنا على دخول بلد الساحل على التجريد للتخريب وجوبر خلال البعيد و
القريب ثم تجرد العسكر عن الأثقال وتجرأ على أخذ أهبة القتال وسار السلطان

ومعه عماد الدين زنكي وسيفه بصقاله يضحك وبدم الكفر يبكي ومظفر الدين كوكبورى
وهو الذي يوارى صارمه المشهور في دم العدى لزند الظفر يورى وصحبه من فرسان
العرب كل فارس مغرب ومن شجعان الاكراد كل قاتل محرب ومن فتاك الاتراك
كل قسور ناهس ومن صيد الصناديد كل كسروى كاسر وكل كمي كبش واكديش على اكديش
وقارح على قارح وخضم على سابح وجرى جارح جارح وبهمة بطل وجبل على جبل ونجل على نجاب
وذمر ورد على ورد ومرد على جرد وحلس وحلس وباشر بالموت معبس واميس البس و
احمى احمس وغشمشم همام وابهم مقدام وباسل ذى باس وعاسل عاسر ورئبال على رئبال و
مشتمل على شمال ونجم على نجم وصقر على صقر وركبوا اسلاهيهم وجنبوا اخايهم وجروا على
الساحل سيولا وجروا بالذوابل ذيولا وطار ابليس طرابلس نحوا في الخوف ودام الجوى في رعب
اهلها بدم الجوف وما سار الا من خف في نهضته ونهض خفته واحس حس الاكراد بالاكراد
وصفقت على صافيتا بوارق البوار وقطع عرق عرقا وعرقت وتعرضت العريمة وتعرقت
ومزعت تلك الاعمال ومزقت وارهقت وازهقت ونوت انقارها ونوت ابقارها
وملئت بالدواب دبارها وسبقت مواشيها وحشيت بالنيران حواشيها ونزل السلطان
على حصن الحمون نماغرة والحمونة وابتذل مصونه واستخرج مكنونه وفتحه منحه وماه
بالدماد وصحه واقام في تلك الديار عشرة ايام يجوسها ويدوسها وقد حيزت له نفايسها ونفوسها
ثم رحل بمغنمه وقفل الى مخيمه وعاد العسكر مسرورا منصورا مجبورا موفورا بعد اطلع من
تلك البلاد على العورات واضطلع بالغنايم من تلك الغارات وتمكنها في الاعماد والعمارات

وانقضى شهر ربيع الاخر وذلك المرج يموج بالعساكر موج البحر الزاخر وقد وصل قاضي جبلة
يحث على قصدها ويحض على انجاز وعدها ويحرض على اغتصاب وردها ويحقق ان الظفر في
هذه السنة يبتدى من عندها ويقول ان لا اشتغال بطرابلس مع احترازها واحرازها
وكثرة ناسها وتدرعها بلباس باسها واستعدادها للجلاد وتحصنها عن الاجلاد بتربص
الزمان ويفوت الامكان وهذه جبلة وما وراها من المعاقل قبيصة للحابل وفرصة
للمتناول ولهنة للآكل ونهبة للناهل وامنية للعاقل فما دونها مانع ولا عنها مدافع و
هي على غرتها وغرورها وغفلتها وفتورها لم تفترع عذرة امنها ذعر ولم يغش سورة نفعها
ضر ولم يقرع باب يسرها عسر فان سلكنا سبيلها ملكنا سلسبيلها وان حزنا ساحتها حزنا
راحتها وان استقدنا املاكها ملكنا قيادها وان عبدنا جوادها حوينا عتادها وان انتحينا
بها فتحناها والمسلمون بجبلة مجبولون على التسليم مؤملون ان تبدل شقاهم منكم بالنعيم
يعرفناه بصحته ورايناه بحجته واصغى السلطان الى قوله واصفى له ورد طوله واقبل عليه
وقبله واجزل له العطا واكمله وكان قد وصل له مقدمو جبل بهرا فوافق لهم رواتهم
واجرى وخلع عليهم وشرفهم واسعدهم بالمواهب واسعفهم فندبوا الى اتباعهم وكتبوا
الى اشياعهم واجمع السلطان على دخول الساحل بتلك العساكر والجحافل ورحل يوم الجمعة
رابع جمادى الاولى حاملا لجحفل ساير القسطل ماضي المنصل فسرنا في آجام متشبهة و
اكام متشعبة وحزون وسهول وشعاب وتلول ومعالم ومجاهل ورابى وهواجل
ومعابر وغياض وارتفاع وانخفاض حتى خرجنا الى ساحة الساحل ونزلنا بها مبارك

مبادرنا مواحي ديسوم تلك النواحي المواحل ومعنا احمال واوساق واثقال واسوق
وازواد وامداد وعدد واعداد والخيل عرمرم والسبيل عرم والمحجر لجب والغيل اشب
والاسد في عريس من الاسل العراص والفوارس الصلاد في غدران من السوابغ الدلاص
وقد نشا العجاج كعجاج الثجاج النشاص فانجلت تجلو لنا معاقد المعاقل واعتلت باستيلاء
نحو لنا عقايد العقايل وجلت لخطبة سيوفنا كرايم الحوالي والعوالي ونحن في استباحة
واستباء واصطلام واصطلاء وارتياد وارتياء وفتك باعداء وسفك لدماء وتبك
لرقاب ذوي الفجور وهتك لحجاب ذوات الخدور ونال من العدو كل نيل ودير
عليه في دايره كل ويل ثم انقطع الاودايا بغيظ الكفار ولا نحصر الانادي بان يرهم به
الدمار وسرنا الساحل في مترامات حتى وصلنا الى انطرسوس يوم الاحد سادس
الشهر فاحدقنا بها من البحر الى البحر وزحف اليها الناير وخف عليها الباير وخاب
رجاء رجالها وخبت نجوها الياير وقاتلناها ساعة فلم يجد اهلها للدفاع استطاعة
ودخلت من جوانبها وتخللت من مذاهبها واصابتها نوايبها ونابتها مصايبها وفك
عن بها وجبت غاربها وقتل من لحق من رجالها ونهب ما وجد من اموالها ونقل ما صودف
من غلالها وسبي من اخذ من نسايها واطفالها واعتصم من نجا بحصن اختصا بالامتناع
وهما هناك من احكم القلاع وفي احدهما من الداويه جمرة الكفر ومعهم مقدمهم الذي
اطلق من الاسر وفي البرج الاخر المنهزمون الناجون والفارون اليه اللاجون فنزل
على هذا البرج مظفر الدين بن زين الدين فابدى لمن استنزفيه وجه الناميين وحركهم

الى الخروج بالتسليم ووثقوا بامانه وامنوا بميثاقه ومكن كل منهم لسلامته من تسلم
مكانه فلما ظفر مظفر الدين بالبرج هدمه وهده وحل من احكامه ما الكفر شده وركب
النقب على ركنه العالي فنكبه في ذلك اليوم بما نكبت عنه نوايب الليالي وخرب الى
اساسه سوره ورمي الى البحر محذوره وامتنع برج الداويه برايها الدوي واتبع
مرد لهم في النفس دهوى طاغوتهم الغوي واقام العسكر حتى نقض اسوار انطرسوس
وقوضها وربضنا بها الى ان عفينا ربضها فلما امتنع البرج تركناه وما كانت فيه فرصة
لو ادركناه وكيف كنا نشتغل بفتح برج عن فتح البلاد وللفرص اوقات هي لها بالمرصاد
ومن يسلك الجدد اللاحب لا يعرج على بنيات الطريق ولا تستغني مدلج الليل بادراك
عن الفلق ورحلنا عنها رابع عشر الشهر شاهرين على الاعادي سيوف القهر ونزلنا
على مرقية وقد خلت من اهلها وتخلت وتشعثت عمارتها واخلت وكان جوازنا الى جبلة
على الساحل تحت حصن المرقب وهو معقل للاسبتارية عالي المنكب سامي المرتقى و
المرقب ضيق المذهب عسر المطلب فلم يكن بد من ذلك المضيق وسلوك تلك الطريق
وقد صف الفرنج في البحر المراكب وسدوا المذاهب وردوا الراجل والراكب و
فوقوا الجرخ للجرخ ويبددوا الزنبورك للقرح والطرح نغير العبور وكثر العثور
وامتنع الجواز ووجب الاحتراز واعوز الظهور وظهر الاعواز وذلك ان صاحب
صقلية رام ان يكشف عن الفرنج البلية فجهز اسطولا لجهاده مستطيلا وحمله من
عدد القتال وعدد الرجال عنا ثقيلا واتفق وصوله في تلك الايام في ستين قطعة

تخيب كل واحدة منها قلعة او قلعة من كل شيء من شانه شن الغارة ومن عادته
العادية تشعيث العمارة مع طاغية يقال له المرغريط فقد عرف منه التوريط
من اجناس الطواغيت والجنس العقاربة توصل الى طرابلس بطوله واسطوله وصوله
وصول له فما اخلى ولا امن ولا نفع ولا اضر ولا استقل ولا استقر ولا انقض ولا ابرم بل صاد
على العرج وبالا واحدث لهم ما يسوءهم من مونته ايجالا وما خفف عنهم بل زادهم
على الثقل اثقالا ووجد الكفر في اوان نوائبه فلم يشفع ولم يرتفع شان شوائبه وصار
الى صيدا ثم رجع الى طرابلس وتردد في البحر وتلدد وابلس وتفرقت جماعته وتخلت
شجاعته واضطرب في البحر اشهرا لا تظهر له راي ولا يرى له مظهرا فتقطعت اتباعه
وتتابعت في الفرار اتباعه حتى عاد في عدة يسيرة وشدة عسيرة وكان هذا
الطاغية قد حضر يوم عبورنا تحت المرقب بمراكبه مصفوفة في البحر من جوانبه
قد ضيق الطريق ولم يطرق المضيق فامر السلطان بحمل الجفاني الى هناك وتصفيفها
والستائر ونايلها والتراس وترصيفها واقعد من ورائها على مقابلة سفن القوم ورائها
الكماة النخبة والرماة الجرخية حتى تباعدت تلك السفن ودب اليها الوهن وتمنت
عليها المحن والفتن الاحن ورحل العسكر فعبر امنا وامن عابرا وسار ظاهرا وظهر
سايرا ووجرنا على مدينة يقال لها بلنياس وقد اجفل عنها النافرون ونزلنا في ارضها
وخيمنا في طولها وعرضها وانسنا بنهرها وزهرها في الاراء والرواء وحيتنا على
نواصي رياضها نواظر الانتضاء وبتنا ونجات النادي مربضة وجنبات الوادي

عريضة والنسيم العليل بليل والعزم الصحيح دليل ورسم العدو محيل والقدح
الفوز من تاييد الله لنا مجيل واصبحنا على الرحيل مبكرين نسا صباح المنذرين
وسرنا وسرنا في بحر وبر وسفرنا في سفر وجمعنا في اجتماع وجدنا في ارتفاع و
نهجنا في اتساع وركبنا في امتناع وعارضنا نهر عريض عميق ما فيه طريق ومو
مطرد من الجبل الى البحر فازدحم العسكر عند ذلك النهر وتواقعت الاحمال والاثقال
عند العبور وليس عليه الا قنطرة واحدة فتصادموا على ذلك الجسر وسار السلطان
فوق سطح الجبل وعبر واستتبع عسكره زمرا بعد زمر ونزل عشية الخميس على
بلدة وعانت الاثقال في تخلصها من الشدة الشدة وتكاملت ولها حين انتصف الليل
ووصل الى العزارا السبل وهذه بلدة كانتها بلدة على شاطئ هذا النهر وساحل
البحر حصينة البناء مصونة الفناء قد حصنها الاسوار وحسنها الاستظهار وقطعوا
عنها سلوك الطرق بتعميق ذلك النهر المخترق والفينا بلدة ايضا خاوية على العروش
خاوية للوحوش خالية من الانس والانيس كان لم تغن بالامس وقد انزعج اهلها و
تشتت شملها وتخوف امنها وعدم السكون ساكنوها ه

ذكر فتح جبلة ه

واشرفنا على جبلة يوم الجمعة ثامن عشر الشهر وقد اشتهر موسم النصر واستدعي
على الكفر رسم القهر وكان قاضي جبلة قد تقدم في السابقة وسبق في المقدمة واقدم
على نصرها بالعزيمة المصممة فلما بصر مسلموا البلد بما وضح في البحر من الجرد وسبح

من الظفر المتضافر المدد خرجوا مستسلمين مسلمين متمسكين بعز الإسلام معتصمين
وعلت على الثغور الرايات الناصرية المنصورة والتهجت بحمد الله الألسن الشاكرة
وابتهجت القلوب المحبورة وتحصن الكفرة من الجبن ولجأوا في النجو إلى الحصنين فلاذ
بالحصن الذي على الميناء فالتاذ بحصانته ومنعته خميسنا وعاذ معظمهم بالأكثر من البلد
وهو المعقل الأكبر وتوسط لهم قاضي جبلة في أخذ الأمان بعد قبض الرهائن على أن يعيد
من استرهنوه في أنطاكية من أهله ويجمعوا شملهم بشمله ويسلموا الناكل ما لهم من سلاح
وعدة وخيل وذخيرة وغلة وتسلمنا الحصنين يوم الخميس وعاد اماما مولين من الإسلام
باليسر وكرمت بالكرم جبلة جبلة ونفت عنها بالفئة المقبلة الفئة الشقية المخبلة
وسعد أهلها بعد الشقاء وتعوضوا من الشدة بالرخاء وأفضى اليأس بهم إلى الرجاء
وفاء وإلى الوفاء وانتقل الجيد لجبلة طائعين بعد العصيان مصافحين بالمصافاة
بأيمان الإيمان وكان حصن بكسرائيل قد تسلم من قبل واتصل بفتحه الجبل فرتب فيه
من حكم على ذلك الجانب وأهله وكانوا القاضي جبلة منذ عنين بأمانه مؤمنين و
لدعائه ملبين ولبقائه محبين ونجوا من العار والنار وضيم الكفار وتناجوا
بالاستبشار والاستنصار والاستغفار والاستنفار وأضحت تلك الولاية لإحيائها
واليه وتلك الناحية على سكانها حانية وتلك المدينة لأهل الدين دانية و
تلك الجنة العذبة المجنى لورد دم الجناة من شوك القنا جانية وتلك البنية لمعالم
المعالي في هدم أبنية الإساءة بانية وتلك الهضبة راسية والتربة كاسية والرتبة

سامية والربوة رابية والذروة عالية والحالة حالية وأقام السلطان بها أياما
حتى أزال شعثها وأزاح خبثها وأب صدعها ورتب ربعها وشاد ركنها وشدد حصنها
وبالعدل عمرها وبالفضل غمرها وبالرعاية [illegible] وللرعية كلأها وتجلى قاضي
جبلة وشرفه وحبس عليه ما كان نفيسا وقفه وصرفه في أملاك آبائه وحكمه في ولاية
حكمه وقضائه

ذكر فتح اللاذقية

ورحل ثالث عشري الشهر يوم الأربعاء منشور اللواء منصور الأولياء مشكور المضاء
عالي القدر نافذ العلاء ناجح الآراب راجح الآراء وسار يرغب إلى العدو ويتقدمه
وعزم على الغزو يصممه وأمر لأمراء الأحكام بحكمه وجد على تربيتي الدين سقفه و
جد في تدمير المارقين برهقه وسعادة تؤيده وتأييد من الله يسعده ويسطوه
على الكفار برسلها وحدة في أهل النار يشعلها وجيش للوثبات ببسطه وجأش
بالثبات يربطه وهيبة تروع الخواطر وهيئة تروق النواظر وبتنا تلك الليلة
بالقرب من اللاذقية معرسين وبات الكفرة مبلسين فلاذوا من حصن اللاذقية
بجبل عاصم وعروة كل قلب لهم من الرعب في يد قاصم والخوف عليهم مستول والذعر
فيهم مستغل والأفئدة منهم خافقة والأيدي بهم متضايقة والمهج في سوق الردى
نافقة ونحن طول الليل من السوابغ في جر الذيل ومن السوابق في إجراء الخيل ومن
نشاط العزم في اهتزاز ومن احتياط الحزم في احتراز ومن انتخاب الأجواد والجياد في
انتحاء ومن انتقاد العتاق والرقاق في انتقاء ومن انتهاض الرياح العواصب في انتهاء

حفظها وحصنها وحرسها وعمرها

ومن انتصاب الارواح بالقواضب في اقتضا، والمقربات تسرح والسريجيات تقرب
والمقانب تكتب والكتائب تقنب والصوارم تنتضى والصرائم تنقضى والقوارح تقتمر
والقرائح تختمر والصوامر تجرى والبواتر تفرى والصلاد تلجم والدلاص تستلام
والجنايا تنثر والمنايا تؤثر والجالشية تعبى والجاووشية تلبى حتى اصبحنا يوم الخميس و
الخميس مصبح والمنجنيق مرنح والفجر متوضح وللجاش فرح وللجيش مرح وقرح العدو
مقترح وزند الفتح مقتدح وباب السماء لنزول ملائكة النصر مفتتح واخذ فنا
بالعلاج وقلعنا الاحجار وخطنا بابرتها من موثقها الاماق واخرجنا منهم بالارهاق
الارماق وانهضنا اليها الحجارين والنقاب والمزراق واطرنا النشاب الى اوكار المقاتل
واذقناهم رسل النصال بكتاب لاجل وسمعنا من صوصا بهم زجل الوجل ورأينا تغلى
من صدورهم بنار الحقود مراجل الغلل واشرفوا من الشرافات بغلهين متقلقلين
ما بين تلك القلل وجدوا في القتال وشدوا على الرجال ومدوا اظلال الضلال
واجتهدوا بالنصال في النضال وردوا النبال بالنبال وسدوا مذاهب الاهوا بالاهوال
وهناك في الزنبورك بورك فانه بالجرح دورك وقلنا للكفر اخرج لتدخل الى
دورك واى دار دونها التوحيد باهل الشرك شورك وطالما سكنت دارنا فاخرج
ودرجنا اليها فادرج ومازلنا نقاتلهم بسوادنا بياض النهار ونغطى سنا يومنا
بليل الغبار ونرفع من السور حجارة بالحجارة حتى فرغنا بتمكين النقاب وللحجارين اخذت
عليهم النقوب وقدت منهم القلوب وبلغ النقب من الشمال في الطول ستين ذراعا

واربعة اذرع في العرض اتساعا وهى ثلث قلاع متلاصقات في طول التل
متناسقات كانهن على راس راسخ وذروة اشم شامخ فسهلها الله لنا ذرعا
وشرعنا نبتنى اصلها وفرعها ونتا وبنا عليها القتال وجاوبنا بالنصال النصال
واوضعت بنا الكنائن بطعان الضغائن واثارت من مكامن الاحقاد كوامن الدفائن
ودام الرماء ومريت الدماء وانجع النجيع ووقع ذلك الوقيع واستبطى السريع وتخطى
الصريع وانصروا املا عهد لهم بمثله وعاينوا ما عاينوه من غريم الموت المطل في
مطله وفتح الحتف بابه وحفز الزحف اصحابه وكشر الشرك نابه وصادف الكفر
لدمه المطلول مصبه ومصابه ونفر الناس اليهم واستطالوا عليهم وطمعوا فيهم و
الاجال تظهرهم والوجل تخفيهم وهم من وراء اسوارهم بواكى بوارهم ووبل النبال
هامر واهل الجنان في ضراب وضرام وحمى الجمع في النهاب والتهام ووقع ما هم
الزمع ومنا فيهم الطمع حتى ازدحم على التل الصغار والكبار واستشعروا امتنا
الاستشهاد وكان لهم مملوك صغير قد زحف وارهقوا زهف فتقبل خده بينهم فرج
واذا وجهه طلق وهو بفرحه فرح وللفرح بالشهادة مقترح وقد عدله الجرح
وجسته الفتح فلما عرفوا انهم مدركون وانهم يوخذون ولا يتركون صاحوا الامان
واستماحوا الايمان وذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الاولى عشية
وكان فتح ذلك المعقل من الله مشيئة فانه موضع ما فيه مطمع ولم يكن للكفر
غيرها مفزع وصعد اليهم فاضحى جبلة يوم السبت غدوة وكان ذلك الفتح صلحا
عنهم

اشبه عنوة وطلع السنجق المنصور وانجلت الظلمة وتجلى النور واشرق الفلق وزهق الديجور
وبرا الفجر وباد الفجور وبرت القلوب واقبل السرور وسلموا القلاع بما فيها من عدة وذخيرة
واسلحة وخيل ودواب كثيرة وامنوا على انفسهم واموالهم وانصرفوا برحالهم ونسائهم
وذريتهم واطفالهم وخففوا من اثقالهم ودخل جماعة منهم في عقد الذمة وتمسكوا بحبل
العصمة وانتقل الباقون الى انطاكية وابقوا الهم وحزنوا بعد رسوم السلامة العافية
العافية ورتب السلطان جماعة من خواص مماليكه واخرج من القلاع اهل الكفر واسكنها
التوحيد مصونا من الاشراك ونشر بكد ثم ولى بها سنقر الخلاطي مملوكه وقد عرف حسن سيرته
واحمد سلوكه فتولى الرعية كافة بالرعاية والكفاية وانتهى الى الغاية في نهي اولي الغواية
واقام حالها للغاية على الراي في الدراية وركب السلطان الى البلد وطافه ورم الى احصانه
اعطافه وادنى الى عدله قطافه ووفر الطافه واصفى نطافه وامنه بعد ما خافه وراها
بلدة واسعة الافنية جامعة الابنية متناسبة المعاني متناسقة المغاني قريبة المجاني
بهجة المواني وفي كل دار بستان وفي كل قطر بنيان وقدر الله ان تكون للكفرة
منها جنان امكنتها محرمة واركانها محكمة وعقودها محكمة ومعالمها معلمة ودعائمها
منتظمة ومساكنها مهندسة واماكنها ممكنة ومحاسنها مبينة ومراتبها معينة وسقوفها
عالية وقطوفها دانية واسواقها فضية وافاقها مضية ومطالعها مشرقة ومرابعها مونقة
وارجاؤها فسيحة واهواؤها صحيحة لكن العسكر شعث عمارتها واذهب نضارتها وازعج
سكانها واخرج قاطنيها وملك دور المشركين للموحدين وطهرها من رجس الكفر واظهر الدين

ووقع في عدة من الامراء الزحام على الرخام ونقلوا منه احمالا الى منازلهم بالشام فشوهوا
وجوه الاماكن ومحوا اسنا المحاسن وبظاهر اللاذقية كنيسة عظيمة نفيسة مرخمة باجزاء
الاجزاع مرصعة وبالوان الرخام مجزعة واجنابها بنضاويرها متنوعة واصول تماثيلها متفرعة
وهي متوازية الزوايا متوازنة البنايا قد تحركت بها اشباح الاشباه وصورت فيها
امواج الامواه وزينت لاخوان الشيطان وعينت لعبدة الصلبان ولما دخلها الناس
اخرجوا رخامها وشوهوا اعلامها وحسروا التثامها وكسروا اجرامها واهدوا الى لهب
ابياسها واقاموا عليها الناس ابلاسها وجلوا بعد الغنى بافلاسها وافقرت واقفرت وخربت
وثوت ثم طابت للغوير وتخلى عن البلد بفتحه البويبر عاد الى هذه الكنيسة بالامان
القسوس وهي متشوهة متشعثة متمسكة بقواعدها واركانها متشبثة ولقد
كنت اسفي على تلك العمارات كيف زالت وعلى تلك الحالات الحاليات كيف حالت ولكنها
زادت بروزي انها عادت للاسلام مرابع ولسروجه مراتع ولجموعه مجامع ولشموسه
مطالع فلو بقيت بحليتها وحالتها بعد ما تبدلت رشدها من ضلالها الشائت وراقت
وكما افاقت فاقت وشانت البلاد اذا شانت لما اسانت ثم اعادها الاسلام الى احسن
حالة وجلا لها في السنا اسنى جلالة ورغب في اعطاء الجزية سكان البلد من النصارى
والار من حبا للوطن وسكونا الى السكن فامن مامول انجاحها مرسل الجناب وعاد بحار
البحار مملوء الرحاب وتبدل بالابدال الاخيار والارباب الابرار من بعد الكفار الفجار
والاشرار اهل النار وكانت شواني صقلية قد قابلت في البحر اللاذقية لمعاني امتناعها

وطلبنا الذياد بها عنها ودفاعها فلما طابت خبت نارها وباخ اوارها وتصدت لجهلها
اخذ مركب من تخرج من اهلها لكونهم شغلوا عن صونها ببذلها فامتنعوا عن الانتفال وامنوا
بعقد الذمة على النفس والمال وكان السلطان يوم الرحيل من اللاذقية راكبا عند
ميناها وقد حصل من ثوب العمارة بها طلب مقدم تلك الشواني امانه ليصعد ويشاهد
سلطانه فامنه حتى صعد ولو اسلم ذلك الشقي لقلت سعد ولما حضر الكافر عفر وكفر
وتوقى ساعة وتنكر واحضرنا الترجمان وادى عنه البيان وقال انت سلطان عظيم
ومالك رحيم وملك كريم وقد شاع عدلك وذاع فضلك وقهر سلطانك وظهر احسانك
فلو مننت على هذه الطايفة الخايفة فامنت وافضلت عليها واحسنت لملكت بذلك
اذا اعدت بلادها وصارت لك عبيدا واطاعوك قريبا وبعيدا وان ابيت غير
الغيرة والاباء ودمت على ارهاق الدماء واهراق الدماء جا من وراء السبعة البحار
من يسد فضاء السبع الاطباق وفاق للتناصر على دفع هذا الخطب نصارى الآفاق
وثار الروم لروم الثار وخرج الفرنج انفار اللا ستنفار وسار ملوك ذوي الاقانيم
من سائر الممالك والاقاليم واني لا انجي ولا تقاوم القدر المائج وهؤلاء اهون
منهم فاتركهم واصفح عنهم فقال السلطان قد امرنا الله بتمهيد الارض ونحن قائمون
في طاعته بالفرض وعلينا الاجتهاد في الجهاد وامتثال امره فيه بالانقياد وهو الذي
يقدرنا على فتح البلاد ولا تكثرت الآياد بكثرة النقاد ولو اجتمع اهل الارض ذات
الطول والعرض لتوكلنا على الله في اللقاء ولم نبال باعداد الاعداء فلما سمع ما فهمه

من ترجمه ذهب بعد ان صلب على وجهه وركب بكرته وكر بمركبه ولم يغن خطابه عن خطبه

ذكر فتح حصن صهيون

ورحلنا ظهر يوم الاحد السابع والعشرين من جمادى والهدى في نصره بين انصاره
يتهادى وقد سبقنا ان الفتح لا يتمادى وان العزم عن الفداء بالمهج في سبيل الله لا ينفاد
واحدنا على سمت صهيون وهو حصن يفوق الحصون ويفوت العيون وطلبناه كما يطلب الدائن
المديون ونحن للاسلام ممتنون وللاعلام مجون وكان الطريق اليه في اودية وشعاب
ومناقب صعاب ومضايق عن رحاب واوعات واوعار وانجاد واغوار وقطعنا
تلك الطريق في يومين ووصلنا ليلة الثلثاء بليلة الاثنين وخيمنا على صهيون يوم الثلثاء
التاسع والعشرين ورزقنا الله التأييد والتمكين وهي قلعة على ذروة جبل في مجتمع
واديين بها محيطين من جانبين والجانب الجبلي قد قطع بخندق عميق وسور وثيق
والقلعة ذات اسوار خمسة كانها خمس هضاب ممتلية بذياب الغاب واسد
الغضاب واحاط العسكر بها يوم الاربعاء من نواحيها الاربع وهي ممتنعة علينا بالركن
الامنع والسمو الامتع ونقل السلطان خيمته الى جانب الجبل بكرة اليوم وشرع في
محاصرة القوم وقامت اسواق الافواه للمنون في مغالاة السوم ونوقت سهام
السهام من المقل وشدت بنات الكنائن من الدم القاني حمر الحلل واسقطت
حوامل المنجنيقات اجنة الصخور وكشفت صدورنا كنانات اكنة الصدور وظهر
سر الشراء وكثر مراء الرماء وزخر داماء الدماء وطارت الحجارات وجرت الطيارات

ودارت حميا الحمام على اولئك واستنجدت ملوكنا الملائك وادامت اليهم المجانيق
والجروخ والقسي الرمي المبارك واقام الملك الظاهر غازي صاحب حلب منجنيقين
ونصبهما من جانب الوادي الى ردى الاعادي طريقين وكان له في فتح هذه القلعة
الجد العالي والجد الوالي والعزم الماضي والحزم القاضي والسعي الناجح والرأي الراجح
والبأس البالغ والسطو الدامغ فانه اتصل بنا قبل الوصول الجحفلة من طريق
حماة وقد استصحب كماة الرماة الحماة ومعه الرجال الحلبية المنجنيقية والجرخية
والجاندارية والخراسانية واظهر على صهيون اليد البيضاء وكسب الذكر والثناء واثار
في فضاء الفضائل واضاء ودام القتال على المكان من جانبه ومن جانب السلطان
والملك الظاهر في نظام ملكه ونضار سلكه وريعان اقباله وعنفوان جلاله وشبا
زمان مجاراته وشباب زمان مباراته وابراق عوده واشراق سعوده وغرة عزته
ومنعة منعته وصدر تصدره وشرخ تامره وتشمره وقد وصل في اول نشاطه
ونشو اغتباطه وفتاء فتوته ورواء روئته وارتقاء ارتفاعه وايفاع يفاعه
وترعرع سنه وتعزز ركنه وتسامي سيادته وترامي سعادته واجد لعز
العزم الجد واعد لنزك الرأي العتد واستلذ في سبيل الله نصبه ورفع المنجنيق
ونصبه وجعل لرجاله نوبا ولاحواله رتبا ولقم افواه كفاته حجرا واجرى في الحلق
الجارات الجاريات من منابعه نهرا ورجم الحصن الزاني رجم المحصن واحسن الى
الاسلام واساء الى الكفر فلله در المسيء المحسن وما زالت المجانيق من جانبه وجانبنا

ترمي والجنايا بسهام المنايا تقضي حتى قتلت مقاتلة الحصن وهان بما دب فيه من
الوهن واصبحنا بكرة يوم الجمعة ثاني جمادى الاخرة وطما بحر العسكر بامواجه
الزاخرة وازدحم الناس في الزحف كانهم في الحشر بالساهرة وهاج الشباب و
ماج العباب وتسابق ذوو الجراة والقوة وتلاحق ذوو الحمية والنخوة وكان في
قرنة الخندق عند خرقه الى الوادي موضع لم يكمل تعميقه ولم يتم توثيقه فتطرقوا من
تلك الفرجة الى القنة وتسوروا السور وتسلقوا وتقلعوا الى القلعة وتعلقوا وتملكوا
الذروة وامسكوا العروة واستولى على اهلها الرعب وانتشر بهم الكرب فتعادوا
الى القلعة وتفادوا من الخوف لا من القلة وملكت عليهم ثلثة اسوار بما فيها من متاع
وسواد ونعم وانفاد وصاحوا الامان وبذلوا الاذعان ونادوا وامكنونا من السلامة
ونسلم المكان فامنوا على المال والتغيير حتى قررنا عليهم مثل قطيعة القدس و
اغلقت دونهم الابواب ويسر اليهم النواب وما استقر خروجهم حتى استخرج منهم
القراد وجبي الدرهم والدينار وعم الكبار والصغار الصغار وتولى ذلك شجاع
الدين طغرل الجاندار ثم تسلم حصن صهيون بجميع اعماله وسائر ما حواه من ذخائره
واموالة الى الامير ناصر الدين منكورس ابن خمارتكين اسد العرين والامير المجاهد بن المقدام
الهمام المطعان المطعام فالتقى الدهر سداده بسداده وامرع به مراد مراده

ذكر فتح الحصون المذكورة والرحيل

وتسلم يوم السبت قلعة العيدو ويوم الاحد قلعة الجماهرين ويوم الاثنين حصن بلاطنس

وندب إلى كل حصن من تسلمه وسلكه في سلك الفتوح ونظمه

ذكر فتح حصني بكاس والشغر

وسار السلطان ثاني يوم فتح صهيون على فتح القرشية ومشيئة الله جارية على موافقة ما له من المشيئة ونزل على العاصي في طاعة الله والنصر قد نزل والكفر قد انخزل يوم الثلثاء بسادس الشهر وتجول السوابح في غدران السوابغ مائجة على ذلك النهر وحكم السلطان في النهر ماض بإذن الله على الدهر وتسلم حصن بكاس يوم الجمعة تاسع العشر المذكور وشكا الترك نكاية حربا سنا المشكور وحول خيمة خفيفة إلى الجبل لحصار قلعة شغر وهي قلة شامخة من أعلى الفلك على هضبة منقطعة عالية مرتفعة ومن نواحيها أو أخاف من العمق غير باد في أعماق ووهاد وقد قطعت من الجبال حتى اتصل بالوادي خندقها وأخذ من العوادي موثقها فما إليها طريق ولا عليها طارق ولا فيها للمطمع علوق ولا للسهم البهام وق ولا للزحف فيها مطمع ولا للذر نحوها مطلع ولا للطير في مراحها وكر ولا للمكر في افتتاحها مكر ولا للوهم في توقلها مجال ولا للوهم في تصورها مثال ولا لها من جحفل بها الجحفال وما عليها للنار لبن عليها قتال ولا نزال ولا تغير لها مع تغير الأحوال حال وصعب شغل الشغر واشتغل بكل الكفر ولا يرى السلطان طريقا غير الرمي من المنجنيق لعله ينال جمعها بالتفريق ويداومها بالحجارات أياما ولكن يسددها مرمى ومراما فلم نعبأ بإعيائها فإنها امتنعت بزمانها وأبت الا تثبتها وتثبت على إبائها وأعيا إعضال دائها واستفحال بلائها وخام الرجاء بالإرجاء عن أرجائها ولو لم يفتحها المنجنيق برميها ويسم

سامها التسليم فيها لكنه وهي جلده وهو خلده وجاد قلبه وحار لبه وخاف من الأمان منه وخاب من السلامة وارتاح إلى الراحة وسما إلى السماحة وعاج إلى الانزعاج وعاذ لذا خوفه في الاستيمان بطلب العلاج ودعا إلى الدعة والخروج من الضيق إلى السعة فبينا نحن في تردد وتفكر وتخير للرأي وتدبر ونقول هذا حصن شديد وأمر مديد وعمل يصعب وأمل يتعب ومعقل لا يحل ومعقد لا يحل ومقصد لا يدرك ومورد لا يملك ومكان لا إمكان لفتحه وربما يطول الزمان في تطلب نجحه إذ خرج من الحصن من يضرع في الأمان ويمتري ضرع الأمن فشكرنا الله على تسهيل الممنوع وتيسير المتعسر وتحصيل المتعذر وتلقيح الرجاء من الياس وتفريج مناط حكم الفتحة عند اضطراب علة القياس وكان ذلك ثالث عشر الشهر يوم الثلثاء وسألوا في مهلة ثلثة أيام والإرجاء ليخبروا أصحاب أنطاكية ويستأذنوه ويبلوا عنده العذر ويخرجوا من الحصن ويسلموه فأصبحنا يوم الجمعة وصباح الجمع مسفر وجناب الترك مقفر والثغر شاغر صاغر وفم القهر منالهم فاغر والإسلام قد ثلم ثغر من هو له مثاغر والحصن البكر مفترع والدين المتأصل بشعب النصر متفرع وطلع العلم إلى ذلك العلم الطالع وكأنما غربات تلك الرابية مقاول الداعين وكأنما أبراج تلك القلعة مسامع الواعين وعاد الحصن أهلا بأهل الإخبات وصافح بأيدي الأيدي أيمان ذوي الإيمان فابتسم عن النعمة ثغر الثغر وفرغ القلب من شغل الشغر وسلم هو وحصن بكاس إلى غرس الدين قلج ليسقي عدو الموت بكأس الباس وانتقل السلطان يوم السبت لنجحه والإقبال جاثم في بحبحته وسرى ولده الملك الظاهر إلى قلعة برزية

انتهى [illegible] من [illegible]

وأرهقوا فيها المجرة الجائبة واستطلعوا منها البروج الغائبة وقطف بجانبها الذائبة وأخلى
مغانيها الغانية وما قطع ثمارها حتى قدر عليها قطيعة وكلفها ما كانت له من المال مستطيعة
ولم تزل عاصية بطوعها فصارت كرها مطيعة ثم خربها حتى خر بها عاليها وعطل حاليها و
أخلى ثاويها وأنأى جاليها وبقيت دمنة دائرة ودمية غائرة ورسما عافيا ودرسا
خافيا وربعا باليا وصقعا خاليا وعادت دارا دارسة مستوحشة بعد أن كانت آنسة
وكان فتحها في يوم الجمعة الثالث والعشرين فأخلى الله من السباع الضواري ذلك
العرين ومن نوادر ألطاف الله تيسير هذه الفتوحات الخمسة المتتالية في أيام الجمع
الخمس المتوالية بآية فيها لنصر أهل الجمعة بذل أهل السبت أهل الأحد وأصبح التوحيد
على التثليث قاهرا لا بل ظاهر الأبد

ذكر فتح حصن برزية

وسرنا إلى قلعة برزية وسرنا بسار ودار الظفر لنا دار وهي أحصن القلاع وأمنعها
وأحصن التلاع وأرفعها وأسمى الروابي وأسماها وأسنم الرواسخ وأرساها وكان
السلطان يشوق إليها وأشرف عليها ثم استدعى الثقل واستحضر وجمع بالفضاء تحتها
العسكر وذلك رابع عشري الشهر يوم السبت وقد تهيأت في العدد أسباب الكثرة
والكثيف ثم تجرد يوم الأحد في العدد والعدد ورقى إلى الجبل مع أبطاله النبل فرأينا
قلعة شماء في الذرى لا تكاد من سموها ترى وهي على سن من الجبال عال مترامية في السماء
ارتفاعا وقيل قدر علو قلته خمسمائة وسبعين ذراعا فأحدقنا بها وبالجبل
وقطعنا عنها متصلات السبل ونصبنا عليها المجانيق في ذلك السفح فلم نصافحها صفحا

وأبدت لنا صفحة الصفح فقد بعد مرامها وحارت الأوهام فيها وقلنا ما أعلاها
وما أسماها وتحاجرت عنها الحجارة فلها من إجازتها الإجازة فما بلغت إلى القلعة
قلاعها ولا اطلعت إلى القلعة طلائعها صدا وأو الحجر بلامع بلامعها وتقاصرت
طوالعها وكان الصخور تسلم صخورها فإن سورها تكسر دون الوصول إلى سورها لما
ولما رأى السلطان أنه لا وصول إلى نيقها بالمنجنيق وأن الاشتغال به يطيل زمان
التعويق مال إلى الزحف ولاحف جموعه في ذلك اللحف وذلك في السابع والعشرين
من الشهر يوم الثلثاء فقسم الناس ثلثة أقسام على السواء وجعل النوبة الأولى
لعماد الدين صاحب سنجار الليث الهصار والغيث المدرار والبحر الزخار والسيد الحلاحل
والملك العادل في صحابة الصباح كماة الكفاح وعفاة الصفاح ونفاة الهام وأساة ذوي
الإساءة بأحيان الحسام وكساة عري العراء أردية القتام ورقاة أرلم اللهاذم ارام
وسقاة حوايم الصوارم والمراق في حومة الوغى دماء المارقين والسباق في حلبة الهدى
بهوادي السوابق من كل شارب ماء الوريد بشفار الشفار وضارب هام المريد
بتيار التيار ولاسع لحمه الحمام في الأسل العاسل عاسل ولابس لباس البأس كالأسد الباسل
باسل ومعتقد للدين للرديني معتقل ومعتمد على العدد وبعادي معتدل ومجانب
لبوس البؤس على الموت العبوس مجان ومحتسب حب المنون لرهون نفائس النفوس محتاز
فانقضوا على الهضب وعضوا على العضب ودام الصفا بهده والصدا بغمغمه والزاحف
يتقدم ويتغمغم والخائف يختفي ويظهر والرجال تتعالى والحجار تتوالى والمصاعد ترقى

والمصاعب تلقى والمضايق تولج والبوايق تخرج والاكام تفرع والرجام تقرع والصخور تدهدي والجلاميد تبدد وما زالت هذه النوبة تنازل وتقاتل وتناضل وتطاول وتري وترمي وتدني وترمي وتنمي وتصمي وتردي وتردي وتصد وتصبر وتصدم وتصدم وتقدم وتحجم وتصدع وتصدع وتجمد وتزجع وتذكوا وتطفي وتبدو وتختفي حتى كلت وملت والجلت وتخلت وكانت غلبت لولا انها لغبت وسمت لولا انها سيمت والفت هذه النوبة خاصة لاهل الحصن خاصة فانهم تولوا بجمعهم القتال ولم يقصدوا التناوب والاستبدال ولما ظهرت في النوبة النوبة وكادحوا ادهما تاليها الكبوة تقدم السلطان بنفسه في النوبة الثانية والدولة الدابية والعزمة الناوية غير الوانية وخف في القتال من الرجال وزحف الى الجبل بالجبال وتضافروا وتظافروا في الاوعار كالاوعال وجروا كاليسيول في تلك المسايل وجروا ذيول السوابغ على تلك الهواجل وترقوا في ذراها وفرعوا على قرانها وتلبسوا بجوانبها وتوحشوا في متاعبها وتدرجوا في مدارجها وعرجوا في معارجها وخرجوا في مداخلها ودخلوا في مخارجها وصارت الجروح تجوزهم والجروح لا تحوزهم والسهام تعبرهم والاحكام تسترهم والنخوة تحميهم والحمية تنجيهم وقد نشط السلطان لتسليطهم وتنشيطهم والتحذير من تورطهم وتفريطهم فمن انقبض بسطه ومن اعرض ضبطه ومن اقبل اغبطه ومن ادبر سخطه ومن تقدم قرظه ومن تقاعس احفظه ومن تناعس ايقظه وكلما شاهدوا السلطان يشاهدهم تسلطوا وكلما اغتبطوا بما فرعوه من تلك الفوارع ارتبطوا فمنهم من

مكن للطلوع ومنهم من يمكن للولوع وتقلبوا في تلك المخارم كالقلوب بين الضلوع وعمى اهل الحصن العوا والعيا وعمتهم البلاء وادركهم الشقا فانهم ما زالوا يقاتلون بومهم من غير منا وبه جميعا فمنهم من صعد صعد بعا ومنهم من صار صريعا وظهر فيهم العنود وبرا منهم القصور وجاءت النوبة الثالثة تالية وامدت امدادها متوالية متعالية وعادت النوبة الاولى لنشاطها وزادت في انبساطها فبلغوا وغلبوا والتهموا والتهبوا وتعلقوا بالسور وتسلقوا كالنسور وطلعت القلعة وتلعت للطلعة واقتضت العذرة واقتضت النصرة واعان الفدر بفقد الاعوان وتحتمت بالفتح الحرب العوان وان اهل القلعة لما ايقنوا بانهم ملكوا طلبوا الامان حتى لا يهلكوا فلما سمع اصحابنا بالامان صياحهم وعرفوا للضراعة ابتياعهم وانتباحهم كفوا عنهم اظهارا لما امرهم به السلطان واشفاقا من سبي من يشمله الامان وكان جماعة من دهاة الخواص عارفين بطرق المناص فاظهروا ان السلطان امر اهل القلعة وانه يدافع عنهم في هذه الدفعة وجمعهم في مواضع وكانوا احرزوا النفوس والنفايس وعاد عنهم من حضرهم على ظن ان السلطان امنهم وحظرهم وبقي اولئك الافراد بهم منفردين ولحق بهم للسبي منجردين وصار من بالقلعة ومن فيها لهم كسبا وسبيا وما رأوا لحق من شاركهم في السعي رعيا وحرموا ما ارتفقوا به وحرموا الرفقا وحازوا دون العالمين النهب والسبا وملك واحد مايه وحاز الري وخلا عنه رفقه طميئة ولما تسنى ذلك الفتح وتهنى وتسهل ذلك الصعب وتهنا عاد السلطان الى خيامه

وعادت الأيام من أيامه وكانت صاحبة حصن برزيه أخت زوجة الابرنس صاحب
انطاكية وقد سبيت وجيئت فما زال يطلبها حتى أظهروها وأحضروها وكانوا بعد
هتك سترها ستروها ومنّ عليها بالإعتاق من الإرقاق وحلّ عنها وعن زوجها قيد
الوثاق وأحضر أيضاً ابنة لهما وزوجها وعدة من أصحابهم وأدخلهم معهم في الإطلاق
وجمع شملهم بعد الشتات وشعبهم وقد تصدعوا أشعبهم وقد تجرعوا خطرهم
وقد استحلوا أكثرهم وقد استقلوا جرمهم وقد استنبحوا منعهم وقد استقبحوا
وأحياهم بعد ما هلكوا وعصمهم بعد ما هتكوا وحواهم وأغناهم وقد افتقروا و
جبرهم ونعشهم وقد انكسروا وعثروا وسيرهم إلى أنطاكية من أوقدتهم على سهلها
فقرّت بأختها وأعلنت بعفتها من سترمعتها وأذاعت من شكر نعمتها بمطهر حجتها وحيّاها
الفرج في غمها والفرج في كربها وتشكت لأخذ بلدها وتشكرت لترك أختها وولدها
وأنعم السلطان هذا الحصن على عز الدين ابن المقدم الكريم المكرم والمقدام المقدم
والعظيم المعظم والماجد المجد إبرهيم بن محمد بأن هذه القلعة لثغر أفامية المجاورة
في انقطاعه مناخمة وهي لها في السلم مقاسمة وفي الحرب مزاحمة وسرت هذه البشرى
وسارت ودرّت هذه النعمى ودارت وطارت كتب البشاير وسرحت على جناح
الطاير ومما كتبت أن هذه البشرى بما أجده الله من الفتح العزيز والنصر الوجيز
بفتح حصن برزيه التي برزت لها الأرض في ثياب أثوابها وتفتحت له السماء لتنزل
الملائكة من أبوابها بل سفرت به عرائس الأيام في حلى أيامنها وأشرقت منه أنوار

الليالي في أنوار محاسنها وهذا الحصن لم يمكن وصف ما عليه من الحصانة وكان يجري
في بحر حصن للحصانة وقد عرف ما فتحناه من البلاد والحصون وسلبنا أهل الكفر بها من
السلامة والسكون وفتحنا كل مرتج لم يكن فتحه مرتجى ولم نجد من حصار أساور الدهر
به محرجاً حتى أتت أيامنا ودانى فيه مرامنا فجاءه عصرنا ونجاه أسيرنا ووصل إلينا ما عصرنا
هو في الأزل ذخرنا وكان بهذه الفتوحات فخرنا وذلك أنا فتحنا من حدود طرابلس
إلى حد أنطاكية وسقينا بماء الحديد الجاري في أنهار دم أهل الثار مغارس الهدى
الزاكية وجلونا ثغور الثغور الضاحكة وعيون العدى الباكية وهذه الحصون التي
فتحناها والمعاقل التي استبحناها لو وكلنا الله إلى اجتهادنا في فتح أحدها لتعذر دو
لو أجرت عساكر الدنيا بعددها لكن الله سهّل ويسّر وفتح ونصر وأنزل الظفر
وأن حصن برزيه لم يكن عليه قتال ولا للوهم فيه مجال ولا منصب عليه للمنجنيق ولا
مسلك إليه لسالك طريق وحضرنا حضرة متوكلين على الله في أمره غير طامعين في
فتحه ولا راجين لفتحه فانقاد جماحه وانخفض جناحه وساء صباحه وكلّ سلاحه
وتوقل الرجال في ذروته توقل النجوم في الأفلاك ونصر الله أهل التوحيد على
أهل الإشراك وفتحناه بالسيف عنوة وذلك يوم الثلاث عليه يوم الثلاثا ضحوة فإنا
لما توكلنا على الله في منازلته واستعنا به في مقاتلته نظر الله إلى الثبات وأغاث
ذوي العزائم والثبات فتعلقوا في الجبال وتسلقوا في القلال وسعوا إلى الآجال في طلب
تسني الآمال فكان كما قال الله تعالى وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر حتى من الله بالظفر

وأمنى الورد والصدر من الكدر وقد بقيت انطاكية وما لها بقاء ولا لها في الاعتصام
رجاء وقد نقضنا اطرافها واستبحنا اكنافها وشفهنا نطافها وعضدنا من دونها من اهلها
حدود الصوارم وقطافها ولم يبق في معاقلها الا القصير ودربساك وبغراس وقد تقدم
اليها الفاتحان الرعب والباس

ذكر فتح حصن دربساك

ورحل السلطان وقد نجحت آماله ورجحت اعماله وجل اقباله واقبل جلاله وعبر عند شقيف
دركوش الى شرقي العاصي وقد دانت ودنت له المقاصد العواصي القواصي واقام اياما
على جسر الحديد بجديد الجبارة شديد الاستظهار بما ظهر للمؤمنين من الربح وللمشركين من
الخسارة ثم قصدنا دربساك وجددنا بتأييد الله في حصره الاستمساك ووجدناه صعبا
مرتفع الذرى ممتنع الذرى تدرجا وناجوزاء وناجت ارضه السماء وكان عش الداوية
بل عرينهم وطالما اطال في التعدي ايديهم وعرانينهم وكانوا قد نزلوا منذ انزلناهم
من ظهور الحصن بطون الحصون وركنوا بسكنى هذا المعقل الى السكون فلما اشرفنا عليهم
اشرفوا على المنون ونزلنا عليه يوم الجمعة ثامن رجب وقلب الكفر قد وجب ووقرت
المنجنيقات سهامهم من سهامها وصوبت اليهم مسدد ذات مراميها ومرامها ورامينا هم
بها ليلا ونهارا وراسلنا اليهم امثال قلوبهم ووجوههم احجارا وكدنا لا نذر في ارضها
التي هي في السماء من الكافرين ديارا وتركنا نابسه بالحجارة رضعي واسمنا من نحورهم ووجوههم
بيض النصال في حمر المرعى واصبحنا يوم الثلثاء تاسع عشر رجب وقد شارف الفرج
النجح والنجح ووجه نجاتهم قد احتجب وقد وقع بالنقب برج من السور الخارج وظهر
فيه عروج للدارج ودروج للعارج فطلبوا على مراجعة انطاكية الامان وان ينزلوا
ويتركوا بكل ما فيه المكان فاجيبوا الى ذلك على قطيعة وردوا ما كان للاسلام
معهم من وديعة وتسلم الحصن بما فيه ثاني عشري الشهر يوم الجمعة وانجح بهذا الفتح
نجاح الحصون الممتنعة

ذكر فتح حصن بغراس

وتوجهنا بكرة السبت الى بغراس وقد صاقبنا الاعداء وضايقناهم وعليهم النفوس و
الانفاس وهي قلعة من انطاكية قريبة وانها في اسرار دلائل عجائبها عجيبة ورأيناها راسخة
على راس راس شامخة على عاص عاص ارضها في السماء وجوازها على الجوزاء متوغلة في
الشعاب متوقلة على الهضاب متسجة في السحاب مصبة في النصاب مربية على الرباب
متعلقة بالنسرين متسلفة الى الفرقدين محلقة الى النسرين ولا مطمع نحوها لطالع ولا
مطلع فيها لطامع ولا مطمح للامح ولا ملمح لطامح وهي للداوية وجار ضباعها وغاب
سباعها ودار دوابرها وغار مغاورها وغيل غوابلها ومنزل نوازلها وجعبة نبالها
وهضبة رئبالها ومذب ذبابها وكوارة زنابيرها ومغارة خنازيرها
ومرقب صقورها ومرقد نسورها ومكنس وحوشها ومعرس جيوشها فخيمنا بقربها
في المرج وقد اثارت من مشرعات اسنتنا في ظلماء نقع خيلنا مشعلات البرج وتقدم
من العسكر جمع كثير وجم غفير وخيم بين انطاكية وبينها وكان بها ناظرا بنقطته و
ارقد عينها فاقام على سبيل اليزك ودخل في حفظ جانبها في الدرك وصار يركب
كل يوم ويقف بتجاه انطاكية صفا ويسومها من الغارات عنفا ولبن بينه وبينها

الا النهر ومقابل رجسها منه الظهر وصعد السلطان في جريدة عسكره الى الجبل ووقف
بازاء الحصن ووقف المشاة على التلال فنصب عليه المجانيق من جميع جهاته وصوبت
لقم الحجارة الى لهاته ووافق امرنه بالاذعان على خلاف نهاته وقلنا للمقيم به خذ الامان
وهاته وما زالت الحجارات تساوره وصيد الصفا بالنكاية تجاوره والصخور فيه تتواقع
والبلايا اليه تتابع ثم شعرنا الا بانفتاح بابه والحاح اصحابنا عليه جماحه الى اصحابه
وخرج مقدم الداوية بسنادين الحصون يسال الامن من الحد ورده الى المحظور
ويقول انما قتينا بغرا بين بغراس القنا وبينا على حصونها من القنطاريات اجصن البنا
والمعاقل لا يحميها الا معتقلوها والبلاد لا يحفظها الا اهلوها وما في هذا الحصن الا
مقدمان وما لنا بقا وتحكم بذا وعاد الى اصحابه من السلطان بالامان وتسلمت
القلعة كما تسلمت اختها دربساك بلا مير وسلمها الداوية لما يعين فعجبنا من انقياد
اولئك الثمر واباحوها لنا وكانوا يغارون عليها من طلوع الشمس وانار في مطلعها بيننا
النسيج المنصور واذن المطاول بها من تطاول لنا بالقصور وذلك في ثاني شعبان وصير
النصر فيه ذايع بان وسلم السلطان الحصنين دربساك وبغراس الى علم الدين سليمان و
كان صاحب حصن عزاز وقد حاز الغنى به وفاز وما كان في الامراء الكبار من لا يدعي سواه
الاعواز فالزمه بهما ليعتني بحفظهما وجعله من عصمتهما على حفظهما فتسلمهما بركابرتما
واطلع من النفايس على مستودعات ضمايرهما وكانت جنيبة انطاكية قد اسعر غلتها
غلا سعر الغلة وقاساكنوها لما كانوا فيه من القلة والغرارة تساوي اثني عشر دينارا

والقوم قد صاروا فيها نيارا او بوارا وجرنا ما في بغراس خاصة من الغلة سوى
ما فيها من تفصيل الاقوات والجملة تكان تقدير اثني عشر الف غرارة فقلت كاني به
وقد نقل هذه الغلة الى انطاكية وباعها واعرض عن متاعب الاخرة وحوى من الدنيا
متاعها واذهب الغلة بذهب يغله ويستحلي مر هذا السحت ويستحله ثم يستعفي
من حفظ الثغر ويشير بتخريبه ووقع لي من الظن فيه ما كان بعد سنين فكشف عنه علم تجربته

ذكر عقد الهدنة مع انطاكية

فلما فرغ السلطان من شغل الحصون وظفر من فتوحها بالسر المصون عول على قصد
انطاكية فانها كانت مريضة على الشفا ورسم قوتها قد عفا وخلق ثيابها قد اشتفى
والدهر قد انتقم منها واشتفى ووجه الفلاح عن اهلها قد اختفى فلو صدقها وقصدها
لحصد عاليها وحصدها وكان ابن بيمند صاحبها قد عجل بارسال اخيه ووجهه يسال في
سلم يعود ببقاء مهجته وسلامة مهجته وعقد الهدنة على بلده وامن على ما في يده
وذلك لثمانية اشهر من تشرين الى اخر ايار ووافق من السلطان اختيار لكون انقضاء
الهدنة قبل ادراك الغلة وان حصادها فلا تقدر الفرنج على نخلها ونقلها واغرادها
ولم يكن له رغبة في اتمام هذا الصلح لكمال الغبطة لنا في الحرب ووفور الربح لكن العسكر
الغريب مال الى الاقامة وابى السامه واراد السلم والسلامة وقبل لهذه المدة من
الهدنة لا تزداد انطاكية قوة ولا تستجد نجدة ولا ترجوا عدة متجددة ونحن نقرب
للعود اليها مع انقضاء عدتها عدة وانا محصولها فقد حصلنا على عسلها ونقلنا نخلها

والماهي فنعمل فيها بقول الله وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وشرط على صاحب أنطاكية إطلاق
من في الأسر من المسلمين واستوفى رسولها على عقد الهدنة اليمين وسار رسولنا معه
شمس الدين ابن منقذ للأسارى منقذا وللأوامر منفذا وعلى المقاصد مستحوذا وسار
السلطان ثالث شعبان على سمت حلب والإسلام قد غلب وفاز من الفتوح بما طلب
واستغنى بما جمعه من السبي والغنيمة وسلب وجلب

ذكر وداع عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي وعساكر البلاد وعود السلطان إلى دمشق

ولما رحل من بغراس وقف لعماد الدين لوداعه وشيعه بكرامة كرم أشياعه و
خصه بعد ما يسر له من الخيل والخيم بخلع خواصه وأتباعه وأن منه بحسن اصطفائه و
جنى اصطناعه ولم ينفصل منهم الأمير موصل بصلة وخلعة مجملة وحرمة مكملة و
وعد جميل يرغب في العود وجود جزيل من سكب الجود وذلك سوى ما غنموه من الكسب
وكسبوه من غنم واستطلقوه من سبيهم واستخرجوه من فيئهم وملكوه من سبي وأدركوه
من حسنة النصر وأمانوه من سيئة الكفر واستضافوه من فتح واستفاضوا به من
نجح وسار السلطان في عسكره حامدا لله في مورده ومصدره وارتاح للعبور على أرتاح
وأنار اليمن بانقيادها وامتاح ووصل إلى حلب وحلب احتفالها بوصوله حافل و
والملك بها للاهتزاز بقدومه من ملابس البهاء رافل ودخلناها وقد خرج كل
من بها للتلقي مستبشرين بالإقبال المتضاعف المترقي وشاهدنا من النظارة عيونا
للمحاسن ناظرة ووجوها ناضرة وقلوبا حاضرة وألسنا شاكرة وأيديا إلى بسطها

إلى الله بالابتهال بالدعاء متظاهرة واقتضت حركتنا إلى الشهباء لساكنيها سكون
الدهماء وأقام بقلعتها أياما يسيرة والتقى ولده الملك الظاهر أسنى إحسانا وأحسن سيرة
وأقام به وبالعسكر ميرة المقام واتسقت الأمور بأوامره على النظام ولم يرض إلا وقد خص
عوامنا وخواصنا بالإنعام الخاص والعام وأبان عن كل منقبة وأعان بكل موهبة فما رآه
والده مدة حلوله إلا في أحاجيه والحلى بهجته وأبهى جلاله وقد أجر لعينه ونفسه قرة
وقرارا وأعد لعزمه ولحزمه استنصارا واستبصارا ثم انفصلنا عن حلب منقطعين إلى
مواصلته بالدعاء فاتصلت طرقنا المتصلة بدليلي الشكر والثناء وتنكبنا طريق المعرة و
وافينا بالمبرة الموفية المبرة ويمن السلطان بزيارة الشيخ الفقيه الزاهد التقي أبي زكريا
المغربي وهو مقيم في مشهد عمر بن عبد العزيز ومشهده وقصد السلطان
على قرابته ولقي منه في الحلم والوقار الطود الراسخ واهتدى بسجاياه واقتدى بوصاياه
ووصلنا إلى حماة وبتنا بها ليلة واحدة ولم نر عينها لما يشملها من الرعاية جاحدة
بأن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب قد كشف عنها بالبتة الكروب
وملك القبول من أهلها والقلوب وأعاد لها بالعمارة العمرية عمرا جديدا ومد عليها
من مهابته ومحبته ظلا مديدا وكانت قلعة حماة لا تعد من القلاع المعدودة المحمية
ولا تذكر مع المعاقل المرضية المرغبة وهي ذات تل منبطح غير ممتنع ولا متفسح فلما
تولاها تقي الدين قطع من التل ما كان منبطحا وأطلع من القلعة جيدا عاطيا
وعمق خندقها في الصخر وحصنها على الدهر وبنى فيها الدور المرصعة والأروقة المهندسة

المهدمة وحصنها واعلاها وحسنها وحلاها وزينها بكل زينة واعاد جاه ذات قلعة
حصينة فاضلة في الشام كل مدينة وطلع السلطان تلك الليلة الى القلعة وسر بما رأى
لها من الحصانة والرفعة ووقف الملك المظفر لعمه وجرى في الخدمة على رسمه وحضر
وامير المدينة النبوية معنا والسلطان قد اجلسنا بحضرته ورفعنا والنادي قد جمعنا
والشادي قد اسمعنا والاغاريد تطرب والاناشيد تغرب فما انفصلنا تلك الليلة الا
عن علم نشر وعرف انشر وفضل سني وعدل اجني ورسم نايل للسماح اجرى
وزند سايل بالنجاح اورى وسناء اعلى وجنى جود احوى وقنا لذوي الحاجات
القصر وازال من الظلامات الغصص واناك لذوي الخصاصات الحصص واصبحنا على الرحيل
ووصلنا العنق بالرميل وعبرنا معذرين على حمص وزدنا في الوصول الى دمشق على
طريق بعلبك الحرص وجيناها قبل شهر رمضان بايام وركنا الى ما انسنا به من مقام
ونجمع بنا شملها وتهلل باستهلالنا اهلها وقلنا نصوم مع القوم ونقيم مدة الصوم
فما لبث السلطان ولا مكث ولا نقض عهد عزمه على الغزاة ولا نكث وقال لا تبطل
الغزوة ولا تعطل هذه الشتوة وقد بقيت صفد وكوكب واخواتها وبطول مضايقتها
تبين اتواتها وقواتها فتنتهز فرصة فتحها التي لا يؤمن فواتها وخرج من دمشق في
اوايل شهر رمضان وحد عزمه رميض ولسان سعده وميض وفضله مستفيض ووجوه
الايام لايادية البيض بيض ولسان الدهر في ذكر سيره وتسيير ذكره مفيض و
جناح الكفر بنجاح رجايه ورواح مناجحه مهيض وحديث اقدامه القديم والحديث طويل عريض

ذكر فتح الكرك وحصونه

ووردت البشرى بنجح الدرك في تسليم حصن الكرك وذلك ان مدة غيبتنا في بلاد
انطاكيه لم يعدم محاصروها المضايقة والمباكرة وكان الملك العادل اخو السلطان مقيما
بتبنين يحترز اعلى البلاد من غايلة العدو الكافر مفوّبا باعادة السكون وكان صهره
سعد الدين كمشبه الاسدي بالكرك موكلا وباهله منكلا وقد غلق رهنه وبقي داوه
معضلا وامره مشكلا حتى فنيت ازوادهم ونفدت موادهم ويئسوا من نجدة
نائبهم وانحلت مصائبهم ومشائبهم فتوسلوا الى الملك العادل وابدوا له ضراعة
السائل وتذرعوا بوسائل الرسائل فما زالت الرسائل تتردد والامور احادث
تتجدد والقوم لبنو ان العادل يتشدد حتى دخلوا في الحكم وخرجوا على السلم
وسلموا الحصن وتحصنوا بالسلامة وخلصوا باقامة عذرهم عند قومهم من الملامة
والملامة وكتبت عن السلطان في بعض البشاير ما الهى بحلاوته عن ارى الشاير وهو انا
اذا عدنا الى دمشق راينا ان لا نستريح ولا ننثني عن كسر العدو وعزمنا الصحيح فقلنا
نغتنم هذه الشتوة ونستكمل الحظوة ونواصل بالغزو الغزوة ونستخلص هذه
القلاع التي شغلت منا في هذا الجانب قلوبا وعساكر وابقت لاهل البلاد في طريقها
دروبا ومعابر وبين مبدو هذه العزمة والاستمرار في الجهاد على الشيمة وردت البشرى
بان حصن كرك عاد اليه بعد الجماح اصحابه وخرج منه الفرنج ودخله الاصحاب ومو
الحصن الذي كان طاعنه حرث نغيسه بقصد الحجاز وقد نصب اشراك اشراكه

منه على طريق الحجاج فاذقناه عام اول كاس الحمام وما كنا حصنه الذي كان يعتصم
به في هذا العام واصطلى الكفر في اصطلامه الى الاسلام وتم تخلي هذا البيت من البيت
الحرام وكان هذا الحصن ذنب الدهر في ذلك الفج وعذر اهله في ترك الحج وابتسم
الاسلام حيث زيد ثغره وساق الى عقابيله الرجال بهم فالحمد لله على ما قدر
من الحسنى ويسر من النعمى حمدا يكون لما قدر ازاء ولما يسر جزاء والحمد لله الذي
انجز صادق وعده في كاذب عداته

ذكر محاصرة صفد وفتحه

وقطعنا مخاضة الاحزان خائضين في بحار المسرات المتواصلة راكضين الى مضمار المبرات
الكافلة والسلطان سائر والجنة تحت راياته مفتوحة ابوابها والنصرة تحت الويته
ممدودة اسبابها في الطلاب ابطالها اذا ودعها الفجر لم يسعها الى عشائه واذا طلع
عليها سرحان الصباح سقط من عجاجها على عشائه ونزل على صفد والصفد يد نقدو النصر
قد وقد والقدر قد قدر والعزم قد وقد وجاء الملك العادل وظاهر اخاه وصافره
فيما توخاه وشد بالراي والحزم ما الزمان ارخاه وبعث كل عن يمينه على التصميم
ونحاه وشرعنا في مداومة القلعة ومساومة البلقة وحث المجانيق لحنا بها و
حرثها بالسنة احداثها ورمتها عن قسيها بالقاسيات ومدت الى ابراج الراسيات
وامطرت عليها حجارة ولم تعطها من العذاب الواقع بها اجارة فما رفع بها الحجر الماء
راسا ولا الحجارات ميتت منه ركنا ولا المقرب باشرت اسبابا ودامت المجانيق
منصوبة قد قام دست شطرنجها والمقدم يكشف نقب السوء عن وجوه فرنجها

ودمنا عليها الى ثامن شوال ونوعنا في افتتاحها الاسباب حتى اذن الله بالفتح
فسهل ما تصعب وحضر ما تغيب وظهر ما تحجب وتيسر ما تعسر وامكن ما تعذر وتأتى و
اجاب نداء الاسلام ولبى وعلموا ان صفد ان لم تخرج من ايديهم دخلت ارجلهم في
الاصفاد وعادوا ثعالب بعد ان كانوا اسادا ونزلوا من سماء العز الى ارض الهوان فاذعنوا
للضراعة وتضرعوا بالاذعان واخرجوا اسارى المسلمين ليشفعوا لهم في الامان وصارت
صفد للمسلمين صددا وكانت بالمشركين صدفا وعادت للاسلام بعد ان كانت للكفر
ردا ومردا وطالما كانت فيها المشركون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد
السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ولقد كان زمانا للكفر جدع
ومرفقا للشرك قطع وناظرا للعدى وغض وقد شخص وجارحا له هيض وقد قبض ويدا
للباطل شلت وقد امتدت وعبرة للضلال قد جلت وقد اشتدت ونحلت المرتبة
بادواتها وتملصت باسواتها وصارت الى صدور وايراد والبعد استطالتهم القصور ثم

ذكر ما دبره الفرنج في تقوية قلعة كوكب فانعكس عليهم التدبير

لما عرف من بصور من الفرنج ان صفد لنا صفت وانها على الفتح الذي يشفي اشفت
وقالوا لم يبق لنا الا كوكب وان صلاح الدين عن قصدها لا ينتكب وقد اقوت من
القوة وهي تخشى ان لم نعاجلها بالنجدة المدعوة وقد ضعف رجاؤها لضعف
رجالها وقل ظهورها لظهور اختلالها وهذا اوان انجادها وانجادها وهي مشرفة
على العدم قد تردت واني انجادها واذا قويناها وحميناها بقيت عدة في العواقب

وعصمة من النوائب فقال مقدم الاسبارتة المتلالت ومكننا العالي ومعقلنا
المحكم ومعقدنا المبروم وحصننا الحصين ومكاننا المكين ولنا منه المربع والمنبع
المنيع والحلك المحلي والمعلم المعلى وهو نقل من البلاء على البلاد وموئل من
الخطوب الشداد ولعلنا نثبت الى ان نواتينا من البحر ملوكنا ونعود الى عادة الانتظام م
سلوكنا فما نتطى جدراتنا وما تخطى جدراننا واجمعوا على تسيير ما بين رجل من النخب المعدين
لدفاع النوب من كل جرمي نجي وكمي اكمي وجهم جهنمي وسقر سقري وعلج
جبلي وبطل باطلي وكلب كلبي وذيب شغب وعاسل معاسر وباسل باسر ومغوار
مغو ومتلوم متلو وذمر متذمر ونمر متنمر وسبع ضار وشواظ من نار وجمر من الجحيم
وحام من الحميم من شياطين يجنون الجنون ويمون المنون ويشبون الشؤون و
يهدون الهدون ويحرون الحرون ويفوتون العنون ويظنون بالله الظنون وقالوا لهم
كيف تصونون وطريق السلامة مخيف وطارق الايلام مطيف والشجي منيف والشجب
جنوب مضيف فقالوا نحن نسير ونصير في ضماير الكهوف اسرارا وعلى جياد الاطواد ازرارا
وفي اوكار المغارات الجبار اوفي اعماق السيول اكدارا وعلى ظهور الربود اوتارا
نسري ليلا ونخفى نهارا والليالي للعاشقين ستره وكم ادلج متوله وتروا النهج وان بعد
فهو في قرب عزمنا قريب ومن رام النفيس الخطير رمى بنفسه في الخطر وطار الى الوطر
وغرب الى الغرر ثم عزموا على ما زعموا وعملوا بما عنه عموا وخطروا الى الخطر و
جالوا بما الهم من القدر ومن وله القدر وتوقلوا في الاكم وتوغلوا في الاجم وتبطنوا

في الاودية وتكمنوا في الافنية واحترسوا بالكمون واحترزوا من العيون وتحركوا على
السكون وكادوا يصلون الى الموضع ويحصلون على المطمع ويدركون الطلاب ويهتكون
الحجاب ويعيدون الى الحصن وجهه وياسون بعد الياس جرحه فعثر بواحد عشر
منهم بعض المتصيدين فتصيده وقاده وقيده واتى به صاحبه صارم الدين قايماز و
استعرب من الافرنجي هناك الجواز فاخبره بالحال وان بالوادي مكمن الرجال فركب
اليهم في اصحابه والتقطهم من شعاب الوادي شعابه وركب الشجاع مسعود في طلب اولئك
الاشقياء وانتشر الناس في تلك الاكناف والارجاء فما نجا منهم ناج ولا نجح راج ولا عاش
عاش ولا حصل عاثر بانتعاش فما شعرنا ونحن على صفد بالحصار والسلطان مطل من بيت
د الخشب على من حوله من الانصار حتى وصل صاحب قايماز بالاسارى مقرنين في الاصفاد
اشقيا مقودين في الاقياد وكان فيهم مقدمان من الاسبار وقد اشرفا على التبار فان السلطان
ما كان يبقي على احد من الاسبارية والداوية فاحضرا عند السلطان للمنية فالطفهما
الله بما فيه حياتهما وناجيا بما به نجاتهما وقالا عند دخولهما وامام مثولهما ما نظن
انا بعد ما شاهدناك يلحقنا سوء فعرفت ان بقاءهما مرجو وانتظرت ما ير السلطان
فيهما وايقنت انه يبقيهما فمال الى مقالهما وامر باعتقالهما فان تلك الكلمة حركت منه
الكرم وحقنت منهما الدم واستبشرنا بانعكاس ما خاله الكفر من التدبير والتعاس
من جدوه بالتدمير وفتح الله لنا مقصدنا من شوال فشكرناه على ان مد
النصر متوالي وسلمت القلعة الى شجاع الدين طغرل الجاندار فهو بها والي

ذكر حصار كوكب وفتحها

وجئنا إلى كوكب ووجدناها في مناط الكوكب كأنها وكر العنقاء ومنزل العواء قد نزلها
كلاب عاوية ونزعت بها ذئاب عاوية ونزت فيها سباع ضارية تحميها وأبت النزول
على أمنتها ولو بنزول منيتها واختارت العطب على العطاء واثارت خلف الخلف والشقاق
للشقاء وأبت غير الإباء وبصرت بالأمر وصبرت على الضر وأصرت على تحمل الإصر وتوامت
على التعامي بالمصائب وتعامت عن المرامي الصوائب وقالوا لو بقي منا واحد لحفظ بيت
الاستبار وخلصه إلى الأبد من العار ولابد من عود الفرنج إلى هذه الديار فتجلد للاصطبار
وتشدد للانتظار فقاتلوا أشد قتال ونازلوا الجد نزال دون الجروح المثخنة و
ضربوا الصخور المردية ورفعوا المنجنيقات الموجية وتواترت زيارات الزيارات الموترة
وتوالت نوايب الزنبوركات المطيرة واجترؤوا على الاجتراح وجرى سيل الجراح ودمنا
في الدم ورد الوجود إلى العدم وجربه الرجال والجهد للقتال وإيثار الجنايا وإيثار المنايا
والرمي في المنجنيق والجمع والتفريق والرتع والتحريق والنقب والتعليق والحفر والتعميق و
الحصر والتضييق والهد والهدم والوجد والردم والصد والصدم وكان الوقت صعبا والغيث
سكبا وتكاثرت السيول وتكاثفت الوحول ودامت الديم لدموعها مريقة وبقيت الخيم
في الطين غريقة فلا لمركب مبرك ولا لمربط ولا لسالك مسلك ولا مستقط وكنا في شغل
شاغل من تقلع الأوتاد وتوتد الأقدام ووهاء الأطناب ووقوع الخيام وكان الخيم مناخل
للأنداء وعدمت للأنواء لوجود الأنواء وفقد ما للشرب مع سيل الماء والروايا ما نهضت ولا

برعت ولا غمضت والرواحل في الطين باركة وبالحبو متداركة وللعلف تاركة والمطية
مطينة وسبل السبل مشتبهة وقد كثر البرد بالبرود عن أسنان عضاضة بالبرد والطرق
زلقة وهي مع سعتها ضيقة وللتنقل نقل وللعلوق عقل وما ثم إلا مايط بالطين وصعب
علينا بصعوبة هذا الأمر أمر أولئك الشياطين فنقل السلطان خيمته إلى قرب المكان
لتقريب وجوه الإمكان وبني له من الحجارة ما صار له كالستارة فحضرت بين يديه والسهام
تعبرنا ولا تذعرنا والستائر تسترنا عنهم وعليهم تظهرنا والنقاب قد بالغ وعلق و
الجرخي قد هتك الحجب وخرق ونجد الجند وأنجد الجد وتزلزلت الأثقال والخيم إلى أسفل
نخفف لينقل الثقل وطاب المقام بالغور وسهل بالسهل وتحولت الشدة إلى اللين
وتحللت إلى الطيب عقد الطين ومازال السلطان ملازما للحصن وهناك ظاهرة له منه
أسباب الوهن حتى علق بعض جدرانه وطرق الهدم في بنيانه فتسلمه بأمانه وأذهب
سكون سكانه فأخرجهم عارين وأخرجهم راغمين وتركوا الحصن بكل ما فيه وأصبحوا
بعد مفاتنته للعفو والمعافاة معتقبه وذلك في منتصف ذي القعدة واستصفت الأيام
بحل تلك العقدة ورجعت الليالي بالسكون إلى الطيب الرقدة وعرضت القلعة على جماعة
فلم يقبلوها وخلوها وأبوا أن يلوها وتخلوا عنها بهم وأمنية فولاها قايماز النجمي على
كراهية بعزيمة عن مهابتها وأمنية لا أمنية واستقل السلطان إلى المخيم بالفضاء وحمد الله
على نضاء التوفيق وموافقة القضاء وودعه الفاضل الأجل على عزم مصر بعد ما
استنهك لتامرة مقامه بصدق اهتمامه وجد اعتزامه الفتح والنصر ثم تحول السلطان

الى ارض بيسان وازال البوس وزاد الاحسان واقام بقية الشهر في تمهيد مجد بقيم باقي
الدهر واظهر من الفضل ما لم يكن مستورا واعطى الامرآء والاجناد في انفصالهم دستورا
وسار معه اخوه الملك العادل مستهل ذي الحجة واضح المحجة لائح البهجة واوجها الى
القدس في طريق الغور وراءه للبركة متوكا بالزور ووصل يوم الجمعة ثامن الشهر و
صلى في قبة الصخرة وخص ذوي الخصاصة بعميم المبرة وعيد بها يوم الاحد الاضحى واضحى
بعيد ما ضحى.. وقد اصحب مراده واضحى وسار يوم الاثنين الى عسقلان للنظر في مهماتها
ونظم اسباب احكامها وتدبير احوالها وترتيب رجالها واقام اياما يوضح الجدد ويصلح
ما فسد وينشد من النفع ما فقد ويحرس الشر ما وقد فاذا وجد شعثا لمه وان الفى
نشرا ضمه وان صادف منفادا تقفه وان لقي حقا حققه وان عثر على باطل عفى اثره
وان بصر بامل خصه بعونه واثره ثم ودعه اخوه الملك العادل وانتقل الى مصر
بعسكره ورحل السلطان على صوب عكا موفقا في ورده ومصدره تما عبر بلد الا
قوى عدده وكثر عدده وواصل بالرجال مدده وكنت انفصلت عن خدمته الى دمشق
عند رحيله من بيسان لعارض مرض سلبني الامكان والحمد لله الذي وفرجه البهجة
وحول المحنة الى المنحة وكمل الشفاء بعد الاشفاء واهدى عند الياس اريج الرجاء

ودخلت سنة خمس وثمانين

والسلطان في عكا مقيم والامر مستقيم والنهج قويم وهو يتوب اسباب حفظها ويسبب
ابواب حفظها ويهذب مراتب مصالحها ويرتب مذاهب مناجحها ويعدل جوانح امورها ويذلل
جوامح جمهورها ويقوي ما وهى ويسوي ما هوى ويحلي من الشان ما عطل ويعلي من
المكان ما سفل ويعيد نظم ما انتكث ولم ما تشعث ويجدد كل ما دعا الى بعث ما مات منه
وبعث ومكث بها الى ان برم الغصر الى ان واصل جماعة من مصر ما مرهم فيها بالاقامة محافظة
على الجماعة المستدامة فامر بها الدين قراقوش باتمام بنآء السور واحكام احكام الامور
وولى الامير حسام الدين بشارة بعكا واليا ولم يزل لامارة الدولة في ايثار العدل
تاليا ثم خرج السلطان وسار على طبرية ودخل دمشق مستهل صفر وقد استكمل
الظفر ووجه الدين قد سفر وعز من آمن وذل من كفر وحزب الهدى قد انس ونفر الضلال
قد نفر وجلس على سرير السرور ولبس جنة الحبور وبرز الحضور دار العدل فقرر عدله
للبادي والحاضر واقام سوق بشره للمقيم والمسافر وافاض الفضل ونجا المحل واعلى
اعلام العلمآء واحلى احلام الحلمآء وامضى احكام الحكمآء وقضى باكرام الكرمآء واسدى المعروف
واعدى الملهوف وانكر المناهي ونهى عن المنكر وجهر حكم الشريعة وحكم بالشرع المطهر
واقام مدة الشهر واوليآؤه جناة النصر واعداؤه عناة القهر واياماه مسفرة
ولياليه مقمرة ومغارس اياديه بثمار المحامد مثمرة ومجالس عادته في دبادب
الشدائد مقفرة والملك بزهوه زاهر والدين ببهائه مباه باهر والآفاق
منيرة والانوار مفيقة وللدولة حق حمد الحقيقة وللجد وافر حده وللجود وفي عدة
وللسماح سمآء تهمع وللمراد مراد يمرع وللوجوه بالبشر بهجة وللالسنة في الشكر لهجة
وللهمم علو وللشيم سمو وللكرم نمو وللفضل نعمة وللافضال ديمة وللشريعة شرعة

واضحة وللحق سنة لستر الباطل فاضحة والصنايع رابحة والذرايع ناجحة

ذكر وصول رسول دار الخلافة لولي العهد عدة الدنيا والدين أبي نصر محمد بن الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين بتاريخ أوايل صفر

وصل رسول منزل الرسالة ومفرق الجلالة ومربع الإمامة وموضع الكرامة ومطلع الهدى ومنبع الندى ومشرق نور الإيمان ومشرع فيض الإحسان ومرجع المرتجين ومفزع الملتجين ومنجا الناجين ومنتجى المناجين ومهبط الوحي ومصعد الأمر والنهي ومقصد نجاح السعي ومخفض جناح الرحمة ومقتطف جنى النعمة ومجر ذيول المناقب ومجرى سيول المواهب ومزار أملاك السماء ومدار أفلاك العلاء ومحج ملوك الأرض ومحجة سلوك الفرض وموطن التنزيل وموطئ جبريل ومقام الخلافة ومرام الرأفة ومحط الأمانة ومحل الديانة ومطاف الطايفين ومطار العاكفين ومعرف الواقفين وموقف العارفين وقبلة المقبلين وموئل المؤملين وكعبة القاصدين ومثابة الوافدين ومعفر وجوه العظماء ومكفر ذنوب الكرماء ومعصب السيادة القرشية ومنصب الوراثة النبوية والسدة الشريفة الناصرية ودار السلام وقبة الإسلام وابتهج السلطان بوصول الرسول وأيقن بحصول السول وسر سروره وأبر بره وصدر بنشر الانشراح صدره وقدر على الابتسام بالسنا بدره واحتفل لأسباب التلقي والتحف بأثواب الترقي وسأل عن الرسول المندوب للسول المخطوب فقيل هو ضياء الدين عبد الوهاب ابن سكينة وصل بالضياء والسكينة والأحوال الحالية المزينة وكان وزير الخلافة يومئذ معز الدين بن حديدة بعث لهذه الرسالة ابن سكينة حين عرف آراه السديدة

فتلقاه يوم دخوله إلى دمشق السلطان وأولاده وكان يوما مشهودا حضره أعيان البلد وأماثل العسكر وأشهاده وأنزله في دار الكرامة ورتب له وظايف الإقامة ثم جلس له في يوم سعد صباحه وبدت في جبهة الدهر البهيم غرره وأوضاحه وملأ النظر في الزمان والمكان أفراحه وجاء على وفق الآمال اقتراحه وختم باليمن والإقبال رواحه وورد بكل ما أبهج الأولياء وأزعج الأعداء وخاطب السلطان عن الديوان العزيز بكل ما أعزه وثنى عطف تباهيه وهزه ورساله طودا بالوقار في أداء الرسالة وجلاله في مهب المهابة أنوار الجلالة وتلفظ له بالتفضل وتطوق منه بالتطول وبشر بأن أمير المؤمنين فوض ولاية عهده إلى ولده عدة الدين أبي نصر محمد من بعده وأخذ بذلك العهد على من حضره من أعيان الأمة وحفظ عليهم بتوليته ما أولاهم الله من النعمة وأمر أن يخطب له بمصر والشام وفي جميع بلاد الإسلام فاستبشر بهذه الموهبة واستظهر بما خص به من هذه المرتبة وأمر بذكر اسمه ونقشه في الخطبة وعلى السكة وعاد الإسلام ظاهر الشوكة والشكة وخطبنا لولي العهد بدمشق يوم الجمعة ثالث عشر صفر ولم يبق من الأمراء والأماثل والأفاضل إلا من حضر وأحضر معه الدنانير ونثر وتولى ذلك الملك الأفضل فأظهر أبهة ملكه وبها فضله وحصل الإسلام من زكن رأيه على نهله وعلله وندب للرسالة إلى الديوان العزيز ضياء الدين الشهرزوري القسم بن يحيى ليتشرف بما كان يعهده من سنن الموافاة ونجح وسيرت معه الهدايا والتحف والطرف السنيات وأسارى الفرنج الفوارس وعددها الكوامل النفايس وتاج ملكهم المسلوب والصليب والملبوس والطيب وأضيفت على رسول الإمام ملابس الإكرام

وتقبل ناجح المرام واصطحب القضاء آن بإصابة مطلع الإيمان بسفارة سافرة عن سنا
الإحسان وبشارة سائرة جنى النحل من نخل الجنان واهتزت الأعطاف واعتزت
الأطراف وابتسمت ثغور الثغور لسدادها وانتظمت أمور الجمهور لسدادها وسرت
القلوب وسريت الكروب وخزي الجاحد وقوي الساعد والمساعد وواصل في طريقه
الإغذاذ حتى وصل إلى بغداد فتلقي الرسول بالسول وقوبل بالقبول وخرج إليه
الموكب الشريف وأضيف له إلى التالد القديم الجديد الطريف ودخل البلد وأسارير
الفرح على هيئة يوم تراعيها راكبه حضنها في طوارقها وبيارقها وادراعها قد كست سودها
وانعقدت أنوفها وهيئت على هيئة فتوحها حتوفها ووقع على العتبة الشريفة واستقبلها
وقبلها ثم عطف به إلى دار الكرامة فنزلها وألفى الوزير ابن حديدة قد عزل وأقام
في بيته واعتزل وتصدر في الدست للنيابة وسماع الخطاب والإجابة من له المجد
الأثير الصدر الكبير مؤيد الدين صاحب ديوان الإنشاء وقد خص بتولي الحل والعقد
والأخذ والإعطاء فتولى سماع الرسالة وجوابها وأولى صوابها ووالى جوابها وسيأتي
في موضعه ذكر ما انتهت إليه الحال وجرى به الفال وكيف شغلت العوائق وعاقت الأشغال

فصل مما كتبته في المعنى عن السلطان إلى الديوان العزيز مع الرسول

قد تقدمت خدمة الخادم بما قدمه من امتثال المثال وأداه من فرض الإعظام و
الإجلال وقام به من الأمر الذي قام به أمر الدين والدنيا وبادر إليه من إسناء طاعته
التي دامت لها من نعمة الدار العزيزة في أركان معارسها السقيا وحل حبى الحب لما كان من حيائها

وعقد خنصر النصر لعزائمه على ما اعتقده من ولائها وجمع شمل السعادة الشاملة بما جمع
من أمره من إسعادها واستجد عهد الجد المورق بما جادت به من ثراء عهادها ونهض من
الملك بتقديم ما قدمه على الملوك الناهضين الناقضين ووفى لما وافق المراضي الشريفة
ففاز بما حاز من شرف الرضى واقتصد من الدين الثابت وثبت على الوفاء في استيفائه
بما قضى وسبق إلى ما سبق به جواد صدقه في جواد قصده وانتج فريضة طاعته في جلادة
عبوديته بتلاوة فاتحة حمده وانتهى إلى نهاية النهى وأطاع ما أطاع فيما أمر به الله
ونهى وما وضع الكتاب من يده حتى رفع بالدعاء يده وسأل الله لمولانا وسيدنا أمير المؤمنين
وافد النصر ومدده وأن يعضده بولده ولي عهده المطاع بأمر الله عدة الدنيا والدين
ويقر به عيون المسلمين فقد فاضت البركات وآضت الحسنات وأضاءت الكرامات
وراضت جماح الأماني المبرات المبرات وهاضت جناح الكفر الفتكات المرديات
وعمت الميامن وتمت المحاسن وتمت النعم الظواهر والبواطن وضمنت بسكون الدهماء
أهلها المعاهد والمواطن وصاحت المنابر وصدقت المفاخر وصدعت الأوامر وصدقت
الفواقر وصدمت قلوب أهل النفاق من بواعث الرعب البواعث البوادر ونقشت
صفحات الدرهم والدينار ونعشت عثرات الأخيار الأحرار وفرشت مفوفات
الأنواء والأنوار وعرشت أسرة المبار والمبرات ورفعت رغبات الأبرار و
سمعت دعوات الاستجارة نزل النصر ونضل العصر ووجب الشكر ونجب الكفر ورحب
الصدر وأصحب الدهر وسحت سماء السماح وصحت أنوار الأرواح وتضوع نشر الانشراح

وتوضح صباح الصلاح وطال جناح النجاح وطاب جنى الافراح وعظم القدر ونظم
الامر وحسن الذكر وامن الذعر واهتزت اعطاف الاسلام واعتزت اطراف الشام
وتبلجت ايامن الايام وتروحت اماني الانام وارجحت ارجاء الرجال وثبتت باسنا
الاسناد وآبت آمال ذوي الآمال وقرت الاعين وانبجحت بالسعد الطالع واقرت
الالسن وانبجحت بالحمد الجامع وقرت الانفس وابتهجت بوسعها سنن العز الواسع ونابت
هذه الموارد العذبة المشارب الصافية المشارع في نقع الاوام ونفع الانام مناب
المنابع وارخت السير وسيرت التواريخ وخلدت ملطفات البشائر ليوجب تنجيمها
وتفخيمها التضمخ واشرق المغرب من بشرى البشرى وانارت مصر من حسن هذه
الحسنى وتبسمت بسمة الشرق منابر الاقاصي والاداني موافقة لمنبر المسجد الاقصى وتطربت
الفتوحات الفاضلة عصرها الشامل نصرها بهذا المذهب المذهب وفاحت في مهاب
المحاب نفحات هذا الزمن الاطهر الاطيب وعاد الزمان الى اعبر اوله وعاد العدل
الى زمانه وتاب الدهر من عدوانه وآب الى احسانه ورجع الدين الى سنا سلطانه
ونحج الكفر بعبدة اوثانه وبطش الايمان بايمانه واستخلص من الشرك بلدانه صلبانه
بلدانه وتقاضى الربيع بفروضه وضافت ضيوف فيوضه وعتب العزم على ربوضه
وحض الحظ على نهوضه وحث الحث على اقامة سنن الجهاد وفروضه فقد ذرت
آفاق الآفاق وذرت اشعة الاشراق وافترت نضرة الحدائق لنظرة الاحداق
وراقت اوراق الالوية كالنوار الاوراق وازهرت البيض والسمر كازهار الرياض

وانف غرار الجفون في الاغماد من الاغماض وتيقظت الاقدار للاقدار على ايقاظ
عيون البيض لاجراء دم الشرك المطلول وتنزل البركات في انجاع المراق من
نجيع المارقين لا تزال نص النصر على النصال المسلول وتذر ان ترعى الحشاشات
منهم على رعي الحشيش وتطير الى اوكارنا المقاطير اليهم المريش وترتع ثعالب
العوامل في عشب الكلى وبطرد ذباب المناصل في لوح الطلى وترد رقاق المرهفات
في الرقاب رتين الخطب على الاعواد وتذوب قلوب علوج الكفر من نار الرعب ذوب
الثلوج على رؤوس الاطواد وتجنى اشجار القنا ثمر الهام وتجيش الفضاء المعشب
بزهر الجيش اللهام وتقطف ورد الموت الاحمر من ورق الحديد الاخضر وتوقف
حد الهندي الابيض على قضيب الاصفر وتجري في ورد الوريد جداول البواتر
وترمى من الحصن العاديات الحصون العدى جنادل الجوائر وتكفل بما وعد الله من
الظفر الظاهر والظهور المظافر صوامر الضوامر وتتلى عقبان رايات الفتح والكسر
من عقبان الجو بالفتح الكواسر وتعبق ثوب الدارع من ردع الثواب بتهتك الماذي
وتعلق في ملتقى التقى الفات السمهري بلامات السابري وتظهر الحق بخذلان
الباطل وتحلق بايدي الايد ما تبغي مع الفرج من معاقد المعاقل وتغرق بحر
البحر الجرار ما تخلف من ساحات الساحل فلم يبق به من المدن المنيعة الاصور
وطرابلس ومعالم الكفر بها في هذه السنة المحسنة تندرس واما انطاكية فانها بالعراء
مسدودة وعند الانجاء اليها ماخوذة على انها بوقم قومها عام اول موقوذة وحروب

للعزائم إليها عند انقضاء هدنتها مشحوذة فإنها قد نقصت من أطرافها ودخل عليها
من أكنافها وجرعت بفتح حصونها عن أبنائها وضيق على أسيرها وسيدانها المحصورة المحسورة
بها عن نيتها فهي هزة لمنتهز وطعمة لمقتنص وسلعة لمسترخص وبلغة لمستنهض وقد خرج
الخادم ليدخل البلاد ويستأنف تجديد الجهاد ويستقبل الربيع بربيع الإقبال ويستنزل
ملائكة النصر من سماء الرحمة وأوقات النزال وهو يرجو ببركة هذه الأيام الزاهرة
من الله أن يجدد جدد أرضه بجند سمائه ويوفق الخادم لتصديق آماله في تطهير الأرض
من أنجاس أجناس المشركين بدمائهم وتحقيق رجائه فالجحافل حافلة وأسراب الكفر
بين يديها جافلة ومعاطف الإسلام في لباس الباس رافلة ونصرة الله بإنجاز
عداته في قمع عداته كافلة والحمد لله الذي وفق عبده مولانا أمير المؤمنين في طاعته
لنصر أمره وإخلاص الولاء في سره وجهره وآتينا كل منقبة حقق بها فضل عصره
وابتكار كل فضيلة سار بها حسن ذكره فما يفتح من نجاح إلا بتقليدها ولا يستنجح
من نجح إلا بتأييدها

ذكر خروج السلطان من دمشق لأجل شقيف أرنون وما جرى له مع صاحبه

وأقام السلطان شهر صفر في دمشق وقد طاب لما شق الآمال
من نشره التشوق ثم خرج منها في ثالث شهر ربيع الأول يوم الجمعة بالمحبة المجتمعة
والمهابة الممتنعة متوجها إلى شقيف أرنون ليقر بفتحه العيون ويصدق في استخلاصه
الظنون وأتى مرج برغوث وأقام به يوم السبت حادي عشر الشهر ينتظر من عساكر
البعوث ثم رحل على سمت بانياس ووقع وأوقع رعبه بين أهل الكفر الباس وأتى مرج

عيون وخيم منه بقرب الشقيف وجمع على من به من آلات الحصار أسباب التخويف
وذلك يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الأول في أوسط فصل الربيع وأقام في
ذلك المرج الوسيع الروض الوشيع وأسمنا الخيل في أعشاب راهصه ورتعنا في
ألطاف من الله دانية غير قاصية وكان الشقيف في يد صاحب صيدا أرناط وقد
أكمل في حفظه الاحتياط فنزل إلى خدمة السلطان لحكمه طائعا ولأمره سامعا
ولرضاه تابعا وفي موضعه شافعا وعلى حصنه خاشيا ولأهله خاشعا وسأل أن
يمهل ثلاثة أشهر ليتمكن فيها من نقل من بصور من أهله وأظهر أنه يحترز من علم
المركيس بحاله فلا يسلم من جهله وحينئذ يسلم الموضع بما فيه ويدخل في طاعة
السلطان ومناصيه ويحرمه على انطلاع بغيه وعن جنبة أهل دينه يسليه فأكرمه
وقربه وقضى أربه وأجابه إلى ما سأله وقبل منه عذرا ما بذله بدله وأنهى غرب
رغبه وأمهله وأخذ له وما أخر له وخلع عليه وشرفه ورفعه في ناديه بنداه و
غره واقتنع بقوله ولم يأخذ رهينة وجرى إليه سكونا وعنده سكينة فشرع
أرناط في إدالة حصنه وإزالة وهنه وترميم متهدمه وتتميم مستحكمه وتوفير
غلاله وتوفية رجاله وتدبير أحواله وتكثير أمواله ونحن في غرة من تحفظه و
في سنة من تيقظه وفي غفلة من حزمه وفي غفوة من عزمه وكان يبتاع من سوق
عسكرنا الميرة ويكثر فيه الذخيرة وقد صدقنا كذبه وحققنا أربه وانتهى إلى
السلطان ما هو مشتغل به من عمارة حصنها وذخيرة يعدها وثلمة يسدها ومئرة

يستنهضهما وكان بالمذكور سيد من الظن شديد الضن ليقبل ما فيه يقال ولا يظفر به
عثور رأيه قال فلما كثر فيه القول وتمكن من مسالته العول لم يرد أن يبدي له
ما قيل ولم يصدا بالتغير عليه وجه جاهه التقبيل وأمر بالانتقال من المرج إلى
سطح الجبل وتحويل الخيم إليه والثقل وذلك ليلة الجمعة ثاني عشر جمادى الآخرة
وأظهر أن المرج وخيم والمقيم به سقيم وأم الدهر فيه بالصحة عقيم وكان المقصود
أن الشقيف من عيانه يقرب وأخباره عنه لا تعزب فلما علم صاحب الشقيف بقربه
شرع في إزالة ما في قلبه وجاء إلى الخدمة واستمسك بالعصمة وذكر أنه متعين ببذل
الطاعة وبذل الاستطاعة وتضرع خاضعا وتعرض خاشعا وذكر أنه تخلف له أهل
بصور وأنه كان زمان غيبته يرجو أمانهم لحضور وأنه يترقب وصولهم ويأمل
عنده حصولهم وشرع في تقرير هذا الحديث وتمهيد عذره فيما يتوهم من عهده
النكث النكيث وأقام يوما وعاد إلى حصنه وقد وجد من السلطان دلائل
أمنه وكانت المدة قد دنا انتهاؤها وقرب انقضاؤها فإنها إلى آخر الشهر
ولم يجد بدا من التسليم أو الغدر فعاد بعد أيام باكتئاب واغتمام وحضر
عند السلطان فقال ما أظهره للابتهال واستزاد الإمهال وذكر أنه رفيق
الامتنان وعتيق الإحسان وأنه العبد الرق وقد دخل عليه الوهن وعلق به الرهن و
أنه يبقي أهله بصور معتقلين أن خرج منه الحصن ومن أنشأ غرسا سقاه فأبقاه
وأسكاه فأزكاه وأنماه فأنماه وقد اصطنعتني ورفعتني فلا تضع الرفيع ولا تضع الصنيع

وسأل أن تكون المدة سنة وأن تتبع الحسنة في حفظه حسنة وأن يرخي بطوله طوله
وأن يشفي بشفاء المه أمله فراقه قوله ووثق له طوله ثم أنكر في أمره واستمر في
ذكره تغادره على عزيمة غدره وجاهره بسوء سره بعد أن ماطله وطاوله وزاوله
على ما حاوله وأقام أياما يتردده ويحضه من الكرامة ما يجدده ثم كشف له الغطاء
بعد أن أجزل له العطاء وقال له قد نقل عنك ما لم نظنه فيك ولم نعلمه منك فجحد
ما عنه رقي وأنه كيف يلقى بالكفران ما من الإنعام لقي وأنه إن لم يسعد بآماله
في الشقيف شقي ثم سأل في نزب من يوثق بأمانته ويؤمن إلى وثاقته ليدخل
الموضع ويلمحه ويحضر بوصف ما شاهده ويشرحه فرجع المنذر بأن نخبر ما أبصروه
وذكر أن الحصن قد عبروه وأنه قد استجد في سوره باب واستهدمت له من أحكامه
أحكامه أسباب فاستحكم به الارتياب وعرف أن السرح قد حوته الذئاب فوكل به
وحفظ من حيث لا يعلم وقيل لعله يحسن فلا يحوج إلى مقابلته ومقابحته ويسلم ثم
قيل له قد بقي يومان من المدة المضروبة والمهلة الموهوبة فتقيم عندنا حتى
تنتهي المدة وتنقضي وتسلم الحصن وتسلم وتمضي فأبدى ضرورة وضراعة و
قال سمعا وطاعة وكان له ملقى وملق وفي لسانه ذلق وما عنده من كل ما يفرق منه
فرق وقال أنا أنفذ إلى نوابي في التسليم وهو قد تقدم إليهم بالوصية والتعليم
فأظهروا عصيانه وقالوا نبقي مكانه فقال قد بقي من المهلة يومان فما ذا العجلة
التي يفوت بها الغرض ويطول منها المرض فصبر عليه إلى يوم الأحد ثاني عشر جمادى الآخرة

وهو آخر مدته وأول شدته وأوان انقضاء عزه وعزته وقد رتب على الشقيف يزك
يمنع الخروج والدخول والصعود والنزول وتمادت عزيمته المطول قبل أن يمتد
الحصار ويطول وحمله جماعة من الأمراء وقووا آراء حصنه فأداهم في دراك
أمره وفكاك رهنه فخرج إليه قيماز بأسرع بابين فحادثه عن حادثة بلغته
ونافثه في كارثة بغلته ونجا ورائه في السر وتشاور رائي الشر وكأنما أمره بالتجلد والصبر
على التشدد وعاد القيماز النجمي إلى الشقيف وترك صاحبه عانيا بالعناء العنيف
فقيد وحمل إلى قلعة بانياس وبطل الرجاء فيه وبان الياس ثم استحضره في سادس
رجب وهدده وتوعده وبالغ في تخويفه على أن يبلغ المراد في تشقيفه فلما لم
ينفذ خطابه ولم يجد عذابه سيره إلى دمشق وسجنه والزمه نجاة سجنه وتحول
السلطان من نخيمه إلى أعلى الجبل يوم الأربعاء ثامن رجب لمحاصرة الحصن ورتب
لها عدة من الأمراء وأمرهم بملازمته في الصيف والشتاء إلى أن تسلمه بعد سنة
بحكم السلم وأطلق صاحبه وأجرى عليه حكم الحلم ۞

ذكر ما تجدد للسلطان مدة المقام بمرج عيون من الأحوال وما كان من غزواته ونهضاته ووقعاته مع حزب الفرنج والقتال

اجتمع من كان سلم من الفرنج ونجا على ملكهم الذي خلص من الأسر وقالوا نحن في جمع جم
خارج عن الحصر وقد تواصلت إلينا أمداد البحر فثر بنا للثأر وأعرنا من العار وجاء
من كان بطرابلس وحثوا على صعود وقاربوا الاستطالة القصور وجرت بين المركيس

المقيم بها وبين الملك مراسلات وحالت من اتفاقهما حالات فلم يمكنه من دخول البلد
وجاء معه في البلد واحتج بأنه من قبل الملوك الذين من وراء البحر وأنه منتظر لما يرمونه
من الوصل ويصله من الأمر ثم اتفقوا على أن يقيم بصور المركيس ويدوم منه لملكهم التأنيس
ولملكهم التأنيس وأنهم يجتمعون على حرب المسلمين وقتالهم ويتساعدون على رم ما
تشعث من أحوالهم ويتعاهدون على حل إشكالهم ويتعاضدون في تشديد اختلالهم
ويقصدون بلد الإسلام من الساحل ويقيمون عليه بالنوازل إقامة المنازل
والمركيس يمدهم من صور بالمدد بعد المدد ويجمع ما يحتاجون إليه من الميرة والأسلحة
والعدد فأجمعوا على هذا الرأي وبلغوا في الغي إلى هذه الغاية وشرعوا فيما شرعوه
وفرعوا ذروة الأصل الذي فرعوه ووصل الخبر يوم الاثنين سابع عشر جمادى الأولى
من اليزك أن جمع الفرنج قد نهض كالليل المعتكر إلى المعترك وأنهم على قصد صيدا
للحصر وقد جسروا على عبور الجسر فركب السلطان في الحال فيمن خف من ثقال الرجال
وأقتال القتال وأطلاب الأبطال وأنجاد الأجناد وأجلاد الجلاد والباذلين المهج
بالجهد في الجهاد ووصل إلى الملتقى والشغل قد فرغ والسيل قد بلغ والصدمة قد وقعت
والوقعة قد صدمت والثورة قد ثارت والسورة قد أسارت فإن اليزكية لما
شاهدت جاهدت وتعاندت على لقائهم وتعاضدت وخالطتهم وباسطتهم
ووالجتهم وواقعتهم وجالدتهم وجاولتهم وجاردتهم وجاولتهم وردتهم مغلولين
وصدتهم مهزومين مفلولين وقسرتهم وكسرتهم وأسرت سراتهم وبزت نزالهم ووقصت

عقباتهم وقصت شجعانهم وصادت صيدهم وفرست فرسانهم ووقع في الاسر من
سباعهم سبعة وغودرت الكنيسود من اشلاء المارقين بالمارق شبعة واستشهد من
المماليك الخاصة ايبك الاحرش وكان شهما بالوقائع تحرش وثبتا بالروايع لا ينتوش وانسا
بالحوادث لا يتوحش وكميا كبشا بالكوارث لا يتكمش وانفصلت الحرب قبل وصول السلطان
وكانت الدايرة على اهل الشرك والطغيان وعاد السلطان الى خيم ضربت له بقرب
البرك وقال لعلهم يعودون الى ذلك المعترك فنستدرك ما فرط من استيصالهم واجتثاثهم
وقد ندم الفرنج على ما بدر من اجترائهم وانبعاثهم واقام الى يوم الاربعاء تاسع عشر
الشهر والاسلام بقوة ظهوره على الكفر قوي الظهر وركب في ذلك اليوم ليطلع
من الجبل على القوم ولم تكن له نية القتال فلم يستصحب معه من يستظهر به من
الرجال وتبعه رجالة كثيرة من غزاة البلاد بغير علمه وظنوا ان السلطان انما
ركب للقتال وعلى عزمه وكان الفرنج قد بصروا بالرجالة فطمعوا فيه ثم ظنوا
ان وراءه عسكرا في الكمين يحميه ونفذ السلطان بعض الامراء الى الغزاة الرجالة
ليعودوا فما قبلوا وحمل عليهم العدو فاسروا وقتلوا وختمت بشهادة اوليك السعداء
تلك العشية ونفذت من الله في استشهادهم المشية وحمل الحاضرون من الامراء
والعسكرية على الفرنج حملة ارادتهم وردتهم وصدفتهم عن الجراة وصدتهم و
تراجعوا الى الجسر تغرق منهم زهاء ثمانين في النهر وكان يوما علينا ولنا في المنى
واجتنى املنا والحرب رجال والحرب سجال ولم يكن لاولئك الغرباء بقتال الفرنج

دربة واقدامهم على العدو لله قربة فخاضوا من الدم في اللجج واعتاضوا الجنة
من المهج وممن لقي الله بالشهادة وختم له بالسعادة الامير غازي بن سعد الدولة
مسعود بن الصاعد وكان شابا لنار الحرب شابا ولدين الرب رابا ولما شاهد ما
تم من الغزاة انقض في اصحابه على الفرنج انقضاض البزاة فبدعته جنته الى طعنة
لبتها لبته فاحتسبه عبد الله والده وكدرت عليه موارده واوجد جميعنا الاسى
على هذا ذلك الواحد وبشا عدم الساعد وتتنا استكر مساعي تلك المساعي وضاقت
القلوب وضاقت الكروب والم البوس والمت النفوس وهذه وقعة ندرت و
واقعة بدرت وندبة حدثت وحادثة ندرت ولم يصب الكفار مذ اصيبوا غير
هذه الكرة واذا نونا بعد ان حلا لنا جنى الفتوحات مرارة هذه المرة فاستفطنا
من رقدة الغرة واخذ الناس حذرهم وتذرو وعقدوا على الانتقام نذرهم ثم
رجعوا وقالوا هذا وعد الله حيث قال يقتلون ويقتلون وعباده هم الذين يتبعون
امره ويمتثلون ثم قويت عزمة السلطان على قصدهم في مخيمهم وكبسهم في مجثمهم
وعبور الجسر اليهم والاحداق بهم من حواليهم وشاع صيت هذا العزم وصوته
واسرع الناس الى موسمه وحثي نونه وتسامع اهل البلاد بتصميم عزيمة الجهاد
فتباشروا وتبادروا وتسابقوا وتسارعوا واتوا من كل فج وجاؤا من كل نهج وسالوا
في كل واد وجالوا في كل بقاع ووهاد ووافت مطوعة دمشق وحوران يجرون
الى موقف الموت ويجرون الذيل ويتوافدون بالمرج والغوطة على الحالة المغبوطة وقالوا

وقالوا هذا أوان إحضار الضواري المربوطة واجتمعت بمرج عيون جموع رجت
العيون بخافت الفرنج من هذا الجمع وأنافت على الجمع وتعكست إليه بيوت وصور و
عاين أولئك البور السود والحمر والخضر وسوا ونوحلوا وتوجسوا فاقتضت الحال
تأخير قصدهم ليتمكن لغرتهم من حسن تأتي حصدهم وعاد العسكر إلى المخيم وسار
السلطان إلى تبنين صبيحة الخميس السابع والعشرين لتفقد أحوالها وتأمل أعمالها وعرض
رجالها ثم سار منها إلى عكا جريدة ورتب في عمارتها ولابتنائها آلاتها أسدية و
وحض رجالها بالاحتياط والتحفظ والاستظهار والتيقظ وأسرع عوده إلى المعسكر
عظيم المفخر كريم المعشر موفق المورد والمصدر مفرط المنظر والمخبر وأقام إلى
يوم السبت سادس جمادى الآخرة وبحر مخيمه يموج بأمواج العساكر الزاخرة

ذكر ما تم من استشهاد عدة من أمراء العرب

وانتهى إلينا أن الفرنج ينتشرون في الأرض ويبسطون في موضع القبض ولا يتحفظون في الرفع
والخفض ويحطبون ولا يحتاطون ويحتشون ولا يحترسون ويجنون ثمار الجبل ويحنون
على من يصادفونه بأنواع الغيل وهم في غرة من غارة وفي جسارة تعود عليهم بخسارة
وفي غفلة تجر عقلة وفي ضلة توقع عليهم من العذاب ظلة والعرب إذا خرجوا للاحتشاش
والاحتطاب وانتشروا لضم الأعشاب من الشعاب خرجت وراءهم خيل تحفظهم
على بعد وتحفظهم من صعد ونفذ السلطان إلى خيل تبنين وأمرهم بأن يصبحوا أولئك
الملاعين فإذا خرجت الخيل إليهم تطاردوا قدامهم ووصلت بها الكمين وذلك يكون

في صباح الاثنين ثامن الشهر المذكور وأعدهم على هذا السير المشهور ونفذ إلى عسكر
عكا ليكمن في موضع عينه ولا يظهر مكمنه حتى يكون وراء القوم مستعدا لمآبهم
من الوقم وسار السلطان ليلة الاثنين على الموعد مصدقا للمقصد وصادف خيل
تبنين وقد أغارت وأثارت وابتدرت وأبادت نعم تبنين وكمن بين صور ومينها وعين
البركة وأودعها ورتب ثمانية أطلاب من الأبطال وكمن بتلك الأرجاء كماة الرجال
وانتخب من كل طلب عشرين فارسا جوادا على الجياد وأجلادا في الجلب على الجلاد فأمرهم
أن يتراءوا للفرنج حتى يصل إليهم ويحمل عليهم وهم يقفون قدامها ولا يفرون أمامها
ويجرونها إلى قرب الكمين ويوقعونها عليه ويوافقونها إذا حصلت بين يديه ففعلوا ما به
أمروا ولما حملت عليهم الفرنج ثبتوا وصبروا وأنفوا أن يقال عنهم فروا فجالوا
بهم وكروا واتصل القتال واشتد واحتدم المصال وامتد وطال زمان الحرب
وامتد وطارت جمرات الصفاح وفارت غمرات الكفاح وثارت غبرات البلاء وبادرت
غمرات الثرى وانحلت عرى اللمم وانحطت ذرى القمم وعدم كل قرن قراره وكل جفن
غراره ودام نهارا تجري في أنهار الدم أنهاره وعرف من بالكمين أن الحرب قد اشتبكت
وأن الأسد قد اعتركت وأن البرك قد ارتبكت واشتركت فتواصل الجاذ الأنجاد وترادف المدد متتابعة
أمدادا بعد الأمداد فلما رأى العدو أن العدد يكثف وأن عساكرنا لا تتوقى ولا تتوقف
صمم العزيمة على الهزيمة وعلم أن النجاة عين الغنيمة فثنى أعطافه وضم أطرافه و
رد أخلافه وحرث بين الفريقين مقتلة عادت أرض المعركة بها وهي مسفلة وكان قد حمل

العرب على وعد العود الى الكمين والرجوع الى اسد ذلك العرين ولم يكن لهم بالطريق
خبرة ولا عبرت بهم من الطوارق لهم عبرة فطاردوا ابن بري الفرنج في واد ما له
نفاذ ولا لسالكه الى منهج ملاذ ورآهم العدو وقعدوا ورآهم وساد جمعه اذ رآهم فلما انتهوا
الى الجبل ادركوا ولم يقدروا ان يسلكوا فقاتلوا حتى قتلوا واقبلوا على الله فقبلوا
وهم الامير زامل بن نبل بن مر بن ربيعة امير النفرة وسرت الاسرة والامير يحيى بن
منصور بن غدفل بن ربيعة والامير مطرف بن دبيع بن بودبك بن مر بن ربيعة وآخر
معهم فهؤلاء اربعة من ربيعة بيت لهم في جنة الخلد ربوع وقد لهم في رياض
النعيم ربوع وتعموا بالفوز وانتقلوا من العز الفاني الى الباقي من العز وكان معهم
من المماليك الخواص من ذوي الجد والاخلاص تركي عربي النخوة غضنفري السطوة
فلما حصل في المضيق وايس من الطريق نزل من فرسه على صخرة بحوة فنثل بين يديه
كنانته فارغا الذروة وقد اوتر قوسه وسدد الى الحم سهامه وقبل قضاء الله وحكمه
وجثا الى منيته من جنيته واصاب امنيته من اصماء العدو وفي المصاب منيته فوقفوا
عنه بعيدا حين خافوا قربه وما زالوا يطعنونه ويرمونه حتى ظنوا انه قضى نحبه
فاصبح وقد نزف دمه ونجح على وجوده عدمه ولما قيل انه استشهد وطلب
للجد رموه وهو في دمه غرق فحمل على انه من الاموات ولم يرج له فوات
الوفاة فاحياه الله بعد ان اماته وجمع اعضاءه عليه وقد شارف منها شتاته و
انشاه خلقا جديدا واوجده في اجله مزيدا وهو ايبك الشامي زاده ما جرى اجترا

على الاقدام واجراه الى مضمار الحمام فما سمع بعد ذلك صيعة الا طار عليها ولا ابصر للكفر
ضيعة الا اغار عليها

ذكر مسير الفرنج الى عكا والنزول عليها ورحيل السلطان قبالتهم اليها

وصل الخبر يوم الاربعاء ثامن رجب ان العدو قد ركب واجلب بخيله ورجله وطار
بجراد جرده ودب دباه في رجله وسرحت ذبابه ونبحت كلابه وجاش عرام
جيشه العرمرم وطاش الى اهل الجنة باهل جهنم ونوى الغرب من النواقير واضرم
نار الشغب مساعي المساعير وهو على قصد عكا جرى الى الذي نوى جمعة المدابر
وان نفرا منهم نفر وسبق الى النواقير وعبر ونزل باسكندرونه واستباح طرفها
المصونة وهناك من المؤمنين رجال يحمون طرف الثغر ويضمون نشر الامر ويصرفون
حد الكفر ويجوبون غارب البر ويجوبون جانب البحر ويطوفون للحراسة ويطولون بالحماسة
فلما راوا مقدمة الفرنج وافقوها ودافعوها وعاقروها وقارعوها واهلكوا عدة و
ملكوا عدة ولما تكاثرت اعداد الاعداء واستظهروا بالانتهاء عن الاكفاء وتدافعوا
بعد ما دافعوا وتراجعوا بعد ما راجعوا واطلع السلطان على خبرهم وعرف نفوذ
نفرهم فكتب الى العساكر الدانية بالدنو للعدو وعلى العدو وتوافدوا للميعاد و
تواموا للاعتضاد وتوافروا للجهاد وتوافقوا في اذكاء المراد بابعاد المراد و
رحل الفرنج ثاني عشر رجب يوم الاحد وافية المدد وافرة العدد ونزلت على
عين بصة ولقد شاهدت دركات جهنم من شاهد تلك الرحاب المعشبة وحبل
اوائلهم الى الزيب واجابوا داعية الصليب فاصبح السلطان يوم الاثنين على الرحيل

ووصل العنق بالرسيل وكان الثقل قد سار من الليل وجرى على طريق الملاحة
في الأودية جري السيل وسرنا على جب يوسف إلى المنية آخذين بالحزم تاركين
للونية وجئنا عصر يوم الثلثاء والسلطان نازل بأرض كفركنا وبتنا بها تلك الليلة
وسكنا ثم أصبح يوم الأربعاء خامس عشر الشهر ونزل على جبل الخروبة واطلع منها على
الأسرار المحجوبة وأشرف على العدو والنازل ودنا حزب الحق من حزب الباطل
وكان عدة من الأمراء ساروا على طريق هونين للفرنج مقابلين مقاتلين فوصلوا في هذا
اليوم وقد نالوا في طريقهم من القوم ونزلنا في أرض صفورية بالأثقال وتجرد الرجال
منها إلى المخيم السلطاني عند رحيل الفرنج على قصد عكا ولم يزل رأيه يشور
وفطنته أذكى وأزكى أن يسايرهم في الطريق ويوافقهم عند المضيق ويقطعهم
عن الوصول ويدفعهم عن النزول فإنهم إذا نزلوا أصعب نزالهم وأتعب قتالهم
وإذا ثبتوا أعيى قصدهم وإذا ألصقوا ببطن الأرض صاروا كالقراد وإذا حلقوا في
جو البر كانوا كالجراد فعند الانتشار يمكن التقاطهم وعند الانحصار يمكن احتباطهم
فقالوا له لابد نستقيم على السنن القويم ونطلبهم طلب الغريم وما أهون قطعهم
إذا وصلنا وأعجل إدبارهم إذا أقبلنا والطريق قبالتهم وعرة وللمقصر عن البطالة
فيه عذر فنمضي إلى أسهل الطرق وننشد فلقهم بالغلق وتبين بالعاقبة أن الرأي
السلطاني كان أصوب فإن منازلهم عند نزولهم صار أصعب ونزل الفرنج على عكا
من البحر إلى البحر محتاطين بالأسوار محيطين بها بالحصر وضرب الملك العتيق لي خيمته

على التل المصلبة وربطت مراكبهم بشاطئ البحر وكانت كالآجام المؤتشبة وبعث
السلطان ليلة وصوله إلى مدينة عكا بعثا دخلها على غرة من العدو وتواصلت
البعوث إليها على التوالي والتموج حتى استظهرت بقوتها وقويت باستظهارها
فلما اجتمعت العساكر واتصلت بالأوائل الأواخر عبى جيشه طلبا طلبا وميمنة وميسرة
وجناحا وقلبا وسار بهيئته وهيبته وأنزل العسكر على تعبيته ونزل ببرج عكا
على تل كيسان في ذوي اختصاصه وقد نصب من خيامه عليه أشراك اقتناصه وامتدت
الميمنة إلى تل العياضية والميسرة إلى نهر الماء العذب فدارت رحا الحرب ودام
كر الكرب وطاب طعم الطعن والضرب وطافت كأس الباس وكان الدم على الشرب
ووافى للإنجاد عسكر الشرق ماضي الغرب وصرنا محاصرين للمحاصرين مكابرين
للمكابرين وقد أحطنا بالعدو وهو بالبلد محيط واستشطنا منه وهو مستشيط
وأحطنا بأولئك الكفرة إحاطة النار بأهلها ومنعنا الطرق من ورائهم في وعرها
وسهلها ورتبنا بالنوب والنواتير رجالا يصدونهم عن سبلها وأدمنا تصابحهم
بالقتال وتماسيهم وتراوحهم وتغاديهم ونعاودهم ونبادرهم ونقدم بعوادينا
على عوادهم ونصدهم ونصيدهم ويوجرهم البحر ويعدمهم ولولا أن مراكبهم
تتواصل ومنافعهم تتطاول وأهل الجزائر من أهل الجنائب يتوافدون متواردون
مترادفون قد لفقوا وجه البحر بقطع السفن وجذبوا بالفلوس على تجديد
عزائم الرعن والقوا على نيارهم بسط البطش وحملوا على الحصار نار النحس ونيالهم

وتعبيا فانهم زادوا على رجسهم رجسا وبقي القتال بينهم وبين اليزكية كل بكرة
الى العشية الى ان وصل الملك المظفر تقي الدين عمر ومظفر الدين كوكبورى
الاسد الغضنفر فاستظهرنا بهما وبعسكرهما الدهم ووصل مقدموا الرجال في الجمع
الجم واستدارت الفرنج بعكا كالدايرة بالمركز وزادوا من جانبنا في التحصن والتحرز
ومنعوا من الدخول والخروج ولج اولئك العلوج في ضبط طرق الولوج وذلك في
يومي الاربعاء والخميس اخر رجب لانسلاخه والاسلام ينادينا باستصراخه
واصبح السلطان يوم الجمعة مستهل شعبان وقد استهلت راياته واستقلت
اياته وعز عزمه وعلا حكمه وما منا الا من اسرج الجرد وجرد السريجيات
وعاج بالاعوجيات واشرف بالمشرفيات وبرز باعتقال الردينيات وزين
العقيليات واذكى المذاكي وقرب المقربات وقد سن سنان لدنه وحز جانب
قرنه وسان سيفه ردع الدم وصان وجوده مضيف العدم واقبلنا والنصر مقبل
والظفر متهلل والميمنة والميسرة باليمن ممدتان والقلب له من التأييد والتمكين
جناحان واتفقت الاراء واجتمع الامراء على ان يكون اللقاء وقت صلوة الجمعة
عند نزول الدعوات المرتفعة ومنابر الاسلام عن اهله في جميع بلاده
واجماع الالسنة والقلوب في الضراعة الى الله في نصرة المجاهدين من عباده و
احاط العسكر الاسلامي بجوانبهم وكدر عليهم صفو مشاربهم وقلل مضاء مضاربهم
وهم في مواضعهم واقفون وعلى مصارعهم عاكفون وفي مواطنهم ثابتون وعلى مواطيهم

ثابتون كالبنيان المرصوص ما فيه خلل وكالحلقة المفرغة ما لبهامها مدخل وكالسور المحيط
ما عليه متسلق وكالجبل الاشم ما فيه متعلق فزحفنا اليهم فلم يبرحوا وقربنا منهم
فلم يبرحوا وحملنا عليهم فاحرزوا الضربة ولم يعطوها والجانا لهم مطايا المنايا فهان
عليهم ان يمتطوها ودامت الحرب قايمة وديمة الدم دايمة وكلما قتل واحد وقف
اخر مقامه وخلف نظامه حتى دخل الليل وحجز ووعد النصر ما نجز وحزب الحق ما عجز
فاصبحوا يوم السبت على الحرب كما امسوا وزادوا على ما جرى امس والمواعنة وانبسوا
فما طلعت شمس الظهيرة حتى طلعت شمس الظهور واحتجبت شمس الجمهور واستضاف
نورها مستضيف النور وحمل الناس من جانب البحر شمالي عكا حملة شديدة كانت لمن قدامهم
من الفرنج مبيدة ورشقوهم على تلك التلول وردوا مضاربهم من قلهم بها بادية
الفلول وانهزم الفرنج الى تلك المصلبة نحو القبة وثبتوا عبرا لوثبة واخلوا ذلك
الجانب وخلوا اولئك المذاهب وقلعت خيامهم منها وقطعت اطماعهم عنها و
وانفتح لنا طريق عكا ودخلها الرجال وحملت اليها الغلال ونقلت اليها الاحمال
ودخل العسكر اليها وخرج وانكشف ضيق حصرها وانفرج وذلك من باب القلعة
الوسطى الى باب قراقوش واستطرقت اليها العساكر والجيوش واطلع السلطان على
الفرنج من سورها وشرع في تدبير امورها وخرج عسكر البلد للموازرة على
قتال العدو العادي وترك الهوادة في قصر القصر والهوادي والفرنج قد
رهبوا ولو قدروا لهربوا ولكن اصحابنا راوا ان انفتاح باب البلد غنيمة وانهم

أي وقت أرادوا كانت منهم عزيمة ومن العدو هزيمة وتوقفوا في الإتمام وتقدموا
عن مقام الإقدام ولو أنهم استمروا في الحرب على تعبئتهم وهيبتهم لبان الأعداء
لنجحنا بخيبتهم فإن الصدمة الأولى أخافت وحافت وبانت بفناء القوم وعلى هلكهم
أنافت لكنا تركناهم حتى عادت إليهم الأرماق وعادت فيهم الأرواق وأبصروا ما بين
أيديهم وخلفهم وأثبتوا أنى يندفع الموت آجالهم ورأوا أن الوقت قد أمهلهم
وقال أمراؤنا هؤلاء قد سهل أمرهم وخرج جمرهم وقد حصل بأيدينا حصرهم وهم في
قبضتنا أي وقت أردنا ولقصدهم تجردنا وقالوا نصبر إلى الظهر ونمضي ونسقي الخيل
ونعود وحينئذ يشتغل بهم العدم ويفرغ منهم الوجود فانصرفوا على وعد العود
وتفرقوا في مراتعهم تفرق الذود وبلغ العدو ريقه ووجد إلى الجلد طريقه
وجمع بعد التفرق فريقه وضم عن الانتشار راجله ورم رامحه ونابله ووقفوا
كالسور من وراء الجنويات والتراس والقنطاريات وقد صفوا الجروخ وفوقوها
وجمعوا العدد وعلى الرجال فرقوها كأنهم في الدروع أراقم وفي المجان علاجم وفي
النهوض قشاعم وفي الضراوة ضراغم واختلفت الآراء مع العلم باحترابهم ونشبتهم
بنواسيهم فمنا من يقول نصبحهم بالزحف ونزورهم بالحتف ونترجل الأمراء ونتبعهم
الأصحاب ونتيب من أساودنا في تلك الخنادق من النشاب الأظفار والأنياب و
نتصل الطعان والضراب فننسفهم ولو أنهم جبال ونطفي نيرانهم فلا نقد لهم بعد
ذبال ومنا من يقول ندخل رجلنا إلى البلد مستعدا بالأهب متأهبا بالعدد

فإذا زحفنا إليهم وأوجفنا إليهم خرج من في البلد من العسكرية والراجل ونازلناهم
من أمامهم ومن ورائهم بالنوازل فلا تطرف بعدها لهم عين ولا يبقى للدين بعد
درك الثأر منهم دين ومنا من يقول لا بد أن نفرج عنهم ونبعد منهم فما دمنا
على هذه المضايقة والمصابرة والمحاققة والمحاصرة والمكابدة والمكابرة فإنهم
يتيقظون وينتبهون ويتحفظون ولا ينتهون ويحترزون ويتحزمون ويتوحلون و
يتوجمون فإذا أرخينا طولهم وأوسعنا أملهم استرسلوا بعد ما استبسلوا واستقبلوا
الدعة بعد ما استقلوا واطمأنوا وانطمعوا وإذا أبطأنا تسرعوا واغتروا وأتانا على
غرة فأغاروا وأظهرت لهم آثار ركودنا عنهم فظهروا وأثاروا فحينئذ نجيئهم بحين
ونشبهم بشين وإذا ظهروا أظهرنا عليهم ومتى أصحروا أصحرنا إليهم فإن بارزوا
بارزناهم وأنجزنا عدة أمانينا فيهم وناجزناهم ومنا من يقول هؤلاء في عدد
النمل وكثرة الرمل وظلام الليل وعرام السيل فما يقمعهم إلا العدد الكثير ولا
يقمعهم إلا الجمع الجم الغفير والمصلحة أن نستنفر العساكر ونستحضر لإبادتهم
البادي والحاضر ونستجيش الجحافل ونستثير الفارس والراجل ونلقاهم
بأمثالهم ونقدم عليهم مستظهرين في قتالهم ومنا من يقول هؤلاء عالم
لا يحصى قد حضروا من الأدنى والأقصى وأزوادهم عن قريب تفرغ وأمادهم في الصبر
تبلغ وأمدادهم تنقطع وأنجادهم تمتنع وموادهم تقل وجوادهم تضل ومراكبهم
في الشتاء شتات وحبائلهم وحبالهم انبتات وانبثاث فإما أن يضطروا إلى الانفصال

وأما أن يؤذن فناء آجالهم بحلول الآجال ويهون علينا جرحهم في تلك الحال وكفى الله
المؤمنين القتال فهذا عسكر الإسلام وجند مصر والشام وفي الإقدام به خطر وفي المباشرة
بحربه غرر والمصلحة العامة تلحظ ورأس المال يحفظ ومنا من يقول نستدعي من جهة
الأساطيل ونستدفع بحفها الأباطيل ونستكثر من مراكبها ونستدعي على هذه الأفاعي
بعقاربها ونستطيل على الشناة المستطيلة بشوانيها ونعد وأعلى عوادي الأعادي
بعواديها وإذا وصلت وقطعت عليهم طرق البحر وصلت لنا أسباب النصر وحينئذ نقاتلهم
برًا وبحرًا ونوسعهم بمضايقتهم فيهما قتلًا وأسرًا وما زالت هذه الآراء بيننا متداولة
وخواطرنا في تدبيرها متجاولة والحرب بيننا وبين الفرنج جارية وزناد الهيجاء
لاشتعال نارها وارية في كل يوم نتصافح بالصفاح ونتكافى للكفاح وننطق فيهم
بكلام الكلوم ونلحق منهم الموجود بالمعدوم وللطلائع وقائع وللوقائع طلائع وللسهام
فواق فائقة وللحمام أسواق نافقة وسرايانا في كل يوم وليلة تسري وتسير وتبري
وتأسر وتكبس وتكسب وتسبي وتسلب والسلطان يباشر ذلك كله بنفسه وهو يزداد في
يومه لغده ويجتهد في الزيادة على أمسه ناهيا عن أعوان المسلمين وأنصارهم ساهرًا
لهم في ليلهم قائمًا بأمرهم في نهارهم والعين الساهرة في سبيل الله قريرة ويوم واحد لله في
اليوم الآخر ذخيرة

ذكر وقعة ثمت يوم الأربعاء ثامن شعبان هـ

وركب الفرنج آخر الأربعاء ثامن شعبان بأجمعهم وتقدموا من موضعهم واشتاقوا إلى مصرعهم
وفارقوا الحزم في تسرعهم وخرجوا عن رجالتهم وجردوا الخيالتهم وحملوا على الواقفين من

أصحابنا بحملة الرجل الواحد فتحرك الصف الثابت الساكن أمامهم كالبنيان إذا انحل
من القواعد وتراجع عنهم المسلمون استدراجًا وملأت الأرض السماء عجيجًا وعجاجًا وزخر
بحر الحرب على أمواج أمواجها فبلغوا من خيام البرك إليها وقد أعذكر جوا المعترك
وعساكرنا قد أحدقت عليهم وزحفت إليهم وأرادتهم بعقابهم وردتهم على أعقابهم و
وصلت إلى ردنيا بهم فقطعت رؤوسها والجيف بأنها ذلك الجمع بؤسًا وثنت وجه الكفر
عبوسًا ولو امتد بهم وأدبروا وأمولين والجرح بالقتيل عابر عاثر والزمر الباسل باسم
بالموت باسر فلما اختل الليل رجعت بما جنته الخيل وبات كل حزب على حرب وإعداد
عدد طعن وضرب وبات الناس من الجانبين على غاية من التيقظ وهمة متنبهة للتحفظ
وحماسة وحماية وسابية ورعاية فلما أصبحوا عادوا إلى عادتهم في اللقاء وهاجوا
بعاديتهم إلى الهيجاء هذا وأبواب البلد مفتوحة والصدور بطروق الظهر إليها
منشرحة والفرنج قد ندموا على ما قدموا وعدموا بصيرتهم بما صدموا وعادوا لا يفرطون
ولا يتورطون وينقبضون ولا ينبسطون

ذكر وفاة حسام الدين طمان هـ

انتقل السلطان ليلة الاثنين حادي عشر الشهر إلى تل العياضية ليكون منه في الجهة المرضية
فإن هذا التل بإزاء تل المصلبة منزلة العدو وهو مشرف عليهم للعلو وضربت خيام
الميمنة ممتدة إلى البحر وخيام الميسرة إلى النهر واتسع مجالنا وضاقت الدائرة على الكفر
وكان الأمير طمان صاحب رقة مريضًا لم يزل وجوه الأيام الغبر في سبيل الله باحمراره
بيضه بيضًا وهو الحسام الفاصل والهمام الباسل والعزم المنازل والندب

للاجل والمحنو وحمية الدين المقترح لحماية المسلمين ولما وافت وفاته رجاوه ولم
يرجا فواته اسف على عمره واسى على امره وحزن كيف لم يقتل شهيدا او لم يستشهد في
الجهاد سعيدا وقال قد مواصلتي حتى اشهد الحرب واستشهد واجاهد الى ان
اقتل واجتهد فاني ارى موتي على الفراش غبنا وقد عرفتم مني شجاعة لاجبنا
وتوفي عصر الاربعا ثاني عشر شعبان وبواه الله الجنان وبشره برضوان وقد كان توفي
بالغرب الامير النجيب فارس الحرب ليلة الاثنين السابع والعشرين من رجب
حسام الدين سنقر الخلاطي النجيب المنتجب فنبت مضارب الدين باغماد الحسامين وحلت
الهموم لاجل الحمامين فوجمت النفوس والمت القلوب وفاضت لغروب فيضهما الغروب
ذكر وقعة للعرب اربت لنا بالارب ه انتهى الينا ان الفرنج يتطرقون ويتطرفون
ويامنون ولا يتوقون ويخرجون للاحتشاش وينتشرون لضم الاعشاب من الاعشاب
ويصلون الى طرف النهر وهم لمن يحلق عليهم من فوقهم تحت القهر فانتدب جماعة من العربان
وضراغم فارسية من العربان فاغاروا وهم غادرون وساروا الى جمعهم وهم
بجمعهم سائرون وحالوا بينهم وبين خيامهم وحشروهم الى حمى حمامهم وحملوا اليهم
حين حملوا عليهم بوسا وقطعوا منهم لما اتصلوا اليهم روسا واحضروها عند السلطان
فاثابوا بها خلع الاحبا وبعثتهم على الحمية والابا وذلك يوم السبت سادس
عشر الشهر وسر المسلمون واستبشروا بوقعة النهر هذا والقتال بينهم وبين اصحابنا
في عكا متصل وشرار الشر مشتعل والموت بينهم منتو وفيهم منتقل وفي كل يوم

تقوم الحرب على ساق والارواح في مساق والمصارع على اتساق وكم قتل من حزب
العدو واسر وكم جاء ليكسر فكسر وربما ملت الحربان وكلت الفريقان فتوافقا على الامان
وتوافقا يتكلمان وربما اقدموا ثم نكصوا وغنوا ورقصوا واذا لغبوا لعبوا واستراحوا
الى الوقوف اذا تعبوا ومن نوادر ما جرى وغرائبه وملح ما تم وعجائبه ه
ان الطائفتين في بعض الايام ضجرتا من مباشرة الحرب على الدوام فقال واحد من الفرنج
الى متى هذا القتال وقد فني الرجال فاخرجوا صبيانكم الى صبياننا وليكونوا في امانكم
وامانهم فيشتفى منهم صبيان ومن البلد اخوان فتقاتلوا مليا والفوا الحرب صليا ثم وثب
احد الصبيين المسلمين على احد الصبيين الكافرين وضرب به الارض ووقع عليه وانقض وقبضه
كسيرا واخذه اسيرا فافتداه بعضهم بدينارين وعاد المسلم من ظهوره وسروره الى
حنين والعدو من كفره وفكره الى انين ومن الاتفاقات
النادرة والامارات السعادة الظاهرة انه افلت من بعض مراكب الفرنج حصان له
عندهم صيت وشان فلم يقدروا على ضبطه كما عجزوا عن ربطه وما زال يعوم في
البحر وهم حواليه حتى دخل مينا البلد وتسارع اصحابنا اليه واهدوه الى السلطان
وعده العدو من امارات الخذلان ورايناه لنا من دلايل النصر والاحسان ه
ذكر الوقعة الكبرى ه واصبح الفرنج يوم الاربعا العشرين من شعبان وقد
ربعوا الصلبان وزحفت اسودهم في غاب المران وطارت بهم خيولهم عقبانا على عقبان
وجرت بالجبال منهم رياح وجالوا دون التل كانهم له وشاح وخرجوا على التعبئة وشرعوا

بدا الكفر بالتلبية بالتبرية للتوبة وتقدموا معتزمين وعزموا مصممين وثاروا
ثورة الشيطان وفاروا فورة الطوفان وقدموا الراجل امام الفرسان وزحفوا اطلابا
وحفوا اطلابا ودبوا دبيب الليل الى النهار وهبوا هبوب الخيل الى المضمار واجروا سيل
السوابق الى القرار وجروا ذيل السوابغ الى الغرار وتحركوا وهم هضاب وتبركوا
وهم عضاب وما زال التيسير لهم تكثر وتكثف ويعطوا وينعطف ويقود ويشرد ويرود
ويبدو ويدو لهم ويهمهم ويدمدم ويدوم وقد عبى السلطان ميمنته وميسرته وطلب
من الله نصرته وثبت قلبه وقلبه ثابت وحزبه في صف الحرب ثابت ورعبه لكتيبة العدو
كابت وهو يعبر بالصفوف ويأمر بالوقوف ويحض على حفظ الايد ويحث على الجلاد
الجلد يثوب للوثوب ويندب الى الندوب ولما شاهد شروق بروقهم وخروق
مروقهم وكثافة ميسرتهم وحشو حشود كثرتهم انهض رجال القلب لتقوية ميمنته على
الحرب وكان الملك المظفر تقي الدين من الميمنة على الجناح في جمع يعثر بعثيره وارد الصباح
وكلما تقدموا اناخ ليستخبرهم ويحرر مكرهم ومكرتهم فعرفوا انه لا قبل لهم
بمقابلته وان هذا اليمين منفات مقاتلته فتركوه واستقبلوا القلب وزخرجهم وعب
وحملوا حملة دوى بها البر واسود منها الجو ووصلوا الى جموع ديار بكر والجزيرة
وغاصوا في لجتها بعد ان السوابح والسوابغ الغزيرة وكانت من القلب الى الجناح
للطيران وجالها على الرياح للجريان يعرفونها بالغرة واستضعفوها لدى الكرة والحوا بها
فما المت وهووا بها فما همت وابريت وما دبت وتراجعت وما رجعت وتعكست وما

عكست وادبرت وما ادبرت ولكونها غير عارفة بقتال الفرنج هابت وما هبت
ولابت وما لبثت ورابت وما رتبت وجالوا الى القلب وقلبوه وحاربوه وحربوه و
جربوا حزبه وخرقوا حجبه وهناك استشهد كرام باعوا انفسهم بالجنة فاسنوا
نحورهم نحو الاسنة منهم الامير مجلي بن مروان وكان مجليا في المروة والظهير اخو الفقيه
عيسى وكان طاهر الفتوة ولحوا زاعترفوا بذنوبهم فرحضوا بماء الشهادة درن جرمهم
وصعدوا الى مخيم السلطان طامعين في استمالة حزب الشيطان وكنت في جماعة من اهل
الفضل قد ركبنا ذلك اليوم ووقفنا على التل نشاهد الوقعة وننتظر ما يكون من القوم
وما ظننا ان القوة تهي وان الوقعة الينا تنتهي فلما خالطونا في المخيم وباسطونا في
المخيم وكنا على بغال بغير اهبة قال استنزركنا امرنا واخذنا منهم حذرنا
ورأينا العسكر موليا والمنهزم عما تركه من خيامه ورحله متخليا فوافقنا في
الاندفاع والفينا الاستنصار في الحال غير الانتفاع فوصلنا الى طبرية بيمن وصل
ووجدنا ساكنها قد اجفل فسقنا الى جسر الصنبرة ونزلنا على شرقيه وكل منا ذاهل
عن شيعه وريبه مفكر فيما يكون من امره منكسر القلب لما تم على الاسلام من كسره
يا لف مبينا ولا يلقى مبينا ممسك لجام فرسه قد اذن ضيق نفسه بضيق نفسه وكان
المنهزمين من بلغ عقبة فيق وهو غير مفيق ومنهم من وصل الى دمشق غير معرج
على طريق واقمنا مصغين على الجوى والحبل وانقه بحبلها والطوى والغمض غير طارق
الفرق غير مفارق والقلوب راتعة ومرتاعة والادعية الى الله مرفوعة مستجابة

يحدث الناس فيما بينهم بان الاسلام عاد جده وعبر اجتداه وان الكفر جاد فله
وقد فل حده وان الميسرة ثبتت فثاب اليسر والاسدية انتصروا فاستد النصر و
وكان هذا الصدى يقوى والصدا يروى والبشرى تسرى والبرد بها تجرى والناس
بين مصدق ومكذب وذاهب في مذهب من الظن مذهب فهذا بحى عنبر يجى اعلمنا خادم
اسمه صافى وقد ورد مورد الظمآن الصافي فنادى ابن العادل فقد جاءه من النصر المراد
فاسرعنا اليه واجتمعنا عليه فقلنا ما الخبر وكيف صفا الظفر وصفا الكدر وقدر
السلطان وتسلط القدر والى اين انت سائر بالنبا السائر وفي اية دار تنزل بمنزل النصر
الدار فقال انا بشير دمشق بالنبا العظيم والخبر الكريم فقلنا اهلا ببشائر البشائر و
طائر الاوطار والسائر بالمسار والاخ البار بالاخبار والصديق الصادق والموفق الموافق
ومرحبا بالمحيي للحاضر للامر جاء بالخبر الجلي فجلا وكم ام للنجح املا وجلا وجلا فانبا
بمجبور بن مجبورين وثبتنا مثابين ماجورين وبدمشلنا في الهزيمة وعز علينا ترك الاخذ بالعزيمة
ولقينا السلطان وقد قتل وقاتل وجد وجدل واستقل من القوم ومن مقامه ما انتقل و
تدنسك الجموع وجمع الاشلاء وادام الاجرا حتى اجرى الدماء ه

ذكر حصة النصرة بعد محنة الكسرة وكيف اذال الله الاسلام واذال الكفر بتلك الكرة

لما تمت الكسرة وعمت الفترة ودبت الكرة وامرت تلك المرة ووصل جماعة من الفرنج
الى خيمة السلطان ونهبوا من عارض اعراضهم شوم شيمة الشيطان وجالوا حوله وحالوا
دونه وصالوا وصولة ثم راوا عنهم انقطاع اشياعهم وعدموا اتباع اتباعهم فترعوا في

ابتغاعهم وهابوا الوقوف على اجتماعهم فانحدروا عن التل وقد جاءوا بقوة العز فابوا
بضعف الذل واستقلهم اصحابنا فركبوا اكتافهم وحكموا في الرقاب اسيافهم و
ردوهم وارادوهم وعبروا على شر كانهم في الشرك فاعدوهم وكان في ميسرتنا عسكر
سنجار والاسدية فما زالوا وما زلوا ابل وصلوا وما لوا وصلوا وحملت عليهم ميمنة
الفرنج وكانما رمت بالجبال الرياح وخالطتها ودعت اجسامها الارواح وعاد من
كان من الميمنة الاسلامية بالبعد جاد الصفاء ما في الحد مثل تقي الدين وقايماز النجمي
والحسام بن لاجين ومن ثبت من ابطال المجاهدين نعوكروا على ميسرة الفرنج فتلوها
وانهلوها من دماهم واعلوها وافقوها وفلوها ولفوها واقلوها ووضعوا فيها السيوف
واوضعوا اليها الحتوف واوسعوها فلا ذريعا وما ابطا الوقت حتى صار مقدامها
صريعا فلم يفلت من الاعداء ولم ينج من الاوهان الا الجاد وامست لنار الحرب فراشا والارض
المعركة فراشا وتبعها اصحابنا حتى كلت سيوفهم وكلوا وملت لتحرقهم وملوا وفرشناها
خمسة الاف فارس من كل ممارد ممارس ومستوحش بالموت انس ومن اودي لمرا اقدام
مقدم الداوية ولم يحمه من الحمام نار الحامية لنار الحمية وحكي عنه انه قال
عرضنا في ماية الف وعشرة الاف اجلاف لجاف والاف اتلاف بلا تلاف فلما عجزوا
بالخير والخيرة او تفعيهم لجنادنا وبلغ المدى فيهم جهادنا واجتهادنا ومن
العجب ان الذين بقوا منا لم يبلغوا الفارس واما ثمة الف وانا هم الله قوة بعد
ضعف وكان الواحد يقول قتلت من المثلثين ثلاثين واربعين وتركتهم بالعراء عراة

مصرعين ولا شك ان الله انزل ملائكته المسومين وكان يحدث بعد ذلك بما شهده
ويعيد الينا بما عهده وحكى بعضهم قال كنت على فرس قطوف ما له منه سير ولا وقوف
وانا منهزم من فارس مدجج في نحر الحرب ملج وهو على جبل تجري به جري الريح وينادي
بشعار المسيح وقد لز بقربي حصانه وهز لصلبي سنانه فما شككت انه يشكي لهزيمه
ويلقي بجذمه وايست من البقاء وانست للشهادة بالفناء واستعذت بالله واستغثت
وتشاهدت بما شاهدت ثم ابطات على صدمته واخطاتني حرمته فالتفت فاذا هو
وحصانه ملقى كلاهما وما وجدت بالقرب احدا اقول انه ارداهما فعرفت انه نصر الهي
وصنع رباني في مذاق الايمان شهي وفي آفاق الحسبان بهي فايقنت ان النصرة ما
ملكت الا الملائكة نصرت وان الظهور ما يسر الا باسرار الله ظهرت

ذكر مكاتبة انشاتها الى بعض الاطراف بشرح ما يسره الله في هذه الوقعة من الالطاف

قد سبقت المكاتبة بشرح الاحوال وذكرها وشكر الطاف الله الخفية وابداء سرها و
نشر مطاوي النعم باذاعة طيبها واشاعة نشرها وذكر فيها ما الفرنج عليه من اجتماع
راجلها وفارسها والاحتماء بخنادقها ومتارسها وان لنا كل يوم فيهم نكاية بالغة
وسطوة دامغة وثعالب عوامل في دمائهم والغة ومضارب مناصل لرؤوسهم فادغة
ونيوب عواسل لضغمهم ماضغة وذيول نقم عليهم في تقليص ظلال ضلالهم سابغة
وايدي الصفاح البيض بجمعهم الفاني صابغة وهم قد رضوا مرعى كل شغل سوى
شغل الجهاد فارغة وهمما وعزائم لا تزى عن وقم القوم اهل الزيغ زائغة وما برح

الفرنج في برح شديد وامر غير سديد وظل للذل مديد ومنون بهم في كل يوم جديد
حتى ضاقت انفسهم وانفاسهم واخفق رجاؤهم وظهر ياسهم ووقع منهم بطول
المقام باسهم فاجمعوا امرهم على انهم يجدون في اللقاء ويهيجون الى الهيجاء ويلقون
الالوف بالالوف ويصدمون الصفوف بالصفوف ويعرضون نحورهم ووجوههم على
الاسنة والسيوف ويجمعون في كلام الكلوم من الصواهل والصوارم بين الاصوات
والحروف ويكسفون بشبه التثليث ادلة التوحيد ويكشفون الضر عنهم بالجد
الجديد والحد الحديد وبرزوا ذلك الخميس يوم الاربعاء لعشر بقين من شعبان ورفعوا
الصلبان واشرعوا الخرصان ونبعوا الشيطان ورتبوا الرجال وطلبوا الفرسان و
حملت لهم الطلاب تضم ابطالا وتضمن بباطلها ابطالا وتامل لثلمها المتفرق اجتماعا للحق ح
ونوجوا للصليب السليب ارتجاعا وعصفت رياحها الموج واقبلت بحار سوابحها و
سوابقها تموج وكاد ان يثبت للشيطان قدم ويراق للايمان دم فانها خرقت حجاب
الصف وفرقت شمل الجمع الملتف وراع جنان الجبان وهمه ووهمه واذ يرمون بنا
وعزمه رغمه وظن من لا يقين له ان الاسلام قد اسلم وان نصر الله الموجود قد
عدم وان الكفر المتاخر قد تقدم وان الصبح المتبلج قد اظلم وهنالك عرف اهل
الثبات وثبت اهل العرفان ورقصت المران على اهازيج الشجعان والتف العنان
بالعنان والتقى السنان بالسنان وخطبت الصوارم على منابر الطلى ونعت الهادم
على كلا الكلى وفتحت ابغا الوغى الى الحتف وزحفت الفوارس الى فوارس الزحف

وعطفت العساكر المنصورة طلاباً بالنكال للأطلاب ووصلت ضرب الأعناق بقطع
الرقاب وما زالت تشتك الفرج وتقتلهم وتحل بعقدهم الوهن وتحلّهم وتروي ظماء
الظبى من ورد وريدهم وتخضب شيب البيض بدم طريدهم حتى فرشت بعد أن سلبت
أشلاؤهم بالعراء عرياً وجرحت جنوبهم وجباههم فلم تستطع أجراءً ولم تطق جرياً
وحتى تلمّست وتلمّت بجميعهم صفحات الصفاح ووقفت أشباحهم وقفة الوداع لفراق
الأرواح وأعربت حرب جلادهم عن جمجمة الجماجم الفصاح وقتل من مفرد منهم و
ومقدّميهم زهاء خمسة آلاف زهى الإسلام بما اتسع من عطب عطبهم وجيش
منقلبه بسوء منقلبهم وعاش بما شاع من قتلهم واشتغل العسكر المنصور بشغلهم
وطاب القلب المهموم بما تم من مأتم الكفر وعرس الدين وفصم الهدى متن الضلال
المتين وهبّت الروائع الفوارع بحمل هامات الجاهلين وانجلى الغبار عن كل قتيل
ما العاثر من مقيل ولا لقائله من مقيل وعادت أعلام الإسلام ظاهرة وأيمان
الإيمان باطشة قاهرة وهذي الهدى على النصر مزفوفة وعيون العدى عن النظر
بالعمى مكفوفة ولم نخ ممن حمل من حمل رأسه ولم يقدم من أولئك الرجال إلا
من فقد رجاءه ووجد يأسه وعاد الفرج إلى خبائهم وقد فجعوا بتلك الألوف و
أصيبوا بمن صفا في تلك الصفوف وتراءت وجوه الفتوح لنا من خلال تلك الحتوف
ودخل الليل عليهم ووقفت العساكر حولهم وأزوهنوا لما أصابهم من
الكسرة وأخطأتهم من النصرة وحل فيهم من الذل وسحرهم الشيطان في موضع

ونجع كلهم بالجزء ونقص منهم العدد الكثير وركد من ريحهم ذلك العاصف المبير
فإنهم في حشد كاللبد بأجمع أعضى الوهاد والربى وقد أخلدوا إلى الأرض وشدوا
على حب الموت الحبى ووجدوا الوجد وأمهروا ونفقوا الأيدي سبا وقد عادوا وخشّوا
ونصبوا وأحجروا المقام على الجبل حين تحيروا وسعوا الخنادق وعمّقوها وأحكموا وتعمقوها
المتاريس وأوثقوها وندموا على الحركة فإنها أفضت بهم إلى الهلكة وإنهم ما داموا
رابضين وعلى يد الصبر قابضين يتعذر الوصول إليهم والدخول عليهم وتطول أيام
الإحاطة بهم من حواليهم وفي تلك الحركة التي جلاها الشجعان طعم الطعن وغلب
بها الجبناء وهم الوهن وتجافى عن الثبات من يحيى الدساجيب الجبن ارتاع عسكر الشرق
من ذلك الغرب واختار المتسللون المتقللون منهم البعد على القرب وما ثبت لأ عسكر
سنجار وكله مجرب مجرب للأمور سديد سداد للثغور ومجاهد الدين برنقش قد صدق
نعته بالمجاهدة للدين وجلا ظلمة الوهم بنور اليقين وقرت عين طمان في الجنة بإقدام
الولد وما ذا يقال في شبان ذلك الأسد وإنما الغرباء هابوا وكانوا قد ضجروا من
الحضور فغابوا والفرج الآن في ذلك وخيبر وفي عسر بغير يسر وفي حصر بغير حصر
والمرجو من الله سبحانه أن يقدر على قطع دابرهم وإهلاك سائرهم عن آخرهم
وتحريك همم المؤمنين في تسكين نائرهم وتخريب عمرهم وعامرهم وإنزال دوائر السوء
بمنازل دوائرهم وما دام البحر بحرهم والبر لا يصدّهم فبلاء البلاد بهم دائم ومرض
القلوب بأدوائهم وأسوائهم ملازم وتدبيرنا الآن في التدبير على هذه الجموع

ويسوقهم إلى مصارعهم في ورطة الوقوع فإن حمية المسلمين ونخوة أهل الدين وغيرة
أهل اليقين وما ينقضي عجبنا من تصافي المشرك على شركه وتظاهره في اتساع مسلكه
واتساق سلكه وقعود المسلمين عن المسلمين وتقاعدهم وتعاضلهم في تعاضدهم
والخلال عقود تعاقدهم فلا ملبي بينهم لمناد ولا مشفق لمناد ولا موري منهم في
إجابة داع لزناد فانظروا إلى الفرنج أي مورد وردوا وأي حشد حشدوا وأية
ضالة نشدوا وأية نجدة أنجدوا وأية أموال غرموها وأنفقوها وجدات جمعوها وتوزعوها
فيما بينهم وفرقوها ولم يبق ملك في بلادهم وجزائرهم ولا عظيم ولا كبير من عظمائهم
وأكابرهم إلا جارى جاره في مضمار الإنجاد وبارى نظيره في الجد والاجتهاد واستقلوا
في صون ملتهم بذل المهج والأرواح وأمدوا أجناسهم الأنجاس بأنواع السلاح مع أهل
الكفاح وما فعلوا ما فعلوا ولا بذلوا ما بذلوا إلا لمجرد الحمية لمن يعبدهم والنخوة لمعتقدهم
وليس أحد من الفرنجية يستشعر أن الساحل إذا ملك ورفع فيه حجابهم هتك
خرج بلد من يده أو تمتد يد إلى بلده والمسلمون بخلاف ذلك قد وهنوا وملوا و
غفلوا وكسلوا ولزموا الحيرة وعدموا الغيرة ولو انثنى والعياذ بالله للإسلام عنان
أو خبا سنا ونبا سنان لما وجد في شرق البلاد وغربها وبعد الآفاق وقربها من يدين
الله بغار ومن ينصر الحق على الباطل بختار وهذا أوان رفض التواني واستنداء
أولي الحمية من الأقاصي والأداني على أنا نحمد الله لنصره راجون وله بإخلاص السر
وسر الإخلاص مناجون والمشركون بإذن الله هالكون والمؤمنون آمنون ناجون

ذكر ما عرض للعسكر بعد ذلك من العذر فصد عن قصد المباكرة لمناجزة أهل الكفر

وعاد السلطان إلى مضاربه وقد عادت مضاربه إلى عادة المضاء وزادت مشاربه
من مادة الصفاء وأمر بمواراة الشهداء ومن جملتهم الفقيه أبو علي بن رواحة وكان
غزير الفضل فيه كمال الرجاحة والسجاحة وهو شاعر مفلق وفقيه محقق من ولد عبد الله
ابن رواحة الصحابي الأنصاري في الشهادة والشعر معرق وقطبه الأعلى يوم مؤتة
مع جعفر الطيار وطرفه الأقرب يوم عكا في لقاء الكفار ومنهم إسماعيل الصوفي
الأرموي المكسر وكان شديدًا عفيفًا عاريًا من العار لا يتدنس بالشبه ولا يتلبس
ومنهم شيخ من الحاشية في بيت الطشت وغلام من الخزانة أمير على البيت في آخرين
صودفوا عند التل فأنالتهم السعادة وحباهم الشهادة وهو لا يسوى من وقع في
الوقعة وذهب قبل الرجعة وأجمع السلطان وذوو الآراء أنه يصبح القوم ويباكر
في طلب أرواحهم السوم وقال هو لأنا قد أضعفنا قوتهم وأعجزنا قدرتهم وفثأنا سورهم
وأخمدنا فورهم وقتلنا مقاتلتهم وأردينا أدرأتهم فإن تركناهم بلغوا الريق و
بلغوا في الاحتراز والاحتراس الطريق فنحن نواقفهم غدًا ونوقفهم تردي ونكيلهم بصاع
المصاع ونذرعهم بباع الشجاع ونقيسهم بذراع البراع ونوسعهم قرى القراع
ونذيقهم حر الحرب ونسيغهم في طعم الطعن ضرب الضرب ونعين من عيونهم
للسهام سهامًا ونتخذ لأرواح النصال أجسامهم أجسامًا ونغرقهم بماء فرند الهند وإنا
ونحرقهم بنار زند اليمانيات ونوجد من عدمهم النصر ونطيب من نتنهم النشر

وتقطع دابرهم ويلحق باولهم آخرهم فلما اتفقت الآراء على امضاء هذا العزم واجراء
هذا الحكم تفقد العسكر فاذا هو قد غاب لما ناب من الامر وراب وذلك ان
غلمان العسكرية وصحابها واوباش الجمع واوشابها ظنوا تلك العودة هزيمة فنهبوا
الاثقال والاحمال وعدوها غنيمة وانهزم من انهزم من الجند وثبت من ثبت من اهل
الجد فمن عاد الى رحله وجده منهوبا مسلوبا وكان ظنه انه فرغ من لقاء خطب فلقي
خطوبا فمضوا وراء الغلمان ولحقوا بسواد بن السودان واصبحنا واذا العسكر غايب والعازم
عازب والقاصم قاصر والطامع عاص والجمع متفرق والثابت قلق والامن فرق
والغني معدم والجري متندم فهذا خلف ما ذهب من ماله ذاهب وهذا من طلب
الطريق باتقاء له طالب فتعذر ذلك العزم وتأخر ذلك الحكم وانتعش الفرنج في
تلك المدة وانتشلوا من تلك الشدة واستطالوا بعد الانفاد وفرغوا الشغل
الحصاد وجاءهم في البحر مراكب اخلفت من عدم وبنت ما هدم وكملت بالمدد ما نقص
من العدد ولولا ان الله تعالى قدر بقاءهم لكنا عاودنا صباح تلك الليلة لقاءهم
فان الفرصة امكنت والحصة تعينت والجو خال والضوء عال والحال جميلة والمجال
جال فقضى الله بما قضى وعرانا المضض بما عرا وبقيت هنالك تلك الجيف منتنة منبتة
وتلك الجثث محسة بحثة تعرفنا ان نشورها من حواصل النسور وان قبورها
بطون الضباع والنمور فتلونا نتن رايحتها وشكونا من جاينتها فتجلد السلطان
حملها على العجل الى النهر ليشرب من صديدها اهل الكفر فحمل اكثر من خمسة الاف

جثة الى الماء وبعث الى النار قبل يوم البعثة فما عبر بها الا من اعتبر واستشفى
من اقبال من ادبر وسلم الله من سلم وكف وردّ بالردى من كفر ❁

ذكر ما اعتمده السلطان في استرجاع ما نهب من الثقل واستدراك ما عزب من الخلل

تقدم الامر الى المقدمين والامراء بعد النداء واعلام الجهلاء باحصاء كل ما نهب واحضار
كل ما سلب وانه من لم يؤد ما اخذه اخذ بالردى واعتدي عليه بمثل ما اعتدى فاحضر
كل ما عنده وبذل في الكشف جهده وجمعوا ما تفرق منه في الخيام في خيمة السلطان
وضاقت عن كثرته سعة ذلك المكان وجلس السلطان يوم الجمعة لسبع بقين من
شعبان فكل من عرف من ماله شيئا اخذه بعد احلافه وحلا في مذاق الشكر وطاف
الطافه وجرى في معاناة ذوي الاخلاق الصعبة على سهولة اخلاقه وشفى العلل
والغلل بالنهل والعلل من اشفاقه وقمش ذلك القماش وحصل من ذلك الوبل
الرشاش وصح بعد العري والعثار الارتياش والانتعاش وكتب الى الولاة بالامصار
والنواحي والاقطار والضواحي بحث البحث وجد الكشف واستخلاص كل ما يوجد
بالرفق والعنف وتراجع الناس وتتابع الايناس وعادت مضارب العزايم الى مضايها
وقضاة القواضب الى اقتضايها واقتضايها وغار الانف وانف الغيران وتسلط العزم
وعزم السلطان وثار الحنق وحنق الثاير وطار العلق وعلق الطاير وطلبت الطلى
بكاح بنات الخلل الذكور واترات للترب بنات الاسلات الى ماء النحور وحمي
ذوو الحمية للتقاضي وقالوا حتى متى الترامي بالتغاضي ❁

ذكر مجلس عقد ورأي عليه اعتمد وصواب انتقد وقد فقد

وحضر اكابر الامراء عند السلطان يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان فقال اعلموا ان
هذا عدو الله وعدونا قد اجلب بخيله ورجله واناخ بكلكله كله وقد برز بالكفر كله الى الاسلام
كله وجمع حشده وحشد جمعه واستنفد وسعه وان لم نعاجله الان فربيعه والبحر قد
منع طريقه اعضل داؤه وتعذر رغد القاؤه فانه اذا سكن البحر واستسهل ركوبه
السفر تضاعفت اعداد الاعداء وظهر الاعدام من الاعداء وخرج الداء عن قبول الدواء
ونحن ما وراءنا نجدة ننتظرها ولا قوة نستحضرها وما يلي بهذا المعشر الا معشرنا
ولا نباري عسكر الكفر الا عسكرنا وما في المسلمين من ينجدنا ولا في بلاد الاسلام من
يسعدنا وعساكرنا حاضرة وعزايمنا للنوائب حاظرة وعيون الاسنة الى الفتك
بالعدى ناظرة وما يعوزنا الا حضور اخينا الملك العادل سيف الدين ولا بقاء للنفاد
اذا اصحر منه ليث العرين فالراي في المناجزة قبل فوتهم على نجاح المحاجزة ثم قال
ليشر كل منكم برايه ولا نقدم على قول ورايه من وراية فتجاذبوا اجبل الاضطراب
واختلفوا في الاراء بحسب اختلاف الارباب وركب كل منهم هواه واعلن بما نواه
منهم من قال هذا تاسع عشرين الثاني لا الاول وقد دفعنا الى الخطب الاعضل
والتعب الاطول والنايب الاعصى والناب الاعضل وما نزلنا عن الخيل منذ خمسين
يوما وما طعمنا في هذه الليالي نوما ولا نمنا لطارق طيف غمضا ولا شمنا الا لبارق
سيف ومضا وكم قد رفتنا المنايا وقد دخلنا لهواتها وكان ابا الطيب عنانا بقوله

وكانما خلقوا على صهواتها   وقد كلت الصوارم وفلت البواتر وملت العساكر وهذا
الشتاء قد اقبل والعدو قد استقل والشر قد استحفل وما ينالني قلعة الا من
يتاني وبالصبر يدرك الارب ما يتمنى وهم بالمصابرة مصابون ونحن على المثابرة
مثابون وهولاء لا تمكن منهم الا بالجمع الجم والسيل لا يغلبه غير الخضم والصواب
ان نصابرهم هذه الشتوة ونستجد لنا ولخيلنا القوة ونتاخر عن هذه المنزلة
لتحصيل هذه المصلحة المؤملة ونوكل بهم مناوبة من يمنعهم من الخروج واذا انقضى
البرد نرجع الى معالجة هولاء العلوج ونعيد السرحيات الى سهولها والسلاهب الى
السروج والصواب الاخذ بالاحتياط وتقديم الكتب والرسل الى الاطراف والاوساط
ومكاتبة دار السلام واعلام الامام عليه افضل السلام بما دفع اليه الاسلام
بالشام فان المسلمين لا شك ينجدون ويقومون بالنصرة ولا يقعدون ولا نترك
استنفار التركمان وترغيبهم بالبر والاحسان واستدعاهم بالعطايا والتشريفات
السنايا ويسفر الى بلاد الشام القاصية والدانية في تحريك الهمم والعزايم الوانية
الى ان يمتلي بالجموع ساح الساحل وتغلي بنار الحميات بها مراجل الراجل والجنيد
ننهي امد المصابرة ونصمم على المكابرة مع المكاثرة ونبادرهم ونكاثرهم قبل
انفتاح البحر ونفادهم ونواخذهم على اقتراح القهر ونسفهم ولو انهم جبال
ونذرهم ولو انهم بحار ونعيدهم حتى لا يطرق جفن بلد منهم خيال ولا يلم بجفن
طارق لهم غرار وما زلنا في مشاورة حتى تحلل الراي وتمحض وحالوا انه تبين الصواب

ونحن ما لوا الى الدعة والخروج من الضيق الى السعة ومن نزال الحرب الى المنزل
الرحب ومن المعترك المعتكر الى المبرك المبكر فلم تعجبني هذه الحالة ولم توافقني
هذه المقالة وقلت لعمري انتم بمصلحة ولكنها غير مترجحة فان الفرنج الى الآن
لم يتمكنوا من الجهاد ولم يحدقوا الجميع الاسوار فاذا رحلنا وتجنبنا عنهم ارحنا
خاطرهم واطلنا الى مرادهم اعناقهم وباب عكا من جانب البحر مفتوح والمقيم بها منا
بكان تفقدنا اياه مغبوق مصبوح والطريق اليها سابلة والذخائر اليها في كل يوم
داخلة والفرنج عن قطع الطريق عاجزة وعزائمنا عن مصالحنا وما بها لها دون
نصرتها حاجزة فان تاخرنا تقدموا وان ونينا احكموا وان نقضنا ابرموا وان قعدنا
قاموا وان بعدنا ناجوا وفي رمساهم تحفظوا ومتى نمنا عنهم تيقظوا وما دمنا نشغلهم
بانهم لحصر البلد لا يتفرغون ولا الى امد الامل لا يبلغون فقالوا هذا امر هين وما
ذكرناه صواب متعين ووجه الصلاح فيه بين وما مقصودنا الا ان ينتشروا و
يخرجوا من مضايقهم ويصحروا واذا انسوا بالرخاء ولم ييأسوا من الارجاء رجعنا
لهم بحبل الانظار حتى استمروا على الانتشار حينئذ نصبحهم على غرة و
نعاجلهم كرة بعد كرة وننقض عليهم انقضاض البزاة على البغاث ونصدمهم
بالباعث الباغت لهم عن الانبعاث وكان السلطان منكرا لما ابدوه من الراي
الملتاث لولا ما عرض لمزاجه من الالتياث

وكان السلطان مع ما الم به من الالم غير

مبد وجه الملك والثبات وهو في كل يوم يركب وعلى العسكر يطوف ويقف مستطيلا
على العدو ويطول منه الوقوف ويعود وقت الظهر وعليه اثر الضر من الصبر فليم
على فعله وخصه الطبيب بعذله فانتقل الى التل ليلة الثلثاء رابع شهر رمضان
وخلى المنزل الاول واخلى العسكر ذلك المكان وتقدم الى من بعكا باغلاق الباب
وسلوك نهج الاحتراس والاجتناب وجرى الامر على ما كنت قلته وتحقق من الخلل ما
خلته فان المركيس رحل وشغل الجانب الذي كان لنا ورخص عنده ما كان من
سوم خوفه غاليا وشرع الفرنج في حفر خندق على معسكرهم حوالي عكا من البحر
الى البحر واخرجوا ما كان في مراكبهم من آلات الحصر وفي كل يوم تاتينا اليزكية
خبرهم وبما يظهر من اثرهم والجد في تعميق الخندق وتتمهم بحفرهم والعسكر كاجم
كانه واجم والظن فيه راجم وشرر الكفر ناجم وما فينا لعود الامر عاجم وقلت يوما
للسلطان يركب العسكر اليهم ويركض عليهم فلعله ينال ظفرا ويقضي من كسر
العدو وطرا فقال ما يعمل العسكر شيئا الا اذا كنت معه راكبا ولعمله مشاهدا مراقبا
ولقد صدق في مقاله لانه كان اعرف برجاله فانهم كانوا ابدا يبذلون معه المهج و
يخوضون من بحر الحرب اللجج ويوسعون بهم العدو المازق الحرج وكان من قضاء الله
انا اغفلناهم بل اهملناهم حتى عمقوا الحفور ونقوا من ترابها السور وملاوه
بالستائر ومنعوه من الطائر وبنوه واسسوه وستروه وترسوه ورتبوا عليه
رجالا ولم يتركوا اليه لواغل مجالا وتركوا فيه ابوابا وفروجا للظهور منها

إذا أراد وأخر وجاء ولما فرغوا من هذا الأمر اشتغلوا بالجبر ونحن نقول لا مبالاة
بهم ولا اكتراث وما أسهل إذ عزمنا عليهم لأصولهم الاجتثاث وبسيول سيوفنا
تغسل تلك الأخباث وأي وقت قصدناهم وجيناهم وجاءناهم ونكانا فيهم و
نكيناهم وما فوارسهم لنا إلا فرايس وما خنادقهم لهم إلا رموس دوارس وما
حفروا إلا قبورهم وما دبروا إلا ثبورهم وفي صدقناهم كذبت ظنونهم و
صدقتهم منونهم وامتلأت بأشلائهم خنادقهم وأظلمت عليهم بغربنا مشارقهم
وبيتهم بوائقهم وبتت علائقهم

ذكر رأي أبيت عن النظر في الغاي غايب أسفر عن ذائب وأبان عن غرار تبغرايب ووقعت لبعض الأكابر فيه عليه خبره ووكل بأيامه بصر بمعه و

ولما تمت على الفرنج تلك المقتلة وعمت فيهم الهلكة
وضمت أشلاءهم المعركة وشوهدت على الرزء حجب نحورهم المهتكة وخمدوا و
خملوا وأهلكهم الله بما عملوا وقع لبعض الأكابر أنه لم يبق للقوم انتعاش من تلك
المعاثر فإنهم قد عدموا القرار وعزموا للفرار ولو قدروا على النجاة تخلصوا
ولو فتحنا طريقهم ما تصبروا ولا تربصوا وقال للسلطان ارحل عنهم حتى تروا
ما يكون منهم فإنهم يرهبون ويهربون وبعد ذلك يصبرون ومن بعد كما من عكا
لا يقربون فمال قوم إلى مقاله وتخيلوا امتثال خياله وأشار بقطع طريق البلد والصدر
عن ورد الرصد وأن يجري في تعبية الجرد وأن يفتح لهم ما سد من الطريق ولا يعوقهم
فإنهم كلاب تعوى من التعويق ولما بلونا رأيه وتلونا آيه أخلف ظنه وبدا
وهنه وما زاد الفرنج إلا ثباتا ولم نعرف لتثميلهم على ما توهمه شتاتا وكنا نتحدث
بذلك الرأي القايل ونقول ما أعجب قولنا قول هذا القايل م

ذكر ما جرى بعد ذلك من الحوادث وتجدد للغرايم من البواعث

أقام السلطان بالمخيم لإصلاح مزاجه وإيضاح منهاجه ومداواة ألمه ومداراة
سقمه فوهب الله له العافية وكمل له عصمته الكافية ومنته الشافية وأبرى له
ألطافه الخافية ونوب قلبه على المقام بنية الانتقام وصرف الأجناد الغرباء
ليربحوا في التربيع ويستريحوا في مرابعهم لوقت الرجوع وأقام في مماليكه وخواصه و
رجال حلقته المنصورة من ذوي استخلاصه ورتب النوبة على الفرنج بركاضه
دركا وأدار بهلاك القوم منه فلكا وكان في مماليكه كل مقدم مقدام وكل همام همام
وكل ليث ذو لوثة وكل حدث يحسن له حسن أحدوثة وكل ضيغم ضاغم وكل أسد
عرين لبس آلاع من قرنه براغم وكل رئبال ذي بال وكل بطل من ولاية الهيجاء غير
بطال وكل مغير للنصر مبتغ وكل ساع إلى العدو لكأس الحمام مسيغ وكل تركي
للزكاة غير تارك وللأصحاب غير فارك قوسه في ظفر العدى مؤثر على الوتر و
سهمه من مقتل العدى طاير إلى الوكر وسيفه في رداء الردى حال بدم الكفر وكل
حيدري في الروع جميد وبالحرب عميد وكل مكاري على القرن عكار وفي الوغا
كرار وللفتاح اد وكل زرزاري بالأسد زار وللبسالة كاس ومن العار عار
وكل مهرجاني في القتال ماهر وللرجال قاهر وعلى الأبطال ظاهر وكل كمي كبش

والكرّ بين على الكرّ بين فما خلا يوم من وقعة وما صار من بارزهم الا الى صرعة وما عاد
من نحاريرنا بير سهامهم الا بلسعة وما حصلت شفاه شفارهم من طلى من طاولهم
الا على لطعة وما يخفى على لثوتهم لبث ولصولتهم في النزال كل صباح ومساء صيت
وبلي الفرنج منهم بالمبير المبيد واعانهم مراد العدو والمريد وما زال هذا
داْبهم في الركوب ومباكرتهم ومراوحتهم الى مواقف الكروب فكم اقروا منا
اعينا بابرهم ونثوا عداء النصر بتعددهم وصدوا شر الشرك بتصديهم وحركوا
ما سكن وهدّوا من عزايم الهداة بتهديهم وفي يوم الاثنين ثالث شهر رمضان اخذ
اصحابنا بعكا مركبا للفرنج الى صور مقلعا واجتلينا به من سنا النصر مطلعا و
كان المركب يحتوي على ثلثين رجلا وامراة واحدة وزرمة من الحرير وجاءت حظوة
حلوة وغنيمة صفوة ونشوة اعقبت صحوة وصيحة استصحبت محوة وفتوة من وهن العدو
ومحنة نكت رهن السلو فقد كان انكسر نشاطهم وانقبض انبساطهم وانخفض اغتباطهم
وفترت عزماتهم وقصرت هممهم وخمدت فورتهم وركدت ثورتهم فلما عثروا
بالمركب انتعشوا وانتفشوا وتمغوا وتغشوا ودبّ الروح وشبّ المروح وتحرك الساكن
وتدارك الضامن وكانوا يخرجون ويحرجون ويقتلون ويجرحون ويمسون على القتال و
يصبحون ويكافحون ويراعون ويقارعون ويوافقون والعسكر في المنزلة هاجم وجم
جمعه واجم والبزكية زكية والعيون ذكية والنوب راتبة والعدة المعينة
المعينة في كل يوم راكبة

ذكر وصول ملك الالمان

ونمى الخبر بوصول ملك الالمان الى قسطنطينية في عدد دهم دثر ونظم من خيله
ورجله ونثر وهو على قصد العبور الى بلاد الاسلام وقطع بلد الروم والارمن الى
الشام وانه في ثلثماية الف مقاتل من كل سالب باسل وطالب باطل وجهم
جهنمي واشقر سقري واشمر افعواني وصلب صليبي صلالي وارقش حنشي ومسعر
سعيري ومحرب لظوي ومغوار ناري وضار بالقرن ضاري وجار للدرع جار
وكل ذيب عاسل ذات بعاسل وازرق لابيض مشتمل واصهب لاسمر معتقل
وكل محبي جاحم وحمري فاحم وجزني بحري وباربري وقاطع في طريق الوصول
وراحل يقصد الحلول ونار الى النزال وصال بنار الصيال ومتنمر على الموت متمرن
ومجتر الى المنون متجن وفيهم ستون الف فارس مدرع مقنع ما له سوى الستر من
مقنع وانه مع الالمان ملوك وكنود وكل سيطان لديه كنود وكتب صاحب قلعة
الروم مقدم الارمن وهو في قلعته على الفرات ومن اهل الذمة في المامن يبدي
نصحا واشفاقا وخوفا على البلاد واخرافا ويقطع بان الواصلين في كثرة وان
الناهضين الى طريقهم في عثرة وابرق في كتابه وارعد وابدع في خطابه وابعد
ولا شك انه الى جنسه النجس مايل وبملاقاة اهل ملته قايل ولما وصل هذا النبا
قيل انه عظيم وورد هذا الخبر وخيل انه اليم كاد الناس يضطربون على انهم
يصدقون ويكذبون ومن طريق كل حيل من الراي يجدبون وقلنا ان صح هذا
الخطر وصح هذا الخبر فالمسلمون يقومون لنا ولا يقعدون ويغضبون لله ولا يرضون

انهم لا يقصدون على ان الله ناصرنا وموازرنا ومظاهرنا وحققنا باظهار القوة
لمن استوحش الثانيين وبثثنا بالارسال الى بلاد الروم عيوننا وجواسيسنا وندبنا للاستنصا :
وبعثنا كتب الاستنفار الى جميع الامصار والاقطار وقلنا ماهذه المرة الا مرة لا
يسيغها الاكل من الى وماهذه الكرة مثل كل كرة ولا حضها الاكال كيس كمي

ذكر رسالة الى دار الخلافة وعول السلطان على القاضي بهاء الدين ابن شداد ابي يوسف
ابن رافع بن تميم ليكون كتابه الى الديوان العزيز مع رسول كريم وقال له ما احتاج اوصى
وانت تستوفي القول وتستقصي وجعل له الى كل ذي طرف في طريقه رسالة واودعه
اليه مقالة من عند باني شهر رمضان معتزا ابيت حبل العزم بذا وبحد حبل السير جدا
ووصل الى حلب والقاضي ضياء الدين القسم بن يحيى بن عبد الله الشهرزوري رسول
السلطان ببغداد قد عاد وذكر انه قد بلغ المراد وانه استنجز واستنجد واستزاد
وانه استكمل للعدة الاستنجاز وللعدة الاستنجاد فما هذا الرسول الراح ولربما
تعرضت لتلك الحوائج الجوائح واذا اختلف الحديث جرت الاختلاف ومتى اتفق
غير ما اتفق اتفق الايتلاف فما هذا العجل وثم الوجل فصدقه الملك الظاهر غازي
صاحب حلب على كل ما ابان عنه واعرب وكتب الى والده بذكر مقاصده وقال انا
لا اقدر على صدق من الخدمة تصدى ولا ردمن ثوب الرسالة تردى وانت تمضي الى السلطان
بما اوضحته من البرهان وهو حاكم وحكم ويعقد ويبرم ويقول فتستمع وبامر فتتبع ولعلك
تعود سريعا وتجد شملك الفته جميعا فوصل ضياء الدين الشهرزوري وهو مغتاظ وتجاباه

الشجاج غلاظ وتغير علي ونسب انفاذ القاضي بهاء الدين الي فانه كان يخالطني و
يخالطني ويجالسني ويباسطني فازلت عنه كل ظن واعتذرت اليه بكل فن وبسط
عذره ولا تبغض عذرا فاني على اسبابي بعد اذ خايف ودون رضا كل ساير اليها واقف
واسترضيته فما رضي ومضيت اليه مرارا قبل ان يمضي ثم اجتمع بالسلطان ونمه على
ما اقدمه واعلمه وقال له الشغل قد فرغ والمقصود قد بلغ والسؤال قد اجيبت و
السؤل قد اصيب والمخطوب خوطب بزمامه مخطوم وكل ملك سواك لاجلك من
رضاع رضاهم مفطوم ولكن للامام بكن لك واقبل امره ليقبلك واجتمع بالسلطان
دوني واتفق بجماعة شاركوه وافردوني وقرروا معه سر امر واخروه ان
يصير جهرا ولو كنت معهم لعرفتهم ان الامر الذي ابرموه غير مبرم وان الراي
الذي احكموه غير محكم ومازلت اوكد الامر في يوم انتقاضه واعرض دون
الراي في لا يمكن اعتراضه وانبئ ان الامر ما فيه خلاف وان الوعد ما له اخلاف
فما فعل الرسول بتلبث ولا امهال بتمكث بل حمل على المجاز لا الحقيقة مجازه وزعم
فيما ادعاه نجاحه ونجازه وسلك فما اقتدى نهج العجب واسرع العود على النجب
فلما انفصل عن السلطان بما وصله من الاحسان جمع السلطان الامرا على المشورة
ووقفهم على المعنى والصورة وقال لهم قد وعدت الخليفة على لسان الشهرزوري
واستدعيت عساكره المنصورة فما قدم الينا الحضور فمن لنا النصر والحبور
فقالوا هذا راي رايب وشاو شايب وامر عنه الصواب نايا وكيف يعد الامام

شهرزوري

بما لا يقرن بوفاء وكيف ننجز هذا الموعد ونجح هذا المقصد ودونه ايحاش من هو في
طاعتك فكنت تبذل ما يدخل في استطاعتك اما صاحب الموصل طلبها فمنع واما
صاحب اربل عنها دفع ومملوك بها من مجاور مخايف وكان ابواي لجدها وحقها حايف
وما من هولا الا من بذل عنها اموالا واحوالا والتزم من الجنود والنقود اجنادا خفافا
وحمولا ثقالا فاذا اعرف بانك اخرجتها الى من له الامر دخل عليهم الضرر وملك مالك
الامر امرهم وابدوا في انقطاعهم عنك عذرهم وانقطع الواصل وارتفع الحاصل
وما جانا من المذكورين فارس واحد ولا ساعد على ما نحن فيه بعدها مساعد اما هذا
بكتمر في خلاط فقد جمع الاخلاط وجهر العداوة واقام على الغباوة والغباوة فقال
السلطان الخليفة مالك الخليقة وهو مالك الحق والحقيقة فان وصل الينا اعطيناه
هذه البلاد فكيف شهرزور وسيحدث الله بعد الامور امورا ولما وصل ضيا
الدين الشهرزوري الى بغداد صادف بها القاضي ابن شداد فلم يسفر امر سفارته
عن سداد وقيل له جواب ما اثبت فيه مع ضيا الدين نسيره وسديد فيما تختاره
وشرف بها الدين واعيد وزين ضيا الدين وزيد وذكر ما جرى فتم الاعتداد وتم
الاحماد وسياتي ذكر ما آلت اليه نوبته حين كانت اوبته

ذكر وصول الملك العادل سيف الدين اخي السلطان والاستظهار بجموعه والاجتماع بظهوره لنصرة الايمان

ووصل الملك العادل سيف الدين من مصر منتصف شوال في جيش والف وجمع حافل
وشوكة رايعة وشكة رادعة وشارة سارة ودعة من البأس دارة وعدة منتخبة

منتخبة وعدة منتقاة مصطفاة من كل اجدل على مرقب واجرد على جواد مقرب وعتيق على
صافن عتيق وطود على طود وثيق وصقر على سوذنيق وبحر على سابح وجذع على قارح ورتب
كل ريبال على شقاء واغر محجب على اغر محجل ومن كل ابيض ضراب بالبيض ضراب وكل اسمر
باسل بالسمر سلاب وكل اروع بحماية براعا وكل شجاع يعتقل شجاعا وكل احمى احمس وكل اقرى
اقرن ومن كل اسد خادر وقسور قاسر وضيغم ضاغم وقمقام واقم وليث به لوثة وحدث
له في الشهامة احدوثة واحضر معه من سودان مصر كل دمثر كانه العبسي عابس وكل مغامر
للموت مغامس وكل غربيب حالك وكل سرحان صعلوك وكل مرغام غربيب وكل مقدام
ربيب وكل خارج لنار وكل مارج من نار وكل اسود سالخ وكل رايس في الشر راسخ وجاءوا
بالقسي القطبية والتراس اللمطية والصلال القفطية والات النوبية والحراب الحربية والصعاد
الصعيدية والصوارم المذروبة والصرايم المشبوبة والاسنة المسنونة والسوابغ الموضونة
والسراحين السارحة والثعابين الجارحة والتماسيح المزدردة والشياطين المتوقدة والزبانية
والهندبات والبينات وكان يوم وصول العادل مشهودا لم يترك فيما يراد من القوة
مجهودا واقبل في روع ظاهر وضوع باهر ونشر ذايع ونشر ضايع وجو زنام ونسر ورعام وهزة و
طرب وعزة وارب وقلنا سيف الدين المنتضى وناصر الاسلام المرتضى وغياث الانام
المرتجى وسلطان جيوش المسلمين المجتبى لقد نصر النصر وكف الكفر وسلم الاسلام ونام الانام
وامن الايمان وتسلط السلطان وحليت الاحوال وفرغ البال وبلغت الامال ونيلت رجاء
الرجال وازيلت ابنا الابطال ووريت زناد الامجاد وروي ظما الصعاد فما بعد اليوم

الا بعد القوم وادراك ما استقام من النهج وهلاك من اقام من الفرنج ونزل الملك
العادل في نجيبه وقدم اليمن بمقدمه وتقدم السلطان الى راجل دمشق والبلاد بحضر
وضايق الفرنج به وحصر ولم يخل العدو في كل حين من حين وفي كل وقت من مقت وفي
كل شان من شين وفي كل بقعة من وقعة وفي كل صقع من صقعة وفي كل ليلة من بلية
وفي كل بكرة من كسرة بالنكاية فيهم ملية والملك العادل يركب في كل يوم ويبلي
من جهده في القتال الاجلى والفرنج على البلاء صابرون وللعناء والعناد مكابرون فلا
يبرزون ولا يبارزون ولا يجاوزون خنادقهم وهم فيها متحاجزون ه

ذكر فصل الى الديوان العزيز اشتمل على مجاري الاحوال ه

قد تقدمت المطالعة بمنازلة العدو المنازل بالنوازل ومحاولة اهل الغواية بالغوايل
ومقاتلة طواغيت الكفر الواصلة في البحر بعدد امواجه الى الساحل وقد نزلوا على عكا
المحروسة براياتهم المنكوسة وآرائهم المعكوسة وحشودهم المجموعة وجموعهم المحشودة
وظلال الضلال الممدودة واقدام الاقدام المصدودة المسدودة وقد مضت ثلثة
اشهر شهر بها التثليث على التوحيد سلاحه وبسط الكفر جناحه وحمل الترك على
قروحه وعدم استراحه وقتل من الفرنج وعدم في الوقعات التي روعت والروعات
التي وقعت اكثر من عشرين الف مقاتل فارس وراجل ورامح ونابل فما اثر ذلك في
نقصهم ولا ارث الا نار حرصهم وما فل حد جدهم الحادث ولا قل عدد كثيرهم
الكارث ولا غضوا عيون اطماعهم ولا نقضوا احتوم اجتماعهم ولا ردوا وجوههم عن مواجهة

الردى ولا قطعوا املهم عن الوصول الى المدى ولو قطعوا بالمدى وهم لمواضعهم ملازمون
وفي مصارعهم جاثمون وعلى الموت صابرون والى الحمام صايرون وبالخنادق من البوايق
محتمون وبالطوارق من الطوارق معتصمون وعندهم انهم للبلد محاصرون وهم على
الحقيقة وان كانوا الكثير فهم غير محصورين محصرون وان جندنا لهم المنصورون وللعساكر
الاسلامية كل يوم فيهم نكاية شديدة وفتكة مبيدة ووقعة ناكية وجمرة ذاكية
وصدمة صادعة وحملة رادعة ولما امتنع الدخول عليهم وتعذر الوصول اليهم
جمع راجل البلاد وحشد الحشود دهم ذوو الاستعداد حتى يقاتل الراجل بالراجل
والفارس بالفارس ويقترع بقمع جمعهم كر الفتح العايد وقد وصل الاخ العادل وفقه
الله للمراضي الشريفة بالجموع الكثيرة الكثيفة ولعل الله ان يجعل خيفة هولاء الفرنج
مفتاحا لابواب الفتح ويجعل لليالي امال المسلمين طلوع صبح النجح وليس هذا العدو بواحد
فينجح فيه التدبير ويأتي عليه التدمير وانما هو كل من وراء البحر وجميع من في
ديار الكفر فانه لم تبق مدينة ولا بلدة ولا جزيرة ولا خطة صغيرة ولا كبيرة الا
جهزت مراكبها وانهضت كتايبها وحركت سواكنها وبرز كامنها ونفضت خزاينها وانفضت
معادنها وحملت ذخايرها وبذلت اخايرها وثارت ثايرتها وسالت سايرها وطارت طايرتها
وثلت كنايسها واستخرجت دفاين نفايسها وخرج بصلبانها اساقفها و
بطارقها وغصت بالافواج فجاجها ومسالكها وتصلبت للصليب السليب وتعصبت للمصاب
المصيب ونادوا في نواديهم بان البلاء دهم بلادهم وان اخوانهم بالقدس اسارهم الاسلام

وآبادهم وانه من خرج من بيته مهاجرا وحرب الاسلام مجاهرا ولمنعبده متبرزا
وجيده في النخوة لدينه مستنجدا افتدوهبت له ذنوبه ووهبت عنه عيوبه ومن عجز
عن السفر سفر بعدته وثروته ومن قدر وبذل البدار لمن بدر رغبا والابسين للحديد
بعد ان كانوا لابسين للحداد وتواصلت منهم الامداد وتوالت الاجناد منهم على النقص
يزيدون وعلى الايد يبيدون وبالمهج يجودون وعن الحجاج بخوض اللجج لا يعودون وهولاء
هم الواصلون في البحر القاطعون اثباجه المكاثرون امواجه فاما ملوكهم الواصلون في
البر فقد تواترت اخبارهم بان خلت منهم ديارهم ورمتهم الى اغراضهم البعيدة اوتارهم
وانهم يستفحل الشر ويعضل الامر ويصول الكفر ويحول ويتطاول الشرك ولكنه لا يطول
فان لدين الله من خليفته ناصرا لا يسلمه ونازلا لا يحرمه ولا تستاخر طاعته الامر فانه
بدر حجه واسفر صبحه ووضح نجحه وبدا علوه وباد عدوه والخادم بقوة رجائه في العوارف
الامامية والعواطف النبوية وشدة استظهاره بالنصرة الطاهرة الناصرية ان ان يفرق
بين الجمعين ويجمع للفريقين القمعين ويعيد البحر احمر من دماء وافدى البر والبحر ويقطع
يقطع دابرهم دابر الكفر ذكر وصول الاسطول المنصور من مصر يوم الثلثا سادس
عشر ذي القعدة في المراكب المتعددة المستبدة بالباس والشدة وكانت عدة خمسين شينيا
كان السلطان منذ وصل الفرنج الى عكا قد كتب الى مصر بتجهيز الاسطول وتجربة حباله
وتوجيه امور رجاله وتكثير عدده وتوفير عدده واصلاح شؤون شوانيه واستناء رواسي
سواريه فتولى حسام الدين لولو الشيخ امره وشرح لايراده واصداره صدره وانفق

من ماله ما جمع به شمل رجاله وهذا لولو قد اشتهرت بالكفر فتكاته وشكرت في العدو
نكاياته وقد تفرد بغزوات لم يشاركه فيها احد ولم يكن فيها على الاسلام لغيره يد ما سلك
نهجا الا ملك ولا طلب غاية الا ادرك وهو ميمون النقيبة مشكور الضريبة وهو
الذي رد الفرنج على بحر الحجاز ووقفهم على طرق المجاز ولم يترك منهم عينا تطرف
ولم يبق لهم دليلا يعرف وغزواته مشكورة وفتكاته مذكورة واموال له مبذولة
واكياسه لعقد الانفاق في سبيل الله محلولة فتولى الاسطول وجمع به الطول والطول
وللفرنج من شوانيها على وجه الارض عقارب تدب ولوا سب سوالب ما تغب وما
تغب دسفن حمالة ومقاتلة وبطس للازواد والميرة ناقلة فصد منها مراكبنا بمراكبها
وملات معاطنها بمعاطبها واستطال الاسطول المنصور على اساطيلها وجاحفه
بارهاق اباطيلها وطلعت في سماء البحر كواكب مراكبنا نجوما وقذفت لشياطين الكفر رجوما
واقبلت سواريها بالرواسي مبرومة الامراس محكمة المراسي وقطعت اللجة
باشباه امواجها وسدت فجاجها بافواجها ونكست اعلام الاعلاج عن اثباجها ووافت
اساودها السود بالاسود وسدت عقبانها الافاق باجنحة الرايات والبنود وطار
بقوادم المجاديف وخوافيها وزارت بجوارح المقاذيف وعوافيها فجاءت نجاة وسفن
العدو كالجبال تمر مر السحاب وتطوى اللجة كطي السجل للكتاب وصدتها
وصدعتها وردتها وردعتها فكانما بعثت غربانها بين احبة الكفر اعادتها وانا خت
عقبان العقبان على شواني شوانيها وعادت نواهض الفرنج فيها قنايص جوارح جواريها

نازل ما ظفر الأسطول المنصور ببشرى للفرنج عظيم الشان عاد طائع بأهل الطغيان
والعدوان بقتل مقاتليه وتبع ماليه فوقعت بطشته الكبرى بطسة كبيرة تشتمل
على ميرة وذخيرة وأمتعة كثيرة وتفرقت سفن الفرنج أيدي سبا وأصلد زندهم
وكانوا عادوا محصورين محسورين قد دهمت مراكبهم إلى دافعت عن مباركهم وأيقنوا
أنهم تورطوا في مهالكهم وبشرت بوصول الأسطول كتب إلى الأقطار وبشر
المسلمون بما حصل من الاستظهار ذكر فصول أنشأتها فيها منها فصل
ولما رأينا أمدادهم متضاعفة وجموعهم متكاثفة استدعينا الأسطول المنصور المصري
نجاة وامتد بسطوا على طرس البحر أعنة منا بلها قراءة وأقبلت جواريه جوارح من قابضها
القوادم وصدمت شوانيه شواني الشتاة فعادت مراكبهم وهي بواكي وطارت
غربانا بأجنحة الكفر أعداء الإسلام ناعبة واطردت على طرائد الفرنج فطردتها
غالبة لاغبة وظفرت أول يوم الورود بسفن للعدو معمرة والبث في الماء
على أهل النار كل نار للنكال مسعرة وانقطعت طرق الفرنج البحرية فاستطالت
بها ساطيلها فذهبت وجاءت وعملت ما شاءت وبعثهم مرارا وبالغنيمة فآبت
واغشت أعين المراين كلما رأت ضاقت بها العداة ذرعا ولم تجد من بعد لها مطمعا
ولا مرعى فصل من كتاب صدر الكتاب بورود الأسطول المصري بالبطش
الشديد والبأس القوي فأزاغ الكفر من وصوله وصول الرايع وذل جمع الكفر
لعزه الجامع وجاء بكل شجى شاني لشانئ الكفر واجى مفاجع للعدو بالهلاك مغازي

مفرق لمراكب الشرك المجتمعة مضيق لمناهج مسارها المتسعة وطحن مناكب مراكبها
ووسع معاطن معاطبها واستولى منها على حالة وروده على عدة للملاقاة مستعدة
وللامداد إعانتها مرصدة ولها مستنهدة وقتل من فيها من الرجال وغنم ما وجد فيها من
العدد والأموال فصل من مكاتبة أخرى وصل الأسطول المنصور الذي
كرشيبي شاني للشرك شائن زائد لبهجة الإسلام زائن بكل أسد زائر ساير
بكل مقدام إلى مقام الإقدام سابر وكان الفرنج قد جهزت مراكبها وأرهفت غروبها و
سنمت غواربها وملأتها برجال أيديها على قوائم القواضب قوابض وأرجلها على الثبات
في روابي متون سفنها روابض وهم على انتظار الأسطول ليطاولوه ويلقوه وبالمبادرة
يحاولوه فلما وصل وصال وراع أمره وهال وجلا عليهم الأوجال والآجال نبتوا
المراسي والحبال وانهزموا بسفنهم وأذنت قوتهم بوهنهم واستولى على عدة منها
بالعدد والرجال والذخائر والأحمال مملوءة وسلبهم كل ما أعدوه فيها من قوت
وقوة والفصول كثيرة وإنما ذكرت منها ما وصف صورة الحال على جليتها
وأعرب عن حقها وحقيقتها ذكر ما اغتنمه السلطان من تقوية البلد ونقل
الرجال والذخائر والعدد ولما اشتد البرد وتوالت الغيوث وتحركت السهول
والوعوث وحالت الأوحال ولاحت على خلاف المراد الأحوال وتعذر الخروج إلى
تلك المروج وامتنع على السالك قصد أولئك العلوج ورأى الحكم النزال واستقال
من استقل بالقتال شرع السلطان فيما هو أنفع وأجرى وأنجع وأنجى وأرجح بالاحتياط

والحزم والرجى وهو تقوية عكا بالميرة والذخيرة والاسلحة الكثيرة والرجال
الحماة والابطال الكماة فنقل اليها في المراكب جماعة من الامراء الاولياء باجنادهم
ليدخلوا اليها بعددهم وازوادهم واستظهر البلد ايضا برجال الاسطول وروسايه
وقواده فما دخل احد فيه الا بزيادة في زاده وكانوا زهاء عشرة الف جري جري
على الجري الى الموت جري فامتلا البلد بكل منتجب مرخص مهجته الغالية للاسلام
مصرخ وانتفع بهم في ضرب المنجنيقات والرمي في العرادات والحذف بالنفاطات
والاحراق بالزرافات والزرق بالمحرقات والقاء القوارير واذكاء المساعير
وتطريح النار وتطويح الاحجار ومواصلة القطاعات والزيارة بالزيارات وتنسير
الجروح والزنبوركات وتطيير النار وكانت النواكي من مقاتلة العدو والى النكايات
ومناشبة الفرنج في كل وقت بالاخذ والوقذ والجد في الجد والجذ وطردهم
ليلا على سبيل التلصص وسوقهم من سوقهم على وجه التصيد والتقنص وكبسوا ليلة
سوق الخمارات والعواهر وسبوا عدة من المستحسنات الفواجر واستضروا بذلك
واستنشروا واجتروا اثنه على ما اجتروا وكذلك من عندنا يدخل اليهم الرجال متسترين
ويأتونهم من كل جانب مجتمعين ومتفرقين فمن قدر على حصان اخذه واخرجه ومن
تعذر عليه اخراجه عقره وبعجه ومنهم من يهجم على رجال في خيمه ويرهبه بـ
مديته ويسلبه سكونه بسكينه ويجعله ان لم يجذبه معه من حينه على يقينه
ينقذه بخطام القهر ويجذبه بحزام الاسر ووقع القوم من هذا في بلاء مبل وعناء

عن حب الحيوة مبتل فقد كثر اليهم الاجتياز ومنهم الاجتناب وشق عليهم الاحتراس
والاحتراز وتخيل الناس في اعينهم بكل طريق وازداد فرقهم من كل فريق واعتدى
الحال من الليل الى النهار والمكابرة والجهار حتى كان رجالنا يحفون بالحشيش في اجراف
الانهار فاذا اصابوا فوارسا وردوا الماء فاجاوه بالقتل والاسار **ذكر حال نساء الفرنج**
ووصلت في مراكب ثلثماية امراة فرنجية مستحسنة متحلية بشبابها وحسنها متزينة
قد اجتمعن من الجزائر وانتدبن للجرائر واغتربن لاسعاف الغرباء وتاهبن لاسعاد
الاشقياء وتساندن على الارفاق والارفاد وتحمسن على السفاح والسفاد من كل زانية
زاهية هازئة عاطية متعاطية حاطبة خاطبة متغنية متغنجة متبرزة متبرجة
نارية متلهبة متنقشة متخضبة تائقة سابقة فائقة رائقة وافقة رانقة خارقة
مارقة رامقة فاسقة سارقة فارجة فاجرة فاتنة فاترة مثناة مشتهية ملهاة
ملابية متقننة متقنية ناشبة متنشبة متشوقة متسوقة مقترحة متخرقة متحببة
متعشقة حمراء حمى نجلاء كحلاء عجزاء هيفاء غناء لفاء زرقاء ورقاء متخرقة خرقاء
تسحب عفارها وتسحر بنصارتها نظارتها وتتثنى كانها غصن وتميس كانها قضيب وتزيف
وعلى لبتها صليب وهي بايعة شكرها باغية كسرها في شكرها فوصلن وقد سبلن
انفسهن وقربن للمبتذل اصونهن وانفسهن وذكرن انهن قصدن بخروجهن تسبيل فروجهن
وانهن لا يمتنعن من العزاب ورأين انهن لا يتقربن بافضل من هذا القربان ويفردن بما
تربنه من الخيم والقباب وانضمت اليهن اترابهن من الحسان الشواب وفتحن ابواب

لملاذه وتبذل ما بين الافخاذ وتجز بالاباحة وترخص الى الراحة وازحن علة السماحة ونفقن
سوق الفسوق ولفقن رتوق الفتوق وتفجرن ينابيع الفجور وتجرن بشرر والفحول منهن على
الجحود وعرضن الامتاع بالمتاع ودعون الوقاح الى الوقاع وركبن الصدور وعلى الاعجاز
وسمحن بالسلعة لذوي الاعوان ودمن على تقريب خلاخلهن من الاقراط ودمن فرشهن على
بساط النشاط وهدفن للسهام وحللن الحرام وتعرضن للطعان وتضرعن للاخدان ووردن
الرواق وحللن حين عقدن النطاق وضربن مضارب الاوتاد واستدعين النصول منهن الى الاغماد
وسوين ازاهيرهن للغارس واستنهضن الحراب الى التراس واستنفرن المحارث الى الحرث و
مكن المنافقين من البحث واذن للروس في دخول الدهاليز وجرين تحت راكبيهن على ضرب
المهاميز وقربن الاشطان من الركايا وفوقن النبال في اعجاز الحنايا وبطعن الشكك وطبعن
السكك وضممن الاطيار في اوكار الاوراك وجمعن قرون كباش النطاح في الشباك ورفعن
الحجر عن المصون وتوقعن عن ستر المكنون ولففن الساق بالساق وشفين غليل العشاق
وكثرن الضباب في الوجار واطلقن الاشفار على الابرار وطرقن الاقلام الى الادوية والسيول
الى الاودية والجداول الى الغدران والمناصل الى الاجفان والسبائك الى البواتق والزنانير
الى المناطق والاحطاب الى التنانير وذوي الاجرام الى المطامير والصيارف الى الدنانير
والاعناق الى البطون والاقذاء الى العيون وتشاجرن على الاشجار وتساقطن على الثمار
وزعمن ان هذه قربة ما فوقها قربة لاسيما لمن اجتمعت عنده غربة وعزبة وسقين الخمر
وطلبن بعين الوزر الاجر وتسامع اهل عسكرنا بهذه القضية وعجبوا كيف تعبدوا وابرك النخوة

الاعيا

والحمية وابق من المماليك والمدابير الجهلاء جماعة جذبهم الهوى واتبعهم من غوى
فمنهم من رضي للذة بالذلة ومنهم من ندم على الزلة فتحيل في النقلة فان بدر من لا بد
لامته وامر الطارب البهيم لاتهامه بشبهة وباب الهوى عليه سنة وما عند الفرنج على
الغرباء اذا امكنتهن بها الاعراب حرج وما اردتها عند القسوس اذا كان للعزبان المضيقين
من فروجها فرج ووصلت ايضا في البحر امراة كبيرة القدر وافرة الوفر وهي في بلدها
مالكة الامر وفي صحابتها خمسمائة فارس بخيولهم واتباعهم وغلمانهم واشياعهم وهي
كافلة بكل ما يحتاجون اليه من المؤونة زائدة بما تنفقه فيهم على المعونة وهم
يركبون بركباتها ويحملون بحملاتها ويثبون لوثباتها ويثبتون لثباتها وفي الفرنج نساء فوارس
لهن دروع وقوانس وهن في زي الرجال ويبرزن في حومة القتال ويعملن عمل
ارباب الحجى وهن ربات الحجال وكل هذا يعتقدنه عبادة ويخلن انهن يعقدن به
سعادة ويجعلنه لهن عادة فسبحان الذي اضلهن وعن نهج النهى ازلهن وفي يوم
الوقعة قلعت منهن نسوة لهن بالفرسان اسوة وفيهن مع لينهن قسوة وليست لهن
سوى السوابغ كسوة فما عرفن حتى سلبن وعرين ومنهن عدة استبين واما العجائز فقد
امتلات بهن المراكز وهن يشددن مرة ويرخين اخرى ويحرضن ويحمين ويقلن ان الصليب لا يرضى
الا بالاباء وانه لا بقاء له الا بالفناء وان قبر معبودهم تحت استيلاء الاعداء فانظر الى الاتفاق
في الضلال من الرجال منهم والنساء فهن للغيرة على الملة ملكن العبرة وللنجاة من الحين نابن
الحيرة وللطلب الخلد عن طلب الثار تخلدن ولما صام عنهن من الامور تبلهن وتبلدن

ذكر ما اهداه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل من
النفط الابيض والرماح والتراس ولما عرف صاحب الموصل ما شرع فيه السلطان من
تكثير العدة وتقوية النجدة بكل ما يمكنه من اسباب الباس والشدة سيّر من احمال
النفط مع عزة وجوده وما وجده من التراس والرماح من كل جنس احكمه واقومه و
اجوده وشاع الاعداد وذاع الاحماد ودل ذلك على انشراح الوداد والامتزاج والاتحاد
وكتبنا في شكره وصل السلاح وتم للاسلام من نزوح الكفر
الانتزاح واستجيدت التراس والرماح وفارقت للقائها اجسام الاعداء الارواح و
انصابت النفط الواصل الى اهل النار بالاحتراق وطعنت وضربت منهم النحور والاعناق
وقد هدى بما اهداه النصر الى الهدى والردى الى العدى واجود الاكارم واكرم الاجاود
من جاد بما اجدى واهدى ما هدى وعاد من المكرمة بما بدا لا اخلى الله المجلس من
يد تجددها واياد يسديها وينفذها ومحمدة يستخلصها لنفسه ويستنقذها و
حمية للدين يقيم بها حماة الشرك ويقعدها ونخوة للاسلام تنهى حدود الهمم النابية
ويشحذها وما طلب من العدة ما طلب الا للحاجة الحافزة والضرورة الشائقة فان
الحروب المتطاولة اتت على جميع العدد فالسمر متحطمة والبيض متثلمة و
وجوه الصفاح بلثام النجيع متلثمة وعيون النصال عن حواجب القسي الى مقل الاقران
رامقة مارقة وحمام الحمام من مريشات السهام بكتب الكتب من حنايا المنايا السابقة
سابقة وقد افنى المصال النصال والنضال النبال والرماء الافواق واللقاء العتاق

واحرق عما اهل النار بناره وكان اصحابنا لما غابوا لما دهمهم وهمهم وجمهم من
من الحطب نصبوا مجانيق بازاء الابراج وصدعوها بها صدع الزجاج ورموها منها
بقدور النفط فاشتعلت رؤوسها وشابت وشبت ومشت النار في اطرافها واعطافها
ودبت وارسل الله في تلك الساعة بعد ابطائها ريحا هابت فانبثت لجحيمها وتحصبت
واستمسها قد حبت وسقطت في ايديها ووجبت جنوبها وكبت على وجوهها في النار
وكبت والفت منها قلوبنا ما الفت من تبع عليها دار اجبت ولطف الله على الطائفة التي
ما غابت ولا اعتبت وقصدنا بذكر هذه الفصول ذكر الاحوال التي جرت
بحقها وحقيقتها وحليتها وجليتها فاشتمل كل فصل على تمام ما اغفل في غيره و
مقصودنا استيعاب كل حادث بذكره ذكر تاريخ وصول العساكر في هذه السنة
وفي يوم الثلثاء ثاني عشر شهر ربيع الآخر قدم عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي
بمن استنهضه من العساكر وكان اول من استقبله حين ظهرت راياته من العسكر
كتائبه وقضاته ثم لقيه الملك المظفر تقي الدين بتل بيسان ولقيه بعده
الملكان الظافر خضر والمعز اسحق ولدا السلطان فنزلا لهما ونزل له ونعما اعظامه
واجلاله ثم تلقاه الملك الافضل ادنا من ذلك فتعانقا على فرسيهما اعفاء من النزول
وتلاقيا بالاقبال والقبول ثم وصل السلطان اليه بالوجه الضاحك واللطف
المتدارك واعتنقا على ظهر واتفقا على بشر ونشر وكان الملك العادل تأخر
فلحق واظهر من ارج تحاياه ما بشره عبق وحبه علق وسار مع السلطان باطلابه

تما افصح السنيه البزا
وقد نادت بنصرنا و

دائما له رحمانه ورجاله حتى وقف قبالة العدو بصفوفه ووقف عليهم بطول
الرغب بطوله وفوقه ثم ردده السلطان إلى الخيمة على رسم الضيافة وتوفرت الطائفة
عليه بالإطافة ووقف ساعة مع الملك العادل حتى دخل السلطان سرادقه وجلس
وحضر الملك العادل بعماد الدين وبسط لفرسه ثوبا أطلس وأكرمه السلطان بإجلاسه
إلى جنبه على الطراحة وآنسه ببشر السماحة والنجاحة ووقف الأمراء والخواص
والأولياء صفين وأنشد الشعراء من المديح والتشبيب صنفين ثم أحضرت المائدة
فما دخلها الحضور وعقد الحبى لهم والحبور ثم رفع الخوان وارتفع الإخوان وحسن
الخبر والعيان وخلا المكان وحلا الإمكان فأمر السلطان له بإحضار عشرة من العتاق
العراب وخمس عشرة رزمة من كرائم الثياب ثم نهض وهو بعث الشكر ناهض و
لوجه العذر عارض ونزل في خيمته وقد ضربت على النهر بعد المضارب العادلية
وملأ تلك المروج بعساكره المليئة ثم وصل من بعده ابن أخيه معز الدين سنجر شاه
بن غازي بن مودود بعساكره الكثيفة الكثيرة وذلك يوم الأربعاء سابع جمادى صاحب الجزيرة
الأولى بالأيد الأطول واليد الطولى فالتقاه السلطان وأخوه وأولاده على قاعدة
عمه وأجراه في الضيافة والكرامة والنزول بالخيمة السلطانية على حكمه لكنه
تقصر في القاعدة عن رتبته ونزل بخيمته في فناء السرادق العادلي وقد استكثر
من العسكر الجهادي وكان ذلك المرج بحر أمواجه الخيم والمضارب أو سماء
كواكبها ما أشرعته من صعادها الكتائب أو غيل آساده في آجام القنا الغوارس

أو غدير من السوابغ حبابه الترائك والقوانس أو سحاب بروقه الصوارم الرقاق
أو وهاد آكامها الصواهل العتاق ثم وصل الملك السعيد علاء الدين خرم شاه بن
صاحب الموصل عز الدين مسعود بن مودود وهو لوالده مسعود مودود وفي شهامته
وصرامته مشكور محمود وذلك تاسع جمادى الأولى يوم الجمعة بالمحاسن المتنوعة
والمفاخر الأصيلة المتفرعة والصنائع المبدعة والبدائع المصنعة وجيشه للقوة
ضابط وجأشه على الحمية رابط وبأسه لبد الأيد باسط وجنانه على الكفر ساخط
وهو شاب أول ما بقل خطه وابتهج كماله ورهطه وكان أبوه قد عزم على الوصول
بنفسه والذهاب وخشية الخطب الملم بأسه ثم رأى المصلحة في الإقامة وتقديم
المشكور المشهور الشهامة فأنهض العسكر المجر معه ثم أتبعه بمن حشده وجمعه فورد
ورود السحاب الكنهور ونور المطالع بسنا السنور وأطلع بطلوعه على معنى البأس
المصور واحتفل السلطان بقدومه احتفاله بقدوم عمه وحافظ من الكرامة على توفير
سهمه وأنزله في سرادقه وأضافه وأهدى له خيله وألطافه وأمر بإنزاله في الميمنة
بين ولديه الملكين الأفضل والظاهر وضاق ذلك البر الواسع بحر العساكر ولم يبق
في أهل السلطان إلا من اقتدى به في الاحتفال بقدوم هؤلاء واعتماد ما قام به البرهان
على المخالصة والولاء والمسارعة إلى الضيافة والإهداء والإعادة في المكارمة بعد الإبداء

فصل من كتاب إلى صاحب الموصل في شكره على تسييره ولده

الحمد لله الذي نصر الدين بأهله وعجل بأنصاره جمع شمله ووفق أسد عز بن الملك

ان تحمى حوزة الاسلام بشبله وتنجلي في طوله اليد الطولى والمنة الثانية التي
اربت على الاولى حيث جنت همته العلية وخص لحظ ديه عزمته الماضية المضية و
شرف بولده معز الدين من تقلد بوروده اوفى منة وتجلى بوروده اقوى منة
واوفى جنة فلقد اورد الى الساحل بحرًا واطلع في ليل القسطل بدرًا واسفر
لمرتقبي صباح النصر فجرًا وجلا وجوه المؤمنين ببشراه بشرًا وملأ صدر الاسلام
امنًا وقلب الكفر ذعرًا   ثم وصل زين الدين يوسف بن زين الدين علي كوجك
صاحب اربل يوم الاربعاء في العشر الاخير من جمادى الاولى ذو السماح المؤمل
والمجد المؤثل بجيش كالسحاب المسبل فدرت اخلاف النصر بحفول ذلك الجحفل
وورد بكل ورد بهي وجرد سني وقدم بكل مقدام وزار جيش الجيش بكل ضرغام
ودار بكل همام للمنون همام ووصل بكل واصل بسبب النصر قاطع دابر الكفر
ووفد بكل وافد باليمن الوافي والنجح الكافي والعز الصافي والعزم الشافي وطلع
بكل طالع بالسنا جامع للمنى قارع بالقنا فاتك للعدا سافك دم الشرك بالظبى
والقنا وهذا اول يوم لقائه للسلطان واحسن اليه بالاكرام وزاد في الاحسان
وكان يجمع بين الحماسة والسماحة والبشاشة والرجاحة والتودد الى الناس
والتشدد بالباس والتواضع مع الكرم ودنو الود مع علو الهمم ما له مبذول
ونواله مامول وسيفه على الكفر مسلول وامره بالطاعة في رعيته ومن في جملته
مقبول وهو مرجو مخشي وكريم مغشي ومهيب مرجو ومحسن بسنا الحمد مجلو وكان

معه خلق كثير في سلك الاتساق ومسالك الاتباع نظيم نثير وانزل بقرب اخيه
مظفر الدين في الميسرة وتمكن الرعب بما تم من الجمع في قلوب الكفرة ذكر وصول
الاسطول من مصر كان السلطان قد امر بتعمير اسطول آخر من مصر يصل فيه
الذخيرة والميرة والعدد الكثيرة فلما كان ظهر يوم الخميس ثامن جمادى الاولى ظهر
الاسطول وتم بظهوره النصر المامول وركب السلطان في جحافله وسدد سهام
الردى الى العدو ومقاتله واحدق به حول خنادقه ليوسع عليهم الهلاك في
مضايقه وليشغل الفرنج عن قتال الاسطول عليه بتشاغلهم طريق الوصول فعمر
الفرنج اسطولا وصف شوانيه على البحر عرضا وطولا وقدر لاقى الاسطول المنصور
وخطر بسد الطرق عليه وسد كما العبور نحاة مراكبنا ونطحت مراكبهم وطحنتها
واوهنت متنها واوهتها واخذ نالهم مركبا واخذوا لنا مركبا وكان بقصور
الروسا في حفظه لاخذه سببا واتصل الحرب في البر الى حين غروب الشمس
وعاد المسلمون بحبور القلب وسرور النفس وقتل من الفرنج عدة وافية وكلاءة
الله لنا ولاصحابنا واقية ووصفت هذه الحالة في مكاتبة كتبتها لتعرف منها
الصورة وتكشف منها القضية المستورة وهي هذه   هذه المكاتبة مبشرة
بما سناه الله من النصر الهني وهناه من النجح السني واجناه المسلمين من ثمر الظفر
الجني وذلك بوصول الاسطول الثاني المصري المنصور ظهر يوم الخميس
متناظرًا بامتداد الظهور متوافرًا بوفود الوفور ودخوله سالمًا غانمًا الى ثغر

عكا المحروس المعمور فآوى البلد بعد انفصامه واجتمع اليه مدد القوة انفضامه
واستجد جدة وافية وعصمة واقية وذخيرة كافية وكان الفرنج عند وصول
اسطولنا المنصور قد جهزت مراكبها وابرزت مناكبها وحمت بالرجال والعدد
جوانبها وسمت غواربها ورفعت هضابها وهواضبها وسحبت على ثبج البحر سحائبها
وادنت الى عقبان اساطيلنا المحلقة عقابها ثعابينها وعقاربها وظنت انها تستطيل
على رواسي اساطيلنا وانما تواجه عرائسها المجلوة بجور جواريها فلما جاء الحق و
زهق الباطل وصال الواصل وحاص العدو من الحاصل وانحل تركيب تلك المراكب
وحطت تلك المناكب بما احاط بها من النوائب وخرج الاسطول الاول من البحر
مستبشرا بدخول الثاني واجتمع شمل الشواني بالشواني وتفرقت سفن العدو شذر
مذر وعذرتهن ذعر وحذر وكبست شوانينا سفينة بطسة لهم فكسرتها ووجدت فيها
عدة من الرجال المقاتلين والنساء فاسرتها وكانت الفرنج حملت فيها تجائر وذخائر
تطلب بجهاجحها نحرتها **فصل آخر** وصل الاسطول ظهر يوم الخميس
ظاهر الخميسة ثانيا الاسد عن عريسه في شوان للعدو وشانين وشلنديات مثله وقلة
صواعق وحوارق لاهل النار بنارها محرقة وعقبان مراكب في مطار العقاب على
البحرين محلقة وسواري هواضب كرواسي هضاب وسحاب بوابل كبوارق سحاب
من كل مركب للنصر مركب ومفرد من الشدة والباس مركب وقطعة لبساط قلب العدو
قاطعة وقلعة لابساس الكفر قالعة وتلعة في ذروة العز تليعة وذروة في مرقى الهدى

راقية منيعة وجاءت في البحر امواجا في الامواج ودخلت الى الثغر افواجا بعد
افواج وكان العدو قد ابرز اباطيله وجهز اساطيله وشب غواربه ودواعبه
وادب عقاربه وافاعيه واتبع مناكب مراكبه وجد في امهاء غروبه وتسنيم
غواربه ولما وصل الاسطول طال وصال ولاح للعدو وصبة نحيله من حاله فحال
وامتنع مراده واستحال واخذ الاسطول من مراكبه الكبار ستا نطح وقطعت اسبابها
ونهبت من عدة الصليب اصلابها وخيبت حسابها **فصل**
دخل الاسطول الى البلد مستطيلا بالجلاد والجلد وانزاح به الثغر بعد الانفاض
واشتمل به شمل الرجاء بعد الانفضاض ودخل اليه ما خرج عن حد الحصر من ذخيرة
وميرة توجب كثرتها قلة المبالاة بالحصر فان الرايات المنصورة علت تحلت في
الآفاق رياضا والمراكب الاسلامية انقضت فقضت للمسلمين اغراضا وجاءت سواريها
كالرواسي وجواريها محكمة المراسي ومن شأن شوانيها شن الاغارات على الشناة
ومن عادة شلنديا تها شك اندية العداة ومن شيمة حراريقها شيم بوارق البوائق
لاحراق اهل النار في الماء ومن عادة مراكبها التفاف مناكب الكفار بردا الارداء
من كل جبل يمر مر السحاب وطائر يشتد شد العقاب وعقاب يحلق على المشرك
في مطار العقاب وغراب ناعب في اعداء الله ببين الاحباب وهضبة موفية على
الهضاب ولجة وافية من الكافرين بقطع الرقاب وما احسنها وقد زفت عرائس
وجليت اوانس وطلعت باهل الايمان بواسم وعلى الكفر عوابس وعادت بها رسوم

وراحت كما عادت جوارحهم من اكل العدو اغراضا

الغارات

مراكب الفرنج دوارس وخلا وجه البحر من سفن الضلال ولما شوهد الأسطول
ساطيا وجد النصر منه عاطيا واخذ البحر من الاعداء حقه واشرق سنا النجح من
افقه ركب العسكر المنصور للقتال واخذ اهبة النزال وزحف الرجال الى الرجال
والتقى الابطال بالابطال وشفيت بدم الكفر غلة المناصل والنصال واحمرت
البيض الظاميات ورويت من نجيع الزرق وبشرت جياع العواسل من اليراع العاسل
بمعاجل الرزق وظل اهل الضلال وقد لقيهم الكفاح ونالهم القتل والجراح واووا
الى اقوى من البيات وبطل بطلهم بما اثخنه من الجراحات وبات المسلمون واثقين من
الله بان جمع الكفر قريب الشتات وادرك المشركين ما فاتهم من الافات

ذكر قصة ملك الألمان وصحة الخبر المتواتر بوصوله صح الخبر ان ملك الالمان
عبر من قسطنطينية الخليج وخطب في تلك المروج بمروجه الخطب المريج وانه وصل
بجمعه الى مضايق صعب عليه العبور وعمهم في مضايقهم العثور فقيل انهم اقاموا
في قفار ومواضع شهرا عدموا فيها الطعام ولم يجدوا بها المرام وكان التركمان
الاوجية على طريقهم يمنعون بغزوهم من تسرقهم فاضطروا الى المقام بغير زاد
وهم في جهد وضر واحتاجوا الى ذبح خيلهم ويأكلونها ويكسرون قنطارياتهم
بفقدان الحطب ويشعلونها فترجلت منهم الوف ورغمت انوف وكان ذلك
في البرد الشديد وزمان الثلج والجليد فجمدوا وخمدوا وتجلدوا وتبلدوا وعدموا
دواب لحمل الاثقال ونقل عدد الرجال فدفنوا او احرقوا منها وتركوها وسلوا عنها

وكان ذلك من الله لطفا وامست قوتهم ضعفا وكانوا في خلق لا يعد وجمع لا
يحد فما اثر فيهم ذلك النصب ولا صدهم عن مقصدهم ذلك التعب وما زالوا
يسيرون والاوجية بين ايديهم للوبال في اوجها اوجها والافرنجية لا تنثني حتى
تبلغ الى ما الناس منتهى حتى بلغوا الى بلاد قلج ارسلان بن مسعود ومسلكها دونهم
غير مسدود ودون الا مسدود وقلج ارسلان يحكم عليه من ولده قطب الدين ملكشاه
وهو يدبر امره ويبادره ويسومه الاستكراه فعارضهم لما قربوا وتعرض
لقتالهم وطاردهم ليضيق عليهم سعة مجالهم ثم اندفع من بين ايديهم وتعدى عن
جانب بعدهم ودخلوا قونية دار ملك المسعودية واعتصم قلج ارسلان بقلعتها
المحمية وتراسل هو وملك الالمان واتفقا على ما كان في الباطن بينهما من المواثيق
والايمان وحمل ملك الالمان له وقرا واقرا اشبه المسلم بالكف عن الكافر واووا فقه
على العبور الى الاقاليم الشامية والبلاد الاسلامية وعلى انه نسير في بلاده الى بلاد
ابن لاون واعطاه عشرين مقدما من اكابر امرائه ليكونوا معه حتى يصل الى المامن
رهاين وامر الناس بمبايعتهم على ما يسومونه وان يعاونوهم من الخيل والعدة
بما يرومونه واقام لهم الاسواق وعرض عليهم الامتعة والاعلاق فساروا في رفقه
ورفق وبقوا لا يوفون فلما وصل الملعون الى بلد الارمن غدر بالرهاين وساقهم مجموعين
مع الظعاين وما دل عليهم بان التركمان سرقوا منه في طريقه نكث جميع مواثيقه
ووصل ليفون بن اسطفانه بن لاون مقدم الارمن الى خدمته ودخل في طاعته وكان

بمفرده خاليًا من عسكره وبجرده وذلك في طرسوس فمكثوا بها ليريحوا النفوس وقيل
عن الكلب ملك الالمان انه سبح في النهر ليميط عنه ما عراه من الوصب والضر وكان شيخًا
مسنًا قد عاد لكبر سنه شنًا وحسب انه اذا سبح يجب ذلك الاستراحة وكان
موته في تلك الراحة وهلكه في تلك السباحة فانه حام في الماء البارد وتورط
منه في اصعب الموارد وخرج وبقي مريضًا الى ان خرج من ثوب البقاء وتحول الى
فناء الفناء وتلقاه مالك بالزبانية وحمله الى نار الله الحامية وسمعت نصرانيًا يقول
في معناه كنت معه لما سلك فهلك واعجله مالك النار عما ملك وذلك ان النهر ما
كان فيه الا معبر واحد والعسكر فيه متزاحم متوارد فقال ملك الالمان هل تعرفون
موضعًا يمكن فيه العبور ويؤمن فيه العثور فقال له واحد ههنا مخاضة ضيقة
من لجته رفيها عن التيار والتيار يسير عبره ولا يعبر الا واحدًا بعد واحد اذا ثبت و
استظهر فبدر الى تلك المخاضة ذات اللجة الفياضة ودخل الماء وطفا على ذلك الباغي
الطاغي واعجل ذلك الباغي عن المباغي ورماه في جريانه الى شجرة شجت جبينه
وجثت جاشه وعثرته بحيث لم يومل انتعاشه فتعبوا في اخراجه وايسوا من علاجه
ومات عدو الله شر ميتة وولي شمله بتشتيته وحبله بتبتيته وخلف ولده على خلف
من اصحابه والحاده لمكان الولد الذي خلفه في بلاده وقيل انهم سلقوا ذلك الهالك
في قدر حتى تخلص عظمه وتبرى لحمه ثم جمعوا في كيس عظامه وراموا بذلك اكرامه
واعظامه ليحملوه الى كنيستهم بالقدس قمامة ويدفنوه على ما كان اوصى به وراءه

ولما عرف ابن لاون هلاكه وسكون حراكه وما جرى من الاختلال والخلاف بموته
وانه لا تلافي لما فرط من تلفه وفوته وفارقهم الى بعض قلاعه واتصل الضر بهم
لانقطاعه ووصل كتاب من كاتاغيكوس صاحب قلعة الروم يرغب ويرهب ويرق
ويرعد ويقول ويعدد ويهدد ويتهدد ويرى انه ناصح وان الامر واضح و
ان الخطب فظيع فاضح وان هذا الملعون اول ما خرج من بلده اوصى فيه الى ولده
ثم جاء الى بلد المشكة فدخله غصبًا واوسعه نهبًا حتى اذعن له وانقاد وبلغ بطاعته
المراد وانه اخذ من ماله ورجاله ما اختاره وتزود من عنده وامتاره ثم وطئ ارض
ملك الروم وداسها وتوسط ديارها وجاسها وفتح بلادها وملك قيادها واخرج ملك
الروم الى طاعته والزمه بما دخل في استطاعته واخذ منه من الذهب خمسين قنطارًا
ومن الفضة خمسين ومن الثياب الاطلس المعدنية ما بلغ الالوف وتجاوز عن المئين
واخذ على سبيل الرهائن اربعين من خلصائه ومعروفي كبرائه واخذ كل سفينة غصبًا
وسحب على ذلك البحر في المعدية من مراكبه سحبًا وانه لما عبر وفرغ من الخروج
تلقاه بالخيل والدواب والابقار والاغنام تركمان الاوج ثم وقع بين التركمان
بينهم وحالوا حولهم ثلاثة وثلاثين يومًا يرومون حسمهم وهم في طريقهم سائرون و
على مقاتلتهم صابرون ونزحوا من قونية فاعترضهم قطب الدين ولد قلج ارسلان
والتقى الاقران بالاقران وهزمه ملك الالمان ولما اشرف على قونية خرج اليه جموعها
وطالت اليه بالحرب ربوعها ثم ابرنقعت حيث صمم على الروع روعها وانه هجم على قونية عنوة

ونال منها حظوة واقام خمسة ايام حتى استقر بينه وبين قلج ارسلان قاعدة اكيدة و
حصلت لكل منهما فايدة مهيدة واخذ منه رهاين عشرين من اكابر دولته المتميزين
وقدم كتابه الى ابن لاون بالجواز في بلاده فتلقاه بما اعده لارفاده ونزل حيث نزوله
الى طرسوس على بعض الانهار ونام ساعة بعد تناول الطعام ثم انتبه وتشوق الى
الاستحمام فحرك عليه الما البارد مرضا وتشكى اياما قلايل مضا ثم قضى وانقرض
اربه وانقضى وخلفه ولده بعده واستمال جنده وكان ابن لاون قد سار قاصدا
للقاء ابيه فلما عرف موته وجلوس ولده اعرض عن تلقيه وعرض عسكره في اثنين و
اربعين مجفجف من كل سرحان امرت وذيب اغضف واما الرجالة فلكثرتهم تعذر
العرض وغص بهم طول الارض والعرض وقد لبسوا الحديد للحداد على البيت المقدس وهجروا
الثياب ولزموا المصاب وداوموا الاكتياب وهم صابرون على الشقاء والتعب لاجل
الظفر بالمطلب   ولما بلغت هذه الاخبار اضطربت البلاد وارتاعت الانجاد
والاعواد وقالوا هذا لا يطاق واي خايف قصده عنه لا يعاق ولا شك انه يتوسط
بلاد الشام ويثلم ثغور الاسلام ويشغلنا عما نحن فيه من هذا الاهتمام وعزم
السلطان على استقبالهم بالتردي والرد وصدهم عن القصد ثم ثبت على راي الثبات
وتنظر الاوقات بما يتجدد من الحادثات وتقلقلت عزايم الذين بلادهم على طريق القادم
وانه يعود كل منهم الى بيته كانه اخذ بحكم الحازم فاول من سار ناصر الدين محمد بن الملك
المظفر صاحب منبج ليجمع على طريق العدو ويزعج ويرهج   ثم عز الدين ابن المقدم

تجفف

الباسل المعلم ثم مجد الدين ابن بهرامشاه صاحب بعلبك ليجمع وياخذ على العدو المسلك
ثم سابق الدين عثمان صاحب شيزر والليث الهمام الغسود ثم البارو قية اسد الهياج و
نجوم ليل العجاج ثم رحل الملك الافضل وقد عرض له الم ثم بدر الدين والي دمشق
وقد الم به سقم ثم سار الملك الظاهر صاحب حلب لاضطرارها بغيبته وبهذا الخبر
وتخوف الناس فيه انهم على الخطر حتى غلت الاسعار واشتهرت الغلة وخلت الاماكن
وتمكنت الخلة ثم رحل الملك المظفر تقي الدين لحفظ ثغر اللاذقية وجبله وثبتت بقدومه
عليها الرعية الخايفة المجفلة وكان هو آخر من سار ليلة السبت التاسع من جمادى الآخرة
ورتب السلطان مراتب العساكر الحاضرة وخفت الميمنة برحيل معظم من كان
فيها مقيما ولحفظ النوب في اليزك مستديما فانتقل الملك العادل اليها وجا الى
منزله الملك المظفر ونزل عليها واستقام الترتيب وترتب المقام واغتر الصادون
وصدق الاعتزام ثم مرض اكثر العسكر وخام الوخم والم بالبعد للالم وكان رحمه الله المرض
سليم العاقبة قريب العافية مستعقبا الطاف الله الواقية الوافية ووقع المرض في
الاوبخ وكان المبيد المبير والمدني لاصحاب السعير السعير وعم فيهم الموت والوبا
وكثر عن سواهم البكا وتقدم السلطان بهدم سور طبرية وهدم يافا وارسوف و
قيسارية وهدم سور صيدا وجبيل ونقل اهلها الى بيروت   حديث
ملك الالمان   واما ولد ملك الالمان فانحسر ومرض اياما في بلد الارمن واحتبس
وهلك اصحابه جوعا ومنهم من عزم رجوعا ووقع الموت في خيلهم واذلهم نقلوص دوابهم وقدم

الملك لمرضه والتياث جوهره بعرضه جموعه قدامه وساروا امامه وخرجوا اكثرهم
في ثلث نوب في بعض وبيض وثلث ومعظمهم رجاله حمله عصيا وركاب حمير غير عارفين
بطريق ولا متحفظين في مسيره والناس يلتقطونهم ويتخطفونهم ويتغالون على سبالكهم ويسلقونهم
ووصلوا الى انطاكية ووصل اليها الملك بعد ان ضاق به وبجمعه اليها المسلك وضاق
الابرنس صاحب انطاكية ذرعا فلم يجد لهم عنده مطمعا ولا مرعى وطلب منه القلعة فاخلاها
له ونقل اليها ماله واثقاله ووبا له ان جعل طريقه على حلب فخاف وابدى له الخلاف
وقبل وصوله الى انطاكية قلت جموعه وجنوده وبليت بحشد التركمان حشوده واجتاز
الفرقة الاولى منهم تحت قلعة بغراس فلقيت البوس والباس وخرج رجالها عليهم على
قلتها وصدمتهم بسيالها واسرت منهم زايدا على مايتين وطمعت فيمن وراهم من العسكرين
وقيل انهم حسبوا ان بغراس انها للداوية فجاوا اليها بحرايا موالهم السنية فلم
يشعروا اليها الا بالبغال على الباب واقفة والجناد ان نوقت ان تكون له ايد فاطفه
تخرج اليها وتسلمها بغير طعن ولا ضرب وتخلى عنها اصحابها لما عرفوا الحال فلم يعرجوا
على حرب فاستغنى الوالي من ذلك اليوم من مال القوم ثم انكر حتى لا يطالب بشي منه
وغفلت الايام عنه وذكر الامير علم الدين سليمان بن جندر في كتابه انه انهض جماعة
من اصحاب امرا حلب واصحابه ليقتفوا اثارهم ويكشفوا ولم يرجعوا عنهم وانقضوا عليهم
انقضاض البزاة على الحجل وزاروا فيهم زير الاسد في النقاد وزاروهم بالاجل واسر
كل واحد من اصحابنا ثلثة واربعة وتركوهم متمزقة متمزعة وعادوا بالاسارى

الى حلب وباعوهم في الاسواق وامتلات بالاسلاب منهم والاعلاق وطابت قلوب
الرعايا واستبان من الله تعالى بما ظهر من الطافه الخفايا وطمع فيهم اهل القرى والتقطوهم
من الوهاد والذرى وما صدقوا بالسلامة حتى اواهم الابرنس في انطاكية واراح من
الامها المانية وذابوا في هذه الطوفات ذوبا وصب العذاب عليهم صبا اذ اخذوا
صوبا وهلك بانطاكية الكند الكبير مقدم العسكر وتبعه الى سقر كثير من ذلك
المعسكر وحصل الابرنس بتلك الاموال المجتمعة والذخاير المودعة حتى قيل انه انما
رغب في الوصول الى بلده ليحصل على سبده ولبده واخلى له قلعته لينقل اليها خزانته
ففعل وما رجع اليها واحتوت يد الابرنس عليها ثم ساروا على طريق الساحل بالفارس
والراجل وخرجت عليهم خيل جبلة واللاذقية وسقتهم كوس المنية والقتهم على
البوس والبلية فاغذوا في السير حتى وصلوا الى طرابلس وقد انتقص بعضهم وتم بعواصف
البلاء نسقهم وبلغ امدهم وانتهى مددهم وجبن الملك عن المسير على الطريق لما لقيت
جموعه في طرقاته من التفريق فركب البحر في عدد يسير لا يزيد على الف وغب قلب
وتصوير بدور رغم انفه واختلط مع الفرنج على عكا فسقط اسمه وسقط حكمه وهلك
بعد قليل ولم يحظ بنفع غليل وسالم بذكر حالاته في مواضعها وذكر مصارف جماعته
ومصارعها وكتبت الى الديوان العزيز فصلا بذكر ملك الالمان عند ا
الارجاف فيه وقد وصل الخبر بالداهية الدهيا والغمة الغما والنكبة النكبا والشدة
الدهما والبلية البليا وهي ان ملك الالمان وصل ومعه ملوك الافرنجية وحشود زهادها وفوارسها

وكنودها واحزاب الشياطين وجنودها والوية اللات وبنودها جارة على اليمام ذيول
قتامه بحرية في الارض سيول لهامه ثايرا بالطلابه لطلب ثاره سايرا بخيله ورجله
كالسيل الى قراره وانه في عصايب صلبان في عصبيتها متصلبة واتباع شياطين
لذرضاها متعصبة واسراب سراحين على سرح الاسلام متوثبة وانه في مئين من الالاف
الالاف للمنون واقطاب الاعطاب الدايرة لديه وابو سوكها رحا الحرب وقد وقدوا
للشر شرارا واضرموا للشرك الداعي الى النار نارا فان حسرتهم على قمامتهم دايمة
وقيامتهم قايمة والموت يدعوهم الى المقبرة التي يدعونها والاجال تلبيهم لما يا هم
التي يدعونها وكان خبر وصوله متبرا ولا على البسنة الاراجيف وتشيعه اعدا الله
من قبل للترهيب والتخويف واستعدت العساكر الاسلامية للتوجه الى بلد
الروم في الربيع وليقع التساعد مع عساكرها على دفع تلك الجموع باتفاق الجميع وانتظر
ورود خبر صحيح ويقين نبا باهر صريح حتى اذا صح الخبر سار العسكر ثم انقطعت الاخبار
وتمادى الانتظار ومضت شهور الربيع اذار ونيسان وايار وكانت كتب سلطان الروم
قلج ارسلان واولاده ورسلهم متواصلة بما ينبي عن التعاضد وينهي امر الوفا والوفاق
على التعاون والتعاقد وهم بانها ما صح عندهم واعدون ويزعمون انهم في رد الواردين
واردا لهم مساعدون فاخلف ذلك الوعد وضيع ذلك العهد ووصلت كتبهم بغتة
في هذا بما تاخر به الخبر عن العيان وقالوا انهم قد توسطوا بلاد الاسلام وانهم على
قصد الشام ثم ورد الخبر بانهم صالحوهم وصانعوهم واخلوا لهم الطريق وادعوهم

الحرب الزبون

ووسعوا لهم في المضايق وسعوا في امر طرقهم من الطوارق وهذه حادثة كارثة
وباعثة فاجية فاجعة لاهل الحمية في الدين باعثة وناكثة لعقود العقول في نياطه
مرره وتفاقم خطره ناكثة وقد تعين الجهاد على كل مسلم وما في الوجود مومن يكون
له هذه الملمة غير مولم والاهتمام بدفعه من افرض المهام واهم الفروض والخادم
منفرد في حمل عب هذا الفادح الباهظ بالنهوض وهو واثق بان بركات الزاد
العزيزة تدركه ولا تتركه وان الذي يستبعد من النصر القريب يتسق ويتسع به
سلكه ومسلكه **فصل في جواب امير** عرفنا خبر العدو المشوم
الواصل من جانب الروم وهذه هدية اهداها الله الينا وفضيلة خصنا الله بها حيث
اقامنا في مقاتلة اعدائه واقدرنا على مقاتلة من نازعه في كبريائه وقد ساقهم الحين
الى المقبرة التي يدعونها ولا يدعونها ومقاتلتنا لها بالله قوية وصوارمنا من دما اعدا الله
روية فيجب ان نكون في جميع اموره محتاطا ونظهر بما بعثه الله من ابتلايهم واثلايهم
اغتباطا **فصل من كتاب الاستنفار** قد عرف ان العدو
الالماني المخذول لقد وصل فما للقعود عن هذا المقام معنى وما لمن تاخر عن نصرة
الاسلام من ثمر السعادة مجنى وهذا وقت نهوضه بجميع اهل بلاده واوان بذل
وسعه وجده واجتهاده فانه يحضر الغيب عنه الامر ليس له عند الله خلاق ومن توقف
في يعقه الله فيه من سبق له معه في السعادة ميثاق وانها الغنيمة اوفدها الله علينا
وهدية اهداها الله الينا وفضيلة خصنا الله بها واسعدنا بسببها بل هي بلية حلا

علينا وجه النعمة فيها بك قضية وفي الله النجح موعد توافيها بك ملمة اختارنا الله
بالطفا جمرها واردنا جمعها فلينهض نهوض الكريم الى مساعدة الكرام وليخطب
اهتمام العظيم لملابسة الخطوب العظام وليثب وثوب الاسد على الفريسة ولينتخ
للاسلام انتخا ذوي الانفس الابية والهمم العلية النفيسة وليكن اول سابق في
مضمار المجد واسعد طالع في افق الجد فان الاسلام في انتظاره والمطالع مستشرفة الى
اشراق انواره لا زالت الاقدار جارية في اسعاد الدين والدنيا باقداره

فصل من كتاب قد احاط العلم بما عراني المسلم وعرض من الخطب
المدلهم ووصل من العدو الثائر ونزل من النازلة هي ام النوازل والداير التي هي
ام الدواير وقد آن للاسلام ان يسلم وللايمان ان يعدم وللتثليث
ان يعلو وللتوحيد ان يكتم وللكفر ان يقدم وللهدى ان يحجم فقد قذف البحر
من الفرنج ببره والبراني اتيه من كل بلد للكفر بسبده ولبده ووصل
الالماني المخذول بعدده وعدده وهذا خطب قد دهم وعدو قد هجم وشر قد نجم
وجمر دامية قد وقد وجمع لطاغية قد ورد في جيوش جايشة وجموع طايشة وجنود
محشورة وبنود منشورة وخيول مجفجفة وسيول مجحفة وهذا اوان تحرك
ذوي الحمية ونهوض اهل الهمم الابية العلية فان القوم في كثرة ولا يقاتلون
الا بالكثرة وهم مغترون بعلوهم معتزون بعتوهم مستنون في طريق العثرة
والسيل اذا وصل الى الجبل الراسي وقف والليل اذا بلغ الى الصبح المسفر انكشف

والمجلس اولى من تولى تفريج هذه الغمة وكشف هذه الملمة حتى تخلف املاك الالماني
وتبطش ايدي الاماني وتخذل انصار النصراني وتحمى وتنزوي من الجنوي والبيزاني
فاين الموحدون فرض الجهاد المتعين واين المهتدون في نهج الرشاد المتبين واين
المسلمون وحاشا ان يكونوا في نصرته على الموت مقدمين ولولا التقيد بهذا العدو
الرابض لاطلقت اعنة النهضة الى العدو الناهض ولا بد من لقايه قبل تلقي الجمعين
وآراء الملاعين وجوه حتوفهم ملاء العين **فصل فيه** قد سد طريق الفلق وفلقه
الطارق وزحف الى الحق الثابت بالجملة الزاهق وجال بالوجل وجاء بالوجيب وثار
لثار الصليب السليب وقد وقد جمر جمعه ورتق فتق الصبح رقع نقعه وما فض الفضا
ختام قتامه حتى ختم على ضوء نهار الهدى ليل الضلال بظلامه والرجا ان يخفق
ان الالماني يحقق بالمامه والاسلام مشفق من اسلامه والدين موقن بنصر امامه و
عصمة الله الواقية الواقية من ورايه وامامه والله الكافل باعلاء اعلامه واحكام
احكامه **ذكر الواقعة العادلية** كان الفرنج لما هجم عندهم
وصول ملك الالمان الى البلاد وانه ملاء احشاء الربى والوهاد بالاحشاد قالوا انه
اذا جاء لا يبقى لنا حكما والصواب ان نستريح لنا قبل شيوع اسمه اسما لا سيما وقد خفت
عسكر الاسلام وتفل اكثرها الى الشام فنحن ننتهز الفرصة ونحرز الحصة ونهتبل
الغرة ونهجم عليهم هذه الكرة ونذيقهم المرة المرة ونفرغ من شغلهم قبل
مجي القادم ونمنى بعز العزايم وتفل حد وحدهم حدود الصوارم فخرجوا ظهر يوم

الاربعاء العشرين من جمادى الآخرة في جيش يذكر حشر الساهرة واسود بياض
النهار من سوادهم وتراءت الاجسام لنا متوافية باسيادهم فامتد والى الخيم
العادلية واشتد وانما استصحبوه من البلية في كل دبيب لمعط وسيد قد تورط
وسرحان سرح واقعوان كلح وجهنمي تجهم فهجم وحجيمي اقدم وما احجم وسعيري
ناري استعار بجذمة النار وسعري قسوري عاد بعادة الافتراس وباروتي
طالب للبوار واسبناري راغب في التبار وداوي معضل الداء وتركبولي تارك
للبلاء وسرخري كرار وتوبري عبر فرار وفارس يفر من الرجال وراجل
يرجل الفرسان الابطال وازرق زرقه الموت الاحمر والمنشي والبوم اغبر و
اشقر وهو اشقى وابقع اذا عوى في الوغا ما ترك ولا ابقى ودخلوا الخيم العادلية
وتجاوزوها وقد كانت اخليت قبل ان يختاروها ووقف الملك العادل بطلبه وبمن في يمينه
ويساره من امراء الميمنة الذين يقرب به مثل صارم الدين قايماز النجمي وعز الدين جورديك
النوري وجماعة من الامراء المعروفين بالشهامة الموصوفين بالصرامة ولبث الملك
العادل لبث المخادع المخاتل حتى تطلع من العدو على المقاتل فقادتهم الاطماع
الى الانتشار وافضى بهم الاغترار الى الاغترار فحين بدا بالحملة ولده الاكبر شمس الدين
مودود وهو في كل وقعة حضرها جاد بمجهود نفسه ووالده وولده مساعده وساعده
وحمل معه العسكر الحاضر قبل ان تتصل به العساكر فكسر الفرنج كسرة فرشتهم على
الارض وذكرت الوقعة العارضة بوقوعهم في النار يوم العرض وكانوا قد بعدوا اكثر

من فرسخ فانجفلوا ولم يلتفت اخ الى اخ وركبت العادلية اكتافهم وفلوا بهم اسيافهم
وعقروهم وعرقبوهم وبجحوهم وبعجوهم وحكموا في الرقاب الغلاظ منهم الرقاق و
ضربوا ممن اعتنقوا اليهم الاعناق واشبعوا الليوث من لحوم الليوث وبثوا بعوث
المنية في تلك البعوث حتى رتعت في كلاء الكلى صوار الصوارم وارعدوا وابرقوا بصواعق
بوارقهم غمام الغماغم وتعلقت بذوائبهم ذوابل الذوابل ووصلت بهم الى
كما النجاح بين المناصل فلم يترك اللهاذم لهاذماً وغادر كما شلها بالعراء اشلاءً ورأينا
كأنها اعجاز نخل خاوية وما الجيش اجسام اهل الهاوية وهي هاوية فكم جثة بلا
رأس وبنية بلا اساس ونحر قد نحر ودم قد اهدر ويد قد تبت وكبد قد تتت وعنق
قد قطع وانف قد جدع وودج قد وجد مفريا وظهر قد ظهر مبريا وحلقوم قد حلق وغلصوم
قد فرق وداوي قد دوي وبالدم روي وصليبي كسر صلبه وقلب على صدره
قلبه وحربي اتاه الحرب وغرب في نقع غيبه الشرق والغرب وكان السلطان قد ركب
وخشي ان جانب الميمنة قد نكب وسير جماعة من كماة المماليك والامراء على
مقدمته وانتظر الميسرة لتنهض في خدمته ووصل الى الوقعة سنقر الحلبي في الصحبة
العزيزية وقام من الغزو بالحظوة البينة وجاء علاء الدين ابن صاحب الموصل في اثناء
المعركة فعرف بركة تلك الحركة لانه اخذ حظا وافرا واتى من النصرة وجها
سافرا وانقضى الحرب ولم يركب بعد من رجال الميسرة احد ولم يمتد منها الى قتال
الكفرة يد ووصل السلطان وشاهد من مسرة الفرنج ما سره وعرف لطف الله

وبرده ونصره وعاين هنالك مصارع الاعداء ومشارع البلاء وكانوا مفترشين في مدى
فرسخ على الارض وهم في سبعة صفوف من تلال الرمل الى البحر بالعرض وكل صف
يزيد على الف قتيل وشاع القتل في الفرنج في كل قبيل ولما وصل السلطان ورأى
عماد الدين وابن زين الدين وامراء الميسرة قد عزموا على الدخول اليهم والهجوم عليهم
فالهم ندموا على ترك الاسراع وراموا اتباعهم لياخذوا بنصيب القتل فيهم والايقاع
فصدهم السلطان وردهم وشكر عزمهم وقصدهم واشفق من مضرة تشوب
ومعرة تنوب فان الدايرة كانت على العدو وقد فاز بالنصر الحلو الصفو المرجو
وكانت النوبة بلا نايبة والغزوة بلا شايبة وقتل منهم زهاء عشرة الاف ولم يكن
من استشهد من اتباع العسكر عشرة فاغتنمها تجارة رابحة وغنيمة مبيرة
ولما عرفت بالوقعة والنصرة الجامعة صدرت تبشير اربعين كتابا بالبشارات بابلغ الواقعة
المعاني وابدع العبارات وقلت اذا نزل السلطان وجد الكتب حاضرة ورأى
البشاير شايرة وركبت والقاضي بهاء الدين ابن شداد لما شاهده ما هنالك من اشلاء
صرعى واجساد قد اعجل ما سلبوا واعروا وفروا وافروا وقد بقرت بطونهم وفقئت
عيونهم ورأينا امراة مقتولة لكونها مقاتلة وسمعنا وهي حامدة بالعبرة قايلة
ومازلنا نطوف عليهم ونعتبر ونفكر فيهم ونتفكر فيهم ونعتبر في ان نرى
العشاء بالظلام فعدنا الى الخيام واخذت الكتب التي نمقتها بالبشاير التي حققتها
وجئت واذا السلطان قد استبطاني وعدم اجابتي لما دعاني فما صبر ولا انتظر

ولا تربني ان اخضر ولا امهلني في اعطي البشارة حقها واجلو بنوادر المعاني افقها
وابلغ بالبلاغة مبداها واسبغ بتقليص الضلالة ثوب هداها واشحذ بحدود الاقلام
ما صنعته حدود السيوف واروج نقودي عند السلطان واغنيه عن الزيوف فانصرت
عنده سوقي في المطالع والابيات ومدري في الجرايد بلا ابيات قد كتبوا تلك البشارة
الجليلة الثقيلة في رقاع خفيفة بعبارات سخيفة وقد عطلت الحسناء من حليتها
وعريت كما من زينتها وشوهوا جمالها واحالوا حالها فذهب بها المبشرون ورسل
القاصدون فما كان لتلك الوقعة عند من وقف عليها وقع ولا تم لغليل من رام
الاطلاع على حقيقتها نقع واراد وابن مستوفي قراءتها على المنبر فما استحسنوها ولو وردتهم
بزينة عباراتي وبراعة رتبتي وفي تلك الحالة التفت السلطان الي وقال اكتب
بهذه البشارة الى بغداد وعجل بها الانفاذ فقلت على سبيل العتب انتم لا تريدون
ما اكتبه ولا ترغبون فيما ارتبه واهذبه فقال كانك كتبت البشاير فها هي
تهدى الى الطرف فانها فقلت ما فات فات وهيهات هيهات واخرجت له ما بقي من
بشارات البلاد التي انشاتها بالالفاظ والمعاني التي ابدعتها وابرزتها فسارت
بشرت البعيد والقريب وحظيت من حداها بالخصب الجديب وصدحت باسجاعها
المنابر وصحت بسماعها المفاخر فظهرت بعباراتها العبر ولهجت بزبرها الزبر وعمرت
بمعانيها المغاني وعمت مباهجها مناهج الاقاصي والاداني فما اصحبها كثرة وما ابهجها
نضرة وما ابينها محجة وما اثبتها حجة وما اوضحها ميسرة وما يسرها فرجة وما ارجحها

بالكفر صرعة وما اوضحها للاسلام شرعة **فصل في ذكر حالهم**
لما عرف الفرنج انفصال جماعة من الاكابر ومفارقة عدة كثيرة من العساكر خرجوا
متجاسرين وامتدوا منقاطرين وانتشروا متغاورين واغاروا واللواء اللاوا ناشرين
ووصلوا في الميمنة الى الخيم العادلية فاخليت حتى دخلوها وتفرقوا فيها بجموعهم وتخللوها
فركبنا اليهم وحملنا عليهم وتركناهم صرعى بالعراء فوضى بالفضاء فما بكت عليهم الارض
ولا السماء ورويت السيوف من دماهم قبل ان تشبع الوحوش من اشلايهم وظهرت
لنا نعمة الله في بلايهم وحمى الاسلام بهلاكهم وعمتهم اشراك الردى برداء اشراكهم
وانجلت المعركة عن اكثر من عشرة الف قتيل وثبت حكم الاله للاسلام وظهوره باوضح
دليل ظاهر ولو اتفق خروجهم من مراكزهم باسرهم لكنا فرغنا من شغلهم واخلينا
بالنا بتاييد الله من امرهم والان قد انطفا جمرتهم وصحة امزجة العزايم بكسرهم
ونظروا الهلكة الى كثرتهم نرجوا من الله ان يسهل امرهم العسير ويهون خطبهم
الخطير وان ظهرنا عليهم قطع ظهورهم وعشوا بهذه الوقعة لهم حتف عيونهم والله
تعالى يحقق بثارهم ودحورهم **فصل فيه** وصلوا الى الخيم العادلية
في الميمنة الميمونة واشتغلوا باستباحة اموالها المصونة فاطلقنا عليهم الاعنة و
واشرعنا الى نحورهم الاسنة وبعنا النفوس لنتسلم ثمنها الجنة وفرشناهم على الارض
واذقنا باردايهم بعض الغرض وانجلت المعركة عن عشرة الف قتيل مشرك وشملتهم
المنون فكانهم جاوا على موعد مهلك وارويناهم من دماهم ظماء السيوف وجعلنا

اشلاهم قرى الوحوش لا الضيوف وامن الاسلام بحمد الله من الخوف وادرك الله
بالخذلان واجهم رمق الدين الملهوف وهذا دليل ظاهر على ركود ريحهم وخمود
مصابيحهم **فصل** حملت عساكرنا عليهم واحاطت بهم من حواليهم
ورضتهم بالدبابيس والنتوت وتركتهم صرعى بتلك المروت وساحت بتلك الساحة
دماء الدماء واكتسي عري العراء بتلك الاشلاء واقضى بتلك القضاء جرهم الى الانطفاء
وامرهم الى الانقضاء ورتعت ثعالب الرماح من كلاء كلاهم في المرعى وانجلت المعركة
عن مهلكة عشرة الف فترى القوم فيها صرعى وطابت من نتن جيفهم ريح النصر
وحسنت من سماجة مراهم وجوه الدهر والان الان الله شدة شكتهم وقط شوك
شوكتهم وهتت نبا نكبتهم ونرجوا ان يسهل من امرهم ما تصعب ويولف بصدعهم
من الاسلام ما تشعب **فصل** وصلوا الى الخيم العادلية فدخلوها وتفرقوا
فيها بجمعهم وتخللوها وكان ذلك قبل تكامل ركوب العساكر وتموج بحارها الزواخر
فحمل الملك العادل ومن هو قريب منه من الامراء والمماليك كولدنا الحسام الاجر
وصارم الدين قايماز وبشارة وجرديك وعطفوا عليهم عطفة صدتهم عن الانعطاف
وصرفتهم عن الانصراف وثارت بواتر البواتر واحتوت عليهم الضوامر احتواء
الضماير بالاسرار بالحوافر الحوافر وفضتهم بالفضاء وعرتهم من كسوة الحيوة
بالعراء وتمت نعمة الاسلام ببلايهم وشفي الدين بدايهم وكان بقاوه في فناهم
ولو لحقت الميسرة لتكمل قطع دابرهم واتى القتل على اولهم واخرهم وانجلت المعركة

من الكفار عن عشرة آلاف قتيل ملأت كل واد وسدت كل سبيل وبذلك فترت عزائمهم وضعفت
قوتهم وعجزت قدرتهم فلما انقضت هذه الوقعة وتم لنا حضر الينا الزجاجي رأيت احد
مماليكه ونصله قد خضب وعزمه قد دمي بعدما غضب فسألته كم قتلوا الى ان وصل
فقال اما انا فما ابقيت وخضت البحر وما توقيت وهذا غلامي قتل تسعة وشام من غاص
بجميعهم لجة وكان الذين حملوا وهزموا وقتلوا اقل من الف فقتلوا اضعافا مضاعفة
وعدموا ايمن دراهم مساعدة ومبايعة وحكي من نوادر هذه الوقعة ان
فرنجيا عفر بجثا للصرعة عثر به راكب بردون بغير دبوق ولا عون فعرقب الفرنجي
فرسه بسيف في يده فنزل بجده متشابحدده وقتل ذلك الفرنجي وروي من دمه
الهندي وحل من وسطه ثمانين دينارا فانقلب ربحا ما عده خسارا وامتلأت الايدي
بالاسلاب والاكساب وحصل من العدد ما لم يكن في الحساب وبيعت الزرديات
ذوات الاثمان بالرخص وزادت ارباح اهل السوق بذلك النقص وفي يوم
الخميس الحادي والعشرين من جمادى الآخرة ورد في عصره نجاب من حلب بعد خمسة ايام
بكتاب يتضمن نجح كل مرام ويخبر بان عسكرا بحرا من الكفار خرج للغارة على
الاطراف والانظار فخرج اليه العسكر واخذ عليه الطريق وطلب ذلك الجمع في
الهزيمة المضيق فلم يصح لهم رشد في منهاج ولم ينج منهم ناج فعضد ذلك الخبر
هذا العيان وقام بهوان الكفرة البرهان وسر العوام والخواص وخص وعم البشر
وانارت المطالع وطلع النور وشرع في الصلح والخروج من لبد الحرب في السلم الى الصبح

واذن لهم السلطان في الخروج للتطواف على اولئك الصرعى بتلك المروج وهي قد تورمت
وانتنت وجافت وحميت الشمس على جيفها وجافت وضافتها القشاعم والخوامع وعليها
اطافت فساءهم ما سرنا ونفرهم ما اقرنا **ذكر ما تجدد للافرنج من الانتعاش
بوصول الكندهري بالمال والرياش وما اعتمده السلطان من الاحتياط اشفاقا من التفريط
والافراط** وما زال الفرنج في وهن وضعف وتنازع بينهم وخلف حتى وصل في البحر كند
يقال له هري وهو عندهم عظيم القدر فتمكن بمن وصل معه نقصهم واحيا بعد موت
نفوسهم حرصهم وافاض عليهم الاموال وحلى لهم بعد عطلها الاحوال ورتب بالرجال
مراكز من صرع وفرغ السن بندامة على من قلع ونزع وانفسخ عزمنا عما كان فيه شرع
فقد كان العزم بل الحزم ان نبادرهم على ضعفهم قبل ان يمدهم البحر بضعفهم
وكان من قدر الله تأخير ما وجب تقديمه والتواني فيما تعين تتميمه ولما وصل
هذا الكند وتمكن وقوي اهل الكفر بكل امر ما امكن اظهر انه يلبس عسكرنا ليلا
على غرة وبدت منه امارات كل شر وشرة وشاع هذا الخبر على السنة الجواسيس
والمستأمنين فاحضر السلطان امراءه وخواصه الموسومين بالميامين واستشارهم فيما
تقدمه من الصواب وتعنته في المصالح الراجحة من الابواب فاشاروا باتساع الحلقة
وادارتها كالمنطقة والتنفيس على العدو بالتأخر عن قربه حتى يأنس الى الخروج بحربه
فوافقهم السلطان على هذا الرأي وحسن في قلبه فرحل يوم الاربعاء السابع
والعشرين من جمادى الآخرة الى منزله الاول بالخروبة واشتغل بالتدبير في العود

بالنصرة المطلوبة ونزل العسكر على تلك الهضاب وحوالي سفوحها واحتوت كل
جبة خيمة بمن حلت فيها على روحها ورتب البرك في المنزلة الاولى كل الفوارس
بالنوبة في يومين وصوبي باهل الصدق ومنهم اهل الميمنة وبدو الترتيب وترتيب
التدبير وعرف من في البرك اوقات نوبته واوبة الصغير والكبير وأما
عكا فالكتب مترددة اليها ومنها مع السباح والحمام اليها ومنها حمل البطاقات
على الجناح والمراكب تدخل اليها وتخرج وعنها تعوج وتعرج واخبار ملك الالمان
متواصلة بأن انصاره لدخاذله وانه ضعف ووهى وانه الى انطاكية انتهى وانه
تعوق هناك ووقع من مرامه الادراك وتوقف عن المسير واغتاض التعسير
من التيسير ووقع الفناء في جمعه وتحلل قمعه قبل ان يصل الى محل قمعه وانه
قد اشتغل بالانفاق في رجال الاستنجاد والاحتشاد وان اصحابنا باسرهم و
سلفوهم ويتلقطونهم من الطرقات ويتخطفونهم ووصل من ملك قسطنطينية
كتاب يتضمن استعطافا واستسعافا وجمع وفاقا ونطاقا والطافا وذكر تمكينه
من اقامة الجمعة في جامع المسلمين بقسطنطينية والخطبة وانه مستمر على المودة
راغب في المحبة ويعتذر عن عبور الالماني وانه قد فجع في طريقه بالاماني وانه
نال من الشدة ونقص العدة ووصل المشقة وقطع الشقة ما اضعفه واوهاه و
الهبه والهاه وانه لا يصل الى بلادكم فينتفع بنفسه او ينفع ويكون مصرعه هناك و
لا يرجع ويمت بما به كادة وانه بلغ في اجتهاده ويطلب رسولا يدرك به من السلطان

سولا فاجيب في ذلك الى مراده ووقع الاعتداد بما ذكره من اعتداده

ذكر حريق المنجنيقات

وفي رجب من السنة اتفق الكندهري بعد وصوله ما وصل
معه من المال على الرجال فاعطى عشرة الف راجل في يوم الجد وامعن في القتال
وضايق مدينة عكا اشد مضايقه واخذ القواصر والكنود بذلك موافقة ونصب
عليها كل منجنيق من الذي عنبر مضبق رجومه للتلهب بالشياطين ونجوم الحجارة تنقض
من ارض الكفر الى سماء الدين في مجانيق مجانيق وميادين تعابين ومسارح سراحين
فاشتد على اصحابنا بالبلد وقعها واخذ على ضعفهم ضعفها وقالوا كيف نجد من سابها
المناصر وهل نلقى من شؤم خصابها الخلاص فاجتمعوا على الاقدام واقدموا على الاجتماع
واخذوا بالاهبة في ترك الارتباع وخرجوا بالفارس والراجل واتوا بالحق امة
الباطل وجاوزوا تلك المجانيق المنصوبة والستائر المضروبة الى خيامهم وطفوا
من ورائهم واللقاء من قدامهم فلما خلت المنجنيقات بمن يحميها خرج الزراقون
من البلد ورموا النار فيها فاحترقت جميعها وغرق في بحر النار صريعها وقتل في
ذلك اليوم من الفرنج سبعون فارسا في اللقاء وقطع الواصلون اليهم عليهم طريق
البقاء واسر منهم خلق كثير من جملتهم اربعة من المعروفين وفيهم فارس كبير فما اهلوه
حين اخذوه حتى قتلوه وسدوه وطلبه منهم الفرنج باموال ولم يعرفوا بالحال فاخرجوه
اليهم قتيلا فاكثر الفرنج عليه بعد العويل عويلا فما توا ابدا يبونه نوحا ويبكون
سوقعد منه فيهم نوحا فهوا بذلك الضرام وركدوا بعد هبوب ريح المرام وضربت

عليهم الذلة وبخستهم عقودهم المنحلة وعقود لهم المعتلة وطمع فيهم الناس وعاد
طمعهم الياس وصارت الخنادق تهجم والستائر تهتك وتضرم والحدود بالمعاول
تثلم والخدود بالنصال تلثم الى ليلة شعبان من السنة فاتت بالحالة الحسنة فان
اصحابنا خرجوا على غرة ومضوا الى القوم بالنكاية واحرقوا منجنيقين كبيرين قد نصبا
بعد كل استظهار وانفق على احدهما اكثر من الفا وخمس مائة دينار وكانت الليلة
الاولى من شعبان مباركة ونعم الله لنا ونعم الله على العدو فيها متباركة ذكر
وصول بطس بيروت في العشر الاخير من رجب قد تواردت الشكوى من البلد
ان الذخيرة قد فنيت وان الانكار بما يستدعيها عنيت وان الجسوم لفقدان قوتها
ضنيت وابطا على السلطان وصول البطس المستدعاة من مصر بالغلات فراى ذلك
من تقصير الولاة وافكر فيما يعجل به قوة وقوتا ويجعل له اطلاء وقوتا فكتب الى
والي بيروت عز الدين اسامة ان يجتهد في كل ما ندبه عز الدين الشامة ويعطي ويبذل و
يحتال في انفاذ ميرة الى عكا فعمر بطسة كبيرة واعدها واخذ من غنيمته الماضية
فيها جندها ونوادبها بخلق سمح وملاها باربعاية غرارة قمح ونقل اليها انواع الطعام
واصناف الادام وقطيعا من الاغنام وهذه بطسة من الفرنج ماخوذة وهي بساحل
بيروت منبوذة فامر السلطان بترميمها وتتميمها واخفاء البغية منها وتكتيمها
وازيحت منها العلة ونقلت اليها الغلة وملئت بالشحوم واللحوم وبكل ما تدعو اليه
الحاجة من المشروب والمطعوم وحمل فيها من احمال النشاب والنفط ما جمع فيها

بين القوة والقوت ورتب فيها رجال مسلمون ونصارى من اهل بيروت وارادوا
ان تشتبه ببطس العدو في البحر وان لا ينكشف للفرنج بما لها من السر فتصوروا وانما نما
وصوروا صلبانا ومسحوا لحاهم ومسحوا اجلاهم وتخلطوا وتكوفوا وتشبهوا انهم و
في كل ثرة ليلا يخوفوا وشدوا زنانير واستصحبوا خنازير وساروا بها في البحر
بمراكب الفرنج مخالطين والى محاذيهم ومحاذيهم منبسطين والقوم لجهلهم لا يشكون
انهم من اهليهم ونسوا الحادث وانسوا بالحديث وتصور الطيب بصورة الخبيث ولما
حاذوا بها عكا صوبوا بها جوبها والريح تسوقها والفرنج تدعوهم من مراكبها ونقول ما هذه
طريقها وهي كالسهم الناقد قد يسدد نحوها وقد عقت رشقتها وهي تكاد تعوقها فدخلت
الثغر وادخلت اليه كل خير وعجب الناس منها وتمام ما تم لها من حيلة في السير واجزاء
البلد بها شهرا ووجد منها لكل كسر جبرا فيا لها من لطيفة قضينا منها الارب
ولم نقض منها العجب ذكر وصول بطس الغلة من مصر الى عكا ظهر يوم الاثنين رابع
عشر شعبان كان السلطان كتب الى النواب بالاسكندرية على وجه الاستظهار
بان يشرعوا في تجهيز البطس الكبار ويملؤوها بالغلات واصناف الاقوات ويعمروها
بالكماة الحماة الرماة ويرسلوها عند موافقة الريح الى الثغر فان خلصت ولو واحدة
منها اغنت بعد الفقر وتمادت الايام على هذا الامر واستبعد وصولها مع امتلاء
البحر بمراكب الكفر وكان الياس يغلب والرجاء يضطرب ووردت كتب اصحابنا بعكا
انه لا يبقى لنا ليلة نصف شعبان قوت ولا شك ان كتاب اجلنا الحق الامر موقوت

فاشتفت النفوس واستشعر البوس والبت القلوب والمت الكروب ولجانا الى الله
الذي يجيب المضطر اذا دعاه ولا يخيب من رجاه ولا يضيع من ابتغاه فلما كان ظهر الخميس
رابع عشر شعبان ظهرت من اقصى اللجة ثلث بطس كانها الاعلام واستبشر بظهورها الاسلام
وتبرزت عرايس جواريها الحسان وخفت رواسي سواريها الثقال وذكرت بقوله تعالى
وهي تجري بهم في موج كالجبال والريح تطرد بها طرد النعام والماء يرسلها على رغم
اهل النار الذين هم اضل من الانعام ثم انها حتى استقبلتها مراكب الفرنج وشوانيها
واحاطت بها تقاتلها من اقاصيها وادانيها وهي تشق عليها وتسقها وتعوقها عنها و
تعقها حتى جرت بينها حرب الايمان والايمان وقرات تلك الايات المطبقة بها حبالها
الرعاة وعبرت والكفر بان نظر ونهضت بالعز والعد وفي ذيل الذل يعثر
ووصلت الثلث وهي سالمة والمثلثة راغمة والموحدة غانمة وقد فرج الله بها غمة
الثغر ودفع ما الم به من الضر وحمدنا الله على الموهبة التي ادركت الارماق ودارت
الارزاق وتلافت الارواح من التلف وحملت عن النفوس المشفقة مشاق الكلف ه

فصل من كتاب الى سيف الاسلام في هذا المعنى كان كتب اصحابنا بانكا
انا حيينا والى ليلة نصف شعبان لا يبقى لنا شي نقتاته وبقاونا ببقاء القوت وفواتنا
بفواته فبينا نحن في هذا الهم متفكرون ومن هذا الملم متنكرون اذ ظهرت للعيون
بالقرة وللقلوب بالقرار والمسرة ثلث بطس على ثبج البحر مستقرة بعثها لطف الله
بغتا ونحتها الريح القوية حتى كانها جبال بامالها تروع وتسود وجنحها القلوع وشعب

الفرنج بها فضاقت مذاهبها وبرزت مراكبها ودبت عقاربها وقربت من البطس شوانيها
وقويت في البطس اماثيها وهي ما فيها من فيها من الرجال وهي تجري بهم في موج كالجبال
وكان جواريها عرايس زفت بما لهن من الجهاز وكان البحر المتموج ثوب تلك الاعلام
المنشآت معلم الطراز بل كانها انجاد تحمل القدر ثابت الى ذوي الاعوان نجاة
متسقة موسقة وفي الاتي بها موافقة موفقة فلم تقدر على مقاربتها ومقارنتها شيني
شاني وكانت كلاءة الله وعصمته لها خير من كل كالي وجارت والكفر حربان
ينظر وفازت بالعز والعد وبذيل الذل يعثر وكان وصولها اوان انفاض الازواد
وانفادها فملات المدينة بغلاتها وازوادها وعصمت ارماقها ودمت امراقها وقسمت
ارزاقها واشبعت جوعها وشعبت صدوعها وانالت ارابها وان لب اجدابها وخصبت
نخصبها وبحت لما سحبها فافاقت من الفاقة وافرقت من الغرق وعاد لها بعد الغسق
اسفار الفلق والحمد لله المغني بعد الاعدام المدني لشتا بعد الاظلام المغني باوليايه
اعدا الاسلام

ذكر عيسى العوام وما تم عليه في العشر الاخير من رجب

وكان رجل يعرف بعيسى العوام قد تردد بالكتب والنفقات الى عكا وسنها في ذلك العام وكان
ناصحا امينا يحفظ الاسرار امينا يسبح ليلا في البحر ويعبر على مراكب اهل الكفر
ويصل بما معه الى الثغر ولكنه خاطر بنفسه فسلم واعتورته اسباب المتالف وما الم
ثم الم واتفق انه عام ذات ليلة غير مكترث بما في طريقه من الاخطار وعلى وسطه
ثلثة اكياس فيها الف دينار وله من نفقات الاجناد ودايع ومحقرات بضايع مهم

ولم يسمع له خبر ولم يظهر له أثر وظنت به الظنون وما تقنت المنون وكانت له
لاشك عند الله منزلة فلم يرد أن يبقى حاله مجملة متحملة فوجد في ميناء عكا ميتا
قد قذف به البحر إلى ساحلها وأذهب حق الظنون بباطلها وبرأه الله مما قالوا وأحال
التي عليه أحالوا وقد وجدت على وسطه تلك الأكياس وتعجب من حاله الناس فلم يذهب
بزها به الذهب الذي صحبه وطهره الله من الرجس وعنه أذهبه **ذكر وصول ولد
ملك الألمان الذي أقام مقام أبيه إلى المرج بعكا** ذكرنا حديث الألماني و
ملم حادثه وما أداه إليه من دواعي كفره وبواعثه وكان مسيره من أنطاكية
يوم الأربعاء خامس عشري رجب ولقي في طريقه على اللاذقية الشجى والشجب وأذن
منعقد حبلهم بضعف ذلهم ووجدت لهم ما بين اللاذقية وجبلة ستون سبعون
فرسا قد عطبت وعلى أعواد عظامها سود الغرابيب خطبت وقد استقبله المركيس
وقصده البرنس وانهد به يضلا له إلى الطريق التي يؤمن لجوازها ويتسع عليه نهجها
مجال الأمن وإن سلكت مضايقها فوصل به إلى طرابلس في العشر الأول من شعبان
ووصل خبر وصوله في سادسه إلى السلطان وحزرهم من شاهدهم في الطريق بخمسة
عشر ألفا وسمعنا في حزرهم بالقليل والكثير خلفا ثم انتقل في البحر إلى عكا في موضع
الجسر ووصل آخر النهار سادس شهر رمضان بعد أن عانى في البحر من اختلاف الهواء
الهوان فلم يبق له وقع ولم يحصل للقوم به نفع وأقام بين جنودهم كأحد كنودهم
وقال الفرنج ليته لم يقدم علينا ولم يصل إلينا فإنه لو أقام في موضعه وأمدنا

بفيضه من منبعه لهيبت عظمته وعظمت هيبته وأرعب بوعده وراع رعبه ورجى
منا وخشي من المسلمين توبه وقد قطع بنا مدد وصل وحصل لنا جناح نجاح جهل ووصل
في البحر وحده ولم يستصحب جنده ثم وصل إليه الأصحاب وتقطعت به الأسباب
ورام أن يظهر بمجيئه ونفعا ويبدي له نفعا وينبش ليستفع غلة ناره نفعا فقال الأمر
القعود عن القوم وما بقي إلا النهوض إليهم من اليوم ولابد من ضرب المصاف معهم
وأنا على الخروج إليهم لأدفعهم فقالوا له أنت ما دنت ووجهتنا لهم ولا أثرت في نصالهم
ولا جربت حربهم ولا كربت بكربهم ولو خشيت حربهم لأصحبت جماحك بجماح صحبهم
ونابا وبنا وشبا الشبا فلما عرفوا أجله وأن صعب الأمر عنده ساوى سهله قالوا له بد
بالخروج إلى اليزك فلعلنا نوقعهم عند الحاطبة بهم في الشرك فذبوا في رأي الرجل
الدبا وخيل أغضت الوهاد والربى ومرجوا في المرج وطووا تلك المدارج لطي الدرج
واشعلوا الحرصان في ليل النقع عوض السرج وقربوا من تل العياضية وعليه خيم
اليزكية والنوبة وفيها الحلقة المنصورة الناصرية والعصبة الموصلية فلما بصرت بهم
ثارت إليهم ودارت عليهم وأنهضت بنات الحنايا من جرودهم إلى الخدود وأوردت
ظماء الظبي منهم ماء الناموس وأنبعث بالنبع من عيونهم العيون واستخرجت بالضرب
من أعناقهم الديون وطيرت بالطارة السهام إلى الأحداق بهم الأحداق وخاطت الآماق
وما أخطأت الأرماق وما رمى كل سهم سهم شهم وخطر في محل خاطر وأسرع من وهم
وركب السلطان من خيمته وتقدم إلى تل كيسان ووقف ينهض بعد الفرسان فلم يزل

وجوه البيض تحمرّ وثنايا البيض تفترّ وذيول النقع تجرّ ومهجات الجو تعبرّ وارجاء
رجاء النصر تخضرّ إلى أن جنّ الظلام وكفّ الكفر وسلم الإسلام وكانت الدائرة على الكفرة
واعرضت بالوجوه المنكرة وأبنا بالأنوار المسفرة ومن الأماني ما منّاها ومن ظلمة
جاء به متظلما وبكلوم قلبه متقلبا متكلما وقد عاين ما عاناه من العناء وشقّ عليه ما
شقّ مرايره من الشقاء وبلي بما بلي به من البلاء وعلم ما جهله واستصعب ما استسهله
وذاق ما ضاق به ذرعه وكاد يتمّ في القتلى رضعه لو تمّ صرعه لكنه تجرّع من الغصص
ما سهّل عليه الموت جرعه وثاب وما تاب وأبى الرجوع إلى اللقاء لما آب وحينئذ
جدّ وأبى في قتال البلد وحصاره وأتبع ليل الحرب فيه بنهاره

ذكر برج الذبان

وعند مينا عكا في البروج برج يعرف ببرج ذبان وهو في حاشية المينا عظيم الشأن وهو
منفرد عن البلد يحتمي بالرجال والعدد وقصد الفرنج حصاره قبل مجيء ملك الألمان
في الثاني والعشرين من شعبان ببطس كبار جهزوها ومراكب عظام آلات أبرزوها
ومكر مكروه وكيد دبّروه وبغي حتى بلغوا غاياته وترتيب رأي رفعوا راياته
وشرّ شركوا الهبوا شراره وأبو كيد أذكوا إغراره وعنان عناد أطلقوه ولسان
صرام أذلقوه وبرّ بطش بسطوها وعقلة معالقة أنشطوها وأحد تلك المراكب قد ركب
برج على رأس صاريه لا يطاول طوده ولا يباريه وقد حشي حشاه بالنفط والحطب و
ضيّق عطنه بسعة العطب حتى إذا قرب من برج الذبان والتصق به أشار فأنه رميت فيه
النار فاحترق واحترقت من الأخشاب والبنا بما به التصق واستوى النار على مواقف

أعدى الله آفاته صح

المقاتلة فتباعدوا عنها ولم يقربوا منها فسهلت عليهم فيه التسلق ولم يصعب فيه التعلق
وملأ بطسة أخرى بالحطاب يسري فيها النفط ويسرع بالالهاب حتى يوقدوها على الشفن
التي لنا بالمنايا يوردوها فتعدى عدوانها وتثير وتبدي فيها نيرانها وهم في مراكبهن
وراءها متباعدون وللشر متشبثون وزحفوا إذ ثم برجالهم في البرج والمينا منا هم نالوا
من الاستيلاء وأرادوا استغنا عناهم قدموا البطسة ذات البرج المعمود وصاد
الصاري ملاصق السور فجاء الأمر بعكس ما قدّروه واخفق ظنهم الإدبار فيما دبّروه
فإن الهوا كان شرقيا فلم تجد نارهم في مطار برج الذبان رقيا بل اشتعل برج
الصاري وتراجعت نارها إلى أهلها وعاملت ذوي الجهل بجهلها وأوقدت ببطسة
الحطب من ورائها وتطايرت إليها شعل إذكائها وعادت على الفرنج فالتهبوا وحمي
عليهم الحديد فاضطرموا واضطربوا فانقلبت بهم السفينة واحترقوا وغرقوا
والناجون منهم فارقوا وفرقوا ولم يفرقوا واحتمى برج الذبان فلم يطر من بعدها
عليه ذباب ولم يفتح للعدو في الكيد له باب

فصل مشبع في المعنى من كتاب إلى سيف الإسلام باليمن في حصار برج الذبان مرة أخرى

وأنكر الفرنج في أمرهم وأجالوا قداح الرأي في مكر مكرهم وقالوا هذا البرج
المعروف ببرج الذبان منفرد عن البلد في وسط البحر منقطع المكان وإذا أخذناه
تسلطنا على مراكبهم التي في المينا وإن لم نؤثره بحينا تأثيرا فلأي سبب جئنا
ومن حديث هذا البرج أنه يحيط به البحر من جوانبه وهو قفل مينا الثغر على مراكبه

وقد دفعناه وأعليناه وبالعدد والرجال قويناه وبالجرخية والرماة والزراقين والمنجنيقية
ملأناه وبكلاءة الله تعالى وعصمته عصمناه وكلأناه وقد حاموا حوله حولا فلم يجدوا
على نيل غرض منه قدرة ولا حولا يعمدوا إلى أكبر بطسة واتخذوا فيها مصقا لا
كأنه سلم وهو في مقدمها مركب مقدم وقد جعلوها بحيث إذا قربت إلى البرج
ركبت رأس السلم على شراريفه وصعد الرجال إليه في تجاويفه وتعبوا في ذلك أياما
وأشبعوه توثيقا وإحكاما وهو بمرأى من الأصحاب ينظرونه وينتظرونه ويبصرونه
ويستنجدون الله عليه ويستنصرونه والقوم قد أصبحوا بتلك البطسة زاحفين وعلى ذلك
السلم بعددهم واقفين حتى إذا التصق بالبرج التصق به فوارس النفط وتوالت أمطار
البلايا من الجروخ والحجارات والمنجنيقات على أولئك الرهط وجرت النار بسطحة
في البطسة ولم يسلم السلم وبات القوم من فجيعتهم بهذا المصاب الذي ألم بهم وألم
وقتل منهم من باشر القتال ونزل العذاب بمن حاول النزال والحمد لله الذي
آيات ظهور دينه متناصرة ودلائل نصر أوليائه متظاهرة ثم عمل الفرنج برجا
عاليا في البر مركبا وحشوه بالحطب وعملوا على رأس صاريه مكانا يتعمد فيه الزراق
ويتأتى له فيه الإحراق وقدموه إلى برج الذبان وسلطوا على جوانبه جوانب النيران ن
وقصدهم بذلك إحراق ستائر البرج المنصور وأوان في ذلك هدم بنيانه المعمور
وحسبوا أن الستائر إذا وقعت فيها النار تعذر على رجاله القرار وتعجل منهم الفرار
الفرار وكادت الستائر تشتعل والخواطر تشتغل والحال تضطرب والبال يلتهب

والقلوب تضطرم والكروب تحتدم فأهب الله من مهب لطفه نكباء نكبت النار
عن البرج المحروس وأكبت الفرنج على الوجوه والرؤوس وتعس جدهم ونكس قصدهم
وانقلبت الريح التي لهم عليهم وصوبت مرامي العذاب إليهم **فصل في المعنى**
ولما رغم الله القوم قالوا لا طاقة لنا اليوم وعادوا وقد عزموا وزعموا وأخلف ما
زعموا عزموا واشتغلوا ببطسة لهم نجوها وأخطأ بها وأدهانا وأحشاها وأشعلوا فيها
النار وألهبوها وأرسلوها إلى مراكبنا في يوم ريح عاصف وصوبوها وأدنوها منها
وقربوها وكادت سفننا تحترق ومراكبنا تغترق فأنزل الله الفرج وقت الشدة
وأمن من المخافة المحدقة المحذرة وانقلبت الريح عليهم وعادت مخالفة لهم بعد
أن كانت موافقة وجاءت تلك الحالة للعادة خارقة فاحترقوا بنارهم وشرقوا بعصار هم
وجزيت بطسن أولئك الكلاب بالكلاليب وتوالت ألطاف الله في هذه النوب
المتناسقة مطردة الأنابيب مستهلة الشآبيب **ذكر الكبش وحريقه بعد**
تعب العدو في إحكامه وتسوية طريقه واستأنف الفرنج عمل دبابة هائلة
وآلة للغوائل غائلة في رأسها شكل عظيم يقال له الكبش وله قرنان في طول
رمحين كالعمود من الغليظين أقفال الأبواب المغلقة بها تفش فكم سور إذا نطحته
طحنته وكم معقل حصنه الدهر حصنته وصحنته وهذه الدبابة في هيئة الخربشت الكبير
وقد سقفوها مع كبشها بأعمدة الحديد وكملوا لها أسباب الإحكام الشديد ولبسوا
رأس الكبش بعد الحديد بالنحاس وكسوها جنة أعليها من النار سابرنا بالباس

فلم يبق للنار اليها سبيل ولا للعطب عليها دليل وشحنوها بكماة المصاع وحماة القراع ورماة
الحدق وكباة الحلوق وعفاة الحتف وحفاة الزحف ومجتابي الزغف ومجتني العسف من كل
سرحان يسطو من جلد أرقم وكل شيطان لا يتجهم من الحرب الأجهم وكل شجاع لا يعيف
الا شجاعا ولا يرى لغير التجميع الفاني اقتناء ولا انتجاعا فلما استدفت لهم هذه الدبابة
وماجت بالحديد بدلججها العبابة واطافت بذلك الكبش تلك التوابيت النيابة وامنوا عليها
الحريق واتوا بها الطريق سووا بين يديها الأرض ومهدوا الطول منها والعرض وجروها
حتى نحجوها وقربوا بها أعيننا بك انفسا وترنو كما تجات صورة نزعج مرآها وروضة تحجر
مرعاها والدنو وقهيبتها وعدة تروع مشيتها وتحف البلد من دنوها بالبلاء الداني
وتغاشت وتعاست دونها نفس الرامي وعين الرائي وقال اصحابنا هذه ما في دفع خطرها
حيلة ولا للبارق الظفر بها محيلة فكيف العمل وفيما الامل ومن للكبش العظيم وقطع راسه
ومن لبناء الحديد ونقض اساسه فان كانت هذه الدبابة دابة الارض فانها اوانها
وما جاز زمانها ولقد قامت بها قيامة الحشر وقام بوكانها ونصبوا على صوبها مجانيق
ورموا بالحجارة الثقيلة ذلك البيق فابعدت رجالها من حواليها وطردت المطوفين بين
يديها ثم رموها بحزم الحطب حتى طموا بين قرنيها خرزة وقذفوها بالنار فتم في التعريب
اثنائها عجاج اللهب بجمرة ودخلت من باب الدبابة فاشتعلت بأطرها (ضلوعها) وشرع من فيها
في الخروج بعد دخولها وشروعها وجاء الفرنج في تلك الليلة فباتوا بالساتر يطفئون
بالخل والخمر تلك الشعل المستوليات فاطفوا نار الظاهر ولم يعلموا بنار الباطن ولم يحتشوا

بما تمكن من اضلاعها من الحرق الكامن وحن اخدو الجمر واجر والامر ورجعوا ولم
يزل اللهب يأكل سقوفها وحينئذ خسفها المنجنيق فانهد ذلك البيق وصوح ذلك
الروض الابيق وهو من ذلك التركيب الوثيق ونفقت تلك الدابة واحترقت تلك الدبابة
وخرج من بالثغر المعمور بالمحروس باشرى الوجوه طيبي النفوس وقطعوا راس الكبش
واستخرجوا ما تحت الرماد من العدد بالنبش وحمل كل من الحديد ما اطاق حمله
واستطاب لثلج صدره وبرد غليله حره واستخف ثقله وقد دمائه من الحديد
بمائة قنطار نقل آلة كبش بهذا المقدار وهو أعظم مقدار وعاد اصحابنا على
عدوهم ظاهرين وحزب الكفر قاهرين وكلهم ينشد وهو ينشي وينشد حدا وحدا
بان لنا كبشهم ولم أر من نزال الكبش بدا   وقنط الكافر وكفر القانط
وانحط الشيطان واستشاط الساخط وعلم الفرنج حين حبطت اعمالهم وهبطت
امالهم ان الشقاء ادركهم والشقاق اهلكهم وان مدبرهم مدبر وان تدبيرهم
مدمر وان آلاتهم غير نافعة وان نهلاتهم غير ناقعة والحمد لله ذي الطول العميم
والفضل الجسيم الذي نعش عثار الثغر بعد ان تل للجبين فتلونا قوله تعالى
وفديناه بذبح عظيم   وكان ذلك يوم الاثنين ثالث عشر شهر رمضان واحرقت
البطسة يوم الاربعاء خامس عشره وفي هذا اليوم وهو الاثنين قدمت عساكر
الشمال تفد ومنهم ذو القبول والاقبال وهو الملك الظاهر صاحب حلب وقد استصحب
معه الاجناد وجلب نجاء عشيه وجدد بلقاء والده عهده ثم عاد وعاد بكره

بكرة الثلثاء يقدم جنده ومعه سابق الدين عثمان صاحب شيزر وقد استكثر
واستظهر وعز الدين ابن المقدم ذو القدم الاقدم والفخر الاكرم وحسام الدين
باريك وجملة من الامراء من ذوي المكانة والبسالة والغناء وقدم الملك الامجد
مجد الدين بهرامشاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب صاحب بعلبك وقد استصحب
غلمانه الاكاديش ومماليكه الترك وكان لذلك اليوم رونق وصفا لمريبته رنق و
اتفق في يوم الاثنين هذا من العدو على البلد الزحف الشديد في الخلق العظيم
محميين يلتهبون بنا بالجحيم وتركهم اصحابنا حتى برزوا من السور واقدم العدو
اقدام المتهور الجسور فلما ازدحموا وكثروا واضطرموا واستعروا واعنت لهم
الاوتار بين القسي وطاشت لها السهام ودعت اليهم الاقدار رحين الجنا باقلبانا
في لباتهم الحمام ونادتهم من الزيارات الجروح واخذت بزالهم بنوح ورضتهم
المجانيق بالاحجار واذنت عيون جبهتهم بالانفجار وخرج اصحابنا اليهم فقتلوهم
الى الخيام وفلوهم بحد الانتقام وافضى الحرق بالعدو والى الحرق واخلقت بجده
جد ناجده اوليك الخلق

ذكر حوادث تجددت ومتجددات حدثت

وصل الخبر في سادس عشر رمضان من حلب ان صاحب انطاكية اغار على غرة نشره و
بشره ووصل الجاسوس بخبره وبما البلاد مشرفة عليه من خطره فرتب اصحابنا له كمينا
ثم خرجوا اليه شمالا ويمينا فقتلوا الكثير رجاله وافلت وباله في وباله واتاها من تلك
النهضة وضعف من تلك العضة وفي هذا التاريخ القت الريح الى ساحل الزيب

بطبستين خرجنا من عكا بجماعة من الرجال والصبيان والنساء للتغريب ومنها
امراة محتشمة غنية محترمة فاخذوا واخذت وجد الفرنج في استنفاذها فما استنقذت
ومن تاما ما ساء العدو وانا لنا الله احسانه المرجو وفي عشية الاثنين تاسع عشر
شهر رمضان رحلنا الى منزل يعرف بشفرعم وخص هذا الرحيل النفع وعم
وكان سبب ذلك انه كثر المستامنون الينا من الفرنج واخبروا انهم في عزم الخروج
الى المرج هائجين للثار ثائرين الى الهيجاء مائجين في دماء الدماء لحب اللقاء وصح
هذا وصدق ووضح الحق وحقق فاحضر السلطان الامراء الاكارم ورجال الحقائق
الضراغم الذين هم له اعوان صدق لساعات ايامه وذخائر نصر عند اعتزامه
فاستشارهم واستثار دركوا من سرائرهم واستنبط دفاين ضمائرهم واستكشف
منهم الصواب وتعرف من جانبهم الجواب فقالوا الصواب ان نفسح لهم عن هذه
المروج حتى يكون دخولهم اليها يوم الخروج فنصبحهم في اليوم الاخر ولا يتعذر بهم
اخذاق العساكر وانما لا يقدرون على القصد دفعة واحدة الا اذا كانت ابدانهم
متباعدة وآراؤهم متعاقدة فان انفردوا عن الراجل وسابقوا ابطالنا هم وابتزناهم
وان توقفوا للراجل قصدناهم حيث نزلوا ولقيناهم وصددناهم واجمعنا على
ان نرحل الى شفرعم ونخيم على هضابه ونطل على العدو وما كان من البيات في
حسابه فخيمنا هناك على احسن تعبية وسببنا اسباب اللقاء اتم تسنية ورحبت
المنازل وعزبت المناهل وعادت معالم تلك المجاهل وطلنا التلاع والاكام

وركزنا تلك الأعلام الأعلام ونزلنا بالمقام الشآم مستعدين ولأسباب التوفيق
من الأمطار مستنجدين وأصبحنا على تلك الأطواد موطدين وعند تلك الأوتاد
موتدين وتسنمت تلك الفروع وترعت تلك التسنيمات وتمكنت تلك البنى وبنيت تلك
الأمكنة وتحركت تلك الجبال بسكانها وأحبت الرجال التوطن بها وسلت عن أوطانها
ودارت الأسواق ودرت الأرزاق وأنارت الآفاق وصهلت الصلادم على
معالفها وصقلت اللهاذم لبدائعها ونوبت اليزك بحالها تدور دفتر وجد ونعيد
ربتهم الحفظ والحماية وتعود والحرب تناوب والزحف تعاقب والأقران تتوافع
والوقائع تتقارن والأعوان تتعاضد والأعضاد تتعاون والعتاق تصهل لها الجنب
لجنب الطراد تحمحم والرقاق تصليلها لشوق الجماجم تجمجم والمقربات للأجراجر
صوافن والضوامر للشد ضوامن ومنى المناصل صلة القطع ورجاء الرجال نبع
النصر في قرع النبع بالنبع ولا كلام إلا الكلام ولا سلام إلا بالسلام ولا يسمع إلا
أسرج وألجم وتقدم وأقدم وأصم وصمم وأصبر وأضرم ولا كلمة حتى تلهب و
لا نبع حتى تنبعث واقطع وصل واكتب بصاع المصاع وكل ولا تقل والوزر فلقد
ولكل داع إجابة ولكل ساع إصابة ولكل سهم في المرمى نفوذ ولكل سهم
في المرام سوق ولكل صعبرة في الطعان صدعة ولكل نعرة للرماة قدعة
ولكل عقدة بالضرب حل ولكل عضب عض ولكل ذي حظ حظ ومن له نصيب
في الشجاعة نصيب في التشجيع ومن له جراءة الهيجاء هاج إلى الصريخ بالجد السريع

والأيام منا على هذه الحالة مندرجة ومياه الحديد بأمواه الوريد ممتزجة وتباشير
صباح الصفاح في دياجير القتام منبلجة ولله نعمة في كل بلية وسر في كل قضية. ذكر
وفاة زين الدين صاحب إربل في ليلة الثلثاء ثاني عشري شهر رمضان وما جرى بعده من الحال
قد جرى ذكر هذا الأمير وما تحلى به من الكرم والخير وهو يوسف ينالتكين بن علي
كوجك ومن سعادة جده ما طلب غاية في الكرم إلا أدرك وما كان أسره يوم الحضور
وأخضره يوم وفاته للسرور فلقد كان زجاجا للكتائب بازا لا بالأباعد والأقارب سيانا
بابتداء المواهب دارا بأخلاف الرغائب بارا في سبيل المناقب فارا على فلق النوائب
وكان في ريعانه الرائع وشعاعه الشائع وشبابه الطري طرير الشبا وحيد لعقد
السؤدد معقود الحبى فرمته الأيام بمرضه أياما وتلهبت القلوب منا للتلهف عليه
وقد أمسيت مراضا مراما وقد عرفته بطبيب السلطان فلم يأنس به ولم يسكن إلى طبه لما كان
يعلم من منافسة أخيه مظفر الدين في موضعه وأنه يتعش بمصرعه فاكتفى بصاحب له
بطبه يوافقه على ما يحبه وهو جاهل بمزاجه ذاهل عن علاجه فشب الحمام في حمى
شبابه ناره وأذوى غصنه غداة قلنا ما أزهارا أزهاره وما أنضر نضاره ونقله الله
من جنات الجوة الحجوة لجنان وعجله بمجازيه لإحسانه بالإحسان وحوله من بين
الأتراب إلى التراب ومن دار الاغترار ودار الاغتراب إلى موطن الثوى بالثواب
وآذن الزمان بعد الأجداء بالأجداب ولزمه أخوه مظفر الدين حتى فارقه وما ظهر
عليه الغم حتى قيل إنه سره موته ووافقه وقصدنا معزين على ظن أنه جلس للعزاء

فاذا هو في يوم الهناء وهو في خيمة ضربها في مخيم اخيه واحاط على جميع ما يحويه ووكل بالامراء
ارباب القلاع يسلموها وخشي ان يعصوا فيها اذا رجعوا اليها وحموها وخدم بخمسين الف دينار
حتى اخذ اربل وبلادها وترك عن حران والرها وسميساط والبلاد التي معه واعادها
وزاده السلطان نهرا ورد الحكم بسببه للاسباب والامور فاستمهل الى حين وصول
الملك المظفر تقي الدين لينزل في منزلته بجنده وصحبه المياسين فوصل يوم الاحد
ثالث شوال فجلى بعد العطل الاحوال وكان قد انفصل صاحب الجزيرة معز الدين سنجر شاه
وذهب مغاضبا وكان السلطان له في الانفصال معاتبا فاعاده تقي الدين من الطريق
وقبح له ما استحسنه في ترك الموافقة من عدم التوفيق وكان هذا سنجر شاه دخل يوم العيد
للهناء فاستاذنه في الانكفاء لخرج على حالته وسار وتبعه اصحابه ولج جماحه وتعذر
اصحابه فلما اجتمع به تقي الدين رده وبذل في صيانة منزلته عند السلطان جهده و
طال على الملك عماد الدين صاحب سنجار المقام وجد في الاستيذان في الرحيل منه
الاهتمام وصدق الاعتزام ونفذ رملا له وتكرر رسوله فكتب اليه السلطان
من ضاع مثلي من يديه فليت شعري ما استفادا   فلما قرأ هذا البيت ما راح في
الخطاب ولا غادى وغلت الاسعار عند الفرنج وغلوا من الغلاء وتضوروا من الضراء
وشقوا بدوام استمرار الشقاء وعمت المجاعة الجماعة وعدموا الطاعة والاستطاعة
وزادت جوعهم وقصرت عن العزار بوعهم وانحلت ربوعهم وبعثهم الرهب على الهرب
والقحط على التسحط لكنهم قاموا على الموت واستناموا الى الفوت وبلوا بامور صعبة

وهرب الينا منهم عصبة بعد عصبة وقد بادوا من الضعف واعداهم الضر العادي
فمن سالناه عن مقتضى فراره ومقص قراره يخبرنا انه طواه الطوى فنوى النوى حين
النوى من حذر التوى وقد انساه المحل الدخل وابغض اليه حب السلامة الولد
والاهل وكانت الغرارة من الغلة بلغت اكثر من مائة دينار والسعر من الزيادة لديهم
في استعار ثم ما جاءنا الا كل ضعيف لا يقوى على النزاع والنزال ولا يمسكه الا اعتلاق رمقه
من الاعتلال فقبلناهم وانفقنا فيهم والفناهم بما يكفت ضرهم ويكفيهم فقووا و
تقووا واثروا بعدما اقووا فمنهم من اسلم وخدم ومنهم من تندم ومنهم من عاد الحرب
وعاد ومنهم من ناصح واستفاد **ذكر نوبة راس الماء وخروجهم بعدمه اللما**
ولما ضاق بالقوم ذرعهم واشرقهم جرعهم وعرفهم ورعهم واخلفهم خلف عيشهم و
ضرهم ضرعهم عيل صبرهم وعال ضرهم قالوا الخرج وبلي.. ونصل ونصلي ونقصد ونصدق
ونلقى ونلقى ونفل ونقلق ونعز ونعزم ونهد ونهدم ونجرى.. ونجترئ ونبرى ونبرز
ونزحف ونحفز ونزعج ونعجز ونجهد ونجهل ونحمى ونحمل ونقطع ونوصل ونثور
ونثير ونبدر ونبادر وننتصف وننصف ونعصر ونعرف ونجرح ونحرج ونلج ونلجلج
ونعفر ونرعف ونقرح ونحرق ونفري.. ونضرب ونغلي ونغلب ونجن ونجني ونسيف
وننفي ونرجو ونردي ونجد ونجدى.. ونقد ونقدم ونعد واو نعدم ونصد ونصدع
ونقد ونقدع ونجد ونجدع ونصر ونصدع ونسلب ونسلب ونروع ونرعب ونبدد
ونبيد ونتصدى.. ونصيد ونظهر ونظهر ونرمي ونقهر ونفتسوا ونقسو ونكسو ونكسر

فخرجوا في عدد خارج عن العد واستقاموا مع الاعوجاج على جرد الجرد وذلك يوم الاثنين
حادي عشر شوال بعد ان رتبوا على البلد من لازم القتال واخذوا معهم علوفة اربعة
ايام وزادها واستصحبوا النجاب الكريهة والجادها وكان اليزك على تل العياضية
وركبوا واشغلوا القوم بنيران النصال والهبوا منزل العدو تلك الليلة على اثار كنا
حفرناها عند نزولنا هناك والحمية الحامية المنبعثة على تلك البعوث ما تركت
الاتراك فما تواخر القوم يرمون ويدمون ويشوون ويصمون ولما اتصل خبرهم
بالسلطان رحل الثقل الى ناحية القيمون وثبت الله القلوب على الامن والسكون وبقي
الناس على خيلهم جرايد واستعذبوا من مر الكريهة الموارد وركب العدو يوم
الثلثاء سائرا وقد عب عبابه زاخرا وهب غابه زائرا وطما بحره مائجا وسما جمره ماججا
وعساكرنا في احسن تعبئة ولدعاء القراع في اوحى تلبية وقد امتزجت زجرات الجاووش
والميمنة الى الجبل ممتدة والميسرة الى النهر بقرب البحر وصفوفها منتشرة مستندة
والسلطان في القلب كالقمر في الهالة له عليه اكليل من انوار الجلال له فيها رجحى وقف
على تل عند الحروبة على المهابة الحالية والحالة المحبوبة ومقدموا ميمنته عظماء
دولته صاحب دمشق ولده الملك الافضل وصاحب حلب [ولده] الملك الظاهر وصاحب
بصرى ولده الملك الظافر واخوه الملك العادل في اخرها والامراء بعساكرهم يلي
حسام الدين ابن لاجين وقايماز النجمي وصارم الدين والامير بشارة صاحب بانياس وهو
الذي لا يرجوا امانا لتمام الامن فيه بانياس ثم بدر الدين دلدرم الياروقي صاحب تل باشر

وقد طال له بشر الاسلام بما باشر وعدة كثيرة من الامراء يطول ذكرها على انها يطيب
نشرها وعظماء الميسرة ومقدموها وامراؤها ومقدموها الملك عماد الدين صاحب
سنجار وهو العادل للاسلام وعلى الكفر جائر وابن اخيه معز الدين سنجرشاه صاحب
الجزيرة والملك المظفر تقي الدين ذو السطوة المبيدة المبيرة وسيف الدين علي
المشطوب الذي نشبت بناره الحروب ونصبت على العدى منه الكروب والهكارية
المهرانية والحميدية والزرزارية وامراء القبائل واجادل الجلد ورجال الحلقة
المنصورة واتقونا في القلب لابسي حلق السرد حاملي نحو الحرب من كل فارس
فارس وهو مارس وضيغم ضاغم وضرغام عارم وليث قضقاض ملوث بفضفاض
وقتيبة دقاس وهزبر زائر واسد في غاب الاسل وقارع في القراع باب الاجل
ثائر ثعالب الخرصان وذباب الظبى من دم الاقران وثابت على الثبات على قلق شان
الشجعان وقارئ ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ثقة بوعد القران
وفائز نجح النجح بثمرة عمره وبذله في الجهاد للتمتع بعمر الجنان وساق الى حلبة الشهادة
وسام على ذروة السعادة وملابس للدروع مباسل وعاسل كالذئب الى ذب
العدى عن الهدى بعاسل وسار الفرنج شرقي النهر لنا مواجهين وللكريهة
غير كارهين حتى وصلوا الى راس النهر اشفقوا من باس القهر فانقلبوا الى غربيه
ونزلوا على التل بينه وبين البحر والجالشية الرماة منا نحوهم جائلة وعيون
اغيانهم على نصالنا سائلة وخرج في ذلك اليوم وهو الثلثاء خلق من اهل التثليث

وما بقي عن كثير منهم ثاب النايب الكريم والسلطان في خيمة لطيفة بحيث يشاهد
ولله منه المجاهد المجاهد وأصبح الفرنج يوم الاربعاء راكبين وعن سبيل اللقاء ناكبين
ووقفوا على صهوات الخيل الى ضحوة النهار فطيف بحدقهم كالاسوار وأصحابنا قد
قربوا منهم حتى كادوا يخالطوهم وأرادوا أن يباسطوهم والسلطان يمد الرماة بالرماة
والكماة بالكماة وهم ثابتون ثابتون ساكنون ساكنون ونحن نقول لعلهم يحملون ويغضبون
فيحملون فيتمكن من نفصل حملتهم بحملتهم وتفريق جماعتهم وتفريج الغمة ببرح حمّتهم
وأحس العدو بالضعف وأنه متورط في الحتف فسار موليا ولعذره لذعره مبليا
ومضى على مضض ومرّ باشمرمز والنهر عن يمينه والبحر عن يساره وقد ابتدر أن
مح منه الثبات بانكساره وعسكرنا يصابحهم بالصفاح ويكفهم بالكفاح ويشعلهم بجمرات
السهام ويلهبهم بجمرات الضرام ويحرقهم ويشوهم ويصميهم ويشوتهم ويفيض على
سوابغ العدد أن منهم جداول القواضب ويخيض في دماء الدماء منهم سوابح
السلاهب ويغيض في ماء الوريد منهم ماء الفرند ويغبط بني الكفر في الجمع بين الحنين
عليهم ابنتي العمد والزند وادبروا مولين وانخضوا من مهجهم ما كانوا له مغلين
وعسكرنا يبهتهم ويعلق بهم ويقلعهم وهم يجتمعون في مسيرهم ويختمون في تقدمهم
وتأخرهم يتحركون في سكون وينتظمون في كون وينطلعون في عروب ويتفللون بغروب
ويندبون في جمود ويلتهبون في خمود وكلما صرع منهم قتيل حملوه وستروه وطموا
مدفنه وطموه حتى يخفى امرهم ولا يفتح لدينا كسرهم ونزلوا الليلة الخميس على جسر دعفوق

والواصل

وقطعوا الجسر حتى يمنع عبورنا اليهم ويعوق وابلى المسلمون في ذلك اليوم بلاء حسنا
وانوا كل ما كان مستنبطا باسم كمنا وقام اياز الطويل في ذلك اليوم مقاما اقعد فيه
من الكفر كل قايم وانبه به من العزايم كل نايم وكان مقداما هماما اسدا ضرغاما
يطير وجده الى الروع اذا بدا له باجنحته ويجيب المستصرخ فلا يسأله عما يدعوه
اليه وهو في كل يوم يصبح في سلاحه شاكيا وبنار عزمه ذاكيا ويقف بين الصفين
ويدعو الى المبارزة والحين فما يبرز اليه الا من يصرع ولا يصل اليه الا من يقطع
فعرفه الفرنج وتحاموه تحاموه بعد ذلك ورامه وبذل هذا اليوم جهده وفلّ
في فل حدهم حده واصابته جراحات واصابتهم به اجراحات وكذلك سيف الدين
ازكوج ابلى في الجهاد ذلك اليوم وقد ينصاله ويضاله القوم وجرح به جرح وفي
قلب العدو وعينه مهابة انتقامه واصابة سهامه قرح ه واصبحوا بكرة الخميس وقد
وكر الخميس وحمي الوطيس وسار في اسده العريس فاشرفنا عليهم واذا هم داخلون
الى مخيمهم سايرون الى مخبئهم فعاد السلطان الى سرادقه حامدا لخلايقه
مستقرا في ليل العجاج فلق تياله واستبعاد الاتقال الى معسكره واستنزاد من الله
له الاقبال في مورده ومصدره وفخر بتفرده على ملوك الارض بعون ملائكة السماء
وتفرد بفخره وكان مع الفرنج الخارجين المركيس والكندهري وملك الالمان على
عكا يبري ويقري. فصل من كتاب في المعنى خرج الفرنج يوم
الاثنين حادي عشر الشهر وانفين من ملوكهم الحاضرين بالظهور وقت الظهر وفي

مرج عكا عن غزيرة الما يجري منه نهر كبير الى البحر فخرجوا الى شرقي النهر وباتوا بالقرب
من خيمهم على البلد وقد تخلف لحفظ خيمهم الوف من اهل الجلد ثم اصبحوا يوم
الثلثا والنهر عن يمينهم والاسد سايرة بالاسل في عرينهم والحمية مشتعلة في
قلوبهم وعن ايمانهم ونزلوا راس العين وطرق الهم بها من عساكرنا المنصورة طارق
الجبن ولما اصبحوا وجدوها محدقة وبيران النصال والمناصل لهم محرقة وكانوا يقولون
انهم يتحركون للمصاف والامر بالخلاف فانهم لسهام المنون من الاهداف وما
دارت بهم الا الجاليشية تجول وتصول وتصيب وتصوب وكانت الاطلاب واقفة
تنظر حملاتها وتستبعد لوثباتها فلما ابصر الفرنج ما حل بهم من العذاب عدوا الغنيمة
في الاياب وشرعوا في طريق الذهاب فعادوا من غربي النهر راجعين وساروا
صوب خيامهم مسارعين واصحابنا وراهم يرمونهم ويثنونهم ويصمونهم وقتل
منهم خلق وجرى في محجب جنابهم خرق ونزلوا تلك الليلة على الجسر وقطعوه وباتوا
خايفين هايبين ورحلوا بكرة خاسرين خايبين ووجوههم الناجية مجرحة وقلوبهم الواجفة
مقترحة واشلاوهم من كسوة الحياة عارية وبالعرا مطروحة وعرفوا ان حركتهم
للهلكة وان هلكهم في الحركة واقاموا على الضر والزاد معدوم والبلا لكل منهم
مفرود وعليهم مقسوم ولا طعم لهم الا من لحم الخيل وهم يدعون بالثبور والويل
ومع كثرتهم فلوا اعنا وضلوا رجا وذلوا ابلا واغتلوا احزانا وغلا ولما عاد الفرنج
الى خيامهم خايفين من مرامهم ومخففين من مرامهم وابصر المقيمون بها اصحابنا

وراهم يطلبون ورادهم متعطشين الى دمائهم يرمون ورادهم وثبوا على جيادهم
وثاروا الى المراد من رادهم ولاقوا الجميع باجمعهم وقاموا الفيصل من تبعهم فاندفع
الاصحاب حتى بعدوا ثم ردوا عليهم الكرة فاثخنوا واجروا وقتل في تلك المعركة
كند كبير وشيطان لنار شريرة من سعير مستعير وطلبوا بعد انفصال الحرب جثته
فاعطوها والتمسوا هامته فلم يجدوها وكان رجلا يعد برجال وسلبه قوم باموال
ولولا ما اتفق من الثبات من اراج السلطان ما سلم من سلم من حزب الشيطان و
لله في كل قضية سر وفي كل بلية بر

ذكر وقعة الكمين

وما زال السلطان موفقا في ارايه مشرقا بلالا الايه ومن ارايه الراجحة ومساعيه الناجحة
ومناجره الرابحة انه راى ان يرتب على العدو كمينا وعلم ان الله يكون لنجحه
ضمينا فجمع يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال منتجبي رجاله ومنتجبي ابطاله
وخواص اتراكه وعوام فتاكه فانتخب منهم من عرفت سابقته وسبقت معرفته
واخبرت في الجلاد جلادته وفي لقا العدا عادته علمت في الفتك حالته وامرهم
بان يكمنوا على ساحل البحر قرب المنزلة العادلية القديمة فمضوا وكمنوا ليلة
السبت منتهى الهمة منتقضي العزيمة وخرجت منهم عدة يسيرة بعد الصباح منادية
بحي على الفلاح ودنوا من خندق القوم وصاحوا الا تغودن بعد اليوم ومطروهم سهاما
وابتعروهم ضراما فطمع الفرنج فيهم وظنتها انها تلافيهم وخالتهم صيدا قد سنح
وسربا قد سرح فقطعت خنادقها وبثت على ابقها وحثت سوابقها واخاضت بخر

الحرب بسوابحها وقد أفاضت سوابغها وشامت صفائحها وتجردت عن رجالها وتفردت
بفضلاتها وحملت بحمالتها وأقبلت بادلالها لا بإذلالها ونظاره أصحابنا أمامها وأقرموا
قدامها حتى وقفوا على الكمين وأوقعوها في الهلك المبين فخرج الكمين عليها وتبادروا
إليها فلم يستطع فارس منها فرارا ولم يطق من عزيمته أن يمضي غرارا وكانت في مائتي
فارس من كل مقدم بارونيّ وبطل داويّ وإسبتاريّ فقتل معظمهم ووقع في
الأسر خازن الملك وعدة من الإفرنسيسية ومقدمهم وملكوا وسلبوا وملك سلبهم
وتقطع بهم سببهم وما وصلهم أزلهم وجاء الخبر إلينا فركب السلطان وركبنا وسار ووقف
على تل كيسان فشاهد من آلاء الله هنالك الإحسان وجاءه مماليكه يقودون أولئك الأعزة
بخزام الذل ويجدون بما استخلصوه من ذلك الغل ويقدمون المقدمين من سراة الأشرار
ويتلونا لما شاهدناهم وترى الناس سكارى وما هم بسكارى فقد رضتهم اللتوت
وتقضقضتهم الليوث بعثتهم على مصارعهم الطاهرة من مكامن الآجال البعوث و
ترك السلطان الأسلاب والخيول لآخذيها وكانت بأموال عظيمة فما أعارها بنظره
ولا تردد أمره فيها وفيها جنن كأنها حصون ودرق مصون وخوذ منها مذهب ومموه
وسيوف ذكور تتولد منها المنون وملابس رائعات تحار فيها العيون وأبناء الملوك
صفدتنا وحمدنا الله الذي بإرشاده هدينا وجلس السلطان في خيمته على دست ملكه
وقد انتظم له عقد النصر في سلكه فمن كان عنده أسير أحضره فأنعم عليه وشكره
وكنت عند السلطان جالسا وللحبير الجود لابسا وقد جمع عنده أولئك الأسرى وما أسعد الله

إلا في تلك الساعة أولئك الأشقياء وداومت محاورته لهم مشافهة وأطعمهم
بعدما آنسهم فاكهة ثم بسطهم ببسط الخوان وأشبعهم وأرواهم ثم أحضر لهم
كسوة وكساهم وألبس المقدم الكبير فروة لخاصته فقد كان الزمان قد برد
وفصل الشتاء قد ورد وأذن لهم في أن يسيروا وأعلمهم لإحضار ما يريدون
إحضاره ولإعلام من يؤثر أن يعرف معارفه أخباره ثم نقلهم إلى دمشق للاعتقال
وحفظهم بالقيود الثقال **فصل من كتاب بشرح الحال ووصف
المقام مع الاعتلال** ولما كانت ليلة السبت ثالث عشري شوال كانت نوبة
اليزك لأخينا الملك العادل فأشار بإنفاذ عدة إليه تكون في الكمين وتقيم في
المكمن إقامة حاذرات الأسود في العرين فأنهضنا إليه من مماليكنا سرية سرية
سرت سرا واستترت وسرت وقرت في مكمنها إلى أن طابت الأنفس بصنيعها وقرت
ولما أصبح الفرنج يوم السبت خرجوا على العادة عادين وللمنايا إلى ناديهم منادين
فاستطرد من حضر من العرب والتركية قدامهم وأطمعوا إلفهم قد ظهروا عليهم و
هربوا ورهبوا أقدامهم وما زالوا ينهزمون زورا هم ويقوون فيهم رجاهم حتى
أبعدوهم عن المأمن وعبروا بهم عن المكمن فخرج عليهم الكمين من خلفهم وفتح
عليهم أبواب حتفهم وأروهم وجوه المنايا في مرايا غرر الجياد ونزعوا عنهم لباس
الجلاد وتلقوا البيض بالبيض وتلحوا الحرير بالحديد وأشعلوا نار الظبى في ماء الوريد
ونقضوهم بالقضاء وعرّوهم بالعراء ولثوهم باللتوت وثنوا أعناقهم من حبال الوتين

المبثوث فلم ينج منهم ناج ولم يبق منهم للبقاء راج وابرنت عدة من مقدميهم ومعروفيهم
ومحتشميهم وكانت هذه بحمد الله نوبة بغير نبوة وكرة بغير كبوة وغزوة اذ نشت
باوفر حظوة ووقعة ادنت بل اجنت كل ثمرة نضرة عذبة حلوة والحمد لله الذي
ترك الهمة بسقيا الحمد وتوضح عوارفه لشاكريها جدد الجد ولولا مرضنا في النوبة الاولى
التي خرجوا فيها باجمعهم لما نجوا بحشاشاتهم بل تعجل مصيرهم الى مصرعهم لكنا ما قدرنا
في ذلك اليوم على الركوب وجلسنا على تلعة قريبة من المعركة ننتظر ما يكون من
العسكر المندوب والان بحمد الله قد توفرت حصة الصحة ولزمت منة المنحة وكذلك
مرضنا عام اول شهرين والحمد لله على المهلة في السنين فاتمامع السقام وسقمنا في
المقام صبرنا وصابرنا وجاهدنا وجاهرنا ومقامنا في هذه المدة المديدة في بلد
الغور والوخم فيه يقضي على ماء الصحة بالغور وما منا الا من اللث فاغاثه الله بغيث
فضله المديمة ديمه الالبانات والحمد لله الذي اعان واغاث ذكر هجوم الشتا وعود
السلطان على الجهاد وعود من سائر من العساكر الى البلاد على رسم
الاستراحة والاستعداد ولما تشتت شمل الصيف الرفيق بتمول الشتاء العنيف و
انحرف حر الخريف كانحراف ضيف المصيف واشتعلت رؤوس الجبال شيبا للثلج
وحل الوحل المخيم جيشه المجر بالمرج والتحفت كل هضبة ببرد البرد واكتست
الغدران من الجليد بالزرد السرد ولبست سود الذرى بيض الفرا وجر السيل
الذيل وجرى وطم المطر هوادي الوهاد وقبض انامل الانام عن البسط للجهاد وجمد

الخمر وخمد الجمر وارتعدت الفرايص وارتدعت الاخامص وقست اولاد ابني واسى
الجو بالجوى المسي بعد واو بعدى وحال الهواء بالوهاء عقود القوى وعقد المرقوب
على حب الاصطلاء الجلي واشتغل الملوك بملازمة المشاتي ومنادمة الموافي
ومنافلة المناقل ومعالقة العقايل بباب العقايل ومعاقرة العقار ومسامرة
السمار ومداناة الدنان واجتناء الجنان ومناغاة الغواني ومناجاة المثالث و
المثاني وملابسة السوالف وملامسة اللطاف واللطايف فلم عزم السلطان حد
الشتاء العاتي ووقف مع عزايمه الماضية وهجر من مشى الى المشاتي وماصدة البرد
ولاردة عن مورده ولم يحتفل باحتفاله ولم يبال بباله ولم يكترث بكارثته ولم يحد
امر الحادثة واعتاض الاصطلاء بحر الحرب عن الاصطلاء بناره وجرى على عادته في
مصابرة الاعداء والجري لها في مضماره وما الها عن الله وما رفض فرضه وسما الى سماء
الالاء وارضاه لما طهر بدم انجاس الاعداء ارضه واستمر على بذل جهده في الجهاد ووفى
بعهده ولم يثنه جفاء العهاد وقال انما اريد بهذا الارب واري راحتي في هذا
التعب ويقيني يفني في ثلج صدري بلطف الله عنف الثلج وما برد قلبي مع تقلب الجو
والبرد الا برد النصر والفلج لكنه راى ان مقام العساكر بجمعها وصرفها عن العود الى
البلاد ومنعها يؤذن بملالها واختلال امورها واخلالها والفرج قد امتنت عابلتها
وتكفي في مداومة قتالها في نوبها ما قابلتها فاذن للجماعة في الانصراف على المواعدة
في العادة في الرجوع الى مراد الروع المريع ولياخذوا اسباب الاستعداد لاوقات

الإسعاد

الاستعداد وليستكثر وامن الرجال المحققين في نصرة الحق للرجاء من اهل
الغنى والغناء والمضارب والمضاء فسار صاحب سنجار عماد الدين في خامس عشري
شوال يوم الاثنين وتلاه صاحب الجزيرة ابن اخيه سنجر شاه ليكونا مصطحبين و
سار بعدهما ابن صاحب الموصل علاء الدين غرة ذي القعدة وما انصرفوا الا بالتشريفات
والخلع المعدة وشيعهم السلطان بكل مكرمة سابغة شايعة وخلعة رايقة
رايعة ومستعملات مصر ومصوغات تبر وخيل عتاق وخيم واطلاق

فصل من كتاب الى صاحب الموصل عند عود ولده اليه وبعث بالملك السعيد علاء الدين

ما كان اسعدنا بقرب الملك السعيد وما اجدر جدنا بانارة نوره واوفر حبورنا
بحضوره واصدق شهود صدق ولايه بحكم شهوده وما ابهج الاسلام بنصرة
ناصره وحدة وليه وود وده ولقد تمتعنا بايامه وبركات مقامه في العدد
نكايات وظهرت لاولياء الله من الطاف كفاياته آيات ووقعت بالمشركين روعات
وراعت وبغات وقد اردنا ان نستظهر بمرافقته ونبني الامور على موافقته فما ابين
سعده وما اسعد يمنه وما اوفر وزنه واغزر مزنه لكنا عرفنا شوق المجلس الى اجتلاء
سناه لمقتضى آدابه التي استكمل بها ادوات الارتقاء في مطالع علائه فقد فاق بسداد
رايه الكهول وما ازكى الفروع الطيبة اذا اشبهت الاصول وما اسعد الملك
بالملك السعيد علاء الدين ادام الله علاءه وبين بفضايله اولياءه وقد توجه و
القلوب معه متوجهة والنفوس لغيبته متكرهة والعيون لترقب وروده

البشاير عنه متنبهة والايام بطلعة الاستبشار بالليالي متشبهة والموارد الى ان
من الله بعوده الانس بعودته متنبهة والالسن بذكر اخلاقه الطاهرة والافاضة
في شكر محاسنه الزاهرة متفوهة والخواطر بما تتلوه ايام الاستشعار به في
منهاجات الآيه متنزهة ولا شك انه يصف بلهجته الفصيحة ما اقتناه من المتاجر
الربيحة وقدمه من المساعي النجيحة واستنجحه من الغزاة من مغازيه الصحيحة
وابداه في الباس من بسالته المشيحة والطلعة في ليل العجاج من صبيحة بهجته
الصبيحة وله في كل نصرة وهبها الله للاسلام اوفى نصيب فقد اضحى مقتل الكفر
بكل سهم مصيب وهو لمستصرخ الهدى اسرع ملب واسرع مجيب وان الله له
بسفور صبح سعادته ووفور نجح ارادته افضل مثيب

ذكر ما تجدد بعد ذلك في هذه السنة

لما هاج البحر وماج واظهر الارتجاج والانزعاج نقل الفرنج سفنهم
خوفا عليها الى صور فربطوها واخلوا ساحل عكا من ارعابها وارهابها وخلا لنا وجه
البحر وغابت عن الساحل مراكب الكفر فاشتغل السلطان بانفاذ البدل الى البلد
من التائبين في الجلاد على الجلد فاستقل الملك العادل بمخيمه الى جانب الرمل
ونزل قاطع حيفا في سفح الجبل ليسهل طريق من يسيره الى البلد من البدل
فان المقيمين في عكا شكوا امراضا معترضة واعراضا ممرضة وكثرة السواد مع قلة
النفقة والزاد وكان في البلد كما عشرين الف رجل من امير مقدم وجندي واسطولي
وبحري ومتعيش وتاجر وبطال وغلمان ونواب وعمال فقد تعذر عليهم الخروج

فيسكنوا واذا عاينوا خوفا اخوفا على الموضع موهنا عانوا وما وهنوا فراى السلطان ان
يفسح لهم في الخروج رفقا بهم ورافة وما انكر ان في ذلك مخافة وآفة فقد كان
فيه امراء امنوا الامن والفوا الصبر وما لقوا الحصر واجنوا وانحبسوا واصبروا
وصابروا وجاهدوا وحربوا وجاروا وجربوا ونالوا واذالوا وجالوا واقالوا وعرفوا
مكامن المكايد وكشفوا كوامن المقاصد واخذ كل موضعه في الحرص على الحراسة وشاع
بالسماحة والحماسة وكان فيهم من يطعم وينفق ويجمع الرجال ويقويهم بما عليهم يفرق
مثل حسام الدين ابي الهيجاء السمين فانه انفق ما ادخره من الالوف والمئين منهم على
انفاق لا يعثر به فيه خشية املاق وهناك ستون اميرا ومقدما كلهم يرى المغرم في
سبيل الله مغنما وكانوا يستعينون بالعوام وكثرة الناس في جذب المجانيق والاعانة
على ما يتفق في الحصر من التضييق فلما خرج الخواص خرج معهم العوام وتبدد بتبدد
نظمهم النظام والزم السلطان جماعة من الامراء بالدخول فجدموا على ان يعقبهم بالبدل
فلم يقبل منهم بدلا والزم بنقل الازواد لبعض سنتهم كلا فلم يدخلوا الا بعد لأي
وقد بلغوا في غي الرأي الى اقصى غاية واكثرهم صرف رجاله المعروفين المستخلصين
واقتنع بمن استجد استخدامه من المسترخصين واذهبوا الايام بالمدافعة وانطاوا
عن فرص المسارعة والملك العادل هناك يحثهم ويحضهم ويعينهم على تحصيل المراكب
لهم وينهضهم حتى لم يبلغ من دخل عشرين اميرا مقدما منهم الامير سيف الدين المشطوب علي بن
احمد وامر السلطان بالمناداة في الابطال البطالين ليحضروا لقبض النفقات وكان يحضر

الجاووش في كل يوم مرتين ويصبح نواب الديوان في امرهم من تربصهم على نوبة
الدرهم وخلطهم على بالنفقة وبعد وليها من المغرم ومعظمهم من نصارى مصر ومن هو مصر
في نصرة النصارى وفي تعسير ما يجب تسهيله وتعقيد ما يجب تحليله لا يجاري ولا
يباري وكل واحد منهم للقبط قطب وفي الخبط خطب وللشر شرك وفي الحرج حسك
وللمشرك مشارك وللدين تارك فارك ولهم اخلاق الخلاق وطباع بالطبع اعلاق
ناوي للبخل والتحيل الى التاويل ويقل لمكتسب الشر في الخبر سوى التقليل وهم
حالبون للعي طالبون للبغي كاسبون للذم مناسبون للصم والمسلم فيهم متولي
الخزانة يرى الشح بما يجود به السلطان من الامانة واضعفهم في الكفاية عندهم
امنعهم للاطلاق واعرقهم بالحذق احذقهم واعقدهم للحق اقدعهم واجودهم اردانهم
واصلهم اهداهم وهم متفقون فيما بينهم على الخيانة مختلفون في الظاهر لابداء الصيانة
وكان يحضر هؤلاء لعرض البطالين واستخدامهم ويوحشونهم بخطابهم وينفرونهم بكلامهم
ويقابلونهم بالنجه ويعاملونهم بالجبه ويواجهونهم بالسوء ويسوونهم في الوجه
ويشتطون في طلب الضمان ويشترطون ما ليس في الامكان ويطردونهم بقبيح الزجرة
ويكسرونهم في صحيح الاجرة والسلطان يجود جود السحاب ويامر بالعطاء الحساب
ويجد حث النواب ويجد في حث الاصحاب ويقول انفقوا ولا تخشوا اقلالا وانهضوا
الرجال خفافا وثقالا ولا تؤخروا شغل اليوم الى غد امهالا او اهمالا ولا تقدموا
على الفرض فرضا ولا نفلا ولا تعتقدوا ان لنا اهم من هذا الشغل شغلا ونواب الديوان

على عادة تجارتهم وعادية صلاتهم مما قبالة العطاء غير مضطر نفقين وما دخل الثغر
الا قليل من كثير وما صح من البذل الا بعضه وما قضى حق الواجب المتعين فرضه وكان
هذا من اقوى اسباب الضعف واوفى دلايل الخلف وسيأتي ذكر ذلك في موضعه
في سنة سبع فانه عاد كل ما دبر بضرر على الثغر لا بنفع ۞ واقام الملك العادل على البحر
لا راحة على الداخلين واراحة قلوب الواصلين حتى عاد الفرنج لمراكبهم وانقطع بوصولهم
الطريق من جانبهم وانتفع البلد بمن اليه تحول وعلى حفظه من الله لعصمته عول ۞
وبتاريخ الاثنين ثاني ذي الحجة وصلت من مصر بالغلة بطس سبع وكان لها
الحاجة اليها وقع وقبل قدمت بها الجايعين شبع فانقلب اهل البلد الى البحر لمشاهدتها
ومعاونة جماعتها ومساعدتها ونقل ما فيها من بضايع وجوايج وسلع روايع وماكول
ومطعوم ومشروب ومشموم فقد طال بذلك كله عهدهم وانتهى الى الغاية جهدهم
فلما تسامعوا بالبطس تسارعوا الى الملتمس نعلم الفرنج بانقلاب اهل الثغر الى جانب البحر
فزحفوا زحفا شديدا وحملوا اخشابا وحديدا واتوا بسلالم لينصبوها على الاسوار و
صارت عكا وهم حولها كالمعصم في السوار ولصقوا في سلم واحد منهم اخبث اللصوص متبادر (رهبن)
فابدر قربهم السلم المنصوب وتدارك الناس وتلاقوا وتلاقوا وتعاطوا كؤوس المنايا
وتساقوا وراوا اعمار الموت فزاروها وداروا واحول رحا الحرب وادارها واستحلوا
شهد الشهادة فشاروها ووردوا الموت الاحمر كامنا فاثاروه وتواثبوا عليهم تواثب السباع
على الضباع وادعوا العزى الغوامل الجياع نابا الغراء والطالوا بيساء العوالي للعوالي باع

الاشياع وانبعوا عيون النجيع من عيون الجميع على جداول البيض وافاضوا فيوض الدم
القاني بالصوارم المبيض وقتلوا وسفكوا وفتكوا وهتكوا وردوهم على اعقابهم ناكصين
ومن حسابهم ناقصين ولاشتغال الناس بكشف ما غاب من الغمة واصلاح من الظلمة والهايم بنقل
الغلة عن نقل الغلة تركوا البطس بحالها مملوة بغلالها حتى هاج البحر فضرب الخشب واذهب
بكسرها واذهب كل ما فيها واتلف وغرق من كان فيها واتى الغرق على الامتعة التي تحويها
في قبل هلاك بها زها ستين نفسا عدموا ولم يجد حسابا ماوا والقدر رمته وذهلوا وحكم
القضاء اليهم متوجه ۞ وفي ليلة السبت سابع ذي الحجة وقعت قطعة عظيمة من سور
عكا على فصيلها فهدمته وتعرت الثغر ثلمته فان فيها الصوا لاهل الظلمة فتبادروا اليها
طمعا في هجم الثلمة فجاء اهل البلد وسدوها بصدورهم وصدوا عنها بنحورهم وبنوها
باقدامهم الى ان بنوا ذلك البدن وعمروا ما خرب وقووا ما وهن وجرحوا من العدو خلقا
واوسعوا المضايقة في كل ذي خرق وخرقا فانجلت الحرب عن طريح صريع وجريح الى الهزيمة
سريع وطليح للعفير قريع وعاد الثغر اقوى مما كان واحكم وكل ذلك بجد بها الدين قراقوش
حيث كان المقدام المقدم وهذا الامير قراقوش لما ضجر الامراء وضجوا وطلبوا الخروج
ولجوا اقام ولم يبرم ولم يحل عقد ثباته ولم يخرم ۞ وفي ثاني ذي الحجة هلك ابن
ملك الالمان من الحزن ولعله من عرض الخوف وادرك اباه في الدرك الاسفل من
النار وابصر في جهنم مصابه امنا له من الكفار وزادت بهلاكه الام الالمانية وانسدت
بموته فرح الفرنجية وتبعه في السفر الى سقر كند كبير يقال له كند نياط ذا نقع العدد

فما قدر وهلك منهم بالامراض المختلفة العدد الكثير واشتغلت بهم الجحيم واشتعلت
عليهم السعير ۞ وفي يوم الاثنين ثاني عشري ذي الحجة عاد المستأمنون من
الفرنج الذين انهضهم السلطان في مراكب ليغيروا في البحر وليكونوا ايضا لناجا اسيس فرجعوا
وقد غنموا وغلبوا وكسروا وكسبوا وسروا واسروا وفروا وظفروا وذكروا انهم وقعوا
بحراقة كبيرة ومعها مراكب وفيها تجار معهم المال الجليل النفيس واسروا التجار
واخذوا المال وجرت تلك المراكب وجرت الى الساحل فاذا هي مشحونة بالكرائم
الجلائل من كل آنية مطبوعة ذهبية وحلية مصوغة نضارية وآلة فضية واباريق
واكواب واقداح واطباق وموائد وسبائك وصفائح وكاسات وطاسات ومرافع و
شربات فوقف السلطان عليهم هذه الاكباب ولم يحرمهم حيث حرموا الكفر هم التواب
واظهروا بهذه النهضة انهم مناصحون وليمن الايمان مصافحون فلما اكرموا بتلك المكرمة
اثنوا على اليد المنعمة واسلم منهم شطرهم وحسن بيننا ذكرهم وببركات الكرم
السلطاني كرموا وانسوا واسلموا وكانوا قد احضروا برسم الهدية مائدة فضة
عظيمة وعليها مكبة عالية ومعها طبق يماثلها في الوزن ويتعذر وجود ذلك
للملوك في الخزن ولو وزنت تلك الفضيات قاربت قنطارا فما اعارها طرفه احتقارا
وقال لهم خذوها فانتم بها اولى وكان اول من اسدى هذا المعروف واولى وكنت
عنده جالسا وبلطفه مستأنسا فقلت له ما اظن في الوجود ملكا سمح بمثل هذا المال
خصوصا وقد اغنمه الله من الحلال فتبسم لقولي غير معجب به وما قضيت العجب مما

قضاه كرمه من اربه ۞ وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة اخذ من الفرنج بركوسان
فيهما نيف وخمسون نفرا فحملا للناظر او علا الحجا وحلا الظفرا ۞ وفي الخامس والعشرين من
ذي الحجة اخذ ايضا بركوس فيها من الفرنج مقدمون ورؤوس وهم نيف وعشرون
منهم اربعة خيالة ضمنهم من الاسر حالة ومعهم ملوطة مكللة باللؤلؤ منظومة
وبازرار الجواهر مربوطة فقيل انها من ثياب ملك الالمان واسر فيه ملك كبير قيل
انه ابن اخيه وهو كبير الشان ۞ وفي هذا الشهر كان قدوم القاضي الاجل الفاضل
رب الفضائل والفواضل من مصر فاشرقت المطالع واشرفت المصانع وبشرت
المطالب بنجاحه وغزرت المواهب بسماحه وغابت بحضور مكارمه المكاره ونزع
ملبسه افضاله لباس الجهل ذو الفضل النابه واعاد روح السلطان باعادة
الروح في سلطانه وسديد مكانه واقترن احيانه ماحيانه وظهرت في وجهه بو
اللطافة وفي قلبه العلاقة وروى رايه بري رايه وتلقى ايات النصر من نصر ايه
وانتعش عثاري بمقدمه وانتعش حظ فخاري وحلى عطلي وحيا املي وقوى عملي
ووضح منهاج مناي وصح مزاج غناي ونبه قدري ونوه بذكري وسعى في رفع
رتبتي وزيادة راتبي وسن غوثي واسنى عارفتي واقرني وقربني واستكتب الخطوط
بالحظوظ لي كما كان استكتبني فعشت ونعشت وبسطت بساط الغنى وفرشت ولولا
انني قويت به لاقويت ولولا انه اولاني عارفته لما عرفت ولا توليت وانا شاكر نعمه
عمري وعام كرمه بشكري

ذكر جماعة من المستشهدين في هذه السنة

استشهد في عكا سبعة من الامراء كل منهم سبع ما في لقائه للقرن طمع ومن جملتهم
سواد من المماليك الخواص ومن ذوي الاستخلاص وكان هذا سوار في كل حرب مساور
ولكل هول مباشر ولكل بؤس عبوس باشر النجاء بسهم غابر فاذا هو الى الجنة بادر
وكذلك عدة من الامراء الاكراد كانوا من الاسياد ففازوا بحظ الاستشهاد وخرج
اسطولنا في هذه السنة بشوانينا المعجبة المحسنة لتكبس شواني الفرنج في مواضع الربط
واحراقها بقوارير النفط فخرجوا الى شوانينا بشوانيهم ولقوا عوادينا بعواديهم فظفرت
اساطيلنا وطالت ووصلت اليها وصالت ونالت من الظفر ما نالت واحرقت الكفر
شواني رجالها وغرقتها بابطالها وكان عند العود قد احترق لنا شيني مقدمه امير مبارز
كالاسد الخادر لا يصحر الا للفريسة ولا يبرز وهو ابن جمال الدين بن زكري فتشبث
السيني وشانه وما اغاثته اعوانه واشتعلت بالالتهاب اعطانه واضطربت للانكاد
اركانه واضطرمت باهل النار نيرانه فتواقع من فيه الى الماء واحترز وامن البلاء و
وقف الامير على قدم جلده يجالد ويجد ويجاهد وقد اثقله بلبس اللباس له الحديد وخفه
العزم الشديد السديد وقد دعاه الى امنيته المنية الزكية الحميدة والاجر العتيد فما
ارتاع للروع وما استطاع الانقياد بالطوع ولا امكن العدو من مكانه واخذه مع
الشاني بشانه ولولا ان ملاحيه جبنوا وفروا ومنا صحبه خذلوه وما قروا والحق بسيفه
ثمر النجاة لكن الاجل قطع عليه طريق الحياة فاجتمعت على مركبه مراكب الجمع وسدوا
عليه سبل البصر والسمع وقالوا احذ منا الامان واننا نسر وهون الامر عليك ولا

تعسر ويسر فالعاقل يختار البقاء على الفناء والوجود على العدم وانت في عين الهلاك
ان لم تعطنا اليد وتثبت على هذه القدم فقال ما اضع يدي الا في يد مقدمكم الكبير
ولا اخاطر الخطير الا مع الخطير فسموا له كندا ارضاه واراد ان يشركه فيما الله قضاه
فلما دنا ليأخذ يده لزمه وعانقه ووثب عليه وما فارقه ووقعا الى البحر وغرقا و
ترافقا في الحمام واتفقا على طريقي الجنة والنار وافترقا فاز ثوى السعيد الشهيد مآء النعيم
وصلي الكلب الكنود بنار الجحيم واستشهد ايضا في ذلك اليوم الامير نصير الحميدي
تخرج قضى حميدا وشهد مقامه في الجنة شهيدا وسعى دهره حتى بقي سعيدا ولم تخل
وقائع هذه السنة من استشهاد جماعة من امراء العسكر وكرماء المحشر وندماء الكوثر
وحلفاء المفخر   واستشهد يوم الجمعة تاسع جمادى الاولى القاضي المرتضى بن قريش الكاتب
وكان صدرا تجمل به المراتب جريا جاري القلم بليغا بالغ الحكم مهيبا تخشى مرهوبا
لا يغشى وهو في اهبة من المهابة وكتيبة الكتابة صوبه في الصواب منتجع وخطابه في الخطب
مستمع ولرايه رزية ورزانة وتدبيره للامور وتنفيذ الاوامر السلطانية دينا ودنيا
ولم يكن له في الكفاية كفو ولم يزل لحزون الخطوب بقلمه رفو وكان رجل دمشقي
بنابلس له ملك بدمشق قد تركه ورغب في ابتياعه القاضي المرتضى فتقاضى قاضي نابلس
مرارا باحضاره فلما احضر رغبه في البيع على ايثاره باضعاف الثمن ونقد ديناره فانفصلا
على التراضي ونجح سعي القاضي وبكر البايع الى سلام المشتري ووثب وثوب المجتري
فطعنه بين يديه وهو امن في خيمته وفتك به فتك العبد ابي لولوة بالفاروق وخرج

من الخيمة كاليتيم في المروق فلقي قاضي نابلس فقتله ومضى يسلك سبله فادركه الناس
وقتلوه وكاد يفلت لولم يعاجلوه بفجع المنصب بصابه وناب عنه اخوه مع ثوابه

ودخلت سنة سبع وثمانين

والشتاء لم يتمله شتات شمله وعقد البرد لم يقرب محل حبله وللغيث عيث وللزور الربيع
ريث وللسحب سح وللثلج ثج ولعين الشمس غض ولوجه الغيم مض ولايدي العارض بسط
وقبض ولنواظر البرق تنبه وغمض ولنواجذ البرد كسر وعض ولفض الفضل ختم وفض
وكل صاد في بحر كانون زنون وكل ماء بالجليد كانه زرد مسنون وللاجواء احوال
وللاهواء اهوال وللشمال شمول وما للقبول قبول وللجنوب ذنوب وللدبور في
ادبارها واقبالها هبوب وللصبا صبابات وصبابات وللندى الندي جنايات
وسرايات وللجو الجوي آيات ونكايات وللغمام غماغم ولهام الربى من هامي الرباب
عمائم وللنكباء نكبات ولشباشباط شباب والرواعد رواعف والهواء بهوى اتقف
وللارواح رواح وغدو وحركة وهدو ومجئة وسلو ونزول وعلو ونصفة وعتو
وللرعايا العرايا من الرياح الجاري رزايا اذايا وخبايا المروج النابتة في زوايا
الثلوج النازلة خفايا والعواصف عواصر غير قواصر والعارض عارض للحب في العراص
عاص والفوارس فوارص والحو البر خو البر والبحر في هيجانه والغيم في هطلانه والسلطان
مقيم بخيمه على شفرعم ولطف الله قد خص وعم والملك العادل سيف الدين نازل على
على الساحل عند نهر حيفا لتجهيز البدل في المراكب الى عكا والسفن تدخل اليها بالازواد

ويعود وترجع اليها بالاجناد وحرص وحرض وبرسال الى السلطان ويستنهض والسلطان
بقا ومن النواب في ذلك واليهم يفوض وفي كل يوم يعرض الرجال وينفق فيهم المال
والامر مستمر والقرار مستقر والبركة زكية وسنتهم في المناوبة سنية ولوائح
عزماتهم ذاكية ونوافح مذكوراتهم ذكية والمماليك الخواص ومن خصهم وعمهم
الاستخلاص يعادون القتال ويراوحونه ويبرحون به ولا يبارحونه والعدو على
عكا حاشد ولضالة ضلاله ناشد يحمون ويحمون ويرامون ويرمون ويذبون ويشبون
ويحنون الى الكفر سوط العذاب ويصبون وقد نسوا الاسواد على الاجناد والابراج
على الامراء واستقبلوا النعمة في البلاء والسعادة في المشقة التي يعدها الاشقياء
من الشقاء ان وجدوا اغرة اهتبلوها او استوعروا اكرة استسهلوها او صادفوا ثلمة
ثلمة صدفوها او لقوا غمة كشفوها او صرفوا اوجههم الى نابية صرفوها ❀

ذكر ما تجدد من الحوادث وتكرر للعزائم من البواعث يوم الاربعاء تاسع
المحرم سار الملك الظاهر لقصد بلده صابيا ثابتا بالعزم المصمم والراي المحكم وفي ثالث صفر
عزم من بقي من اصحاب الاطراف السفر فان السلطان رخص لهم في ذلك وانهجوا الى عودهم
الى بلادهم المسالك واقام السلطان في اصحابه وخواصه وملازمي بابه وملابسي جنابه
ورجال رايه وخلص اوليائه ومقربي امرائه وفي هذا اليوم رحل الملك المظفر
تقي الدين ليتسلم ما في شرقي الفرات من البلاد التي كانت مع مظفر الدين بن مضافا
الى ميافارقين نصارت معه جبلة واللاذقية والمعرة وسلمية والرها وحران وسميساط

والموردين فارقين وشرط معه ان يحافظ على عهد صاحبي آمد وماردين وان البلاد
المظفرية قد بقيت الى هذه الغاية مع كثرة الطالبين لتلك الولاية مصونا بها على
الخطاب غير مسموح بشيء منها للطلاب فانه ما رامها من الملوك اخي السلطان واولاده
الا من شرط الفسحة لديه في استضافة ديار بكر الى بلاده ويقال له لا سبيل الى قصد احد
ولا انتزاع بلد ولا ارى الا الزيد فان ارباب البلاد اكثرهم لنا معاهد وعلى ودنا معاقد
وفي شغلنا مساعد فاما من هو عنا متقاعد ومنا متباعد فما هذا اوان مكافاته
ولا زمان كف آفاته وهو منا في حصر مخافاته وهذا العدو الكافر شغلنا به مستغرق
وعزمنا في قمعه متحقق فلا يشير علينا من المسلم الكاشح والحاسد الحاشد من يشغلنا
من هذا المهم الفرض والراي الراشد فقال تقي الدين انني في ذلك الجانب ميافارقين
فاذا اخذت حران وسميساط والرها ادركت من تكثير العساكر وتقويتها المشتهى
وبلغت المنتهى وانا ادخل على الشرط وعنه لا اخرج واجمع العساكر والى نصرتكم
اعرج واتيكم بعد اشهر بالوفي عسكر واكرم معشر من لابسي سنور وملابسي مورد
في الروع ومصدر وما زال يستسعف السلطان عمه ويستنزله في تخصيصه بتلك
الولاية عزمة ويسال ويتوسل ويترسل ويتوصل حتى اخذ دستوره واستكتب
منشوره وسار على انه يسرع ايابه ويحكم في العود اسبابه وانما يلبث ريثما يقسم
تلك البلاد على مقطعيها ويرسم ترتيب نوابه فيها ثم يطلع علينا طلوع السحاب
ويأتي بالاتي العباب ويعرض عساكره لا مدخل في الحساب ويسارع الى الرحيل وسار

بعد ما استشار والله استخار   وفي يوم السبت رابع صفر وصل كتاب الملك
المجاهد الجواد الماجد اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه وهو الحرك الذي اذا
جارى اصحى به من الملوك في حلبة المجد لم يدركوه ولم يشركوه ومضمون الكتاب انه
خرج في آخر المحرم على جسر العد وبطرابلس واستاقه ولم تطق الكفار لحاقه واقتطع
لخاصته منه اربعمائة راس تلف منها في الطريق اربعون غير ما كان اصحابه منها
يقتطعون وانه غنم ايضا ابقارا واثوارا وسار بالغنيمة سالما واهدى الي من تلك
بغلة سروجية عالية فارهة فرنجية وقال رسوله لما ابصرها واستجيبها انها لك
تصلح للعماد فانه اذا ركبها زينها   وفي ليلة هذا اليوم وهو السبت كبت الريح
سفينة للفرنج على ساحل الزيب وغالها الكبت وكان فيها من الفرنج خلق فغرق
في بحر الاسر من لم يسر اليه في البحر غرق وفيهم امراة ان سبيناها وما هدينا بك
اهدينا وشاهدت الاسارى قدام السلطان وقد احضروا وافردهم على الذين اسروا
وفي اولى ليلة من شهر ربيع الاول خرج اصحابنا من البلد على العدو بالنابين
الاعضل والناب الاعضل وكبسوه في مخيمه وجثموه في مجثمه فما انتبهوا الهم حتى
اسروا من الفرنج وقتلوا اجمعا واوسعوهم الى ان ضويقوا قمعا وعادوا سالمين غانمين
كاسرين كاسبين ومعهم اثنتا عشرة امراة في السبي وعرف الله تعالى لهم حق ذلك
السعي   وفي الاحد ثالث هذا الشهر شهر سلاح الحرب اهل الكفر وخرجوا على البرك
وكانت النوبة للحلقة المنصورة خواص السلطان مساعير المعترك وعظمت الوقعة

وخمدت الروعة وصدمت القدعة واحتدمت على الفرنج بنارها الصرعة وهلك بها لم
منهم كثير وقتل منهم مقدم معروف كبير ولم يفقد منا الا خادم رومي صغير عثر به
في الحملة فرسه فلم ينتعش وهذا الخصي كان فحلا من الفحول ناهضا على الكفر للاسلام
بحمل الدخول وانتهى الينا ان الفرنج على عزم الخروج ليحتشوا ويحتطبوا ما احوج لهم من المروج
فلا مرعى لدوابهم ولا علف وان لم يتلافوها بالاحتشاش خشوا عليها التلف فامر
السلطان اخاه الملك العادل ان يذهب ويقصد الساحل ويكمن بعسكره وراء التل
الذي كانت فيه قديما منزلته وهناك نصرت وتعينت نصرته ومضى السلطان
بنفسه في خواصه واجناده واقاربه واولاده فكمن وراء تل العياضية في العصبة
الناصرية وذلك يوم السبت سابع عشر ربيع الاول مستظهرا بصحبة ولده الملك
الافضل ومعه ايضا اولاده الصغار ليستانسوا بالحرب ويتمرنوا على مباشرة
الطعن والضرب بعرف العد والخبر فما اقدم على الخروج ولا جسر وضربت للسلطان
على التل خيمة حمراء فبات وحوله الملوك والامراء ووصل اليه من بيروت خمسة و
اربعون اسيرا من الفرنج اخذوا بالمراكب في البحر من البحر وفيهم شيخ هم هرم عمره
في الكفر منصرم قد طعن في السن وهو كالشن والحني كالحنية وما امن من المنية ولحاه
اللجام وعامت في بحر لياليه وايامه الاعوام وهو ممسوخ الحلية ممسوخ اللحية تدلى
تماثله في قلبي من طول ما لقي وسيم حونه وسيمه وعدم لذاته ولذاته وما عدم
وكم جاوز ثمانين وعبره الى قرن وبارد فرنا ولازله بعد قرن حتى لم يبق الا الحابه ولم يرتب

الاذها به فعجب السلطان من مجيئه من البلاد الشاسعة واختياره الضيق على الارجاء
الواسعة فسأله كم بينه وبين وطنه ولاي سبب حركته من سكنه ومسكنه فقال
اما بلدي فعلى مسافة شهور وانما خرجت بقصد كنيسة القمامة لاظفر بالحج المبرور
فرق له ومن عليه بالاطلاق واخرجه من ذل الرق الى عز العتاق ورده الى الفرنج
راكبا على فرس ولم يرقبه ولا اسره حيث راى نفسه مرتهنة بنفس وسأله خدام اولاده
الصغار ان ياذن لهم بتجريب سيوفهم في الاسارى الكفار فلم ياذن في ذلك واباه
فارضى كلا منهم بامتثال الامر اباه فقيل له لاي سبب منعتهم من ثواب الجهاد
المغتنم فقال لئلا يتجرءوا من الصغر على سفك الدم فانظر ما تحت هذا القول من الرافة
والكرم

ذكر جماعة وصلوا من عسكر الاسلام

اول من قدم من العساكر
الاسلامية الامير علم الدين سليمان بن جندر وكان بحلب المقدم المومر وهو شيخ
له راي وتجربة ومنزلة كبيرة ومرتبة ومعه حصنا عزاز وبغراس وللسلطان
بقربه ومجاورته الاستيناس فقدم في شهر ربيع الاول في عسكره وابيضه واسمره
وبيضه ومغفره وجناجنه وسنابكه وسنوره وجلبه ولجبه وزمره وعصبه وبارقه
وبلبه وبوارقه وسحبه وقدم في ذلك التاريخ بقدومه الملك الامجد مجد الدين بهرامشاه
صاحب بعلبك وقد استصحب معه مماليكه الترك وقد نوى بالمشركين الفتك ولستر هم
الهتك ولدمائهم السفك فوصل بقواطعه وقواضبه وصوافنه وسلاهبه وطلايعه
ومقانبه وحضر من المحاسن بكل ما يعرب عن مناقبه وقد زين ليك القساطل من اسنة

العوامل بكواكبه واظما اجواده لبروية دما اهل الكفر فانه بعد ما من مشاربه
نعم ذلك اليوم من القادمين والمستقبلين بذلك الفضا جيش زرق الرتي عليه جو بها
وغطته من العجاج بالردى وجرى ذلك الوادي من الاجناد والامرا سيل خباب
تردد الما الدما وخرق ذلك الخرق اعز بها فانه الخرق ومن عاداته بعداته الخرق
ومن آفاته عندهم آفاته من فريق الكفر الفرق ومن علامته عند الظما لا يرويه الا
العلق ومن صبابته بالسير الى عناق الاعدا بسواعد سيوفه الحنب والعنق ومن شيمه
عوض التغلف بالعبير التضمخ بالنجيع ومن ديمه وبل النبل من الاحداق والنواظر
في نواضر حدائق الربيع ومن صنيعه صنعته اسماع حنين الحنية بسهمه واسماع ابن المنية
نغمته وحلونا في ذلك قوارير لا عرائس وقوانس لا عوانس ﻫ وقدم بدر الدين
مودود الى دمشق بعد ذلك في سابع عشر شهر ربيع الاخر وبشر بورود العساكر ووصول
الجمع الوافر

ذكر وصول ملك افرنسيس لبحر الفرنج على عكا واسمه فليب

في ثاني عشر شهر ربيع الاول يوم السبت وصل ملك افرنسيس الى القوم وصار
حبلهم وشملهم من البت والشت وكان وصوله في بطس ست حملت من الفرنج كل ذي
شوم ومقت وقد كانوا يهددون بوصوله ويقولون لنا من تهديده ووعوده
ما يجري على قوله وانه اذا جاء حكم واحكم ونقض وابرم وقدم ما قدم به من المال و
اقدم ونحن منه على مواعده فهو ياتينا بكل نجدة مساعده وجدة عن الفقر مساعده
فقلنا لهم رب صلف تحت راعده وما هذه الاراجيف منكم بواحده فلما وصل في

العدد القليل والنظر الكليل اعجبتنا قلته وتشابهت عندنا عزته وذلته و
قلنا ما يكاد يصل صولته وتدوم دولته

نادرة

وكان مع هذا الملك بازي
اشهب كانه عذار سال له نار تلتهب تفارقه يوم وصوله بحيث عجز عن حصوله و
افلت من يده وطار وحشا حشاه البار الذي نار النار دون وقع على سور عكا وحزن الملك
يوم سروره بفراقه وابكى واستحابه اسحاب ما حاب وابى دما ابى وثبت وما ثاب بتصبره
اصحابنا فاخذوه والى السلطان انفذوه فابدى للسرور به الاهتزاز وحمل بشر بقيه
بزة من بز البازي واظهر به لخيفا لا وعده للظفر والنجح فالا وبذل الملك الف دينار
فما اجيب ولا وهب له ولا هيب وما بيع وما عيب

خبر نادرة في غنيمة وافرة

كان المستامنون الينا من الفرنج تسلموا مراكب يغزون فيها ويجرون بجواريها وينهضون
بسواريها وراسيها وينهبون بعقاربها وافاعيها ووصلوا الى جزيرة من ناحية قبرس
يوم عيدهم وقد جمع الفتن في كنيسة لاهلها شماسهم وبعيدهم فصلوا معهم
فيها صلاتهم ثم اغلقوا ابواب الكنيسة عليهم ليامنوا افلاتهم واسروهم باسرهم
وسرهم وبعثوهم من البلا بما اتوهم به وبلوهم وكنسوا كل ما في الكنيسة من الاعلاق
النفيسة وقسوا على قسيسهم وعادوا بها وبهم الى مراكبهم ولاذوا باللاذقية و
باعوا بها كل ما اخذوه من البيعة ومن الجملة سبع وعشرون نسوة وصبيان وصبايا
فباعوها رخصا واتيموها خرصا واستغنوا بكل ما استغنموه واثروا بما اثاروه واثروه
وفرحوا بما راحوا به من مغنم وقيل حصل لكل واحد منهم على كثرتهم اربعماية درهم

وفي سادس عشري شهر ربيع الآخر هجم جماعة من العسكرية اليزكية فاقتطعوا قطيعًا
من غنم الفرنج غنيمةً وخالطوهم في خيامهم وأمطروهم من وبل النبل ديمةً وركبوا
بأسرهم خيلهم ورجلهم في أثرهم فلم يظفروا بطائل ولم يرجعوا بحاصل

ذكر وصول ملك الانكتير واسمه ريجرت الى قبرس واستيلائه عليها

وصل الخبر أن ملك الانكتير وصل الى جزيرة قبرس في السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر
في الجمع الوافر حاملًا جموعًا كالسيل الجارف في البحر الزاخر وتقدمه الى الجزيرة مراكب
وشواني على قصد الجزيرة فخرج صاحب قبرس اليها واستولى عليها وغنم أموالها وصدم
رجالها فلما وصل أرهف حد عزمه وأنفض نبض غيظه الى غيض حلمه وهو مغضب غير
مغض مريض من ألم الحقد ما له سوى التشفي شافٍ من مرض فلبث مفكرًا ومكث متحيرًا و
متخيرًا فرأى أن قبرس في يده فاستنزل من جده في جده وناشب القتال وواظب
النزال وقارع بالنصال النصال وحلت المنايا حباها لاحتباء البيض بالأعناق واعتناق
الغلا لطمع الوثاق ونفذ يطلب من الفرنج على عكا نجدة لتجد شدة ويوجد سدة
فنفذوا اليه جفري أخا الملك الغيسوني في جموع مترافقة الربنو وامتدت الحروب و
اشتدت الكروب ورأى أن في بقيته يغول وأن حالته تحول وأن شغله يطول
واتفق أيضًا أنه كان قد رام الروم من الفرنج الفرج وخطب كل واحد من ضيق الخطب المخرج
المخرج وتراسلوا في الصلح وخرجوا من ليل الحرب المظلم في سنا السلم الى إسفار الصبح
واجتمع صاحب الجزيرة بملك الانكتير واتفقا بما تم من التقريب والتقرير وحمل له هدايا

وتحفًا سنايا ووسّع له الأزواد وبذل له الأمداد فأخذه في مأمنه وأبرز له مكره
في مكمنه وعلّه ثم غلّه وشدّه وما حلّه وجازاه لما أعزّه بأن أذلّه وغادره بغدره
في القيد والقيد وما بطشت يد عادمة الأيد ككيد الكيد واستولى بالاستيلاء عليه
على تلك الجزيرة وغرق في حمات أموالها الغزيرة وسيأتي ذكر وروده وما تم به لإخراب
الشيطان وجنوده وبتاريخ انسلاخ شهر ربيع الآخر يوم الأحد وصلت من ثغر بيروت
كتب مبشرة بالنجح المتجدد وهو أن أصحابنا أخذوا عند الثغر مراكبهم الغازية في البحر
من مراكب الانكتير خمسة وطرادة ولم تكن لولا إباء رجالها للضيم معتادة وبخزام القهر
منقادة وكان فيها خلق كثير من نساء ورجال وذخائر من عدة ومال وأثقال و
وأنفال وأخشاب وآلات وأحمال وأجمال وفي الطرادة أربعون رأسًا من الخيل
الجياد وقد جلبوا البلاء بجلبها من البلاد فحيزت وجيزوا وأجيزت الى بيروت وأجيزوا
فأما السبايا فقد أخرجن على البيع بالنقود والسبايا وأما الأسرى فقد عمّنا بخصوص
ضرّاهم البشرى وفي يوم الخميس رابع جمادى الأولى زحف العدو الى البلد بالجد والجلد
والعَدد والعُدد والمَدد والمُدد والجمع المحتشد والجمر المتقد والبيض واليلب و
البيض والقضب والسمر السلب والحجب والجلب والصياح والضجيج والعجاج والعجيج
والوشيج والأمر المريج والقصد بالقصد والزغف والزرد والحديد والعديد والقريب
والبعيد والأتباع والعبيد والأوباش والأوشاب والكلاب والذئاب والسباع
والضباع والضواري الجياع والأساود والأسود دبّوا ودنوا وشبّوا وهبّوا وحبوا

وجبنوا ونابوا ونبوا وعبوا وغبوا وجابوا وجبوا وزحموا ورجموا واقدموا وتقدموا و
قدموا سبعة مجانيق وقربوها ونصبوا ايها ونصبوها فعلت كانها قلاع وارتفعت على
التلاع كانها تلاع وهي في الجو مترامية وبالجوى رامية وهي في السماء سامية وللاهل
النار الحامية حامية مرتفعة على مرافعها مقتلعة بمقالعها منقضة الاحجار كالانقضاض
الجدار منفضة اسوارا كالانفضاض الى سوار حاصرة حاصبة عاملة ناصبة قاصمة
قاعدة بارقة راعدة صادمة صادعة صارمة صارعة حبالى من الحبال اجنتها
وجنا بالجنين على سهامها من الحجار رزينتها ومراضع في حجورها الاحجار ومرابع تنهد
بدوابوها الربوع والديار دوامك على الطلول سوابك بالفلوق على الخلق مطايا للمنايا
ذوايا الخبايا البلايا في كمائنها آفاتها وفي حركاتها ادراكاتها وللتعذيب عزباتها
وللترهيب جذباتها وما اعظم جنايات جنادلها واطمع ايات غوايلها وهي
الرواجم الروامي في الجواجم الجوامي والهوادم بالهوادي في الصوادم الصوادي
ودواعي العوادي ونواعي النوادي والنواعب بالنوى والجوائب بالجوى
الصوائب بالمصائب والنوائب بالشوائب اذا جذبت جذت واذا قذفت اقذت
واذا طوحت طرحت واذا حلقت حلقت واذا اطارت ابارت واذا القت القمت
فشق على اصحابنا بالبلد شقاقها وكادت تفتح اليه الطرق طوارقها وطراقها فاستصرخوا
بنا واستنهضوا وحضوا على حضنا وخطهم وحرضوا واستنفروا واستنصروا واستعدوا
واستدعوا فاصبح السلطان راكبا في العساكر طالبا شغل العدو الكافر الحاصر

وستر من كشف مكان العدو كمين او كيد دفين ثم وقفت العساكر عنه ومر الى تلك
الفضول بالقرب وشاهد المجانيق وكيفية رميها والنصب ونكايتها في الضر والضرب
وعرف اماكن القتال ومكامن الرجال وكلما شاهد الفرنج عسكرنا فقد اطل واظل
ذل جمعهم وكل وترك الزحف وانفل واذا عادوا عدوا واثاروا في
الحرب واشتدوا

قصة الرضيع

كان لصوصنا في البلد استلبوا
طفلا من يد امه وفطموا رضيعا له ثلاثة اشهر بغير اوان فطمه واستحلوا لحكم الجهاد
في جنح الظلام جناح ظلمه وفجعوا به والدته وساعدها وكدروا صفو مواردها وقطعوا
عنها فلذة كبدها واسعروا عليها جذوة كمدها وحرموه در لبنها بدر دمعها
وابعدوه عن مناغاتها ومناغاتها ومناجاتها فوقر كل حريب سمعها فخرجت والهة
وللجبهة كادمة وللخد خادشة وللوجه خامشة معولة مولولة لامدلهة
مشتعلة قد شدهت ودهشت وتاهت واستوحشت قد سلب عقلها مذ سلب
طفلها وغاب ذهنها مذ غاب ابنها وتكرر بالحنين والانين نحيبها وتردد للقلوب
تمايحابها ونحيبها من الكروب تحبيعها فهي نائحة في كل ناحية نادبة في كل
ناد نادية لكل فؤاد جادية في كل واد فلم يشعر السلطان الا بامراة بالباب
وافقة وبالنحيب كاتفة وللدموع حادرة تتصاعد انفاسها ومن الخلق مستوحشة
لذهاب استيناسها قارصة صدرها تتقطيعها صارعة لفقد رضيعها معولة على
الطفل معولة على اللطف متسكرة من المنكر متعرفة الى العرف فاحضرها

السلطان وهي باكية ونادبة بها شاكية تجد عبراتها وتصعد زفراتها وتلتهب
حسراتها تبكي بكاءها وتشتكي من دائها وتنشد ضالتها وتطلب مهجتها وتسأل عن حشاشتها
وتشتعل نار قلبها على تراثها فلما شاهدها السلطان حزينة مسكينة مستكينة
متحننة متحننة مولعة مولهة مرجفة متوهة يمنع شكواها وفهمها ورثا لبلواها ورحمها
ورق بلطفه للطفل الرفيق وسلك بفضله طريق التوفيق وطلب الرضيع فقيل انه بيع
والرضيع فان آخذه باعوه بثمن بخس ولم يعرضوه في سوق بز ولا سوق نخس فما زال
يبعث ويبحث عنه ويلوم باذ له كيف لم يصنه حتى بيع في قماطه وقد كاد يتلف في
عباءة اعتباطه فلما ابصرته والدته ضمته عليه ساعدها ودعت وعدت وشدت
يديها به وشدت فأعادها وبنو الله افادها وبدد حرها برد روحها واساها الى
الاس من جرحها وقروحها ورق حالها بروحها وفرج ذوحها واغنا لها بغنائها للشكر
عن نوحها وظهر سر بين ورها عليها بوجدها وشيع معها من اوصلها الى موضعها وقد
اجتمع شمل المرضعة بمرضعها وما رد الطفل الا بعد ما اشتراه من مشتريه بثمن يرضيه
وهذه نادرة من جملة نوادره **ذكر انتقال السلطان الى تل العياضية** لما اصر
الفرنج على مضايقة عكا في كل يوم وخطبوا امتناع متاعبهم في اتباعها بكل
يوم وواظبوا ركوب بحر الحرب بكل حزم وعزم ودار واجول حمى دارها بكل حزم
ولم يكن بد من ركوب السلطان بالعساكر اليهم في كل بكرة وعشية وارهاب القوم
بكل حد من نوب وجد بحثي وكانت المسافة نائية والآفة دانية انتقل السلطان

الى تل العياضية بعساكره وأثقاله بالكلية بالعزائم والضرائب الماضية المضية
الراضية المرضية ولم يكن انتقاله دفعة واحدة بل مهد له قاعدة فإن يوم الثلثاء
تاسع جمادى الاولى بلغه ان القوم قد عاودوا العوادي ورتعوا من ضلالهم في الموا دي
وضايقوا البلد اشد مضايقة وعالقوه اشد معالقة فأمر الجاووش حتى نادى
وباكر العدو بالعساكر وغادى ووصل بالقادمين والراحل الى الخروبة وقوى اليزك والزم
المقدمين والامراء بحفظ نوبهم اليزك وقدم جماعة من الخيل لعل العدو اذا عاين
قلتها خرج بالكثرة وتورط في العثرة فلم يشتغل بها بالا ولم يلتفت اليها حالا بل
تمرف في عناده ولم ينصرف نحوها عنانا واشتد على البلد زحفه وامتد عسفه
فساق السلطان بالعساكر وهجم وترك العدو الحصار واحجم فلما جاء الظهر رجع العدو
الى مخيمه والسلطان على قصد العود الى مخيمه ولما وصل الى تل الخروبة ونزل في
خيمة لطيفة لاجله مضروبة وصل من اليزك من اخبر ان العدو لما علم انه قد
انصرف عاد الى اشد ما كان زحفه وزحف وانه قد ارعب وارعف وارهق و
ارهف والهى والهب والهف وارهب وارهج واعجز وازعج واثار واثاب واقحم
الملحمة بناره وأناره فبعث السلطان هذا الخبر ان بعث الى العساكر بالمخيم فأعادها
واستنهض الى الفريسة آسادها واجرى في حلبة الحمية جيادها ودعاها الى الطعن
يبرح بالذوابل وضرب يريح اعطاف المناصل وأمرها من الحرب بأمرها وادارها
من مرتقى اختلاف الدم بأدرها ثم سار آخر ليلة الاربعاء عاشر جمادى الاولى الى تل

العياضية قبالة العدو وضرب خيمته باعلاه ظاهر العلو والعدو بالجهر والزحف
مصر مصر وعلى عنايه وعناده مستمر والسلطان في كل يوم يصابح القوم بالقتال
ويماسيهم ويراوحهم ويغاديهم ويفاجئهم ويبادئهم بضرب كما اشترطته حدود
الظبى وطعن كما اقترحته كعوب القنا وفتك كما تمنته المنية ورمي كما حنت اليه الحنية
هذا ومجانيق الكفر على الغي مقيمة وللردى قديمة وبالاحجار متقاطرة وعلى الاوطار
حاجرة والجلاميد بالجلاميد قارعة والصخور بالصخور قالعة وتمكن الفرنج بها من
الخندق فدنوا منه دنو المحنق وشرعوا في هجمه واسرعوا الى طمه وداموا يرمون
فيه جثث الاموات وجيف الخنازير والدواب النافقات حتى صاروا يلقون فيه
قتلاهم ويحملون موتاهم واصحابنا في مقابلتهم ومقاتلتهم قد انقسموا فريقين وافترقوا
ففريق يلقي من الخندق ما القي فيه وفريق يقارع العدو ويلاقيه ٭

ذكر وصول ملك الانكتير

(انكلتير)

في يوم السبت ثالث عشر الشهر المذكور
اشاع اشياع الكفر سر السرور وعقدوا لحبا الحبور ووصل ملك الانكتير واظهروا انه
في الجمع الكثير والجم الغفير وكانت له من الشواني خمس وعشرون قطعة كل واحدة
تضاهي تلعة وتوازي قلعة واحدث في القلوب روعة واورث في النفوس لوعة و
لمعت لنا من جانبهم تلك الليلة نيران زايدة وانفاس للشرار متصاعدة والسنة
الشعل نضاضة واشعة على الجو مفاضة وكانما وردت الجحيم لقدوم واردها
واوصلت لوصول ابليس الشرار شرارها وورثت لهم اوارها شاهدنا تلك البسيطة قد

بسطت على اهل الدنيا حبر الاضواء وهتكت عنها لهتك ستر ضلالهم الظلماء تعرفنا
كثرتهم بكثرة نيرانهم ولما كانوا من اهل النار قامت النار ببرهانهم واتتهم
باتيانهم واضافتهم في مكانهم وملك الملك بامره امرهم واراهم ان بيده نفعهم
وضرهم وملأ عين الملاعين والمالك لنظاوهم اشطان الشياطين وحفر للمكايد
ابارا واثر في المكر اثارا وارث للشر نارا واثار لنصرة النصرانية ثارا وتحدث
الناس بحادثته وحديثه وبما تاثرت القلوب به من تاثيره وتاريثه وارتابوا
وارتاعوا والتاجوا والتاعوا وغدت الالسنة ترجف والقلوب توجف وكاد
البأس يعجز والباطل يحتش والحق يلين والدين يبين والسلطان قوي الجنان روي
الايمان صافي يقينه وافي دينه شاف نصحه كاف نجحه مسفر لعين الاسلام صبحه مشرق
في قلب الظلام جرحه ماض عزمه قاض حكمه مثبت جأشه ثبات جاشه عامل لمعاده
ونصر الحق في معاشه متأن في تفكره متأن في تدبره متوكل على ربه في نصرة دينه
متوسل اليه في تاييده وتمكينه لا تروعه المخافات ولا تخيفه الرايعات ولا
تزعزع الخطوب طود وقاره ولا تفض النوايب ختم ذماره ولا يلين للشدايد ولا
يستكين للروايع الرواعد وكم سكن الاسلام بحركاته واخصبت الايام ببركاته ونام
الانام ليقظاته وامنت مصر والشام بنهضاته فما راعه ما عرا وما درى عزمه بما
درى ولا رد وجهه عما قصد ولا صد رايه عما عليه اعتمد بل ازداد قوة بصيرة
وازداد بسريرته لكشف اسرار الغيب تشميره وعمد الى السماء فاستعار من النجم باسنة

الذبل ودلف في الارض فوهبت نوبها للقسطل واعلم ملك الانكتير ان جمع كفره
للتتبير وان اسنة اهل التوحيد مولعة في نحور اهل الاشراك بهتك الستر وركب
في مواكب جلت المنايا بالجنى في كتايبها لتجتني اعناق العدى وطلايعها تصل بقواطعها
وقواضبها بخيل يايي الضيم مثار ابايه وبحر منثار النقع شوب عن لوابيه ووجه
كلمع البرق في ضيايه وقلب كحد العضب في مضايه واقام السلطان على هذه
الحالة ساميا في مطالع الجلالة لم ينض سلاحه ولم يخفض جناحه ولم يركز رماحه
ولم يودع للروع براحه ذكر غرق البطسة كان السلطان قد عمر في بيروت
بطسة وزادها من العدد والالات بسطة واودعها من كل نوع ميرة وملاها
غلة وذخيرة واركب فيها زهاء ستماية رجل مقاتلة ليكاسر كل من طغى وتزكى
وشكره الاسلام اذا الكفر منه تشكى فلما توسطت لجج اللجة صادفها ملك الانكتير
بحكم قضاء الله والتقدير واحدقت بها شوانيه وعدتها عواديه وقاتلتها بصف
لها ووهي لا تذعن للانقياد فاكثبت من العدو مراكب وجنت لها غوارب واحرقت
واغرقت وهتكت وخرقت وفرقت وما فرقت وقتل من الفرنج خلق عليها وما امتدت
يد عدو اليهم اليها فلما ايست من سلامتها وزالت عن استقامتها وانحلت عرى دوافرها
وانحطت ذرى اغتلابها واعتلاقها وما لت الى الاستسلام وجالت على الاصطلام
قال مقدمها علام نسلمها والموت بالعز خير لنا من الحيوة بالذل والشح بالدين
احب الينا من البذل فنزل الى البطسة يخرقها وما نع عنها حتى اغرقها واسعد اهلها

وافترقت وسيجتمع في دار النعيم شملها ووصل الينا خبرها في اليوم السادس عشر
من جمادى الاخرة نقلنا الدهر يومان نعمى وبوسى ولا بد للزمان كذلك حتى يزول ولا كانت
هذه الواقعة اول حادثة للوهن محدثة للهم مورثة ولنار الاسى مورية

ذكر حريق الدبابة وكان الفرنج قد اتخذوا دبابة عظيمة هايلة قد اظهرت
لها في الشر غايلة ولها اربع طبقات شدتها على الارتباط باق ولها من الاحكام باين
ولها بين وهي خشب ورصاص وحديد ونحاس وقربوها الى ان بقي بينها وبين البلد
اذرع خمس وفي طبقاتها سباع ضوار وذياب طلس وبليت البلد منها بكل بلية
ورزي منها بكل رزية وكانت هذه الدبابة على العجل ليقربوا بتقريبها
اسباب الاجل فباتت القلوب منها على الوجل وكان اصحابنا يطلبون الامان
وخضع كل اب واستكان وفارغوا عندها اشد فزاع وما صعوا اجد مصلح وتوالت
عليها من مساعير الرهط قوارير النفط وهي تضرب في حديد بارد وتصرف عن
كل شيطان مارد وتنبوا عن الاحراق وتنبي عن الاخفاق حتى بدت قارورة انقضت
على شيطانها كالشهاب فاحرقت الدبابة وقلوبهم قبل جسومهم في الالتهاب
نعوذ منها بسورة والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى نجا من انقلاب
القارورة قرار القلوب ومن حر انفاسها برد النفوس وكشف شعاعها ظلم
الكروب ونزعت بشاشتها عن الوجوه لبوس العبوس واثارت نارها لنا بكل نور
ولهم ببوار نوم بوود بثت شعلها في اضلاع الدبابة وجنوبها فاحرقها الله احراق

أهلها بذنوبها وكما أضاءت الآفاق بنيرانها أظلمت بدخانها فحالت لنا بياض البصر في السواد
وكأنه بسواد الناظر وسويداء الفؤاد بل بسواد المداد يأتي من أواره بالإمداد فجلا
حريق هذه الذبابة بصدأ قلوبنا المغتمة بالبطسة الغريقة وأحمت نارها في حماية الحق
حمية حماة الحقيقة فإنما أحرقت الذبابة يوم وصول خبر غرق البطسة فكان تنفيسنا لتلك العطسة

ذكر وقعات في هذا الشهر المذكور

كانت العلامة بيننا وبين أصحابنا في عكا عند زحف العدو دق الكوس حتى إذا سمعناه
جددنا في الزحف إلى العدو وبالنفائس والنفوس وفي يوم الجمعة التاسع عشر من الشهر
سمعنا من كوس البلد نغراته ونظرنا من جانب العدو ومثار غبراته فعلمنا بزحفه وعملنا
في حقه وضرب الكوس السلطاني إجابة لصراخ ذلك الكوس فتمايلت أعطاف ذوي الحمية
من حميا العزائم لا من حميا الكؤوس وركب السلطان في كل مشمر للبرد منضي للجرد مفاض
السرد فضفاض كالأسد الورد من الترك والأكاديش والعرب والكرد يهوي إلى الأقران
هوي المصلتات إلى الرقاب ويظمأ إلى إرواء الأسل الظماء فيطفي صدى الخيل العراب
وكل ثمل كأنه نزيف الحميا بعيد الظما من الأرض يركضه شاحبة المحيا وكل ضرب تكاد
تفيض مضاربه بفضله من حقه الضرب لولا وقاره وكل منصلت بعيم السوابح السوابق
في بحور الأعنة وكل دام قروح المارن حتى ترى بأيدي الذوابل وكل شاك في السلاح
مشكور في إشكاء الحق الشاكي وكل مصمم مصمم دروعه غير مخففة وسهامه غير محجبة
وسيوفه غير مغمدة وقناته لمداومة إجرائه غير مضمرة وسار السلطان وقد انسدت

لوقع السنابك جوانب جحفله فابيضت بلمع الترائك مذاهب قسطله واشتبهت في النقع
ألوان خيله وامتدت إلى ورد اللقاء أعناق سبله فكأنما غارت الشمس من شموس شمسه
فتوارت بالحجاب وعد النقع في وبل النبل من حساب السحاب وولجت العساكر عليهم
في خيامهم وحملت ليالي القتام إلى أيامهم وغلت الصدور بما فيها حتى وصلوا إلى القدور
على أثافيها وهتكوا وفتكوا وأدركوا وسفكوا فتراجع الفرنج عن البلد واصطفوا
على خنادقهم ووقفوا بقنطارياتهم وطوارقهم واجتمع عسكرنا لقتلهم يحتمون و
يحملون فينهلون من دمائهم وينهلون ودخل الظهر وحمي الحر فافترق الفريقان ورجع
إلى خيامهم الجمعان **وقعة أخرى** وفي يوم الاثنين الثالث والعشرين من الشهر
ضايق أهل الكفر البلد على الحصر وكانت الوقعة بالوقعة السابقة شبيهة وكانت من
أشدها وأكدها كريهة غير أن في هذه النوبة عرضت نبوة وكادت تتم كبوة فإن
الفرنج لما تراجعوا عن البلد وجدوا فئة من عساكرنا داخل خنادقهم فحملوا عليها بسائر
رجلهم وراكبي سوابقهم فانتشبت الحرب واشتجر الطعن والضرب وكثرت الجراحات
وكثرت الأجراحات واستشهد ممن عرف من المسلمين اثنان تسلمهما رضوان إلى الجنان
وقتل من المشركين جماعة أسرع بهم مالك إلى النيران ومن عجائب هذه الوقعة أن رجلا
من مازندران من ذوي الرفعة وصل في تلك الساعة وافدا واستأذن السلطان أن يقدم
مجاهدا فحين شهد الوقعة استشهد فلقي الله بعهده كما عهد **وقعة أخرى**
وفي يوم الثامن والعشرين من الشهر خرج العدو فارسا وراجلا وراجحا بالآلا وامتدوا

من جانب البحر الطلا بانا وخربوا في ذلك الفضاء احزابا وركب السلطان في مجالس عادته
الى مجال سعادته موقنا ان اذا عادته في ابارة العدو وابادته واقدمت المقدمة
واقدمت وتجمعت نار اقدامها واحجمت ومارت نجوم النصول تنقض ورجوم النحور
تنفض وعيون العيون تنفض ودبون الذحول وحقوق الحقود تقتضى وابكار الدروع
بجدود الذكور تفتض في شعوا آحصرها النساب الغايب ونكبا لها من الذوابل ذوايب
وبحر تسبح فيه السوابح وشرب بكاس المنية منها المهج غوابق وصوابح وغبرا اساود
بالها نوايب عن عقارب القسي وثعالب لها ذم معادها تلاعب في اراقم السمهرى
ذباب ظباها تطن في مسامع الرقاب وعقبان راياتها تحلق الى مطالع السحاب و
غدران سوابغها تفيض عليها جداول القواضب وغربان سوابقها تغيض في غطامط العباب
والدواح اغمادها النابية عن الاجسام بريه وقلوب اساودها الضارية على الردى جريه
حتى دخل على ليل النقع التليل وجرى من ديمة الدم السيل والتف لما التفت
بالخيل الخيل واوح المارق عن قتلى جر عليها من الشوا الذيل واستشهد
من المسلمين بدوى وكردى ولكم وقع من المشركين ردى ردى له في الهاوية هوى
وعليه من زفير جهنم دوى واسر من العدو فارس بفرسه ولامته وقونسه وتفرق
الفريقان عن المعترك عند معتكر الدجى وقد عم من النجح ما نجى **وقعة اخرى**
واصبح العدو يوم الاحد التاسع والعشرين وقد اخرج من النهر راجلا في عدد
رمل يبرين وقواضب يفرين وطوالع غروب في الطلى يغربن وفي الردى يعربن وانتشروا

ممتدين وامتد وامتشرين فلقيهم الترك بكل من يركبه عند شهوده مضاء
كالقضاء ويوافقه القضاء في المضاء وكل معتقل للردى بني اخف الى الوغى في سنانه وكل
مشتمل للمشرفي خضيب الغرار دريانه وكل ملتثم بعثير حصانه معتنق لعطف مرانه
وكل صبيح كالصباح نضارة وجهه في شجوه مدفونة وكل فارج على فارج سوارة
عزمه في سكونه مكمونة وامتد راجلنا امامهم واثبتوا اقدامهم وطال القتال
وطارت النبال وجاشت الذكور وفاض التامور واغمى الغثير وغم العثور واسروا منا
واحدا فاحرقوه فصحبة نوره بين يديه الى دار القرار واسرنا منهم واحدا فاحرقناه
فتشبثت به تلك النار الى النار وشاهدنا النارين في حالة واحدة يشتعلان والصفان
واقفان يقتتلان ۝ وفي يوم السبت الماضي هرب خادمان ذكرا انهما لاخت
ملك الانكتير وانهما كانا يكتمان ايمانهما في سر الضمير واخبرا انها زوجة صاحب صقلية
فلما هلك صادفت في اجبار دبها اخاها هذا الملك فالزمها ان تتبعه واستصحبها
معه وقدرا اما النجاة من تلك الفاجرة لنجاة الآخرة فاكرم السلطان وفادتهما واجزل
بالاحسان افادتهما **ذكر المركيس ومفارقته للقوم ووصف الشيب في ذلك** وفي يوم
الاثنين انسلاخ الشهر ذكر عن المركيس انه هرب الى صور وانه كشف للجماعة المستور
ونفذوا اوراه فيبوسا والقوا عليه من الضلال له في الاستمالة دروبا فنبا قبوله
وتقطع وصوله وكان سبب نفاره وموجب استشعاره ان هنفرى كانت زوجته
ابنة الملك الذي هلك والقدير في يده وعادتهم انه اذا مات ملك ينتقل ملكه

قدامهم صح

الى ولده وسوآ في هذا الميراث بين الذكور والاناث فيكون الملك بعد الابن اذا
لم يخلف ابنا للكبرى واذا توفيت من غير عقب كان للصغرى وكان الملك العتيق كي
اخذ الملك بسبب زوجته الملكة فعزلوه عن الملك لما احوث عليها بد الملكة
وبقيت هذه زوجة هنفرى فاصبح المركيس عليها مجترى وتقول ليست من اهل الملك
لتكون الملكة لك زوجة ولابد من تقويم هذا الامر حتى لا ابقي فيه عوجة وغصبها
منه وصرفها عنه واتخذها له عروسا واحضر هنالك لنكاحها قسيسا وقيل انها كانت
حبلى ولم تخرج من حبا له الحبل فما شغلتهم حرمة الرحم المشتغل وادعى المركيس ان
الملك انتقل بها اليه وان امر الفرنج بشرعهم في يديه فلما جا ملك الانكتير تظلم اليه
هنفرى والملك العتيق فانفتح بذلك له في مواخذة المركيس الطريق فاستشعر المركيس
منه وما فق واخذ الملكة معه وفر ذكر وصول العساكر الاسلامية في هذا التاريخ
وفي يوم الاثنين انسلاخ جمادى الاولى وفد عسكر سنجار وقد ستر بسواد عديده النهار
واغاض بياض حديده الانوار ومقدمه مجاهد الدين يرنقش الشهم الشديد والبهم
السديد والالمعي اللوذعي والكميش الكمي والعقاب النفي وهو ذو همة في والعقب النقي صح
الغز عاليه وعزمة بالمضآء المضى حاليه وقيمة في سوم السلطان لغرضه غاليه و
سريرة خالصة صافية من الكدر خاليه واكرمه السلطان في استقباله بنفسه واقباله
عليه بانسه وسار بعسكره الى ان وقف تجاه العدو ومن جانب البحر مما يلي الزيب و
تبدا حسن في عرضه التدبير والترتيب ثم عاد في خدمة السلطان ملكما الى خيمه مقدما

على صحبه فانزله في خيمته وخصه بمواكلته وتقدم اليه بالنزول في ميسرته وفي
يوم الاربعا ثاني جمادى الاخرة وصل جماعة من عسكر مصر والقاهرة بالعدة
الوافرة والقوة الظاهرة مثل علم الدين كرجي الذي يسرع الى لقا اقرانه
ولا يرجي وكسيف الدين سنقر الدوري ذي الزند الوري والسيف الروي و
امثالهما من المماليك الناصرية والمساعير الاسدية اسد العرين الشم العرانين الغر
الميامين وفي عصر هذا اليوم وصل علا الدين ابن صاحب الموصل الى الخروبة ونزل بها
ليصل بكرة الى المعسكر بالعساكر في احسن اهبها فركب السلطان اليه ولقيه وعاد
وكان لكرامته وصيانته الاسعد اذ واصبح يوم الخميس في خميسه سائرا بايادره
في عربيه مقبلا بكل فارس في جيشه فارس في خيسه في غلب كانهم اجادل والجبا
مراقبها وخيل كانها الظلمان والتمايل كواكبها ونقع كانه الاحى والمقربات قواربه
وبحر يصادم مناكب الاكام مناكبه وتملا الوهاد طوالعه وغواربه عاريات
غروبه عاليات غواربه ثقالا مذاكيه باعبا عواليه كانما نهضت لاذكا نار الهيا ح
خواطبه وعزت علينا كتايبه واعربت عن مناقبه مقانبه وتلقاه من ولد السلطان
الملك المعز فتح الدين اسحق وهو من جانبهم الجزيل الغيداق والملك المويد نجم
الدين مسعود وهو كاسمه مسعود بجد ود وتلقاه الامرآ والعظمآ والخواص و
الاوليآ وبات على تعبيته واجابة دعوة الاسلام وتلبيته الى جانب البحر لير عب اهل
الكفر وعرض وتعرض وعلم العدو بانه اليه نهض واستنهض ولما انفصل السلطان

اخذه معه الى خيمته واحضر له اسباب تكرمته وآنسه بانبساطه ونظمه مع امثاله
في سمط سماطه واجلسه الى جنبه وعقد له بحاجبه وخصه بخلع وثياب وحصن عراب
وما يليق به من كل باب وانصرف عنه ونزل على ميمنته بنوله عام اول في منزلته
وفي يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة وردت من مصر كتيبة ثانية صادقة اعنة حملها
الى الجهاد ثانية ساطية على الكفر باسها جانية وقد علمت الوقائع انها الثمرة بها
البانعة من ورق الحديد الاخضر جانية فما زلنا حتى عرضت على العدو مقانبها وارت
لعينيه قناها وقواضبها وارتبت برسل المنية اليه قسيها ثم جاءت والقت بمضاربها
عصيها وكانت العساكر تتوافد والجموع تتوارد **ذكر ضعف البلد** والفرنج
قد ضايقوا البلد مضايقة ابتسرت منه واستلبت القلوب عنه والمجانيق قد رمت شرافاته
وسمت اليه بآفاته واعادت جوانبه مهدومة وتواجزه مهتومة وانحطت منه
بمقدار قامة فلم يمكن احد عليه باقامة وضعف البلد والجلد وخلا بالهم عليه
الجلد وقد حفظ القوم من جانبنا خنادقهم ووكلوا بها اتباعهم ونحن لا نألو في الجهاد
جهدا ولا نترك جدا ولا نجد من مضايقتهم بكل نوع بدا وجاء الخبر ان ملك الانكتير
قد اشفى من المرض واشرف من المضض حلق راسه حلق لحيته واستلقى لانتظار منيته
فتنشط الفرنج وشتوا واسكتوا وسكنوا الى ان يركب فيركبوا ويثب فيثبوا وكان في هذه
الفترة للبلد بقاء رمق ورد الى رمق وانتعاش عثرة وانجبار كسرة وانطفاء جمرة و
انسداد ثغرة **فصل من كتاب الى صاحب الموصل في شكر وصول ولده ووصف**

الحال في ضعف البلد قدم علاء الدين دام علاؤه في مقدمي الجنود الامجاد ووقف
اجتهاده على موقف الجهاد وما اكرمه قائما في المقام الكريم وعظيما خاطبا دافع
الخطب العظيم ووصل فوصل جناح النجاح فانشرحت الصدور بما بدر به لها من نشر الانشراح
وجاء والكريهة دامية بالارواح والحرب ساقية طلا الطلى في صحاف الصفاح
وقد برزت بنات الاغماد الذكور على اكف اكفاء الكفاح لنكاح الهام السفاح
وشارك في الجهاد وشد الازر وسدد الامر وازر وعضد وظاهر واسعد ولا خفاء
عن العلم بحال الفرنج في هذه السنة واجتماع ملوكهم وكنودهم وتوافد امداد
حشودهم وقد استشرى شرهم واستضرى ضرهم واعضل خطبهم واستفحل امرهم
واشتغلوا منذ وصلوا بنصب منجنيقات وتركيب آلات ودبابات وزحفوا الى بلد
عكا بجمعهم ووفدوا بجرهم واخذوا فيه نقوبا وحكموا في الاسوار من الاسواء
بضرب المجانيق ضروبا والثغر الآن قد اشرف والعدو قد اسرف وكلما زحف الى
الثغر زحفت العساكر الاسلامية اليه وهجمت عليه والعدو بخندقه يحتجز ولفرصة
الغفلة عنه منتهز ومن هجوم الموت عليه في خندقه محترز ولم يبق الا ان يتدارك الله
الثغر بلطفه ويجريه على المألوف من عادة نصره وعزته والمجاهدون فيه قد هانت
عليهم المهج ووضح لهم في ثبات جنانهم المنهج وفي كل يوم يسدون بأسنة الهاجمين
عليهم الثلم ويجلون عنهم بما يشبونه من نيران الظبى الظلم والعدو قد لج والحديد
من قرع الحديد قد ضج والبلد متشوف والبلاء عليه موف والمأمول من الله ان ياتي نصره

بما لبثن في الحساب وان بعد ما حج من ايمن الاصطحاب الى الاصحاب ويكفي هذه
النوبة الصعبة فهو كان في النوب الصعاب **فصل في وصف عسكر عماد الدين**
وصلت العساكر اليه وتتابعت بعدها المناجدة ووافت بعدها المناجزة واقبلت اقبال
الاساد في عرين الوشيج وماجت موج البحار في غدير الزغف النسيج واستهلت
استهلال الرواعد البوارق والمتن بالعدى المام العوادي الطوارق ولقد جاءت
في وقتها منجدة في جده موجدة للاستقامة من الكفر بكل موجدة واستظهر الاسلام
بظهورها وسفرت وجوه النصر بسفورها وانجم الكفر باقدامها وانتظمت احراق المشركين
في عقود سهامها وخيمت مضارب المضا بمضارب خيامها ونضر بالفضا خيام قتامها
وما اشكر الدين والاسلام لغوايم عماده وغياثه وابعث امداد الظفر لاهتزاز
نصل نصره وانبعاثه **فصل في الاستنفار** قد عرف ان العدو قد احتشد
بجميع ملوكه وغصت مسالكه وطرقه بطوارق سلوكه وهو جرى الشوكة شديد الشكة
فنزل في حصر الثغر ونصب آلاته وركب عليه منجنيقاته ووالى الضروب من الضرب واخذ
منه مواضع في النقب وقد اشفى على خطر عظيم وخطب جسيم واذا لم يصل في هذا
الوقت فمتى ومن اين في غير الوقت المحتاج اليه فيه كما ان وهذا اوان وقت رفض
التواني ونهوض المسلمين من الاقاصي والاداني والوصول بكل ما يقدر عليه من
العسكر والظهور بمظاهرة المسلمين بالعزم الاظهر والجد الاوفر وهذا يوم الحاجة و
اوان الضرورة والنهوض بعسكره الى نصرة عساكرنا المنصورة فلا يجنح الى عذر

فللاعذار اوقات ولا يلتفت الى غير هذا المهم الذي ليس للمسلمين الى سواه التفات
وكيف يتاخر عن هذا الموقف الكريم وهو كريم ويتقاعد عن هذا المقام العظيم وهو عظيم
ذكر خروج رسل الفرنج كان قد خرج منذ ايام رسول وسال ان يكون له الى السلطان
وصول فاجتمع به الملكان العادل والافضل وقالا انه لا يمكن لقاء السلطان لكل من يرسل
وما كل مقصود عليه يعرض ليعلم هو في الاول هل هو مما يقبل او عنه يعرض فاعلمهما
بالحال وعرفهما ما سبب الارسال فاحضراه بالنادي السلطاني فمثل بين يديه
واوصل تحية ملك الانكتير اليه وقال هو يؤثر الاجتماع والخطاب لا الاستماع
فان اعطيته امانا اخرج اليك واورد مقصوده عليك او شئت كان الاجتماع به
في المرج خاليين من مقضيات المرج وكلاهما عن عسكره منفرد وبحديثه في الخلوة
مورد فاجابه السلطان وقال اذا اجتمعنا فهو لا يفهم بلساني ولا انا افهم بلسانه
ونحل بالبيان على ترجماني وترجمانه فيكون ذلك الترجمان رسولا فلعله يرد برسول
ويصدر رسولا فلما الح في الطلب والح في الارب استقر ان يكون الحديث مع الملك
العادل وان يخرج من عنده وسايله الرسايل ودخل وقد اخذ امانا وانقطع بذلك
زمانا فشاع عندنا ان ملوكهم منعوه ومن ركوب الخطر فزعوه فانفذ ملك الانكتير
رسولا له بعد ايام ينكر ما شاع من تاثير العزم عليه واحتكام وقال الامور
مفوضة الي وانا الحاكم ولا يحكم علي وانما تاخرت بسبب مرض فاتني الغرض
ثم قال الرسول من عادات الملوك المهادات وان دامت بينهم الحرب والمعاداة وعنده

الملك ما صلح للسلطان فهات تأذنون في حمله وقبوله واخذه من يد رسوله فقال
الملك العادل بشرط المجازاة واستقامة المكافأة بالموازاة فقال عندنا بزاة وجوارح
قد لقيتها في سفر البحر جوايح وقد ضعفت فهي طلايح دوارج ونريد طيرا ودجاجا يصلح
لطعمها فاذا استوت حملناها للهدية على رسمها فقال العادل لا شك ان الملك مريض
وقد احتاج الى دجاج وفراريج ونحن نحمل اليه منها كل ما اليه احتيج فلا تجعل حاجة
طعم البزاة في طلبها حجة واسلك غير هذه المحجة محجة وانفصل حديث الرسالة على
قول الرسول هل لكم حديث فقلنا انتم طلبتمونا ما نحن طلبناكم وما لنا معكم
حديث ثم انقطع حديث الرسالة الى يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة فخرج من عند
الملك في الرسالة لهم مقدم ومعه اسير مغربي مسلم واحضره على سبيل الهدية واوصل
الى السلطان ما حمل من التحية فشرفه بخلعته واعتد له بهديته ثم خرج يوم الخميس تاسع
الشهر رسل ثلاثة وما كانت رسالتهم تسفر عن مقصود بل فيها رثاثة وغثاثة و
هؤلاء طلبوا للملك فاكهة وثلجا ولم يسلكوا في غير هذه الحاجة نهجا فاكرمهم السلطان
بما سألوا ووفر لهم منه فحملوا وسألوا ان يتفرجوا في الاسواق ففسح لهم فيه على الاطلاق

ذكر ضعف الثغر من قوة الحصر وكان غرض الفرنج من تكرير الرسالات
تفتير العزمات وهم مشتغلون بعمل آلة الرمي بالمنجنيقات وتسوية المضروبات وتعبية
الآلات وتعديل العرادات وتنقيل الحجارات حتى تخلخل السور وحان انهدامه
وتخلخل وبان انثلامه وتزعزعت اركانه وتضعضعت ابدانه وكاد يهوي

ولا يبقى ولا يقوى لكي يقوى واهل البلد قد كثر تعبهم لكثرة النوب ولقلة العدد
والحرب هاتكة والسهر ناهك والعمل دايم والخلل لازم والقلوب قلقة والظنون
مخففة والمتاعب شاقة والمشاق متعبة والاحوال متصعبة والاهوال مرهبة
وكانت في البلد منجنيقات تنصب ويغض بها قوى الرجال وتنضب فلما اشتد الزحف
وزاد الضعف احتاجوا الى رجال المنجنيق المقاتلة والتنازل للمنازلة وهما يظهران ان
العدد لا يفي ولا يفي وان القليل لا يكف ولا يكفي وان خروج من كان في البلد
لاجل دخول البدل لم يكن صوابا وان تقصير النواب ابتدا في الاعطاء جلب
في الانتهاء اعطابا ولما علم السلطان سابع جمادى الآخرة يوم الثلاثاء بما غلب البلد من
غلبة البلاء زحف بعسكره ودخل خنادقهم وطرق اليهم بوايقهم ونهب من خيامهم
ما طرف واشرف في ارهاقهم لما اشرف وحمل الملك العادل بنفسه مرارا واجرى
من الدم انهارا واراهم بالنقع النهار ليلا وبالبيض الليل نهارا وامسى السلطان تلك
الليلة ساهرا لم يذق طعاما ولم يستطب مناما ثم امر بدق الكوس بسحر احيت
عادت العساكر الى الركوب والقساور الى الوثوب والفوارس الى الغرض والانداب
الى الندوب وعادت الى الطلوع غرونها بعد الغروب بكل من يلقى الجيوش على الجيوش
ويرمي الوحوش على الوحوش ويرعف الصعدة ويصعد الرواعف ويبشر بالامن من مواقف
المخاوف وكل من الضرب في جبينه شامة وللطعن في جسده علامة على خيل كامثال
القنا تحمل القنا وضمر كالحنايا تهوي هوي السهام الى الوغا في غداة صباحها في حداد

نسجتها أيدي المطهمة القب وبريق وظلام حلبه بريق اليمانية القضب فجرى ذلك
اليوم من القتال أشد ما كان أمس واتصل من طلوع الفجر إلى غروب الشمس وفي هذا اليوم
وصلت من البلد مطالعة مضمونها أن العجز بلغ بهم إلى غايته وانتهى الضعف بهم إلى
نهايته ولم يبق إلا تسليم البلد إن لم تعملوا شيئا ولم تنحوا في الذب عنه سعيا فضقنا
بهذا الكتاب ذرعا وقلنا لا حول ولا قوة إلا بالله لا نملك لأنفسنا ضرا ولا نفعا والسلطان
من هذا في أمر عظيم وهم مقعد مقيم وهو مجتهد في بذل وسعه سائل من الله
لطف صنعه معاود إلى الحرب في كل صباح طالب إلى اللقاء بجناح النجاح وفي هذا
اليوم وهو يوم الأربعاء بعث العساكر على اللقاء ودخل راجلنا إلى خنادقهم وخالطوهم
وتفانوا على بسيطة واحدة وباسطوهم وذكر أنه وقف في ثغرة من تلك الثغر فرنجي
كأنه جني متشيطن للشيطان فجني وهو يدافع ويمانع ويكافح على تلك الثغرة ويقارع
قد اتخذ طارقة جسمه صدفا وصار لسهام المنية هدفا وهو كأنه مما نشب فيه النشاب
القنفذ وتلك السهام من لبس الحديد لا تنفذ فلم يزل واقفا إلى أن أحرقه بقارورة
النفط زراق فاحترق وهو حراق ووقفت امرأة أيضا بقوس من الخشب ترمي وتديم إصماءها
وتدمي فلم تزل تقاتل حتى قتلت وإلى سقر انتقلت ذكر خروج سيف الدين علي
المشطوب إلى ملك الافرنسيس ولما تمكن الفرنج وتكاثروا على عكا من جانب وعرف بكل نائب
وملك أصحابنا فيها الكثرة من استشهد وجرح وقلة البدل كان قد استرخى ونقب العدو
الباشورة تحته ووقعت منها بدنة وزادت المخافة فلم يبق معها أمنة خرج المشطوب

إلى ملك الافرنسيس بأمان وحضر معه بترجمان وقال له قد علمتم ما عاملناكم به عند
أخذ بلادكم عند طلب الأمان عن مرادكم وأنا كنا نؤمنهم ومن المسير إلى مأمنهم نمكنهم
ونحن نسلم إليك البلد على أن تعطينا الأمان ونسلم وإذا فعلت هذا فقد حزت المغنم
فقال إن أولئك الملوك كانوا عبيدي وأنتم اليوم مماليكي وعبيدي فأرى فيكم
رأيي من وعدي ووعيدي فقام المشطوب من عنده مغتاظا ولم يلبث لحظة وأغلظ له
في القول عملا بقول الله تعالى وليجدوا فيكم غلظة وقال نحن لا نسلم البلد حتى
نقتل بأجمعنا وتكون مصارعكم قبل مصارعنا ولا يقتل منا واحد حتى يقتل خمسين
ومتى عرف أن الأسد يسلم العرين ذكر هرب جماعة من الأمراء والأجناد من البلد
ولما عرف رجوع المشطوب ولم يظفر بالغرض المطلوب قال جماعة من الأمراء قد يئسوا
بما هم فيه من التعب والعناء هذا الأمير الكبير والمشار المشير قد اشتغل بالله
نسواه ما باله وعمرو ابركوشا ورأوا في هربهم رأيا منكوسا ونجا في دار البقا نحوسا
وذلك ليلة الخميس التاسع وقربوا عليهم الأمر الشاسع وجاءوا إلى العسكر محققين ومن
رفقائهم في نيب الوفاء والوفاق متسعين فنمي إلى السلطان الخبر بهرب الجماعة وأنهم
خرجوا لله وله عن الطاعة وأنهم جنوا عن بذل الاستطاعة وحطوا عنهم صبت
الشجاعة وأبدلوا الإصابة بالظلمة والحفظ بالإضاعة وكان فيهم من الأمراء المعروفين
وذوي الشهامة الموصوفين عز الدين أرسل وهو الذي كان الملك بشهامته يرسل وحسام
الدين تمرتاش بن جاولي وهو شاب أول ما توفي والده جاولي وسنقر الوشاقي

من الاسدية الاكابر ومقدمي العساكر وكل منهم محظوظ بالاقطاع الوافر فقطع السلطان
اقطاعاتهم واقطعها وحبس عنهم عند الرضا بعد مدة بشاشة وجهه ومنعها واستعاد
ارسل بالاسدية ثم بالملك الافضل المفضل المومل وتوسل ابن جاولي بالملك العادل
وكلهم توسل بفضل الاجل الفاضل فلم تعد معيشتهم ولم تعذب عيشتهم وعادوا
ممقوتين وبحدود اليسر الذم محجوبين وبضعف القلب وقوة الخوف منعوتين وكان من
جملة الهاربين عبد القاهر الحلبي نقيب الجاندارية الناصرية ومقدمها فشفع فيه على انه
يضمن على نفسه العودة ويلتزم بالنفاد في ليلته واسقط عنه المذمة باوبته ووقع
بعد ذلك في الاسار واستفكه السلطان بعد سنة بثمان مائة دينار **فصل**
من كتاب الى مظفر الدين صاحب اربل في المعنى ووصف الحال قد سبقت مكاتبتنا اليه
بشرح الاحوال وما نحن عليه من رجاء النصر الذي هو متعلق الامال وان ملوك
الفرنج وجموعهم قد وصلوا ونازلوا الثغر واحتلوا والان فان منجنيقاتهم هدته
بكثرة الضرب وكثرة ثلم السور في مواضع النقب وعظم الخطب واشتدت الحرب
واشفق البلد واشرف واشتفى العدو بما فيه اسرف ولما الح العدو في الزحف
واستسهل في التطرق الى البلد طريق الحتف ركبنا في عساكرنا اليه وهجمنا عليه
لكنه بسوره وخندقه محتم والى مطمحه البعيد من امره مترسم ولما عاين اصحابنا
بالبلد ما هم عليه من الخطر وانهم قد اشفوا على الغرر نزل من جماعة الامرا من نقل
بالله وثوقه واعمى قلبه بجوره وفسوقه ولقد خانوا المسلمين في ثغرهم وباءوا بوبال

معتقدي التثليث ودبت النار الى الدبابات والمنجنيقات بصبة من النابتين وحدمة
النار بين وما اطول البين النار واضجها بالدعاء على اهلها بالنار وقد ابدى الى الاسلام
تبسمها وتفرعها وجه الاستبشار وما احسنها وهي ترمي بشرر كالقصر وتكسوا
سنا لهبها وجوه المومنين بشر النصر وما اوطعها لدابر المشركين وقد حجبت باحراق
تلك الالات عن البلد الجنية الحصين وتبسم بعد عبوس البوس باسم الله ثغر الثغر
وقد بعثت هذه الجنيعة كاه من حرقته تلك البروج ودخل الى طبقاتها قوم لاطفاء
النار فتعذر عليهم الخروج وهلك فيها اكثر من ثلثمائة دارع وخرج من اهل
البلد لماخوذ الفرنج كل مسابق الى الغنيمة مسارع وكسبوا من الدروع والمناصل
والسيوف ما وجدوه خلف ما دنك الحتوف وكان القوم قد اعتصموا بالابراج
وثوقا بوثاقتها واشتدوا بشدتها فيما علق بهم من علاقتها ووصلوا بها اجنحتهم
وذخروا فيها اسلحتهم فاخفقت ظنونهم وتخيبت عيونهم وخسر هنالك المبطلون
فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون **فصل من كتاب الى اليمن في وصف الابراج واحراقها**
استنفد الفرنج اموالهم في عدد اعدوها والات اجدوها واخلوا الابراج شاهقات
ومجانيق شادخات وزادوا عزائمهم بالغرامات واستقلوا على عمل الابراج كثرة
الخسارات وملكوا في لجاجهم يطرقون بين يدي ابراجهم ويمهدون الارض لتسوية
منهاجهم فلما قدموها بعد لاى واحكموا باحكامها كل تدبير وراى واشرفوا
بها على سور البلد باسوار ذات اسواء وجاءوا بالالات علات وادوات ادواء

واشتغل البلد من بلائها واشفق ووجل كل قلب وفرق واحجم المرا وله هذا الخطب
الجليل ومداواة الامر العليل الى ان يشغلهم بحصرنا اياهم عن التفرغ للحصر
وتضرعنا الى الله في انزال ملائكة النصر وكان من لطف الله ما لم يكن في الحساب
واتى الله المجرمين بالعذاب والهم اصحابنا ما داووا به المرض واذركوا به
الغرض واظهرهم ظهر يوم السبت الذي خصهم فيه بالظهور واقدرهم على رمي تلك
الابراج بالنفط في القدور وظهر من سر صنع الله ما كان في المقدور وتسلطت
النار على اهل النار وتصاعدت زفرات غيظها بانفاس الشرار ولمع نور
النصر الساطع من خلال ظلمة ذلك الدخان وكان كما قال الله تعالى يرسل عليكما
شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران وعادت تلك الاكام وهادا وذلك الجمر رمادا
وتحللت تلك الجبال وتحلل تركيبها ولصق بالتراب تربيها وتنكس مصاطبها
وكانت ثلثة ابراج شاهقة فلعبت في ملاعبها النيران فاذا هي زاهقة وتقلت
نجوم الشعل في تلك البروج وعجز شيطانها رجمات شهبها عن الخروج وتسلط الحضيض
على يفاعها ونادى الداعون فيها باذراعها واضحك الله ثغر الثغر بما اطابه من
ارج الفرج واخمد باشعال ذلك الوهج ما اذاب قلوب المؤمنين من الوهج وصان
مهج اهل التوحيد بما ارداه لاهل التثليث من المهج **فصل** تقدم المشركون
بالابراج الى البلد فقربوا الاسوا من اسواره والصقوا منها جدرانا بجداره
واشرف الثغر على الخطر العظيم من جواره فاظهر الله ما كان خفيا من سر اقداره

وتوفرت في الضيافة له المنافع والمرافق ومضمون رسالته انه خانته من امرائه
ومماليكه العامة والخاصة وخصته في سفراته ونكباته الخصاصة وان عمه
اخا ابيه من امه قد استولى على ممالكه وضيق عليه سعة مسالكه والجاه الى
الالتجاء وهو بقوته من هذا الجانب قوي الرجاء وقد وصل الى حد مملكته بقرب
اربل واراد الوصول الى الموصل لكنه نزل في بيوت عز الدين حسن بن يعقوب بن قفجاق
ينتظر الاصراخ والاشفاق وعز الدين حسن من خدم دولتكم والمتمسكين بعصمتكم
والمستوثقين بذمتكم وانا عنده مقيم وعلى سنن الامل مستقيم فان استفدت مني
اليك قدمت وان امنت امراء الاطراف ولا بيك بمشايعتي وجرت من النصرة ما
عدمت وانا الان رهين عليك ونزيل انعامك ووصل معه كتاب بخطه وقد
شرحت فيه بشرحه وبسطه وابدى الاستكانة واستدعى الاعانة واردف
رسولا برسول وكرر رسولا فيما التمسه من سول واعتذر السلطان بما هو فيه من
شغل الجهاد الشاغل وانه لا مطمع ما دام العدو منازلا لنا في مفارقة الساحل
فكتب الى زين الدين يوسف صاحب اربل والى حسن بن قفجاق والى نائبه بشهرزور
بالتوفر على خدمته والارتياد لمصلحته واشاعة معونته ثم ندب كتبه للسفارة
بينه وبين مظفر الدين قزل ارسلان شاه وهو جمال الدين ابو الفتح اسمعيل بن محمد بن
عبدكويه نسيبي ليكون القيام بهذا الامر من نصيبي ويسعى في المصلحة والمصالحة
والمصافاة على صفقة المودة والمصالحة وحفظ حرمة تضرعه وتذرعه وتسببه

ما آل اليه الامر في موضعه وتوفي الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري بمنزل الخروبة
سحرة يوم الثلثاء تاسع ذي القعدة سنة خمس وثمانين ولقد كان من الاعيان ومقربي
السلطان ومن اهل الجد في نصرة الايمان فنقله الله الى الجنان وحمل من يومه الى القدس
فدفن به وكانت في هذه السنة وفاة الفقيه الكبير شرف الدين ابي سعد عبد الله بن
محمد بن عصرون بدمشق يوم الثلثاء حادي عشر شهر رمضان وهو شيخ المذهب الذي
لم يخلفه مثله ودفن معه فضله وكان مولده في اوايل سنة اثنين وتسعين واربعماية وكانت
وفاة الامير عز الدين موسك بن جكو بكرة الجمعة النصف من شعبان منها وكان من
الابرار الاخيار والعظماء الكبار

دخلت سنة ست وثمانين وخمسماية

والسلطان مقيم بعسكره بمنزل الخروبة وكل من الملك العادل والملك المظفر والملك
الافضل في خيمه المضروبة وعكا محصورة وجموع الفرنج الى حصارها محشورة وعلى
تعذرها عليهم محسورة وخرجت هذه السنة والحصار مستمر والسلطان في
ملازمة القتال مستقر وحيا النصر في الاحيان مستدر وقد تسنت للاسلام
مناهج ووضحت للسعادة مناهج وبانت للقتال مداخل ومخارج وانقطعت بين الوشيج
وارحام الارواح وشايج واشتدت لتباريح الاشواق الى لقاء الاعداء لواعج وتالفت
في الاقدام مقدمات ونتايج ولمناجح المنى منا في مدارج الرجاء مدارج وللخطباء الطلى
في منابر الطلى معارج وللجهاد جهات وللعزمات ازمات واتفقت حسنات وحسنت

اتفاقات وكانت لنا مسرات هي لاعدائنا مساآت ووقعت عجايب واعجبت وقايع
وابدعت غرايب واغربت بدايع واجتمعت كتايب ونابت نوايب وصفت تارة و
كدرت مشارب وساعدت الاقدار وساعفت الاكدار وهلك من الفرنج المحاصرين
في الوقايع عدد لا يقع عليه الحصر ولكم استسفر صبح استصحب فيه جناح الظفر وسفر النصر
وسنورد حديث كل حادث بمفرده ونجرد ذكر كل متجدد بمجرده

ذكر وقعة الرمل كان السلطان يركب احيانا للصيد بعد ان يحذر على ما
يظهر للعدو من الكيد وهو لا يبعد من الخيم ولا يقرب من مايل الديم وركب يوما
في صفر على عادته فتصيد وطاب له قرب القنص فابعد والبركية على الرمل وساحل
البحر من الميسرة على الحالة المحتاطة المستظهرة فخرج الفرنج وقت العصر في عدد
يدخل في الحصر وتسامع اصحابنا بهم فزحفوا اليهم وحملوا عليهم وطردوهم الى الخيام مهم
واخذوا عليهم من خلفهم وامامهم ومارت بينهم حملة وحملة وشلة وشلة
وسلة وسلة وركضة وركضة ونفضة ونفضة ومشقة ومشقة ورشقة ورشقة
وجذبة وجذبة وضربة وضربة وشدة وشدة وردة وردة وضمة وضمة ولمة
ولمة واصحابنا ظاهرون وبالمراد ظافرون ولهم في دفعه من العدو قلايع وللفرنج
في كل كرة على الرمل مصارع حتى فني النشاب وبقي الانتشاب وشاع بداء
الحجاب باستدعاء النشاب والفرنج لا يعجزهم الا الرماء ولا يهتكهم الا الصماء ولا ينفرهم الا
رنة الاوتار ولا يبدرهم الا اتاة الغني بالدمار والبوار فلما انسوا بخلو الجعاب

تجاسروا على الدنو من تلك الشعاب وحملوا حملة واحدة وردوا بها اصحابنا الى النهر
وكادت تعيث بهم يد القهر فثبت من العادلية في وجوه القوم صف مرصوص
البنيان واسرعوا الى نحو تلك الذئاب ثعالب الخرصان واستشهد جماعة من الشجعان
استحلوا الحمام الطعان وشاقهم الى جنى الجنان وذلك انهم لما ردوا الى الفرنج فلقوا
قرنانا وصرعوا اقرانا فنزلوا لبعد فرسهم ليسلبوا لبسهم فركبتهم الحملة في الاوبة واعجلتهم
عن الركبة والوثبة واظلم الليل وافترق من معاركها الشجعان واجتمع في مراكزها
الفريقان وكثر التأسف على من فقد وكان الحاجب ايدغمش المجدي ممن استشهد
وزاد التلهف على فوات الفرصة وكيف اغفل ذلك القنص عن تلك القنصة بان
العدو وصار عرضة للصرعة في تلك العرصة ۞ ومن نوادر هذه الوقعة وعجائب
هذه البديعة ان مملوكا للسلطان يقال له سراسنقر وهو يتطاول في كل معترك
ولا يقصر عثر به جواده وثبت على الحرث فؤاده ورجله عثاره واسلمه انصاره
فقبض من اسره شعره ليجذبه وسل اخر سيفه ليضربه فضرب يد قابض شعره
فسيبه واشتد يعدوا ناجيا وللخلاص راجيا وهم يعدون وراءه ليمسكوه ويهلكوه
وفاتهم بعون الله فلم يدركوه وهذا قد فتنه المنون من لهاها عند ان رد رداه
وانضاه الحمام لمضاء غراره بعد اغماده ۞ ذكر فتح شقيف ارنون ۞
وفي يوم الاحد سابع عشر ربيع الاول تسلم بالامان شقيف ارنون واستمر الحصار عليه
منذ نزولنا في السنة الماضية بمرج عيون وصاحبه ارناط صاحب صيدا في دمشق

لاجله معتقلا وباب خلاصه دون فتح شقيفه مقفلا وذلك ان الشقي في الشقيف
في زيادة وعن اجتهاده ومرد عليه في الحفظ مراده وخانه في الصبر ارتياده وارتياده
ونخب من الرعب فؤاده واصلد بالياس زناده وامتنع عليه اصداره وايراده
نسلمه على ان يسلم صاحبه وتخلص في النجاة مذاهبه وخرج هو ومن معه وترك الشقيف
بما فيه وتركه للاسلام بما يحويه وافرج عن صاحب صيدا وصار الى صور ولبس من
التزييف والتسريح الجيد والجحود ذكر دخول عكا ودخول العوامين اليها
ووصول الكتب على اجنحة الطير منها كان السلطان اغتنم هيجان البحر وحصور مراكب
الاسطول من مصر لما ان يقوى عكا بتسيير الغلات والقوات اليها في المراكب وقد ملاها
بالذخائر والاسلحة والكماة والمساعير والحماة والمحارب فلما سكن البحر وامن غائلته الكفر
عادت مراكب الفرنج الى مراسيها ودبت عقاربها وافاعيها وشدت مراكبنا في مراسيها
وانقطع عنا خبر البلد وامتنع عليه دخول المدد والعدد فانتدب العوام للسباحة
وحملتهم السماحة لهم بالرغائب على وضع المهج في ميدان السماحة وعلموا انهم اذا سبحوا
ربحوا واذا سلموا فرحوا وفرحوا صادر ويحملون نفقات الاجناد على اوساطهم ويخاطرون
بانفسهم مع احتياطهم ويحملون كتبا وطيورا ويعودون بكتب وطيور ونكتب اليهم
ويكتبون الينا على اجنحة الحمام والترجمة المصطلح عليها سر الامور وتودع المكتوب
المكتوم ما نطلعهم عليه من الخفي المستور وكان في المعسكر من اتخذ حماما يطوف على
خيمته وينزل في منزلته وعمل لها برجا من خشب وهو ادرى من قصب وبدرجها على

الطيران من بعد ويوردها بشبعها وريها احب الحب واعذب الورد وكنا نقول ما
هذا الولع بما لا ينفع والوله بما لا ينجع حتى جاءت نوبة عكا فنفعت وشفت الغلة و
نقعت وانت بالكتب شارحة سارحة ووافت مفاتح الغيب بالبشرى مفاتحة
فصرنا نحبو اصاحب الطيور بالاطراء ونخصه بالمدح والثناء ونامره بالاستكثار
ونطلبها منه بالليل والنهار حتى قل وجودها عنده لكثرة الارسال وكنا نعرف
بها جلية الاحوال ونعلم ان الله علمه ذلك البر والهمه السر فانه اطلع على ما يدفع
اليه اهل الاسلام ونجى حتى هداهم بهداية الحمام فانها امينة على الاسرار ضمينة
بالاخبار حنينة بالاسفار رهينة بكرامة الاحرار مصونة من بين الاطيار جريئة
على الاخطار بريئة من الاعذار معدودة من الاذخار مودودة مع الاخيار وحمام
البلد البانع العوام محمولة وعقود الاياس عليهم محلولة فلا ننكر على المحتاج
ان عام بالايهام ومعوله التحرز من الضلال والتخفي بستر الظلام والضرورة تحمل
على تحمل الضرر والغرارة تبعث على الانبعاث الى الغرر والفقر يدعو الى ركوب
الخطر وفيهم من سلم مرارا من القوم فاجترات نفسه وانس بالعوم ولقد
عطب عوامون بالامانة قوامون فما ارتدع الباقون وما قالوا انهم لما لقي رفقاوهم
لاقون ذكر مبادرة السلطان عند انحسار الشتاء وانكسار البرد في ابتدائه
ولما انحسر الشتاء وانكسر وانتشا الربيع وانتشر امر السلطان عساكره بالعود
فتوافت امداد اجوادهم توافي امداد الجود وكان اول من وصل الملك المجاهد

اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص والرحبة وهو باكمل العدد واحسن
الاهبة وسابق الدين عثمان صاحب شيزر وهو الذي بسالته تقسر الليث الفيشود
وعز الدين ابرهيم بن المقدم المقدام الهمام ابن الهمام والكريم بن الكرام والاسد
الضرغام والسيد القمقام ووفد معهم جموع من الاجناد والاعيان وحشود من
العرب والتركمان ففاض بهم الفضاء واكتسى برباتهم العراء وكثرت الجنود وانتشرت
البنود وحلقت عقبان الالوية وتلاحقت ذوبان الاودية ولمعت بوارق البيارق
وارتفعت عوالي البوالي وحملت بواسق السوابق وثبتت وثابت العلائق ونبتت
شقائق العقائق ونظرت احداق الحدائق ونشرت طرائق الطوارق واعجبت ازهار
الرايات وانتهت غايات الغايات ونزلت جيش الصنع لصوص النصول ودارت
بيد الربيع نصوص الفصول وعلت الاعلام وحلت الاحلام ومضت المواضي ونضت
وانتضت القواضب الفواضب وقضت وعريت البيض من الحلى وغربت التمر بالكلى
واشتاقت لذات اللذات الى العتاق وتاقت شفاه الشفار الى لثم الاعناق وتحدثت
الاحداث في المجاراة باجراء العتاق وطالت رقاب الرقاق الى اغلاظ الرقاب و
اعجم عن جمجمة الجماجم اعراب العراب وحمي عزم البطل ونجح بسيم الملك و
عاد الجد الى جدته وخرج البرد عن عدته وفاز النصر بعدته وجليت بنت الغمد
في زي الهند وزي الفرند وقطف ورد الورد للشد الى الورد وقال الناس الام
ننتظر وعلام نصبر ولم لا نشتغل وكيف لا نشتعل وحتام القعود ومم الركود

ولما ذاد الوفود وقد نظرت السعود ونضر العود وصدقت من أصحابنا الوعود رحل
السلطان وتقدم وعزم على طلب العدو وصمم ونزل على تل بيسان يوم الأربعاء ثاني
عشر شهر ربيع الأول في الفصل الأعدل والفضل الأكمل وتراءى الجمعان وتعالى
العثير وتعارف المبارز وتحارب الحربان وترتب العسكر الإسلامي في نزوله ميمنة
وميسرة وقلبا وفي ركوبه على ترتيب منازلهم طلبا طلبا وكان الملك المظفر
تقي الدين في آخر الميسرة المبشرة المنصورة المصونة والملك الأفضل في أول ميمنة
القلب وأخوه الملك الظافر في أول ميسرته على الجنب والكتائب مكتبة والمقانب
مقنبة والسماء بالنقع الثائر منقبة والأرض بوقع الحوافر منقبة والعساكر مترادفة
متوافرة متوافدة متتابعة متواردة متسابقة متلاحقة متناسبة متناسقة
متوالية متوافية متجارية متبارية منقضة كالبزاة منقضة إلى الغزاة داعية
إلى الانتصار عادية على الكفار **ذكر وصول رسول دار الخلافة
مع ضياء الدين الشهرزوري في جواب رسالته** ووصل يوم الاثنين سادس عشر شهر
ربيع الأول رسول دار الخلافة بالمجدة والعارفة والرحمة والرأفة وهو الشريف فخر
الدين نقيب مشهد باب التبن عليه السلام فتلقاه السلطان بالاحترام والإكرام
واحتفل لوصوله واستقبله لقبوله وتلقاه الأمراء على الترتيب فمنهم من تقدم
نحوه إلى البعيد ومنهم من وقف له بالقريب ثم أخو السلطان وأولاده واحدا بعد
واحد وماجدا بعد ماجد وباديا بعد عائد ثم ركب السلطان إليه عند القرب

من سرادقه وأدناه إليه بتعانقه ثم سار معه قليلا واصحبه من خواصه وأمرائه
قبيلا حتى نزلوا به في بارگاه له مضروب وخصه بصنوف من الألطاف وضروب
ووصل معه من النفط الطيار وحملان من القنا الخطي الخطار وتوقيع بعشرين
ألف دينار يقترض على الديوان العزيز من التجار وخمسة من الزراقين النفاطين المتقنين
صناعة الإحراق بالنار فاعتد السلطان بكل ما أحضره وأخلص الدعاء للديوان العزيز
وشكره غير أنه أبدا ردا للتوقيع مع ود الصنيع وقال كل ما معي من نعمة أمير
المؤمنين وعارفته ولقد يعشيني ما شملني من عاطفته ولعل الله يوفقني للقيام
بالفرض ويغنيني عن الالتزام بالقرض وأركب الرسول مرارا معه وأراه مبارك
النزال ومعارك القتال ومصارع الرجال ومجامع الأبطال ومطالع اللقاء و
مواضع الهيجاء ومصالت الإقدام ومثابت الأقدام ومواقف الصفوف ومصاف
الوقوف وأماكن الحتوف ومكامن الليوث ومآل الفضول وبقية التأول
حتى يشهد بما يشاهد ويبين له المجتهد والمجاهد وأراه ما لم يره لنا ثم أثره
ويخبر بحاله ويحمل خبره وأقام الرسول طويلا وأقام له السلطان من طوله دليلا
ووفر له عطاء جزيلا وعرفا جميلا حتى استأذن في العود فعاد واستصحب الشكر والإحماد
ذكر مقاتلة الفرنج عكا بالأبراج والإعجاز بها والإزعاج وكان الفرنج
منذ نزلوا الحصار شرعوا في عمل الأبراج الكبار وركبوها من الأخشاب الطوال
والعجاب الثقال وبنوها وقدموها ونصبوها وأحكموها وسقفوها طباقا وسمروها

بالحديد وجعلوا الهامنة اطواقا ووثقوها شدا وشدوها وثاقا ولبسوها بالسلوخ
وملوها بالجروح وزحفوا بها الى السور وكشفوا بالرمي منها بعض سقوف الدور
وتساعدوا على طم الخنادق وفتح الطرائق ووصل من المدينة عوام يخبر بان
المتلفة بها حوام وان البلد قد اشرف والخطر قد اشرف والابراج علت والاسوار
خلت والبلاء قد عم والخندق قد طم وانتم ان تم هذا عراكم العار واظلم عليكم
الدنيا والدين بليلة النهار فاحتمى السلطان واحتد وشد واشتد وكرب وركب و
كان حسب هذا كما حسب وزحف الى الفرنج ليشغلهم عن الزحف ويصرفهم عن الفتح
بالحتف وذلك في العشرين من شهر ربيع الاول يوم الجمعة بالجحافل المجتمعة والغماغم
المرتفعة والصوارم الملتمعة والصلادم الممتنعة والاسنة المشرعة والاعنة المترعة
والجرائم المتجمعة من النجع والبيارق المخفقة كازهار الربيع واتفق في هذا اليوم
وصول عماد الدين صاحب دارا احمد بن بهرام الارتقي بالجمع الوافر الوافي في العسكر
النجيح التقي وسار الى القتال على حاله بخيله ورجاله وضايقهم السلطان مضايقة
عظيمة ولم تزل جادة الجد في مقاومتهم مستقيمة حتى دخل الليل وتعب الخيل
تلك الليلة البركة والزمهم في الحفظ الدرك ورجع الى خيمته ساهرا ساهما
مجاهدا بالبكور دحورهم مجاهرا فلما اصبح يوم السبت صبحهم بالحرب وسبحهم
على بحر الكر والكرب وترجل الرجال اليهم وانزل البوار عليهم وامتزج بياض
النهار بسواد النقع واتسع خرق الواقعة على الرقع وانقضى اليوم وقد انقرض القوم

وتفرق الجمعان عند العشاء عن قتيل غريق في الدماء او جريح على بقية الذماء
وبات النايين في السلاح شاكين وسار المد الى ذاكرين ولما تم منهم وعليهم جاكين و
رجع السلطان الى الخيمة ضربت له على تل العياضية وقد الزمته البسالة الطبيعية
بالرتوع في رياض الاخلاق الرياضية واصبح يوم الاحد راجعا الى قتال اهل الاحد
واستمر من الجد على انهج الجدد وامر بانتقال السوق الى قربه ليقرب من العسكر
وايده الله بالنصر الاظهر والظهور الانصر واقام لذلك وهو في كل يوم يغدو ويبارك
ويعدو ويباكر ثم نقل يوم الاربعاء الخامس والعشرين الاثقال الى المخيم لان لا يغيب
حاضر ولا يصدر عن الورد صادر وليكون غلمان العسكر للحرب مباشرين ولمعشر الكفر
بادارة كؤوس الردى عليهم معاشرين فانتدب منهم للحرب كل يخرج للوقائع
بخرج وكل يحنق على نار الصباح مقترح وكل وقاح بالحراب وقاح وكل ضراب
بارز داء الكفر نفاح وكل غلام له من هيجان الحمية لغام وكل متلاف للعشيرة غير
متلاف وكل جاف عن سوى السو متجاف واخذوا من بيت السلاح السيوف و
التراس وطلبوا بقصد العدو الاقتباس والافتراس وابلوا بلاء حسنا واضحوا بالنكا ية
في العدو وسنا ووصل في صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين عوام من البلد يخبر
بقوة المشركين المحاصرين وان البلد قد ضويق وان العدو المخذول يحيق به كيده
ان خرق فتقدم السلطان ليشغل العدو عن مقاتلة البلد بقتاله ويكفه بنزاله
عن نزاله وجدد الكتب الى الامصار بالاستنفار والاستنصار فوصل من وصل

ولده الملك الظاهر صاحب حلب وقد جمع وجلب وتقدم عسكره يوم الجمعة وانفرد
بوصوله وحظي من نظر والده بسوله وذلك يوم الجمعة السابع والعشرين ثم عاد
إلى معسكره وجاء يوم السبت في حسن منظره وإحسان أثره في منظر ناضر ورونق
حاضر وجمع كثيف وحشد لفيف وبهجة رائعة وروعة مبهجة وهيبة مزعجة
منجزة وهيبة للعدو مزعجة وصولة ذائلة صائلة وميامن رائقة ومحاسن شائقة
وبحر من الحديد مائج وبحر من العديد هائج ورفاق ووفود وأملاك وعتاق وصواهل
وعوابر وعواسل وشعوب وقبائل وقدم في هذا اليوم مظفر الدين ابن علي
كوجك وهو صاحب حران جزيرة وقد استأنف للجهاد عزمة جديدة ثم عاد
إلى عسكره ليقدم به ويحضر بجنده وتركمانه وأعرابه وأكراده **ذكر وقوع النار في
أبراج الفرنج الثلاثة واحتراقها وتلف كل ما كان ومن كان في طبقاتها** ولما كان بعد
الظهر من هذا اليوم وهو يوم السبت الثامن والعشرين تباعث بظهور دلائل النصر
وتناصر أسباب الظهور المبشر ونظرنا والنار من أحد الأبراج في السماء منبثا
وفي الجو بشرارها مترامية وما ندري ما سبب الحريق وكيف تيسر هذا التوفيق
واحترقت النار بالبرج فإذا هو كجمرة من نار وقلوب المشركين لاستعاره كالتي في
استعار ووجوه المؤمنين لأنوارها في استبشار ثم رأينا البرج الثاني وهو
يحترق والنار في أثنائه تخترق ثم نظرنا إلى البرج الثالث فإذا هو يشتعل و
بألسنة النيران يتنهل فما برحنا حتى سقطت ثلاثتها وبلغت البناء من صدماتها و

حرمانها استغاثتها وركب السلطان ونحن معه ونزلنا لنكتب بشائر النار ونسير
لطافاتها على أجنحة الأطيار والعجب أن الأبراج كانت متباعدة غير متدانية
وقد أبعدها الفرنج بمسافات متنائية فكل واحد منها على جانب من البلد قد كشفه
وخسف أسواره وكسفه فاحترقت على تباينها في وقت واحد وقدر من الله وارد
فلم يكن ذلك إلا سرا إلهيا ولطفا ربانيا وفرجا بعد الشدة وثلجا لصدور المؤمنين
بتلك الوقدة وكان سبب حريقها أن رجلا يعرف بعلي عريف الحاسبين بدمشق
كان استأذن السلطان في دخول عكا للجهاد وأقام فيها بإذن الأجناد وعني
بعمل قدور النفط وتركيب عقاقيره وتعيين كل نوع وتعبير مقاديره وتقدير
معاييره والناس يضحكون منه ويعرضون عنه ويقولون هذا يضيع ماله فيما
لا يعنيه وما هذا الهوس الذي وقع فيه وهو يعد لذلك العمل آلات و
يجد في تلك الأدوات ويكثر القدور ويرتب الأمور فلما قدمت إلى البلد تلك
الأبراج وحصل من الأسراج الامتزاج قوبلت بكل فن وأدني إليها من النفط
كل قدر ودن ورميت بكل قارورة محرقة وكل نفاطة مرهقة وبالغ في صنعته
الزراق فلم ينجع في شيء منها الإحراق ووقع اليأس واستسلم الناس فمضى
ابن العريف بدا ابن العريف إلى بهاء الدين قراقوش الأمير وقال رأينا ما اعترض
من التدبير وما عرض من التقدير فأتيح لي رمي هذه القدور فلعل الله
يأتي منها بشفاء الصدور فأذن له على كره وقال ما أرى إحراق هذه البروج

عليه من وجه فإن الصناع قد أبلسوا والزراقين العارفين بالصناعة يئسوا فلما وجد
الإذن وزن القدور ودفعها ورمى بواحدة منها إلى أحد الأبراج في المنجنيق وعيّرها واعتبر
ثم لما استوت رمايته وصحت له في الإصابة درايته رمى بقدر وفيه نفط لا نار فيها
وهو يصفها على أعالي البروج ويسقيها والفرنج يعجبون من البله ولا يدرون ما وراءه
من الشغل ثم قذف بقدر نارية مشتعلة بكل بلية فوقعت في الطبقة الوسطى ورمى مشتعلة
أخرى فوقعت في السفلى فاشتعل البرج من طرفه الأعلى والأدنى وتعذر على من فيه
من الفرنج الخلاص وكانوا سبعين ودخل إليه أيضا جماعة لاستنفاد ما فيه فاحترقوا
بدروعهم وسيوفهم وتسلمت الجحيم عليهم غيظا لاستبطائها حتوفهم وتحول ابن العريف
إلى مقابلة البرج الثاني ولم يلحقه في الحرقة التواني وانتقل إلى الثالث فأحرقه
وما كان ذلك بصنعة منه بل لأن الله وفقه ومارنا تحترق الثلاثة وتتقد اتقادا
حتى عاد جمرها رمادا وبياض نارها واحمرارها في السماء على الأرض سوادا واحترقت المجانيق
والستائر التي كانت بقربها وبهت الذي كفر وأسف على نصبه في نصبها وخمد الكفار
بذلك الضرام وسلوا عما كانوا فيه من الغرام وحبطت أعمالهم وخابت آمالهم وركدوا
بعد جرأتهم وركنوا إلى خزيهم وضلوا في سعيهم وتورطوا في بغيهم وسقطوا في أيديهم
بسقوط أبراجهم وحيق مكرهم بهم وكيدوا بكيدهم وخرج رجالنا من البلد فنظفوا
الخندق وسدوا الثغر وأظهروا البشر وأظهروا القدر وجاءوا إلى مواضع الأبراج
وأماكنها واستخرجوا الحديد من مكامنها ونبشوا الرماد عن الزرديات التي انسبكت

وكشفوا عن الستائر التي تهتكت فأخذوا ما وجدوا وحصلوا على ما نشدوا وأتربت من
ترب من ثواب ذلك التراب وعمرت قلوب المسلمين بذلك الخراب وبردت في حر
تلك النار وشفي أوامها بذلك الأوار والحمد لله الذي جعل تلك النار لأوليائه
بالبرد والسلام إبراهيمية وعلى أعدائه بالحر والضرام جحيمية

ذكر فصول أنشأتها من كتب البشائر بالنار

صدرت مبشرة بما أجده الله من الجد وأنجزه من الوعد وأجزله من الرفد وأعده
حال الظما البرح من الورد وذلك مما ظهر يوم السبت ثامن عشري شهر ربيع الأول
من الاتفاق الحسن والنصر الذي يقصر عن وصفه ذوو اللسن وهو أن أصحابنا بعكا
رموا بقدور النفط عدد العدو المدحور وأحرقوا جميع ما لهم من الذخور وأحرقت
ثلاثة أبراج كانوا قدموها ودبابات قربوها ومنجنيقات نصبوها ولهم منذ سبعة
أشهر يجمعون هذه الآلات ويستسهلون عليها الغرامات حتى أقاموا أبراجا أعلى
من أبراج السور بضعف سمكها وفرقوها ناكبة في الثغر المحروس بفتكها وشحنوا
بالرجال المقاتلة طباقها وأطالوا على مناكب البلد أعناقها فأشفق الإسلام من
نكاياتها وأظلمت الآفاق من غياباتها وكسفت من البلد جانبا وحبست من سوره
غاربا فأقدر الله على إحراق ما عملت تلك المدة المديدة في ساعة وأمسى العدو بقلوب
وأفئدة من ثم بها مرتاعة وما أفصح ألسن النيران على تلك الأعواد خاطبة وما
أبسط أيديها على من كان فيها من الرجال للأرواح ناهبة سالبة

فصل هذه المكاتبة مبشرة بالظفر الذي ورث زناده والنصر الذي
قرب بعاده وذلك ان اصحابنا بعكا استظهروا وظهروا وصبروا وانتصروا ورموا شهر عكا
من السلالم ابراج الفرنج المنصوبة عليه بقدور النفط وانزلوها من سماء الرفعة
الى ارض الحط واطالوا بها السن النيران المضرمة ودبت من الابراج المقدمة الى
الدبابات المقدمة وعلم العدو ان كرته خاسرة وان يده عن نيل المنى قاصرة

فصل هذه مبشرة بالظفر الهني والفتح السني والنور اللامع
من النار والنصر الواري الزناد الطاير الشرار وهو ظهور اصحابنا بعكا يوم السبت
ثامن عشري شهر ربيع الاول وقد خصهم الله بالنجح الافضل الاكمل وقد كان العدو
قدم ابراجه وسلك من المضايقة منهاجه ولزم في الزحف الدايم لجاجه
فاستظهر الاصحاب عليهم وثبت الظهر ورموهم بقدور المحرقة من النفط فطالت
السنة النيران تدعوا على اهلها بالبوار وتبدي في تضرمها تضرعا الينا للاعتذار
وشاهدوا اهل النار ما اعد لهم من سقر وتلونا قول الله فيهم كذلك نجزي من كفر

فصل الى الديوان العزيز ولما كان ظهر السبت ظهر اهل الجمعة
على اهل الاحد ورمى الاصحاب المحصورون المنصورون عدد العدو وابراجه
بقدور النفط من البلد فخطبت السنة النيران على تلك الاعواد بل على تلك الاطواد
والحقتها رداء الردى والحقتها بالوهاد وفرشت رمادها لماتم اوليك المراد وكانت
تلك النار على الكفر ضراما وعلى الاسلام بردا وسلاما واحترقت الابراج الثلثة على

النفط

والمصالح المناصل والفراع الذوابل والصيال الصواهل وعمل الجهاد الدايم العوامل
فلا ضامر الا وهو وان كان غالبا لاغب ولا صارم الا وهو في دم العدو القايض ناضب
ولا جارح الا وهو مجروح ولا قارح الا وهو مقروح ولا جايح الا وهو مصحب ولا باشر
الا وهو مقطب فبانت عدة من هذه العدد الجدد غار الجمر والخمد وتاسن الشكر
لانعامه ولم تبد ومن العجب ان العدة تفني ولا تفني العداة وتنموا على الجهاد كانها
النبات وتسارع الى امدادها الموت والهلاك وتخلفها في ابدالها الحياة فان البحر
يمدهم والكفر الى الردى يردهم وكلما اخلقتهم الايام فان الليالي تجددهم وما جمعهم
القدر الا ليفرقهم وحمل اهل النار على النار الا ليغرقهم في دماهم وبنار البوار يحرقهم

ذكر عماد الدين صاحب سنجار وما عزم عليه من تجهيز ولده قطب الدين

ورد الخبر بان عماد الدين قد جهز عسكره وقدم عليه قطب الدين ولده وسيره
فقال السلطان هذه ايام الشتاء ولا ننتصف فيها من الاعداء ونحن نحتاج الى العسكر
في الربيع واستنهاض الجموع الى شمل النصر الجميع فكتب بتاخيره والتمهل في تسييره
ثنا ان عماد الدين يود ولده ورجوعه بعد المسير من بلده فكتب اليه السلطان
من مكاتبة ۝ وكان لما انتهى صدق اهتمام المجلس بامره والتقدم بتجهيز العسكر
الى خدمته بكل ما يعود بسروره وسره وانشراح صدره وعرف بمسير قطب الدين ادام
الله له مضاعفة العلاء واقر بانواره عيون الاولياء وظن انه لم يقدم حركته
المقرونة بالحسنات ولم يقرب من عهد الغزوات اشفق عليه من التعب ليكون عسكره

بشرتها عند الطلب فإن الحاجة إليه في الربيع أدعى ومصلحة الإسلام في ذلك أولى وأن
أولى أن تُرعى ولو عرف أن الركاب العظمى قد دنا لبشرته السعادة بنجح المنى و
استقبلته النفوس والأرواح وتلقته القلوب بالقبول العبق بنشر الانشراح وإن
اشتغل القلب بما فاته من حظ الاستسعاد بوروده فقد بشر أمله بنضارة عود
نجحه عند عوده ونجاز وعوده. وفي هذه السنة ندب السلطان الرسل
إلى الأقطار والأمصار للاستنفار والاستنصار وبث الكتب وكتب بالبث والحث
الرسل وراسل بالحث وبعث المبرزين لاستنباط البعث وانهض للتبليغ كل بليغ
وجرع كأس التدبير في حسن السفارة كل مشيع مسيغ وسرح عدنان النجاب إلى سيف
الإسلام باليمن وشرح في الكتاب إليه ما جرى من حوادث الزمن ووصفت له حلية
الحال وما خرج عليه من دوام القتال وطلبت منه الإعانة بالمال واستعين واستنجد
واستلين واسترفد وحض على حظه من إنجاد الإسلام وأن يكشف بسنا طلوعه ما غشيه
من الإظلام وأرشد إلى نهج السماح وتسيير كل ما يقدر عليه من العدد والسلاح وتجريد
الجرد العتاق وتوفير الحمول التي تخرجها في سبيل الله بالإنفاق وكوتب قزل الذي ببلاد
همذان بما دنا منه عزمه ودان وحكم على كل ملك نجحه الإيمان وهدي إلى نجحه الإحسان

ذكر وصول رسول سلطان العجم طغرل بن أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه بالالتجاء إلى ظل السلطان وارتجاء ما له من فضل الإحسان

ورد من عند طغرل
سلطان العجم أمير من خواصه وهو أبلدكر أمير العلم فضرب له من الخيم الخاصة سرادق

غدرهم وما قوى طمع العدو في البلد إلا وهنهم وما أرهب قلوب الباقين في مقابلته
إلا رهبهم والمقيمون من أصحابنا الكرام قد استحلوا مر الحمام وأجمعوا أنهم
لا يسلمون حتى يقتلوا بهم من الأعداء أضعاف أعدادهم وأنهم يبذلون في صيانة ثغرهم غاية
اجتهادهم وكانوا قد تحدثوا مع الفرنج في التسليم فاشتطوا واشترطوا فاصبروا وابعد ذلك
صابروا ومدوا أيديهم في القوم وبسطوا فتارة يخرجونهم من الباشورة وتارة من
النقوب والله تعالى يسهل تنفيس ما هم فيه من الكروب ونحن وإن كنا للقوم مضايقين
ولهم محدقين وعلى جموعهم من الجوانب متفرقين فإنهم يقاتلوننا من وراء أجدار ويعملون
أنهم إن خرجوا إلينا في بادروا والهجوم على جمعهم مستصعب ممتنع والعسكر على مراكزهم
متألف مجتمع ولله قدر لا يرد وقضاء لا يصد وسر لا يشارك في علمه وأمر لا
يغالب في حكمه وعلى الله قصد السبيل ونجح التأميل وبه نثق الطائفة في دفع
الخطب الجليل وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وهو نعم الوكيل ه

ذكر ما جرى من القتال ه

وفي ذلك اليوم وهو الخميس زحف الخميس وحمي الوطيس
وتحرك بالضراغم الخيس واسود الجو وانسد الضوء وانقضت القضب انقضاضا واختضبت
البيض وتألق من بوارقها الوميض ورقصت قدود السمر على غناء الصواهل وحركت
رياح الشوق ذوائب الذوابل فللدروع من الضرب قعاقع وللعواصف الألوية
زعازع وللعزمات الرماح نعيب وللغربان المقربات لتقريب النصر البعيد تقريب وللحريق
الظبي معمعة ولرحا الحرب الزبون جعجعة وللأجفان سابقة والترجمات راعدة

وبارقة وتموين الترايك على بدور الاتراك شارقة وبنات النبل من عيون اعيان الكفر مارقة
وايدي الاسنة هاتكة لحزن المحجور سارقة وثعالب الاسل في لبة الاسد صابحة و
نشاوى اللبدان من نجيع الاقران غابقة صابحة في رايات تجاذبها ذراع الفلك فيعود
عقبانها العقبان وصفاح يصافحها شعاع الشمس فيكسو لجينها العقيان وتقدم
السلطان الى الامرا فترجلوا ونازلوا حتى نزلوا وهجموا على الضراغم في آجامها واخرجوها
نحو الاقدام الى اقحامها ونصب صارم الدين قايماز النجمي علمه على سور الفرنج بيده
ووقف عنده وبجلادة جلده ووصل في ذلك اليوم عز الدين جرديك ومعه من
النورية المماليك فترجل وقاتل وابلى واضرم نار الوغى واصلى وما ترك من جهده
شيئا وما خلا وبات العسكر تلك الليلة على الخيل تحت الحديد منتظر النجح لامل البعيد
فقد كنا تواعدنا مع اهل البلد انهم يخرجون تحت الليل رجالة وعلى الخيل ويسرون باجمعهم
على جانب البحر سرى الليل ويذبون عن انفسهم بسيوفهم وينجون بانفسهم وعن ابوابهم
ولو صح هذا الموعد لنجح المقصد ولكن الفرنج اطلعوا على السر فاصطلعوا بالشر وحرسوا
الجوانب والابواب وارتابوا بالارتياب وكان سبب علمهم اثنان من غلمان الهاربين خرجا
الى الملاعين فاخبروهم بجلية الحال وعزيمة الرجال واصبح العسكر يوم الجمعة
العاشر وقد جمع من الخيل والرجل والمعاشر واقفة على ترتيبه صفوفه مرهفة على
عدوه اسنته وسيوفه ودام ذلك اليوم على التعبية وقوفه ولم يتحرك من القوم
ساكن ولم يظهر من العدو كامن بل خرج ثلثة من الرسل واجتمعوا بالملك العادل

فعادوا بعد ساعات ولم يفصلوا امرا فيما من اقسام الرسايل وانقضى النهار والعدو
بالعدو والمحيط بالبلد محيط ولا ذي مقامه بمقامه مميط وبتنا على تلك الحالة
واهل الهدى مراصدون لاهل الضلالة ۞ واصبحنا يوم السبت وقد ركبت
الاوجية وتدرعت وتحزبت وتجمعت حتى ظننا انهم على عزم اللقاء فماجت العزايم
منا الى الهيجاء وخرج من بابهم اربعون فارسا ووقفوا واستوقفوا واستدعوا بعض
المماليك الناصرية فلما عطف اليهم اليه عطفوا واخبروه ان الخارج صاحب صيدا
في اصحابه وهو يستدعي نجيب الدين ابا محمد العدل لخطابه وهذا العدل من امناء
السلطان وقد انس الفرنج به لتردده في الرسالات نحوهم في سالف الازمان فلما حضر
ارسله الى السلطان ليتحدث في خروج من بعكا بانفسهم بحكم الامان وطلبوا في
مقابلة ذلك ما لا يدخل تحت الامكان وزادوا في الاشتطاط وتناهوا في الاشتراط
فانفذ السلطان الملكين العادل والافضل ليفصلا الجواب وحلا اذا اجرا المفصل
فتردد العادل مرارا ووجدهم على الاصرار اصرارا ولم يحرروا قاعدة ولم تظهر
فايدة وانفصلوا على غير قرار وعادوا الامر بغير امرار ذكر جماعة
من العسكرية وصلوا وفي يوم الثلثاء رابع عشر الشهر وصل سابق الدين صاحب
شيزر وفي يوم الاربعاء بدر الدين ابن كان وقد حشد وحشر وفي يوم الخميس اسد
الدين شيركوه وقد ابهج بقدومه العسكر وفي هذا التاريخ ضعف البلد وعجز
من فيه ضعفا لا يمكن تلافيه ووقف كرام اصحابنا وسدوا الثغر بصدورهم

وباشروا الأسنة المشرعة إليهم بنحورهم وشرعوا في بناء سور يقتطع جانبا حتى
ينتقلوا إليه إذا شاهدوا العدو غالبا **ذكر ما طلبه الفرنج في المصالحة**
على البلد وكانوا قد استشرطوا إعادة جميع البلاد وإطلاق جميع أساراهم من
الأقياد فبذل لهم تسليم عكا بما فيها دون من فيها فلم يفعلوا وبذل لهم في كل
شخص أسيرا فلم يقبلوا ونحج لهم برد صليب الصلبوت إليهم فانفصلوا عن الأمر ولم يفصلوا
ذكر استيلاء الفرنج على عكا وكيفية دخولها وفي يوم الجمعة السابع عشر من جمادى
الآخرة ماجت الفرنج ببحور جموعها الزاخرة وسالت إلى ثغر البلد سيل الأتي إلى القرار
وطلعت في السور المهدوم طلوع الأوعال في برج الأوعار وانحدر إليهم أصحابنا انحدار
الصخور المدهدهة ونفشوهم بنشر الأساد المحرجة المكرهة وردوهم أقبح رد
وصدوهم أقطع صد وما زالت الكرات تتناوب والحملات تتعاقب حتى كلت
الرجال وقلت النصال وعرفوا أن الفرنج مستولون وعلى أخذه منهم لا يفترون ولا
يخلون فخرج سيف الدين علي بن أحمد المشطوب وحسام الدين حسين باريك وأخذا
أمان الفرنج على أن يخرجوا بأموالهم وأنفسهم على تسليم البلد ومائتي ألف دينار
وألف وخمسمائة أسير من المجهولين ومائة أسير من المعروفين وصليب الصلبوت و
وعشرة آلاف دينار للمركيس وأربعة آلاف دينار لحاجبه فلم نشعر إلا بالرايات الفرنجية
على عكا مركوزة وأعطاف أعلامها مهزوزة وما عندنا علم بما جرت عليه الحال
وما أحد منا إلا والبال قد عراه الوبال وعم البلاء وتم القضاء وعز العزاء وبطل الرجاء

ولوت أعناق المسار اللأواء وتيسر السلطان ذلك بعد قضاء الله وقدره إلى
تقي الدين وما عرض له في سفره فإنه مضى على أنه يعود بأضعاف عسكره فاشتغل بقصد
خلاط وأنا رأيت ديار بكر الاختباط والاختلال والاختلاط وتأخرت عساكرها
عن القدوم فنتج تأخر نصف العساكر فوات الغرض المروم ولذلك لم يكن في البلد
عدد يفي بصونه وما كان يضبطه السلطان إلى هذه الغاية لو لم يكن الله في عونه و
نقل الثقل تلك الليلة إلى منزله الأول بشفرعم وأقام في خيمة لطيفة متلهفا متلهبا
على ما تم ثم انتقل سحرة ليلة الأحد تاسع عشر الشهر إلى المخيم مصابرا على حكم القضاء
المبرم وحضرنا عنده وهو مغتم وبالتدبير المستقبل مهتم فعزيناه وسليناه وقلنا
هذه بادرة بما فتح الله وقد استنقذها عداه وقلنا له إن ذهبت مدينة فما ذهب
الدين ولا ضعف في نصر الله اليقين وما وعكت بعكا القلوب إلا وأكثرها يوم النصر
تفتر ولوحشتها بعد هذه الحادثة الموحشة تأنس ولهذا الدين وإن تزاعت قواعد
بقعة من بقاعه بالعز لقاعه تأسيس وخرج في هذا اليوم أقوش رسول بهاء الدين
قراقوش يخبر بما قرروه من القطيعة ويصف كيفية الملحمة القطيعة فقال أدركونا بنصف
المال وجميع الأسارى وصليب الصلبوت قبل خروج الشهر وإن تأخر شيء من ذلك بقينا
تحت الأسر ونصف المال يصبرون به إلى شهر آخر فأخبر السلطان أنه كان يردفها ومنهم في
ذلك وشاور فقالوا إخواننا المؤمنون ورفقاؤنا المسلمون وقد كان لنا عذر ونحن لهم
مسلمون فتقبل السلطان تحصيله وتعجيله بجملته وتفصيله ۞

وانشانه في استيلاء الفرنج على عكا هذه الرسالة وبشرت بها كتبا فقد عرف امر
عكا وان العدو قصدها ورصدها ونزلها ونازلها وقابلها وقاتلها وبرك عليها بكلكله
وحفل عندها بجحفله وتواصلت اليها جموعه افواجا وجلب البحر نحوها على اثباجه امثال
امواجه امواجا وجاءت رابضة امامها ضاربة خيامها ملهية بها عرامها ملهبة فيها
ضرامها وانتهت المدة الى عامين كل عام يحمل مدود البحر من امدادهم بحارا ويرد
الماء باهل النار متبجحين من ماء الحديد الجامد نارا وتصل مراكبهم كانها الاعلام
السود والامواج ناشرة بيض اعلامها حاملة جبالها ماحلا لها مارجة امواجها باطلالها
وتنافس ملوكهم الباغية في الورود بنفوسها ونفايسها والوصول بما نفضت فيه
كنايسها مستخرجة مما يوجد لديها مستفرغة ذخايرها مكامنها موضعة ظعاين
مغانيها متبضعة مناع مناعيها مسرعة الى معاطن معاطبها وترد بقناطير اموالها
وجماهير رجالها ومساعير بطالها ومشاهير ابطالها وحدقون بها من بحرها وبرها ويخنقون
بين سحرها ونحرها ومازالوا يقاتلون ابراجها بابراج ويسومون زججتها بالازهاج ويرومون
علاج كرامها بامات الاعلاج ويقارعونها ليلا ونهارا ويلقمون افواه خنادقها حجارا و
ويناجونها بالسنة المجانيق الطوال ويطيرون اليها على جناح الحمام كتب الاجال ويكافحونها
تراعا ويدنون اليها للمضايقة خطارا وسباعا ويناطحونها بالكباش ويعاقرونها من جوانبهم و
جراباتهم بجراب الكباش وكلاب الهراش وحيات النهاش ويرمونها بكل منجنيق عظيم
الخلق كانه حامل على الطلق لا تلد الا امات الدواهي ولا تبدع الدرايي الدوايح اذا قابلته

غير الواهن الواهي ويقتل الله منهم العدد الدهم والجمع الجم ويهلك الوفاة يعود
نافوهم للمنون الوفا وقد تجاوزت عدة القتلى منهم في هذه المدة سوى من هلك
من المضايقة والشدة خمسين الفا قوله لا يشبع فيه المعتبر بالبيان ليتصفحه المجرد
بالعيان الى هذه السنة والحالة في تخفيف جمعهم وتفريق جمعهم جارية على الوتيرة
الحسنة واشتعلت في قلوب اهل النار البواعث وتجددت في الحادث وثاروا الثار
وزاروا الدار وانبرى ملكا افرنسيس وانكتير وملوك اخرون ودبروا احكامهم واحكموا
التدبير وجاءوا في مراكب بحرية ودهم بيتة وبطس حاملة زحمة واجروا في البحر منها السيول
وجروا من ذوات الشراع عليها الذيول وحملوا فيها الخيالة والخيول ووصلت كل قطعة
كانها قلعة وكل بطسة كانها تلعة وكل سفينة كانها مدينة وكل مجرة على سما البحر
بنجوم الرجوم مزينة واحدقت بالثغر من البر والبحر واحاطت بمركز الاسلام دايرة
الكفر واطافت منها الاسود بالاسوار والظلماء بالانوار ومنعت الداخل والخارج
وسدت على ناقل الميرة وحامل السلاح المولج والمناهج وزاحفوه بكل منجنيق كنيق
وكل برج وبتق وكل دبابة كانها دابة الارض التي تقوم عندها القيمة وكل سلم لا
ترجى معه السلامة وكل آلة آلت ان الفتح منها بالحتف واقسمت انها تقسم سهام سهامها
لذوي الحتف بالزحف هذا والعدو قد خف من جانبنا وعمق وسور وخندق وتدرع
باسواره وخنادقه وتستر عن طوارق البلاء بستايره وطوارقه فلا تخرج منه الى
معاركه ولا تدخل اليه لضيق مسالكه وهو متحصن متحجر مستقر متترس غاص على الهجم

عابر على الفحم لا تسحم سدة ولا تسلم جدة ولم تزل الحال له تتمادى والوقيعة وليد لها
لا يتمادى والمدى تتطاول والمدد تتواصل والقضية تترامى والرمية تتقاضى ومقاتلة
الثغر صابرون مصابرون مكابرون مضاربون فمن مستشهد غدا له الجرح ومن مستنجد عطله
القرح ومن دام بالجرح دائم عنه ومن نازع في القوس نازع منه ومن متعرض للموت خوف
حوف عار عارض ومن ناه عن السلم آمر بالحرب ناهض ومن ندب فيه ندوب ومن
ضرب فيه من أثر الضرب ضروب حتى ضج الحديد من قرع الحديد وبحت الشفار الماضية
وزند الوريد هذا وعدد المقاتلة في كل يوم ينقص وظل المصابرة يقلص والعدم يتمكن
من الموجود والقيام للانحياز في زي القعود وكاد البقاء يودع الباقين والمنون تلاقي
الملاقين فلم يشعروا إلا وبعض المقدمين المشهورين قد تأخر وتستر واستشعر الذعر
فتعذر وتحذر واستبدل الجبن من الشجاعة واستسهل العجز من الاستطاعة وقدم العصيان
على الطاعة وظن أنه لا نجاح إليه في العزيمة ولا نجاة إلا في الهزيمة وجنت أمثاله من
الجبناء وجمع إلى أمره جماعة من الأمراء فخرج بهم من الثغر فارا وذهب على وجهه
مارا ورهب فهرب وحسب فتحسب فاستضعف قلوب البقية استشعارا وأعدمهم عدم
قرار وقرارا لكنهم ثابوا إلى صبرهم وثبتوا على أمرهم ودفعوا مكر العدو بمكرهم وما
برحوا على مصابرة ومكابرة ومقارعة ومعانقة ومكافحة ومطاعنة ومناطحة وحملة
على الخنادق إلى أن طمت وزني في خرقها التراب ورمت وطرقها العدو بالسور إلى السور
وطرق الظلمة إلى النور وهجم على السنا بالديجور وكشف نقاب عروس البلد بالنقب واستعر

سعير الحرب حتى ثلم حمى الثغر وكلم حاميه وأشرفت مراميه وكثرت ندوب
نقوبه وكثرت خطاب خطوبه ودخل العدو في النقب فلم يجد للكون معه خلاصا بعد إلا
أو يجد مخرجا وتوغل على الباب فوجد باب الخلاص مرتجا وكان من أصحابنا قد سد الثغر
بنفسه ولقي الوحشة بأنسه وفارق أوصاله أهل الجنة أمثاله وأثبت في مستنقع الموت رجله
ولم تزل المقابلون يتسعون ويمشون ويعلقون ويحشون ويحرقون ويجمعون ويفرقون
حتى تساقطت الأبدان فعادت تلولا وتعانقت الأسياف فزادت فلولا وتكشفت الوجوه
لقبل الطعان وبردت بحرارة الدم قوائم اليمانية في الأيمان ودبت بمجالدة أجلاد
الشرك أيمان أجلاد الإيمان وأصحابنا لا يهولهم الهائل ولا يميلهم إلى الحذار المائل ولا
يزعجهم الخطب الوازع ولا يردعهم الرعب الرادع يواصلون بالقواطع ويتوقعون
على الوقائع ويردون بعزمهم الطالع ويقرون (يشدون) بحدهم الدارع إذا انتظموا مع العدو
نثروه وإذا نهضوا له أقعدوه وعثروه وإذا صعد إليهم حدروه وإذا بادر إليهم بدروه
وبددوه حتى أقاموا منه عوض أبدان السور أبدانا وكم تركوا على تلك المصارع من جانبها
جثمانا وما زالوا يفتكون ويقتلون وينهلون من ورد النجيع وينهلون ويصلون ويقطعون
ويشعبون ويصدعون ويكيلون بكيل المصاع ويجيبون للعمر الراحل داعي الوداع
ويتناجون بألسنة المناصل ويتقابلون بوجوه الصواقل ويتشاكون بكلام الكلام
ويتلاقون بسلام السلام ويتساقون بصحاف الصفاح ويتماشون براح الرماح ويتحلون
ضرب الضراب ويتجلون صحاف الصفاح من نقاب الرقاب إلى أن انتقل من السور

الجدارة

إلى الدور ومن الستائر إلى الستور ومن الطوارق إلى الطرق وإلى السطوح ومن المضايق
إلى الفسيح ومن المراقب إلى البروج حتى لم يبق من المجاهدين إلا سابك خوف وتارك
خوف وبقايا الطراح وردايا الطلائح قد نصلتهم المشرفيات وخاطتهم الخطيات ورشقتهم
القسي الفاسية ورشفتهم الظبى الظامية لا تنهض قوتهم من الكلول ولا تفرق ترسهم
من الفلول وقد شغلوا بسد تلك المضايق وردا أولئك الخلائق فما شعروا إلا وقد دخلت
من أقطارها وتوغلت من أسوارها وازدحم العدو في مشارعها وسبلها ودخل المدينة
على حين غفلة من أهلها ولما عرف العدو الداخل والعادي الواغل أن القوم مستقتلون
وللموت مستقبلون وأنه لا طاقة له بقتالهم ولا قوام له بطاقتهم وأنهم لا يسلمون
وهم يسلمون ولا يعفون وهم يعفون أعطاهم أمانا أخطر من المخافة ودخل على الإغارة
بأيمن الصيانة وعز أصحابنا بما بذلوه من الوسع وما لاقوا وما وهنوا لما أصابهم في سبيل
الله وما ضعفوا وما استكانوا ولا مرد لما فيه لله من المراد ولا منازع لحكمه في العباد
والبلاد وإن ذهبت مدينة فلم يذهب الدين وإن غاض معين ما غاض المعين وإن
ارتاب المبطلون فما فارق الحق اليقين وإن فتح المرتج فما فات المرتجى وإن ادلهم
الديجور فلا بد أن يسفر عن الصبح الدجى فلا يشمت عدو الإسلام بما جرى فعند
الصباح يحمد القوم السرى فصل من كتاب إلى قطب الدين بن نور الدين بن قرا ارسلان
قد أحاط المجلس بما حشده الكفر في هذه السنة من مدد ملوكه وكر على بلاد الإسلام
بإظلام ليل الكفر وحلوكه فالإسلام ينشد ظهيره والدين يطلب لكشف غمته من أنوار نوره

نوره وهذه عكا التي كنا عنها ندافع وعن ثغرها نمانع ونجري دماء الواردين في البحر
لقصدها في نحرها ونرد للردى عنها مكايد العداة في نحرها قد تمكن منها الكفر على كره من
الإسلام واحتاج من أيام إسلامها بعد أن صابر وصبر إلى الإسلام وكانت مودودة
فعادت مردودة وصارت مغصوبة بعد أن كانت عارية من الكفر مردودة وإذا أنكر
من خذلها وما أخذ لها وغاب عنها وما حضر فما علم أنها أسيرة إهماله وأخذه إغفاله
وحاشا أن يكون المجلس بالغيبة عنها راضيا وعن النجدة عند تحقق الحاجة إليها
متغاضيا وما بقي من الفرنج مع استيلائها على الموضع إلا أن يدفقوا في المطمح والمطمع
وقد عزمنا على المصاف وصدق صدمة الكافر بالحد الكافي الكاف والله كافل دينه
والمردي بكره أهل الكفر وما هذا أوان الونى بل هو زمان استفتاح المنى فات
العدو الجاد وقد آن أن يصحو ليل الهدى قد قرب أن يسفر ومن رسالة
أخرى في استدعاء مظفر الدين من اربل تشتمل على حادثة عكا ووصف الحال
الحادثة فيها قد علم ما دهم المسلمين من العدو الكافر والطاغية الحاشد الحاشر
وأنه ورد في البحر بكل من للكفر في البلاد والجزائر وما قصده إلا بيضة الإسلام
وحوزته وأن الله هو الذي تكفل بذلة أعدائه وعزته ولا شك أنه عرف ما تم
على عكا بعد ذبنا عنها في هاتين السنتين والمضايقة للفرنج ممن بعكا ومنا بين
الحصار وأنهم كلما دبروا أمرا دمرناه وكلما حققوا كيدا أبطلناه وكلما قدموا
منجنيقا أحرقناه وعطلناه وكلما ركبوا برجا أحرقناه وكلما كشفوا أبراجا خرقناه وكلما

أوقدوا نار الحرب أطفأها الله حتى لم يبق لمكرهم مكر ولا لكيدهم مجال ولم تتسق
في هذه المدة لهم حال وقتل منهم في دفعات زهاء خمسين ألف مقاتل من فارس
وراجل ولم نشك في استيعابهم بالردى وأن حزب الضلال تداركه حزب الهدى
وحسبنا أنهم بائدون فإذا هم زائدون وظننا أنهم هالكون فإذا هم في نهج القتال
سالكون وهم حطب نار الحرب وطعم الطعن والضرب وهم بذلوا أرواحهم على حب المقبرة
وحملوا الحتف المجهز لزعمهم أنهم يأتون بأمر المقدرة ولما دخلت هذه السنة أشفقنا
على من في عكا من الأصحاب والأجناد وقلنا هؤلاء قد بذلوا في الجهاد ما كان في وسعهم
من الاجتهاد ورأينا أن نجدد للبلد البدل وأن نسد ونسدد بمن يستأنفه الخلل
والخلل وكان فيه أكثر من عشرة آلاف رجل من كل ذمر منيح وكمي بطل فخرج هؤلاء
ولم يدخل إليه مثل تلك العدة ولم يكن أيضا من دخل بذلك الجد وبتلك الشدة
فإن البحر قبل استكمالها منع راكبه وحمى جانبه ووصل العدو وعجل مراكبه
فاكتفى البلد بمن فيه وما فيه كفاية واتكل على الله تعالى الذي عصمته من كل
واقعة وقاية وجاءت ملوك الفرنج خلاف كل عام في جد واعتزام وحد واهتمام و
جمع لهام ونار تعجلها العدو من جهته وضرام وغرام بالواقعة وغرام واحتدام
للحادثة واحتدام وبأس وإقدام ونابن وأقوام وحشد ملأت به سفنها وأخلت
منه مدنها ووصل ملكا افرنسيس وانكتير وتداخلا وأجلبا بخيلهما ورجلهما وأناخا
بكلكل كلهما وبركا بثقلهما وزحفا بجدهما وجهلهما ووافيا بكل برج وبثق وكل منجنيق

كبش وكل آلة هائلة للبلاء حاملة ونصبوا المنة عشر منجنيقا على موضع واحد و
أهبطوا أحجارات السور بكل حجر صاعد وباشروا الباشورة بالهدم والخندق بالطم
والسور بالنقب والثلم وخرج من نقابي البلد من ابتدع عن الدين وأعان نقابي الملاعين
حتى وقعت أبدان السور وأبراجه وتبادر إلى الثغر أعلام الكفر وأعلاجه وأصحابنا
مع ذلك ثابتون ناكبون كأنهم يتوقعون بيد وأتلك الثغر بنفوسهم وجعلوا أحجارات
الفرنج وجراحاتهم مغافر رؤوسهم وكشفوا وجوههم لقبل السهام وتلقوا من وقع بيضها
بحمر اللثام ثم شف شفاه الشفار دماءهم ونشكر ملائكة السماء سماحهم بالمهج
وسخاءهم كلما انتظموا مع العدو وانتثروا وكلما نهضوا لنقله عثروا وكلما طلع إليهم
ردوه بعزمهم وكلما اجتمع بهم فرقوه بطعنهم وضربهم وهم يواقعون ويواقحون
ويكافحون ويلاحون وكل قد وقف في موقف الكرام وسل نصله وأثبت في مستنقع
الموت رجله وودع بجنته في لقاء أهل النار أهله ثم خانهم بعض الأمراء الجبناء وأخذ
للحيوة بترك الحياء وفر من البلاء إلى البلاء وحسب النجاة في النجاء وهرب في بركوس
قد أعده لذلك اليوم وآثر على جراح السيف جراح السب والذم واستصحب أمثاله
واستتبع والعدو في فراره وأبدع وأضعف بضعف قلبه قلوب الباقين وأطمع
أفاعي الكفر في نهش الراقين على أن الأصحاب ما أذنوا بالإصحاب ولم يقابلوا الضراب
بالاضطراب وما زالوا يواصلون بالقواطع ولا يرتاعون للروايع ولا يرمون مقام
المقارع ويطالبون من الأرواح بالودايع حتى انتقل القتال من السور إلى الدور

ومن القوارع الى الشوارع ودخل العدو المدينة على سلم بالحرب شبيهة وامن اخوف
واخطر من كريهة وتطبيعة تطبعه كل رتبة لها مستطيعة ولولا ما اتفق بعد قضا الله غير ص
من الاسباب الموهنة لم تكن عكا بالممكنة للعدو ولا المذعنة وان ذهبت المدينة
فالدين لم يذهب وان عطبت فالاسلام لم يعطب وان ملكت واختلت فما اختل الملك
وان سلكت ووهنت فما وهي السلك وانما نبه الله بها العزايم الراقدة واحرى
الهمم الراكدة وبعث الحميات الناعسة وحرك النخوات المتنافسة وكما اظهر عجزها
عن قدرته وقدره سيظهر عزنا بنصرته وظفره ونحن الى الآن كما كنا محدقون بخنا دقهم
آخذون بمخانقهم نوسعهم الردى في مضايقهم ونجزيهم كل يوم الى مصارعهم ونكدر
بعلق نجيعهم صفو مشارعهم ومشارعهم فما خرج منهم من دخل وما انقطع الامر بل
وما اصحر الامن بدبة عرينه وعرسه ولا برز الا من واراه من بطون الخوامع رمسه
فهم مقيمون لا يريمون مخيمهم ولا يرومون ان يهجروا مخيمهم وما انسوا بمرابض
المضارب الا لفزعهم من مضارب القواضب وهم مع ذلك يرجفون تارة بالخروج
الى المصاف وآونة بالنهوض الى بعض الاطراف ونحن على القصد ان شا الله دمارهم
المعجل وبوارهم المومل فانا بمعزل منهم ان توجهوا او نواجههم ان اعترضوا و
نعترضهم ان نهضوا ونثبرهم للموت ان ربطوا وربما غرهم عكا فطمعوا واتفقوا على
المصاف واجتمعوا ووقعوا على نار الحرب وقوع الفراش وتعرضوا لمصارع امثالهم والترك
لهم وتبسوا الفراش فان برز العدو فالمنون له بالمرصاد والعزايم له مناجزة والعساكر

الاستلامة اليه وعليه راجفة جائرة والمجلس اولى من ينحي ويحمي والى هذا المرام الملهم
من نهر الكفر يومي وينتمي ويصل بجمعه اللهام ويجره الملتهب المضطرم وبحره المحتد
المحتدم توالت العدى السابقات البسالك ما دار الوغى بسبايك الظبى احاص الحاصد بجد ود
الشفار وسنابك الطلى وهو لا شك ينهض ويستنهض من وراه ويستبد عني اذا ناداه
اجابه وجاه. **ذكر لطف من الله خفي خفي** كان السلطان قبل استيلاء
الفرنج على عكا بسنة قد عمل ترجمة تفرد بها القاضي ابن قريش لمكاتبة الاصحاب لتكتب
بها اليهم ويعودوا بها الجواب فلم تبق المكاتبة ابتداء وجوابا بخطي وخرج قلم عكا في الكتابة
عن شرطي فقلت لاصحابي ما صرف الله قلمي عن عكا الا وفي علمه ان الكفر اليها يعود
وان النحوس تحلها وترحل عنها السعود واستعاذتي بالله من استعاذتها وردها الى
شقاوتها بعد سعادتها وقد عصم الله قلمي وكلمي ان تشم مخايل الطافه من شيمي
وهذا قلم جمعت به اشتات العلوم مدة عمري وما اجراه الله الا باجري
فالحمد لله الذي صانه وعظم شانه وما ضيع احسانه وهو للفقه والفتيا ومصالح
الدين في الدنيا وما عرف الا بعرف وما صرف الا عن صرف وما سفارته الا في نجح
وما اسفاره الا عن صبح وما تجارته الا الربح فهو يمين الدولة وامينها ومعين الملة
بل معينها بمداده تستمد امدادها وتستمد سدادها للثغور سدادها وبدواته دوا المعضلات
وبعقده حل المشكلات وبخطه حط عوادي الخطوب وبنقطه نقط هوادي القطوب
وبنو به برؤوا الامراض وبدرره درر الاعراض وبدرته ابتدار عقود العقول وبدراية ابتسامه

الإقبال والقبول وجريه جري الجياد للجهاد وسعيه سعي الأمجاد للأنجاد و
تحركه سكون الدهماء وسكونه ركون الرجاء فما كان الله ليضيعه في صون ما
يصونه وعون ما لا يعينه فخفت على عكا من وقوف بلى عنها وكان قد ألهمني الله فإنه
صانه ولم يصنها وشكرت الله على هذه اللطيفة والعارفة الطريفة ذكر
ما جرت الحال عليه بعد استيلاء الفرنج على عكا من الوقائع وفي يوم الخميس انسلاخ
جمادى الآخرة خرج الفرنج من جانب البحر بالعدة الوافرة وانتشروا بالمرج إلى الآبار
التي كان حفرها العسكر فضربت الكوس السلطانية فثار العسكر وقام المحشر وأنهض السلطان
إلى اليزك من قواه وأتبعه بمدد تلاه وقد طار غراب الغبار وتبرقعت بالنقع عرائس الصعاد
وشبت الوغى بكل شبوب تمانع سوى فارسها وكابها وتعمر الشمس من نسج جاريها نقابا فهي في غيب
كالقواضب يردون القواضب وطوالع من الغروب يعدون في الغوارب غوارب وحماة على
أبطال الباطل حماة الحق وردوا الكفر بذلك الخرق المتسع متسع الخرق والهزم الفرنج
فجالت العرب دونهم وحالت بينهم وبين أسوارهم وأحاطت عليهم سنونهم وصرعوا
زهاء خمسين رجلا كرة وأعلبهم بكابيات المنون نهلا وعللا وردا وهم إلى مراكزهم
ولم يبق لقادمهم فضل على عاجزهم ثم كر الفرنج على المسلمين كرة عظيمة كادت
تحدث هزيمة فوقف أصحابنا وثبتوا لهم وثبتوا واشتعلوا نار الحديد وألهبوا ونظموهم
بالقنا ونثروهم بالظبى وفرشوا أبدانهم فتلى على الترب واحتبت سيوفهم بالأعناق والطلى
وخلت من حيوة العدى الحبا ودخل القوم إلى خنادقهم ووقعوا وراء أسوارهم بالنار

عثراتهم وآثار عثارهم وانتصف الإسلام من الكفر في ذلك اليوم بعض الانتصاف وأخذ
بيد النصر على المصافاة بمصافحة المصاف وفي يوم الجمعة ثامن رجب جاءت الرسل
في تقرير القطيعة المقررة بخلاص الجماعة المستأسرة وأخبروا أن ملك افرنسيس صار
إلى صور وترتب الدول نائبه وولاة الأمور وأنه قد عزم على العود إلى بلاده بعدما
جرى الأمر بعكا على مراده وأنه وكل المركيس في قبض نصيبه ورضي بتدبيره ونيته
فأنهض السلطان نائبه ورآه رسولا يتحقق ما يليق به ويستخرج ضمائره فيما هو من أربه
ونقل خيمته يوم السبت العاشر إلى تل بازاء شفرعم وراء التل الذي كان عليه
نازلا وخلى الموضع الذي حله وخلا الذي أحلاه عاطلا وما زالت الرسل تتردد
والرسالات تتجدد والآراء والآراب تجتمع وتتبدد ذخر أحضر مائة ألف دينار و
الأسارى المطلوبين وصليب الصلبوت ليوصل ذلك كله إلى الفرنج في الأجل المضروب
والوقت الموقوت ووقع الخلف في كيفية التسليم وكيف يحصل الوثوق بالكفار مع
تحمل هذا المغرم فقال السلطان أسلمه إليكم على أن تطلقوا أصحابنا أجمعين وتأخذوا
بباقي المال على سبيل الرهان قوما معينين فأبوا إلا أخذ الجميع في الزمان السريع والوثوق
بأمانهم وأماناتهم والتفويض في أصحابنا إلى خيرتهم فقلنا لهم يضمنكم الداوية فما
دخلوا في الضمان وساء فيهم ظن السلطان وقال إذا سلم إليهم من غير شرط الاحتياط
عليهم كان رزيته على الإسلام غبن عظيم وعار إلى الأبد مقيم فلو اتفقنا خلاص أصحابنا
وعرفنا نجاتهم انتظام أسبابنا سمحنا لهم في الحال بصليب الصلبوت والأسارى والمال

وبقي الامر واقفا الى ان انقضى الاجل وانتهى النجم الاول وجاء الرسل وابصروا الاسارى حضرا والمال موزونا موفرا وظنوا ان صليب الصلبوت قد ارسل الى دار الخلافة فليس له وجود فسألوا احضاره وهم شهود فلما احضر خروا له ساجدين واقروا به شاهدين وعرفوا ان الشرط بالوفاء معروف وان الاداء لخلاص اسارانا مرهون وظهرت علامات مكرهم ولاحت امارات غدرهم ه وفي يوم الاربعاء الحادي والعشرين من رجب اخرج الفرنج الى ظاهر المرج خياما ضربوها وقبابا نصبوها وخرج ملك الانكتير الى خيمته ومعه خلق من خياله ورجالته

ذكر غدر ملك الانكتير وقتل المسلمين المأخوذين بعكا

وفي عصر يوم الثلثاء سادس عشري رجب ركبت الفرنجية باسرها وخرجت من مستقرها وسارت بخيلها ورجلها ومحافلها وجحفلها وجاءت الى المرج الذي بين تل العياضية وتل كيسان ونفذ اليزكية من اخبر السلطان وركبت العساكر نحوها متسابقة متلاحقة وشامت صوارم بارقة وعزائم صادقة وكان الملاعين قد احضروا اسارى المسلمين في الحبال واقفين وحملوا عليهم وقتلوهم باجمعهم و القوهم على مصرعهم فحمل عليهم العسكر وهاجمهم وضرب بامواجه امواجهم وقتل منهم خلقا واوسع فيهم خرقا واستشهد منا كردي جندي وبدوي وكلاهما من الموصوفين بالشجاعة وهو من ماء الرحمة على الكوثر وردي فلما انصرف العدو الى خيامه واركد الروع بمثار قتامه شوهد المستشهدون بالعراء عريا وانما عروا ليكتسوا من حلل الجنان التي اكرمهم الله بها وشيا ومضى الناس اليهم فعرفوا معارفهم

ووصفوا في سبيل الله مواقفهم وما اكرمهم رجالا واحسنهم في الشهادة والسعادة حالا ولما غدر الفرنج لسفك الدماء وهتك ستر الوفاء تصرف السلطان في ذلك المال وبسط فيه يد النوال واعاد اسارى الفرنج الى دمشق لتعاد الى اربابها و ترجع الى ايدي اصحابها فانهم كانوا جمعوا من اهل البلد للحاجة اليهم فلما استغنى عنهم ردوا عليهم واعيد الصليب الى الخزانة لا للاعزاز بل للاهانة فان غيظ الكفار لحفظنا الصليب شديد والمصاب به عندهم على مر الجديد جديد وقد بذل فيه الروم ثم الكرج بذولا وانفذوا بعد رسول رسولا فما وجدوا قبولا ولا صادفوا سولا وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب قوضت الفرنج خيمها وعبرت النهر وقاربت البحر وضربت بينهما الخيام وابنت من الرماح المركوزة على سباعها وضباعها الاجام فقيل للسلطان ما حركة القوم الا لقصد عسقلان فجاشت همومه وعب عبابه فاجمع بناديه لاجالة قداح الراي اصحابه ونبه نجابه وصحح حسابه وحكم فاحكم وروى فابرم واستشار واشار واستثار واثار واستورى زناد الاراء واشترى مراد الامراء وقال هذا العدو طغى واستكبر واضحى له الافق فافاق واصحى وتحرك بعد سكونه وظهر بعد كمونه وغرته عكا فطمع في عسقلان واستدق جانبنا الخشن الشديد عليه واستلان وهذه جموعه بارزة وكعوبه راكزة وغواربه بادية وثوراته عادية ونكراته معروفة وغدراته موصوفة وكنا نقول اذا برز نبارزه واذا خرج نناجزه واذا فارق مكانه نتمكن من تفريقه واذا ركب الطريق

نركب الى طريقه واذا توجه الى موضع اوضعنا الى مواجهته واغرينا الالسنة الاسنة
بمشافهته ومسافهته والان الان الله لنا الشديد وادنى علينا البعيد واخرج العدو
من الضيق الى السعة وابرزه من وراء الاسوار والخنادق الممتنعة وان لم نلقه في طريق
مسيره ونجد في التدبير الى تدميره وصل الى عسقلان نصار لنا منها شغل عكا واهمنا
وحينئذ شغب وصدعها بنا لا يشعب فقالوا هو يسير بالبحر محتميا وعن النهج منثنيا
ونقصد الساحل الساحل ونقصر المراحل والذي على الساحل في الطريق اما اكام
وغياض علقة متناشبة واما رمال وتلال ضيقة متكبة وهناك مواضع يمكن مضايقته
على المضايق ومواقعته بالعوايق فقدم السلطان الى علم الدين سليمان بن جندر وامير
من اهل الخبرة آخر بالمسير الى تلك المناهج ومشاهدة ما لها من المخالج والمولج وكشف
المواضع التي يلقى فيها العدو ونومل بما نأمله فيها من الله النصر المرجو فسارا ينقصان
تلك المسالك ويكشفان الاماكن التي تكون معارك ونجد بها لمبادر المرام مبارك وللمدار
المراد مدارك وعادا وقد ظفرا ببقاع وبقاع وعثا على اماكن ومكامن ومواطي ومواطن
ووقع الاجماع على الاجماع على اللقاء والقراع في مذاهب نعتت ومسارب بيتت
وسهول عينت ومروت وصفت وصمم العزم على ان الفرنج اذا ساروا سرنا على عراضهم
واستقصا جدد الجد في اعتراضهم واعتراضهم **ذكر رحيل الفرنج صوب عسقلان ورحيلنا
للقائهم** وفي بكرة الاحد غرة شعبان اضرم الفرنج في منازلهم النيران واصبحوا على الرحيل
والاصوات مختلطة بالصهيل والارض مضطربة والسماء محتجبة والقباب تقوض والاحاب

سفض والحقاب تنتثل والهضاب تنقل والذباب تعسل والزغف تفاض والحتف
تخاض والخيل تسرج والسبل تمرح وذوايب الذوابل تنشر وانياب النوايب تكشر
ولواء الاداء يعقد وضرام الضراء يوقد والبيارق تخفق والبوارق تأتلق والبرق
د ووالجو جو وللحديد تبرج وللعديد تموج وقد ثارت الجواء وفارت الجاوا واورد
الاضواء ورجت الضوضاء وسال الوادي وعرت العوادي وسار الاعادي وعلم
السلطان بتدبيرهم وعرف مسيرهم ورعدت كوساته وغردت بوقاته وصاحت طبوله
وساحت سيوله وانسحبت ذيوله واصحبت خيوله وبرقت لوامعه واشرقت طوالعه
ومضت عزايمه ومضت صوارمه وحلقت بالعقبان الى مطار مطارده ونا لقت
الخرصان في معانقة معاقده وسارت ارضه جردا سواهم وسماء نسج الجوامع بحار
سوابح تموج على شكايمها اللعاب وغدران سوابغ كالزلال لمعة الحباب ومحمر ملتهب
الجوانب مشتعل القواضب وقب معقودة السبايب وعرب ملوية العمايم
بالشهب ملوثة البرود بالقضب وترك كالاقمار في هالات التروك ومماليك
في حالات الملوك عتاق الوجوه على الوجيهات العتاق قد خلقوا للثبات مع
تلق الاخلاق واعاجم على العراب هضاب على الهضاب وكرد يحبون الروع
يحبين ويقباب الليل مستقصين في مسرودة الحلق مسرودة الحدق يقهقهون عنها
اللهاذم ويقهقه اذا افلت بها الصوارم وجيش يصيب ولا يصاب ويعيب الاقران ولا
يعاب من كل ناصر الحق صامر على السبق حامل للنقع راقع للخرق فاتق للرتق راتق

للفتو مغنو الى الضرب ضارب للعنق وفيلق نلق الهام وجحفل ملتهم للجحفل اللهام
حوى كل اغلب عبل الذراع واشم رحب الباع خواض الكتايب فياض القواضب رواض
الرعان نضاض السنان مغوار العنان فرار الجبان قابض الخيل ذايد السبيل رايد الليل
وهاجت العساكر وماجت الزواخر وزارت القساور وازهرت الزواهر وتناوحت
جذبات الحديد وعذبات الحرير واشتبه سهك الماذى بعبق العبير وكانت نوبة
اليزك في ذلك اليوم للملك الافضل وهو في جحفله بدور ليل القسطل و
شموس يوم المحفل فوقف لهم وثقفا ثرهم والهبهم بنيران النصال واشعرهم
وقطع طريقهم وقصد فريقهم وسطا على اوساطهم ونادى يا لثارات فانقطعت
اواخرهم عن اوايلهم وسدد سهام المنون الى مقاتلهم وارهق اليهم الاجل واحرق
عليهم العجل ولم تزحزحهم الوجل والهزم من تقدم ولحق الاول وتعلس من تأخر
ولحق الخذل والخزل واوقدنا نارا على اهلها مشتعلة ونفذ الى والده يستنجده حتى يسرع
اليه مدده ويقول ان امددت بالف ما ابقيت من هولاء واحدا ومتى يتفق
مثل هذه الفرصة لوارى لي مساعدا وترددت الى السلطان رسل استنجاده و
استمداده وهو متحقق انه لو ساعده القدر بالقدرة لمرى در النصر على مراده
فسار من كان حاضرا من العسكر على قصد انجاده واسعاده ثم قيل للسلطان ما كنا
ركبنا بنية المصاف في هذه المرحلة والناس قد سبقوا الى المنزلة وهنالك عند
تسارية الحرب امكن والقلب في انتهاز الفرصة اسكن وابطاوا على الافراخ فاذن

روع الفرنج بالافراخ وعرف ملك الانكتير بما تم على ساقته وان الذى وراه في عاقته
نضرب عنانه وصرف عناده وعاد عادى الحماية يحمى بامداده والملك الافضل قد
بذل وسعه واوضح في الحد شرعه وقل من وصلت اليه يده ولقد كان يضعف اعداد
الاعداء لو تضاعف عدده وبقى يتلهف على ما فاته من الفرصة واعوزه من حصة
تلك الحصة وقد انهاض بانتهاضه جناح الكفر وكاد يفتح بانجاحه رتاج النجاح في النصر
ومن جملة من كان مع الملك الافضل من خواص الامرا والمماليك سيف الدين يازكوج
وعز الدين جرديك واتفق قولهم على ان العدو كان قد انكسر وتبدد شمله وتشردانه
لو اتصل بهم مدد لم يبق من الاعداء احد ونزلنا تلك الليلة بالعيون وعلى الساقة
المنصورة لحفظ الاثقال لتوفرعلى ما تخلف فيها من العدو الغارة علم الدين سليمان وحسام
الدين بشاره ورحلنا يوم الاثنين ثانى شعبان ونزلنا بقرية يقال لها الصاعين وبتنا
بمنزلة يقال لها عيون الاساود وامر السلطان للمشورة بحضور اوليايه وامرايه
الاماجد الاجاود والفرنج لما وصلوا الى حيفا نزلوا ووصل اليهم الجيف وساقتهم
السيف وخلصوا من نواجذ النصال وانياب النبال اقاموا بها حتى يندمل جرحهم
ويستريح طليحهم ويذهب بعد الركود ريحهم وركب السلطان الى الملاحة وهى بعد
حيفا منزلة القوم وكشف ما حولها بالحوم وعرف عليهم منها مهلك وهلك بصائبهم
مقتل ثم عاد الى منزلته واقام بها يوم الثلثاء وسير الاثقال الى مجدل يابا ليلة الاربعا
واصبح راحلا فما حل حياه بارض الا احيا ما حلا ونزل على النهر الذى يجرى الى قيسارية

للقا البقيع صح

وعسقلون فذلك بطش تلك البرية وكان العدو قد تحول إلى الملاحة ومكث بها للاستراحة
وأقام السلطان بتلك الناحية يتحول من رابية إلى رابية ويوسف يخصه وجنته كالعرية
نابية وأتى مرارا بأسارى خطفوا من مواقفهم وتخطفوا من منابتهم وطرق الأنكاد إلى
نوائب نوابتهم وأمر بإراقة دمائهم وإطاحة رؤوسهم وأخبر بعض الأسارى أنهم يوم
رحلوا وصلوا إلى حيفا حيارى وطرح منهم وجرح كثير سوى من أخذ فهو الآن أسير
وهلكت بين عكا وحيفا أربعمائة فرس ونحوا أسكم بأنفسهم على آخر نفس ولو أنكم كنتم
كسبتم وأعربتموهم من الحيوة لو أنكم بهم البتستم **فصل من كتاب إلى**
مظفر الدين بذكر ما جرى بعد الرحيل من عكا إلى هذه الغاية ولا سيما غايته ولما فرغ العدو
من شغل عكا حسب أن كل بيضاء شحمة وأن كل سوداء تمرة ورحل على صوب حيفا
وانتقل في حيفه بأجنا عن حتفه بظلفه زاعما أنه على قصد عسقلان خذله الله وخيبه
في قصده وزعمه وهو حامل منا على صدره ورغمه وكان رحيلهم مستهل شعبان
ملك انكلتير قائدهم إلى البوار وإقدا لهم النار إلى الثار وقد لقيناهم من بوائق
بوائق التبار وقد رحلنا في عراضهم لاعتراضهم وتعتبرهم في طريق انتهاضهم ولقوا
يوم رحيلهم من اليزكية التركية كل نكاية فيهم شديدة وكل روعة لهم مبيدة
فإنهم قطعوا ساقة العدو وعن اللحاق بمقدمته وفلوا عن الحدة في الحركة حد عزمته
وقتلوا خيلا وخيالة وفوارس ورجالة وقدروا وتمكنوا وجرحوا وأثخنوا ونهبوا وسلبوا
وأخذوا دوابا قطعوها وقذوا نفوسا فلعوها وغنموا الأمتعة والأسلحة وحصوا من

الاحقين لهم قوادم وأجنحة ونزلوا على نهر حيفا وقد تم عليهم الحيف وتحكم في كلمهم
السيف وأقاموا إلى هذه الغاية لمداواة جرحاهم ومواراة طرحاهم وإراحة طلحهم
وإثارة ما ركد من ريحهم وقد رحلنا وسبقناهم إلى طريقهم عازمين على تبديدهم و
وتفريقهم وتشتيتهم أيدي سبا وتمزيقهم فقد تمكنت بتأييد الله أيدي الأيد
من سبيهم وقتلهم والله يجمع شملنا لتفريق شملهم وما نجدده الله لنا بعد هذا اليوم من
غنيمة الأولياء نبادر بمبشراه إلى المجلس ليقوي في نصرتنا عزيمته وتنشيم بارق التوفيق
في موافقتنا شيمته ويروض موات الآمال سحائب أوان الديمة الربيعية ديمته وتعلو في سوق
رواجه من الدين ما ظن أنه رخصت قيمته وكيف لا يأخذ ذلك الكريم بثار الإسلام
وقد سبيت من عكا كريمته وإذا تأمل عرف أن الخطب عظيم وما يدفعه إلا
العظيم والهم عظيم وما يدفعه إلا بأسه المقعد المقيم وسيقضي دين هذا الدين الغريم
الزعيم **وقعة قيسارية** وفي غدوة الاثنين تاسع شعبان جاءنا من
أخبر السلطان برحيل الفرنج وأنهم سائرون ثائرون وعلى أجنحة الجرد طائرون ورحل
رجالتهم بخيلهم دائرون وهم في جمع لهام وقد انقسموا ثلاثة أقسام كل قسم راجله
بخيله محفوظ وبأعين القسمين الآخرين ملحوظ وكان السلطان يقدم من الليل بركوب
الخيل فركب في كل خواض للغمرات نهاض بالعزمات رواض للجامحات نهاض بالجانحات
ملتثم مع اللثم بالنقع والدجى ملتحف لولا الروع بالحلم والحجى مقتحم في حومة الوغى
مضطرم بجمرة الظبي على بارع يقلن الردى على صهواتها وصواهل يقذفن الحمام من

صح
والاعوانا وا

لهواتها ويكشف الظلام بجباهها ويباري الصفاح بصفحاتها وتعاسل الرماح بأعناقها وطلالها
وفيهم من رجال الحلقة المنصورة كل سابق على المتون على سابق وكل ناتق إلى المارق
مارق وكل طائر في الغبار على سابح وكل غائص بالنجيع صالح في عراب متمطية بالعراب
ورقاق متخطية إلى الرقاب وسار العدو وسرنا بسيره وسايرناه ونجري عليه ونجاريه
والجاليشية تري وترمي وتنهم وتنهي وطيور السهام تنقض من الأحداق أوكارها و
الأوتار تنشد بالأرنان أوتارها وهم في لباس حديد ساتر على السهام النافذة واشتكى النشاب
فيهم فاستبهموا ثقافة وكانت هناك بركة كبيرة ومياهها غزيرة وهم على عزم ورودها
والإحاطة بحدودها فحلأناهم عنها وأبعدناهم منها وكان الحزم تركهم حتى يخرجوا إلى الفضاء
فيدخلوا من تمكيننا منهم تحت حكم القضاء لكنهم ارتابوا وارتاعوا وطلبوا النزول بها فما
استطاعوا فانحرفوا إلى الساحل وانصرفوا بالفارس والراجل واجتمعوا سايرين وساروا
مجتمعين ومازلنا نلزهم ونهزهم ونجتزهم حتى تمت مرحلتهم وعمت مقتلتهم وشملت
الصفاح وتحطمت الرماح وأجرت الأنهار الجراح وجرى بالأرواح السماح (الأشباح) وحضر السلطان
مع الجاليشية باح الإرادة بأنح المشية ونزلوا على نهر يقال له نهر القصب وبدا انصبوا
إلى النصب وما كانوا يرجون وما كادوا ينجون ولما نزلت بهم في مسيرهم النوازل نزلوا وحين
ولبثهم بصالنا ومناصلنا انعزلوا **مقتل اياز الطويل** واستشهد في ذلك اليوم
الهمام المقدام الأسد الضرغام الطاعن الضارب الباسل السالب الغضنفر المرابض
الفارس الغابر اياز الطويل وطالما عرض نفسه في الشهادة وتقدم إقدام الساعي إلى

السعادة وكان إلى الصرخ أسمع مستجيب ولغطاريف النقع أسرع مثيب وإلى ضيف الحمام أسبق
متلقف ولسيف الإقدام أرشق منقلب لا يروعه الروع إذا حقت نهزته ولا يهوله الهول
إذا همت همته وهو أول من يركب وآخر من ينزل ويدبر سواه وهو يقبل ويسابق
المضمار ولا يمهل وهو أبدا يدعو إلى المبارزة ويبعد وإلى المناجزة ويقف بين الصفين
على صافنه ويرجل على مطايا الحنايا من نبات كنانته إلى مقاتل المقاتلين طعان
صغائنه فما برز إليه إلا من برزت إليه منونه وقامت بالدم عيونه فكم كف
للكفر كفها وبكر للنصر زفها وأنف للشرك جدعه وذي أنف للفتك صرعه ولبنة
للغضنفر ضجت لثعالب رماحه وطلبة للمتغشم طنت بها ذبابة صفاحه و
أجفان الأقران تنبت فيها أهداب سهامه ووجوه الشجعان تفصلت في حبات حسامه
فلما جاء الأجل ما أجل ولكن إلى الجنة به عجل فإن حصانه خانه وما صانه تعثر به
في حالة الإقدام وخلى نسره في هالة الحمام ولم يخف لثقل الحديد للقيام وطعن
ضرب وأتاه من الكفر ثم يكيسبيله ولما أدركنا القوم وقد فات وراق في عليين الحياة
في سبيل الله لا الأموات ونزلنا نحن بعد انقضاء الحرب على البركة شديدي الشوكة
حديدي الشكة ثم رحلنا ونزلنا على أعلى نهر القصب في أوله وهو الذي نزل العدو
في أسفله فتقاربت بيننا في تلك الليلة المسافة وعندنا الأمن وعند العدو المخافة
ولما أصبح السلطان يوم الثلثاء ثبت على الثبات والهدو ينتظر ما يكون من خبر
العدو وأقام الفرنج على حالهم لتعبهم وكلالهم ولأسباب سنهاج لحاتهم عدموا امنها

قرب ٢

منهاج رجالهم وكذلك مالهم من رعب الهلاك والاشتراك في الارتباك **وقعة**
لعز الدين ابن المقدم وكان عز الدين ابن المقدم في ساقة اليزك مستيقظا للحفظ
والدرك فبصر بجماعة من الفرنج مقبلين ركبوا بغير عدة مسترسلين وللاخبار عنا كونا
مستترين وهم تماثم عليهم غير متخوفين فعبر اليهم النهر من ورائهم واستظهر
عليهم في لقائهم فقتل منهم عدة ولقي منهم شدة واسر ثلاثة قبل ان ينالوا اغاثة
ثم ركب الفرنج اليه وحملوا عليه وكانت وقعة عظيمة جلبت لنا غنيمة وعليهم هزيمة
واحضر الاسارى عند السلطان بخزام الذل والهوان فاخبروا انه خرج بالاسر الف
وسرت فيهم ومن وضعف وتجري عليهم امر عظيم ولا مقعد لمقيم ورحلنا وقت
الظهر وعبرنا شعرا ارسوف في الطريق الوعر ونزلنا وقت غروب الشمس بعد الخروج
من تلك المذاهب على قرية يقال لها دير الراهب ومضى السلطان جريدة الى قرب ارسوف
واجال هناك الوقوف حتى راى ارضا في طريق العدو تصلح للقائه واحتراز به من
امامه ووراءه واقام يوم الاربعاء في ذلك المنزل والعدو في منزله الاول **ذكر**
اجتماع الملك العادل وملك الانكتير كان في اليزك علم الدين سليمان جندر وقد
ظهر فيه واستظهر فراسله العدو على ان يتحدث مع الملك العادل ويجتمع به وينزل
على اربه ويعرب عن مطلبه فاجتمعا يوم الخميس على النابس ثم تحدثا في الحوادث وعوادي
الحروب العوايث وان السلم متعينة والسلامة فيها متبينة والمصالحة مصلحة والفائدة
مترجحة قال وما جينا الا لاصراخ اهل الساحل فوقعنا في الشغل الشاغل فان اصلحتموهم

واصلحتم استرحنا واسترحتم فقال له الملك العادل ما الذي فيه تجاوز وله تحاول
فقال رد البلاد وسلوك مسلك الاسعاف والاسعاد فقال العادل هذا لا مطمع
فيه وهذا رسم باطل حقنا معقبه ودون رده ورد البلاد جدود الجلاد وخلط القنا ورد
خرط القتاد وصرف عنان صرف العناء الى المنصرفين بالعناد وادركه حلم الحمية والحفيظة
وغلام حلم غيرته في الكلمات الغليظة وكان الترجمان بينهما هنفرى بن هنفرى
فلما سمع ملك الانكتير ما راعه ما استطاع سماعه وثار ثورة المحنق وال اجتماعهما
الى التفرق **وقعة ارسوف** لما عرف السلطان من جهة الملك العادل
ما جرى بينه وبين ذلك الطاغية وانه مصر على المباغي الباغية جمع يوم الجمعة وقت
الاصباح الاصحاب من استدعاه ممن غاب وامر برحيل الاثقال واقام في رعيل الرجال
وركب في عجم الجاب وعرب على عراب وكرد على جرد وكل سابق ورد على سابق ورد
على خيل من سماتها آثار الطعن وعلى جباهها انوار اليمن باكباد غلاظ على العدى ورقاق
حداد على الطلى ونبال مصمية لمنازل الصم ورماح لدن لها ضغم الضيغم المقلم فاقام
العدو بسواد نومه ببياض يومه وبات وقد فاز بحفظه عن ان افضله ونومه فلما اسفر
صباح السبت رابع عشر شعبان ركب العدو على صوب ارسوف وقد ضم الرجال والفرسان
وهو سائر في لباس حالك وسبيل سالك وضل مالك وحزب الشيطان وحزب الايمان واصحاب
الجحيم واقطاب الضلال البهيم وخطاب الخطوب وارباب الذنوب وكماة الكفاح وصفات وصفاة ط
الصفاح واجناس الفارذة وانجاس الداوية وارجاس الاسبتارية وكل عراز غيان وافعوان

معتقل أفعوان وكل أرقم في جلد أرقم وكل أزرق اشتق أدهم فاحترقت لهم أحلاف
عساكرنا أحداق النار بالحلفاء ونقلت نسور ضوامرها الأرض إلى السماء وخاضت
الغمرات وأفاضت الجمرات وأفاضت المهجات وشبت نيران الهنديات واهتزت رماح
الخطيات والهبت شعل اليمانية والتهبت بها مقل الفرنجية وجالت عليهم في الملابس
الترك على الأكاديش وأحدقت سهامها كالأهداب بالأحداق وبرزت بيضها للمعانقة
الأعناق ولمع شرر النصال في دخان العجاج وخرقت بنات الحنايا الحرق حجاب العجاج
وانقضت ينابيع النبع على أعجال الأعلاج فإن الفرنج أعدوا في سيرهم وجدوا
واحتدموا واحتدوا وامتدوا وأومت منهم الأطلاب واختلطت بهم الأصحاب وتعانقت
الرقاق والرقاب وأحرج القوم وتقطعت بهم الأسباب ووقفوا من أرسوف وقد
لاقوا منا الحتوف والخسوف وضاق خناقهم وحاق بهم إرهاقهم ونشبت المخاليب الناشبة
فيهم بالمنشاب ونشبت نيران المرهفة في أولئك الأوشاب فاحتملوا في جلودهم الجرح
ومن أجلادهم الطرح ووجدوا الموت الغالي مبتذلا رخيصا وابتغوا بالبدار ولم يجدوا
مخلصا وعرفوا أن البلايا عليهم متصلة غير منفصلة وأن قواهم لما فرقتها القوة
من النكاية غير محتملة فحملوا على الأطلاب المنصورة حملة واحدة زحزحتها عن مواضعها
وكانت تخليها شوارع القنطاريات عن مشارعها لكنها حرفت إلى القلب المنصور وفارقت
من وجوه النصر ما يسفر واستشهد في تلك الثورة الفائرة والفورة الثائرة
سعداء استقبلوا بالأسنة الأسنة وأجابوا دعوة الله بأن لهم الجنة فما صرعوا حتى

صرعوا ولما أشرعت إليهم الرماح أشرعوا ثم كرت عليهم خيل الرجال كرة
أردتهم وردتهم وصدفتهم عن الإستنان وصدتهم ووثبت منهم فوارس وانتعشت
معاطس ووثبت بالعواء لهم أشلاء وأثخنوهم طعانا ورماء فتولوا إلى أرسوف وقد كسروا
وخسروا وقتل قوم منهم وأسروا وفي ذلك اليوم ثبت على صدمة القوم الملك
العادل سيف الدين وحامى أصحابه أسد العرين وسدد إلى نحورهم الشوارع و
قلع منهم قلايع وثبت عسكر الموصل وكذلك قايماز النجمي في موضعه الأول
وكانت العساكر في شعراء أشبة وشجراء متشبة فلما رأى العدو ارتفاع المسلمين
قدامهم لم يأمن رجعتهم وإقدامهم فعاد وعبر أرسوف ونزل قريبا من الماء
وبات السلطان تلك الليلة على نهر العوجاء وأقام العدو يوم الأحد في موضعه
منكوبا بتعب تبعه ثم رحل يوم الاثنين سائرا إلى يافا فاستدركها فارطه
وبلا في ونار أنهم العساكر بالنوازل إلى أن نزلوا وقطعوا أطرافهم حتى وصلوها

فصل من كتاب إلى الديوان العزيز يشتمل على ذكر الوقائع المذكورة بعد
الرحيل من عكا

ساروا في مواضع ما للترك عليهم فيها سبيل ولا لقداح القراع في مجالها
مجيل وعساكرنا تصابحهم في كل مضيق وتطرقهم بالبلايا بطرق المنايا في كل طريق وهم
على البحر لا يفارقونه ومن المورد إلى المورد في كل مرحلة لا يجاوزونه فإن المياه
قريب بعضها من بعض ومسيرهم بمقدار مسافة ما بين المنهلين وإذا الزوال لم يبعد وأين
المنزلين وكانت لنا إلى هذه الغاية معهم في كل بقعة وقعة وفي كل مرحلة مقتلة

وفي كل منزلة منازلة وأوردناهم الردى في كل مورد وقصدناهم بالشدائد
في كل مقصد وسبلنا حِمامهم للحِمام في كل سبيل وساء صباحهم منا في كل مغدى
ومقيل وطريقهم على البحر كلها مضايق وأجم ورمال ومواضع لا يتسع فيها مجال ولا يتهيأ
قتال وكلما وجدنا فسحة ضايقناهم وأرهقناهم حد العزائم والصوارم وأرمقناهم
وجرت معهم عدة وقعات كاد الكفر فيها يعود ودائرة السوء على أهله بنا تدور
وما أهل النار بمنقض بأسنا عليهم تغور ولولا أن الله قد أخر موعده في نصر أوليائه
وقهر أعدائه لوقع الفراغ من شغلهم وتمت نعمته لنا بتبديد شملهم عنها يوم رحيلهم
عن عكا أرهقتهم البركة الزكية ونكأت فينا منهم الرمية بل المنية وكان الولد
الأفضل يومئذ متولي البزك فتولى إيقاعا ولهب المعترك ووقف لهم في المضيق على
الطريق وباشر جمعهم بالتفريق وقطع آخرهم عن أولهم وعاق السابق عن الوصول
إلى منزلهم وثبت وبات وفتك وهتك وقتل وسفك وطلب وأدرك وعبر منهم
الفرنج فهو حيفا لما دهمهم من الأمر واجتمعوا بالمنزل الوعر ووصل عسكرنا وقد
تمنعوا بالوصول وتجمعوا في الوعر والسهول ولم يبق إليهم نهج الوصول وأقام
الفرنج في تلك المنزلة أياما وقدنا لنا معاظلتهم إرغاما حتى استنجدوا وأعدوا استنجدوا
مددا واستنجدوا واستمدوا ورأى هم عددا وأحكموا التدبير واستأنفوا المسير وبينها
يوم انفصالهم من قيسارية بارزتهم الرماة وبرزتهم بالمبرة وأنفذت إليهم
رسل المنية وقتلت منهم مقتلة جيدة ولم تزل السهام إلى مقاتلهم مصوبة مسددة

إلى أن اجتمعوا بالنزول وحلوا عقد تلك البلية عنهم بالحلول وقد قتلت من جمعهم عدة
ألف راجل لم ينفصل راكبها إلا وهو من النجيع كاسي ثم كانت المياه في طريقهم متقاربة
المناهل والمسافات غير متباعدة المنازل فإذا نزلوا بالمنازل لم يدنوا إلى المنزلة
ولا ذادوا أهل النار بالماء وقادهم العجز عن الاحتمال إلى الاحتماء ثم استقلوا منتصف
شعبان سايرين على البحر بعادتهم وعادتهم سالكين في منعتهم ممتنعين بشوكتهم وشكتهم
والخيل تجري بهم سيلان السيل والراجل تلتف عليهم في مثل سواد الليل والعساكر
الإسلامية جائلة في عراضهم مائلة إلى أغراضهم موقفة في مراسها مفوقة لسهامها
محرقة أهل الجحيم بضرامها ولما نشب بهم النشاب وأعجزهم وأزعجهم وأحرجهم
بكثرة النكاية فيهم وأزعجهم كابروا وصابروا إلى أن وصلوا أرسوف وقد شارفوا
الحتوف وقاربوا الحتوف فحملوا الجملة بهم حملة واحدة وجاؤوا كالسحاب بارقة
وراعدة وابذعرت الأطلاب الإسلامية أمامها ولم تثبت قدامها حتى ابعدوا
بحملتهم في حملتهم وتفردوا بحركتهم في معركتهم وظنها الشيطان هزيمة وبانت
بالعاقبة أنها كانت عزيمة وأن القلب المنصور ثبت فيه للتحيز ومولى للمتفرز المتحرز
ووقف الأخ العادل ثابتا قلبه ثابتا طلبه وكر عليهم في حزبه ذوي الحمية والأنفس
الأبية والهمم العلية كرة ردتهم وأردتهم وصدقتهم عن بلوغ الغاية وصدتهم
فاستدركت ما فرط في النوبة من النبوة واستمسكت بما استأنفته في العزمة من القوة
وقتلت منهم كندا كبيرا وعددا كثيرا وعادت نظيم بها لهم بالعراء نثيرا ونزلوا بأرسوف

راغمي الانوف قد فل حدهم وفل كيدهم وهذا طاغوتهم الهالك بسيف سيف الدين
كان مطاع اوليك الملاعين وابليس تلك الشياطين والمعروف بسير جالك واسم حكمه
قبل وصول ملوك الاشراك ونفذ تامره على الداوية والاسبتارية وكان من عظم
شانه وفخامة مكانه انه يوم صرع قاتل دونه جماعة من المقدمين المحتشمين فما قتل
حتى قتلوا ولا بذل روحه حتى بذلوا وخرج ملك الانكتير بمصرعه وفزع من ورود مشرعه
ونزلت العساكر الاسلامية على الماء وهو بعد من نجيع الكفار وخيمت عليه بحكم
الاضطرار ثم رحلوا وقصدهم العسكر فصادفهم بقرب يافا وكل منهم استدرك
بقصده اياها بلغه وتلافى بحاله دونهم لقدح منونهم مخيلا ومن جمعهم بقمعهم
مذيلا وعلى قومهم بوقمهم مخيلا حتى باسطهم في ميادينها وخالطهم في بساتينها و
رابطهم بالاسود في عرينها واسرى الحين الى سراحينها فما وصلوا المدينة الا وقد
تخطفوا من حولها واستولى الرعب على قلوبهم من باس الحرب وهولها وخافوا من
فريضة مسالة النكاية عولها وما صدقوا كيف نجوا وافلتوا وسكنوا فيها بنية الاستيطان
وثبتوا وعلموا انهم ان خرجوا اخرجوا وان سلكوا اهلكوا وزعموا انهم اذا صبروا ملكوا

ذكر ما اعتمده السلطان بعد دخول الفرنج الى يافا

رحل السلطان يوم الثلثاء
رابع عشر شعبان ونزل بالرملة واجتمعت الاثقال به كلها في تلك الرحلة ورحل
ليلا واصبح على يبنا وجاوزها الى نهر امواه الجمام به بيبنى وزرنا بيبنى قبر ابي هريرة
رضوان الله عليه وتبادر الناس بالتيمن بواليه ورحل ونزل بظاهر عسقلان
بعد العصر وشرع فيما عزم عليه من الامر

ذكر خراب عسقلان

لما نزل السلطان
بالرملة احضر عنده اخاه الملك العادل واكابر الامرا وشاورهم في امر عسقلان ذوي الآرا
فاشار علم الدين سليمان بن جندر بخرابها للعجز عن حفظها عن حاجتها ووافقه الجماعة وقالوا افترضا
عن صونها الاستطاعة فان هذه يافا قد نزلوا بها وسكنوا فيها مدينة بين القدس وعسقلان
متوسطة ولا سبيل الى حفظ المدينتين ولا تفي الحال لحماية البلدتين فان كل واحدة منهما
يحتاج في الحفظ الى عشرة الف مقاتل والى الاستكثار لاجل ذخايره من كل حاصل فانظر
الى اصوب الراين فقدمه وانصر اخطر الداين فاحسمه واعمد الى اشرف الموضعين فحصنه
واحكمه وتيقن ان عسقلان اذا وصلوا اليها وهي سالمة تسلموها واستظهروا بها واخلوها
وتقووا بها الى سواها وبلغوا من بغيتهم الى منتهاها واقتضت آرا اقامة الملك العادل
بقرب يافا مع عشرة من الامرا حتى اذا تحرك العدو كانوا منه على علم ومن قصده على عزم
ووصل السلطان الى عسقلان وشرع في هدمها بكرة يوم الخميس تاسع عشر شعبان ولو
حفظت لكان حفظها متعينا وصونها ممكنا لكن وجد كل له متجنبا متجنبا وقدرا عنهم
نوبة عكا وحفظها لمدة سنين وعادت بعد ذلك نفرة المسلمين وقال من تعلل واعتذر
عن دخولها وحل عقد حزمه عن حلولها بدخلها ابنا او اخذ او لا ادرك وبدخلها انتباعا
لمراد كل تجنبه لم يجد بدا من نقض اسوارها ونقض اسوارها وقص سوارها وتعفية آثارها و
تطفية نارها ولو كان وقع الاعتنا بابتدايها منذ يوم فتحها وابنيتها لما نطق الى ابدها
خلل ولا الى يدها شلل ولا الى جيدها فلك ولا الى ودها ملك فقد ركبت اليها وابتنيتها

واستطلعتها ورأيت سورها قبل هدم سواره ونورها قبل ذبول نواره فما رأيت أحسن
منها ولا أحصن ولا أحكم من مكانها ولا أمكن وسكانها كانوا في رفاهية فاستقلوا منها
على كراهية وباعوا أنفس الأغلاق بأبخس الأثمان وتجمعوا بالأوطار والأوطان وساءت
أسواقها وبانت أنوارها وانمحت آلاؤها وباخت أضواؤها وسمع غناء المعاول في مغانيها المعولة
ورأيت دائرة الزلازل في دورها المتزلزلة وملحت تلك النواحي ومسحتها المساحي وجرفتها
المجارف ولفتها المخاوف ونكرتها المعارف ولهجتها الصبارف ونهبتها النواعب ونابتها
النوائب ونازلتها النوازل وغالتها الغوائل ونسفتها السوافي وعفتها العوافي وخلت بدارس
آياتها من التلاوة وتخلت مجالس مكرماتها عن الطلاوة وصوحت مجاني مبانيها وطوحت
معاني مغانيها ودجت مجالي معاليها وعادت مغاوي مغاديها ووقفت على طلولها وأشفقت
وأسيت عليها وأسفت ولهبت ولهفت وشاهدتها وقد خربت وخيفت وقد محا بينا محاسنها
وخفيت وبكيت تلك الربوع وأهديت لسقياها الدموع ولقد أصيب الإسلام بعروسها وعبست
الوجوه لعبوسها حين تأرج بؤسها فلما خلت مساكنها من سكانها وتخلف بالسوق زاد
نيرانها رحل السلطان يوم الثلاثاء ثاني عشر رمضان ونزل على يبنى بعد أن نزل بسور عسقلان
وقد تعذر أن يبنى ونزل يوم الأربعاء ثالث الشهر بالرملة وتفصل جملته بادي على التفصيل
والجملة وأمر بتخريب حصنها وتخريب لد وبذل كل الجهد وركب جريدة إلى البيت المقدس
وأتاه يوم الخميس وأعاد إليه رسم التأنيس وخرج منه يوم الاثنين ثامن عشر رمضان
بعد الظهر وبات في بيت نوبه وقد نال بما رتبه من مصالح القدس المنوية وعاد إلى المخيم

يوم الثلاثاء ضحوة وقد أكمل من كل ما راته خطوة وفي يوم الاثنين ثامن شهر رمضان
وصل صاحب ملطية معز الدين قيصرشاه بن قلج أرسلان ملتجئا من أخيه وأبيه إلى السلطان
فتلقاه الملك العادل وجاءته منه الفواضل وأقام في الخدمة السلطانية مدة و
استجد بها جدة وقوة وشدة واستظهر بالمصاهرة وقوي منها بالمظافرة وأنه تزوج بابنة
العادل وعاد بتاريخ منسلخ ذي القعدة ناجح الوسائل وفي هذا التاريخ وهو الاثنين
خرج ملك الانكتير في خياله متنكرا ليكون لحشاشه لهم وحطابه محفا فخرج عليه الكمين
ونشب به اللعين وجرى قتال عظيم وكان أصحابنا موقنين كونهم وكاد الملك يؤخذ
ويؤخذ والطعن في لبته ينفذ ففداه فارس من أصحابه بنفسه وشغل طاعنه لما عليه
من لبسه فاشتغل به وأسره وأفلت اللعين وخفي أثره وقتل وأسر من خيالته جماعة
وانهزموا من تلك الكرة الخاسرة وقلوبهم مرتاعة وجرت أيضا يوم الجمعة ثاني
عشر الشهر حرب بين اليزكية وبين أهل الكفر سفرت لنا بها وجوه النصر وقتل مقدم
لهم معروف بالشجاعة موصوف ورحل السلطان يوم السبت ثالث عشره ونزل على
تل عال عند النطرون وهي قلعة منيعة معجبة للظنون والعيون فأمر بهدمها وهدمها
وقلع غربها وثلمها وأشاع بها الإقامة وأفاض فيها على العسكر الكرم والكرامة ومكن
الناس هناك من الاحتياط على الأثقال وإنفاذ الجمال لنقل الأزواد والغلال

فصل من كتاب إلى الديوان العزيز في وصف مطاولة الحروب والجراح وفناء الخيل والعدد والسلاح

قد نهك العسكر طول البكار وانضاء قتال الكفار بالليل والنهار

ولا سيما في هذه السنين الأربع فإنه لم يخرج فيها عن مباشرة الحروب ومغامرة
الكروب على مصيف ولا مربع ولا مشتاء ولا مصياف قد تكررت عليه الزحوف وتعثرت
به الحتوف وتفللت منه السيوف وتخلخلت به الصفوف ومحقت بإجادة الألوف
ونحفت لجنايته وبمره من زرق الحديد الأخضر القطوف وحني سيمه وملّ وضجر وكلّ
وكم عقد عزمه وحلّ وأنهل نصله من دم الكفر وعلّ وأملّ النصر فقال عسى ولعلّ
وأما خيوله فقد أجهدها الجهاد وأنضاها الطراد وفرى جلودها الجلاد وعرى منها
لكثرة الجراح الجياد وأعادت شهبها كمثاجرود البيض الحداد وجيئت داخلها الرغب
من خروج الجروح بالجروح وترتيق السهام منها بين الجسم والروح صارت تنفر من رنة
الجنيبة وأنة المبرية كأن عندها للأوتار أوتارا ولطارات النصال في لباتها أوكارا
أو كأنها لما رأت أنها نبا بها في المطار ونجا بها في المضمار ثارت لإدراك الثار وهذا
سبب ما جرت من النفار وما عادت الآن تدخل على راجل الكفر وأما العدد فقد فقدت
بالكلية وعدمت وتكسرت وتحطمت وتقصفت وتقضبت وتقصمت وتبلت نبل المقاتلة
بها وفني بين من استشهد استشهدت وأما النشاب فإنه قد فني بعد أن اتخذ من أخشاب
جميع ما وجد واقتني وقد عدمت أشجاره في منابتها وأعوزت أخشابه من مناحتها
ونفضت الكنائن وانفضت منه ومن كل ما تدخر الخزائن وما يسرح الصناع في الممالك
بمصر والشام وما يجري معها من بلاد الإسلام يبرون ويريشون ويصلون ويعملون
ويحملون ويحلون واحتيج في هذه السنين التي استمر فيها القتال إلى أحمال كثيرة تفني

بها الصناع ولا يوفيها العمال وحسبها أن يصولها أغدمت من حريمها المعادن وخلت
من ذخائرها الأماكن هذا والخادم قائم بإزاء هذا العدو وحده مستوقف في قطع
دابر المشركين غرب عزمه وجده وما استمر على مساعدته وموازرته ومعاقدته إلا
صاحب الموصل وسنجار وكلاهما عن سنن الإسعاف والإسعاد ما جار فهو يحضر تارة
بنفسه وآونة بولده ويستمر من جميل الموازرة على جدده ويواظب بعدده وعدده
ومدده في مطاوله مدده ۰ ذكر ما تجدد لملك الانكتير من المراسلة والرغبة في المواصلة
وصلت رسل ملك الانكتير إلى العادل بالمصافحة على المصافاة والمواتاة في الموافاة
وموالاة الاستمرار على الموالاة والأخذ بالمهاداة والترك للمعاداة والمظاهرة
بالمصاهرة وترددت الرسل أياما وتصرمت الأنباء وكاد يحدث انتظاما واستقر
تزوج الملك العادل بأخت ملك الانكتير وأن يعول عليهما من الجانبين التدبير على
أن يحكم العادل في البلاد ويجري فيها الأمر على السداد وتكون الامرأة في القدس
مقيمة مع زوجها وشبهها من قبوله في أوجها ويوضع العادل مقدمي الفرنج والداوية
والاسبتارية ببعض القرى ولا يمكنهم في الحصون التي في الذرى ولا يقيم معها في
القدس إلا قسيسون ورهبان ولهم منا أمان وإحسان واستدعاني العادل والقاضي
بهاء الدين ابن شداد وجماعة من أهل الرأي والسداد وهم علم الدين سليمان وسابق
الدين عثمان وعز الدين ابن المقدم وحسام الدين بشارة وقال لنا تمضون إلى
السلطان وتخبرونه عن هذا الشأن وتسألونه أن يحكمني في هذه البلاد وأنا أبذل

فيها في وسع الاجتهاد فلما جئنا الى السلطان عرفناه الصواب وما آخر الجواب وشهدنا
عليه بالرضا وحسبنا انه كان الغرض وانقضى وذلك يوم الاثنين تاسع عشري رمضان
وعاد الرسول الى ملك الانكتير ليفصل امر الوصلة واراحة الحملة وازاحة العلة و
اعتقدنا ان هذا امر قد تم وتشرّف انضمّ وصلاح عمّ وصلح ادام وحلم مضى واستحكم
به القضا وان الانثى تميل الى الذكر وتزيل وساوس الفكر وان بركوب الفحل النزول
عن الرحل وان الشكر يجلب الشكر ويبدل بالعرف النكر وان الوفاق تومن من الوقايع
وان الفراغ يقضي بانقضاض القارح القارع وان الحرب بكسر الحا وحذف البا سلم
وان عموم العرس في العسر يسر وغنم وان هذا الاخ لتلك الاخت كفو وان هذا العقد
للخرق المتسع رفو وان الكدر يعقبه صفو وان التزويج ترويح وتقويم لما فيه تعويج
وشاع الذكر وضاع النشر وبلغ الخبر ان مقدميهم ورووسهم نقضوه على قسوسهم
وعيّروا واعلى عرو وسهم فجبهوها بالعذل واللذع وجبهوها بالقذع والقدع وقالوا
لها كيف تجمع بيننا بالفجع مليم مولم وتستلمين بضعك لمباضعة مسلم فان تنصر تنصر
وان تسرع فما تعير وان اتيا ابينا وان خالف خالفنا واي وجه ههنا للايتلاف
ونحن لاختلاف الدين دين للخلاف فرهبت بعدما رغبت وبطلت بعدما طلبت وسلت
بعدما سالت ونبت بعدما نزلت وكرهت بعدما (ودانت) شرهت وكانت انجلت فودت
انها رهنت فارسلت الى الرسول واقبلت عليه بالقبول ثم تصلبت في القسم واقسمت
بالصليب انها مجيبة الى التعبير والتعريب وانها مسارعة الى التمكين بشرط الموافقة في الدين

فانف العادل وعدل عن استئناف الحديث وابى الله ان يجمع بين الطيب والخبيث
واعتذر الملك بامتناع اخته وانه في معالجتها وتعرف رضاها في وقته وكان قد استقر
مع تمام العقد وانتظام العقد مفاداة كل اسير باسير كبير بكبير وصغير بصغير وليشر
اولياء الطاغوت بصليب الصلبوت فبطل التدبير وعطل التقرير وذلك ثاني يوم
العيد وفي يوم العيد وهو الثلثاء اعد السلطان من اللباس خلع الاكابر حتى سار ثناؤهم
بكرة واحرقت حيشان احنا به لكل عين وتلف قرة ومسرة ثم استدعاهم الى سماطه
وبسط لهم بساط نشاطه وجلس الملك معز الدين قيصر شاه ابن قلج ارسلان عن يمينه واعززه
بتقريبه وتمكينه ويليه حسام الدين خضر اخو صاحب الموصل وسمو بمنزلته ذو المنزل
وعلا الدين ابن اتابك الموصل على يساره وهو يوثره باختصاصه ويخصه بايثاره ومجاهد
الدين برنقش مقدم عسكر سنجار بجانبه والاكابر كلهم هناك في منزلة مناسبة ثم تفرق
الناس بانس جامع وعرف شايع وعرف ضايع

ذكر نزول السلطان جريدة بالرملة ليقرب من العدو ومواقعته له في كل يوم

ووافر الخبر بان الفرنج على عزم الخروج وانهم على الاجتماع في تلك المروج
فبادر يوم الاثنين سابع شوال ونزل وركب العسكر للقتال فلما بلغ تل كنيسة الرملة جبّل
الحال على الحملة حمّ وبان وتوى البيات والثبات وجاء الخبر في غد بانه خرج العدو
الى يازور وفي اوقية منه وسارع العسكر اليهم وتكاثروا عليهم وقربوا من خيامهم واحدقوا
عليهم من ورائهم وامامهم وناشبوهم بالنشاب وكاثروهم بالاوباش والاوشاب
وركب الفرنج اليهم ركضة اوجبت رهبة وحملوا على الناس حملة واحدة وحلت عليهم

مجاجة عائدة فاندفعوا بين أيديهم فأدركوا ضعفاءنا فطعنوا فيهم وفقد من المسلمين ثلثة
بالشهادة وكانت مبايعتهم إلى السعادة وكذلك في كل يوم يركب السلطان ما يخلوا
من وقعة ولا بد لذلك فيها من صرعة ذكر وقعة الكمين وفي ليلة الاربعا سادس
عشر شوال أمر السلطان رجال الحلقة المنصورة بأن يكمنوا في جهة عينها في المواضع المستورة
فكمنوا وأمنوا وصبروا وانتظروا وخرجت الفرنج للاحتشاش وباشروا واعتادوا انحصارهم
في أصحابنا بلا انتعاش ولقيتهم أعراب على عراب بصوارم في أيمانهم كأنها بروق في سحاب
فركبت إليها من الخيام ورجت في ترحيب صدورها بصدور الحمام فاندفعت العرب
أمامها وحققت انهزامها وما قدرت على قصد موضع الكمين لانسداد الطريق بالأساد
الشم العرانين دون العرين فمرت العرب في جانب والكمين في جانب والخيل تركض
من سالب بسالب وناهب من ناهب ونجا العرب وفاتهم الطلب وحضروا اسارى
ونهاب وإسار واستلاب فأما أصحابنا في الكمين فإنهم أبصروا الفرنج خاصين وفي
المعترك والكمين نخرجوا على ظن أنهم على قصدهم فلما أبصروا أنهم نشبوا بردهم عن
وردهم وركضوا إليهم من بعد فأتعبوا الخيل بما جدوا فيه من إحضار وشد و
وصلوا وما وصلوا إلى الفرنج والجياد قد رزحت والقوى قد نزحت فاضطروا إلى القتال
وقاتلوا على الاضطرار وقتلوا جماعة من كماة الكفار واستشهد ثلثة جماعة من المماليك
الخواص الكبار وهم أيازن المهراني وجاولي العيدي وصاروا وسروا إلى جنات النعيم
بما إليه صاروا وأسر من الفرنج فارسان معروفان وأحضرا عند السلطان وانفصلت الحرب

وقت الظهر وعاد حزب الإسلام عن حزب الكفر وجلس السلطان والقلايع تعرض عليه
والخيل تقاد إليه والأسارى تحضر بين يديه وأخوه العادل عنه جالس وكلاهما لأخيه
مؤانس ذكر اجتماع الملك العادل بملك الانكتير وفي يوم الجمعة ثامن عشر شوال
ضرب الملك العادل بقرب اليزك لأجل ملك الانكتير ثلث خيام وأعد فيها كل ما
يراد من فاكهة وحلاوة وطعام وحضر ملك الانكتير وطالت بينهما المحادثة ودامت
المنافثة والمنافنة ثم افترقا على موافقة أظهراها ومصادقة قرراها ومضى الملك واستصحب
معه الكاتب المعروف بالضيعة لتفقد الأسارى الذين بيافا وتدارك أمرهم و
تلافيه وكان قد وصل صاحب صيدا من صور رسالة المركيس وأنه يرغب في سلوك نهج
التأنيس وأن يكون السلطان مصالحا له على الطاعة مصافحا تقوى يده على ملك
الانكتير ويتفرد هو بالملك والتدبير وعرف ملك الانكتير بالحال فوصل رسوله
أيضا بالإخفاء والتسوال ومضى العدل مع صاحب صيدا إلى المركيس على شرائط قررت
ونسخ أيمان حررت وأما أمر رسالة الملك فلم تسفر عن المقصود ولم تجر من تلونه إلا على
المعهود فكلما أبرم عهدا نقضه ونكثه وكلما نوم أمرا عكسه وعلثه وكلما قال قولا رجع
عنه وكلما استودع سرا لم يصنه وكلما قلنا تقى خان وإذا خلنا أنه بر بن شان وعن
كل حرام بان   وفي يوم الأحد سابع عشري شوال عاد السلطان إلى المخيم بالنطرون
فأقام على الثبات والسكون وفي يوم الخميس مستهل ذي القعدة سار ابن قلج أرسلان
صاحب ملطية مودعا وركب السلطان وسار معه مشيعا وعقد له على ابنة الملك العادل

بصداق مائة ألف دينار ونيف وقد حصل على ذخائر من استبشار وانجاد واستبصار و
استنصار وبشر وبشار ه ورحل الفرنج يوم السبت ثالث ذي القعدة وتقدموا الى
الرملة ونزلوا بها وخيموا في اقطارها وسهولها ولم نشك انهم على قصد القدس باهل
الرجل والرجس وأقام السلطان وفي كل يوم له سرايا باليزك منها رزايا ولنا
في كل يوم وقعة شديدة ونكاية بالكفر مبيدة وما خلوا يوم من اسرى تقاد
وغنائم تستفاد ثم توالت الامطار وتوعرت السهول وتوحلت الاوعار فعزم
على الرحيل وامر بالتحويل ذكر الرحيل الى القدس يوم الجمعة الثالث والعشرين
من ذي القعدة وركب السلطان يوم الجمعة والغيث نازل والنصر شامل وفضل الله
متواصل ونحن معه سائرون وهو من بركة الجهاد الى بركة القدس صائرون والقاضي
بهاء الدين ابن شداد يسايرني وفي مسألة من الخلاف يباحثني ويناظرني حتى وصلنا
الى القدس قبل العصر وقد نشر السلطان لواء النصر ونزل بدار الاقساء المجاورة
لكنيسة قمامة ونوى بها الاقامة وشرع في تحصين المدينة لتحصيل السكينة وصلى يوم
الجمعة مستهل ذي الحجة في قبة الصخرة وضجت الالسنة في الدعاء له بالنصر و
النصرة وفي يوم الاحد ثالث ذي الحجة وصل حسام الدين ابو الهيجاء من مصر
بعسكر بحر وتبعه بعد ذلك العساكر المصرية ووصل الخبر بنزول الفرنج النطرون
وإذ ذاك تتزاحم الافكار وتتراجم الظنون وتزايل السكون وجرت يوم الخميس
سابع الشهر وقعة تم على العدو بها صرعة فان السلطان نقل تلك الليلة الى اليزك

قريب بيت نوبة عدة من الفرسان مجردة لم يستصحبوا الا جنتهم المجنوبة
فوقعوا على سرية للفرنج فاستاصلوها واسروها وقتلوها ووصلوا بها خمسين اسيرا
الى القدس وعاد ذلك منا ببرد القلب وطيب النفس وكانت بشرى عظيمة
ونعمى كريمة وجنية عميمة وكذلك سابق الدين صاحب شيزر ومن معه من العسكر
واقعهم يوم العيد فقتل من مقدميهم ستة واسر اربعة وترك بالمعركة منهم
مصرعة وكسب منهم خيلا وكسبهم فلا يوم عيد الاضحى بالقدس كانت
الوقفة بمكة الجمعة في هذه السنة وتضاعفت للحجيج الحسنة على الحسنة غير ان العيد
بالقدس كان الاحد فلم ير ليلة الجمعة الهلال احد ونصب السلطان خارج قبة
الصخرة الخركاه الخاص وصلى السلطان في القبة العيد وملأوا حواليها العراص ثم
انصرف السلطان وقد بر عمله ودر امله ووفر اجره واستفز اجره وقعة
على طريق الفرنج بالرملة وفي يوم الجمعة خامس عشر ذي الحجة اغار سيف الدين
يازكوج وعلم الدين قيصر وكلاهما جد في الجهاد ولا يقصر واخذ اغنامهم واموالا
ونبا وخيلا وبغالا وكسبا احمالا واثقالا واسرا من كان مع القافلة ممتين ووقفوا
بين يدي السلطان على ركب الذل جاثين وتوالى على الفرنج النحوس والنكوب
وكثرت منهم الكسوب واستغرقت فيهم الحروب وزادت الكروب وضاقت عليهم
الارض واستولى على عقود عزائمهم النقض وراوا الهم قهروا وانقهروا واحاط بهم البلاء
من الجوانب فما صبروا وارحلوا الى الرملة وبالسهول من الحزون عائدين فان الثلوج دامت

عايدين

على أوليك العلوج وصدتهم عن الدخول والخروج ونزلت بهم النوازل في تلك المنازل
فقفوا راحلين إلى الساحل وذلك يوم الخميس الثامن والعشرين من ذي الحجة وطابت قلوبنا
بما وضح من النصر من المحجة وثبت الحق على الباطل من الحجة ذكر ما اعتمده السلطان
عمارة القدس من حفر خندقه وتجديد سوره وإعادة خندقه وفي هذا اليوم وصل من الموصل جماعة
من الحجارين وعدتهم خمسون رجلاً إذا اجتمعوا قطعوا جبلاً وقد سيرهم صاحب الموصل إلى
القدس للعمل في الخندق وتعميق الحفر والقطع في الصخر وقد سيرهم بشفقة وجعلهم
من الاحسان على ثقة وانجدهم ببعض حجابه ونداهم بندى سحابه وسير مع المندوب مالاً
يفرقه عليهم في اثر كل شهر ويتعاهدهم في كل يوم بتفقد بر فأقاموا نصف سنة و
أتوا في صنعتهم بكل حسنة وصمم السلطان على حفر خندق جديد عميق وانشاء سور
وثيق فأحضر من أسارى الفرنج ترتيب البنيان وبيتهم في العمارتين وجدد ابراجا خربة
من باب العمود إلى باب المحراب وأنفق عليها من المال ما خرج عن الحساب وبناها
بالأحجار الكبار الثقال نحتت ارضه وارسخ من الجبال وكان الحجر الذي يقطع من الخندق
يستعمل في بناء السور فإذا كملت العمارة على ما رتبه للقدس المعمور كان آمناً من قصد
العدو المدحور وفي عصمة الله من المخوف المحذور وقسم بناء السور في مواضعه على أولاده وأخيه
الملك العادل وأمرائه وصار يركب في كل يوم ويحضر على بنائه ويخرج الناس لمرافقته
على حمل الحجر إلى مواضع البناء ويتولى ذلك بنفسه وجماعة خواصه والأمراء ويجمع لذلك
العلماء والقضاة والصوفية وحواشي العسكر والأتباع والرعية والسوقية وكنت أركب في

غلماني وأتباعي وأحفظ قلب السلطان في نقل الحجر على ذراعي فبني في أقرب مدة ما يتعذر
بناؤه في سنين وبذل جهده في التحصين لتأمين المؤمنين ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر
المعروفين وفاة تقي الدين توفي الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب
ابن أخي السلطان يوم الجمعة تاسع عشر شهر رمضان وهو على محاصرة منازكرد من أعمال
أرمينية وقد سبق ذكر مسيره إلى بلاد الجزيرة لاستمداد الامداد الكثيرة واستنجاد
الأنجاد والاستنجاد بالأنجاد والجمع من جميع الجهات للجهاد والعود سريعاً بالجنود
الجامعة والجموع الحاشدة والجيوش المترادفة المترافدة والجنود المتوافرة المتوافدة
والقواضب الفاصلة والمواهب الهاطلة والصافنين الراضهم بالصفاح والمختالين في
أعطاف بأطراف الرماح والحاملين الجبال على الرياح والمتعطشين إلى انتجاع النجيع لا إلى أروا
الأرواح ومكث السلطان على انتظاره متوحشاً للأخبار متوحشاً لإبطائه متعطشاً إلى
أنبائه منتظراً لوفائه فلما أخذ الفرنج عكا نسب ذلك إليه واحتسب الله عليه
فأما تقي الدين فإنه عن له أن يمضي إلى ميافارقين فاستصحب إليها عسكر ماردين ونفذ
إلى السويداء وانتزعها من أصحابها واستحوذ على جميع ما بها وحاصر مدينة حاني فملكها
وكانت له مقاصد في ديار بكر فأدركها واقطع بلاداً من ولاية ابن قزل ارسلان واقطعها
وأرعب القلوب بما ابتدأ إليه وردعها وتأخرت عنا بسبب ذلك عساكر ديار بكر
وحصلت منه على ذعر وعذر وراعت هيبته وهيبت روعته ودبت إلى الخواطر مخافة
أخطاره وشبت في القلوب لوافح ناره وانحنت تلك الأحجام من زاره وازورت من زائره

وملئت تلك البلاد ببلايه وهابت الاعدا مهيبة اعدايه وزلت لاقدام اقدامه و
انخفضت الاعلام لاعلا اعلامه وتفرد له من جلجو رجلة الجور واذهب بذهابه
الهاتوار الفتنة على الفور ودخل قلب قلب وحكم في غلابها الغلب القضب وقصد عسكر
عسكر بكتمر فكسره ثم سرح بالاحبار واطلق من اسره فغار بكتمر واشتعل بنار الانف
انفه واعتلق باذن السيف شنفه وانبعث حميته وحميت نخوته وغيرته غيرته وعرته
رعيته واودعته الهم همته وحركته عزمته واجتمعت جماعته وامنته امته وما ازحاله
انجح رجاله وما اطاعه اعانته ابطاله واجابه ثم الطاعة اجناده وانجاه بحسن الاستطاعة
انجاده وجر عسكرا مجرا وساق الى الحرب بحرا واوقد بالجمع جمرا وجلب بيضا وسمرا ودهما
وشقرا وصوارم بترا وصواهل ضمرا وانهض كماته وكماته وحشد رعيته ورعاته ودرى
حميته وحماته وساكنه ولابنه ورثاته وشباعه وغراته وجا في سواد اسود منه الجو
وانسد بظلامه الضو وتجلى بنجومه ليل العجاج وتجلى بسفوره صبح الصباح وابرق
وارعد وتجدر وتصعد وسار بين الاكام بالاكام وضاهى الاعلام بالاعلام واذكى مذاكيه
الجياد واجرى ضوامره وهوادها فملات الوهاد وادني الى الاسياد الاسياد واغرى
بالجلاد الاجلاد وجذب الجماح عرانه وجلب الكفاح رعانه واشرع المراح رماحه واطلع
في سنا الصباح صفاحه وماجت غدران دروعه وهاجت غران جموعه ومالت المران
وجالت الاقران وسالت المرت ومرت السيول وتبهلت الوعود وتوعرت السهول و
انفض الفضا وانقض القضا واشتكت الارض من الحوافر الحوافر وتعانا تارت لفرط

تالمها على شرط تظلمها الى السما نقعا وحثت في وجه الفلك ترابا وحثت التراب
لعهانا وضرابا وخاف على خلاط فاختلط من المخافة فقصر الى الملك المظفر طول المسافة
فلما عرف انحدار خادره وانتشار بوادره وانتهاض قوادمه وانقضاض دهم سلاهبه
اضطف له بمن اصطفاه من الانجاد الانجاب ونفض على الفضا سحاب العجاب وبسط
على البسيطة ردا الردى واغرى بعلوه على العدى وركب في كل ضرب بعد الضرب
ضربا من الضرب وكل بطل يحمي المبطل يحمي الطلب وكل باسل بسالب من كاتب
الاقران القرون وكل عاسل بعاسل يمين المنى ويمن المنون وكل شجاع اشاجعه
ومنابل القواطع وكل مقدام قوادمه عوائق الوقايع وكل طاير باجنحة السوابق
زاير باسلحة البوائق وملحق نحوابي الخوافق مطرق الطوارق الطوارق وكل ذمر مسبح
وكل فارس ترسه عاطف وكل رامح نصله راعف وكل صاد عزمه صادق وكل رام
لحظ سهمه الى المقاتل رامق واثور رجا الرجال بابادته وقوى عزايم اولياه لاضعاف
اعاديه ورغب بالرغايب واملى صنوف الامال بفيوض امواله المواهب ونحى المنتجين
وانتخب المنتجبين واقدم في كل مقدم مقداما وصنيعهم ضرغاما وهماما وهمام ومعتقل
اسمر يشف ظلم القلوب ومشتمل ابيض يكشف ظلم الحروب وكل من خال الطعن ضرب
القداح والضرب حرا السوام وكل من سال لجرحه الاعترام وكل من يعبر اقاحي البيض
شقايق ويصل بها اذا فارقت اغمادها المرافق وكل من صانه في يمين الجماح وسنانه
يره ودعيون الجراح وكل من ذبال سمهريه تلتهب وذباب مشرفيه يضطرب ووجوه

صوارمه تبكي وتضحك وعيون لهاذمه تفتك وتبتك ولحاظ سهامه عن حواجب قسيه
ترنو وسواعد سيوفه من ايدي الايد تهز وتدنو وكل اشعث الهامة ذي همة تشعب
صدع كل ملمة وكل شهم شيظمي ابي احوذي مجرب مجرب مقرب مطر على مطهم جار
من جم بار بمخذم ضار بارقهم جواد حليم ثم بذ الوغا جهلاته على جواد كريم تدعوا الى الردى
جهلاته وكل بحر متلاطم بغدير وكل من عنده انه اذا لبس الحديد لابس حرير
فلما بصر عسكر خلاط بعسكره اختلط وود لو استدرك الغلط وحاش وطاش وراء
من عثرته الانتعاش وولى هاربا ولوى هشيما واغنم العسكر لتقوى سلاحه و
خيله وجر على تراب الذل ذيله وظفر الملك المظفر بالملك واسلم العدى الى الهلك
وقيدا اليه امراءا اسروا واصبحوا كسروا فاطلق سراحهم وانهض بنشر نفاره جناحهم ثم
رحل من صحرا موش وساق الى خلاط الجيوش ثم بدا له من حصارها فاقرها بسلب قرارها
وعرج على قلعة تيبران فتسلمها وفتح مقفلها وكان مجد الدين ابن الموفق وزير خلاط
بها محبوسا ومن حياته يؤوسا فخلصه واستخلصه وكبر خطره منه نقصه وانه لمن
اعجب القصص لو شرحت قصصه ثم راح الى ميلازكرد ونازلها بالتضييق وقاتلها
بالمنجنيق وحشد اليها الامداد واورى فيها من عزايمه الزناد وجاءته عساكر ارزن الروم
نجدة من جهة موجدة لما لها توجد. تقدمها الملكة ماماخاتون بنت سلدق كانها في
الاهبة والاهبة من ملوك سلجق ووردا تقي الدين الجيوش وواقعته السعود وحافته
في جانبها الاسود وغربت به العقول وعلقت به العقود وتوطدت له البلاد وتوطأت

وتهنئت وتهنات واستبدت له الممالك القاصية والطاعة المقاصد العاصية وتشفعت
له مقاصد الانظار بافراط اليمن والطاعة وعم الاحوال تلك المجال نفض بما افاضه من
فواضله مجاعة المجاعة ورجي وخشي واعتفي وغشي وامتلأت الطرق بالوفود والجنود
وتوالت اليه امداد البؤس والجود فبينا هو في غفلة من القدر وغفوة من الكدر
وغرة من الغير وقد الهاه حديث الدنيا عن الحادث الداني وحنا الحيوة عن الموت
الجاني وزيادة الامل عن زيادة الاجل وتوك المنى عن نوازل المنون وسكن
الاتراب عن التراب المسكون ظهر لهم سر الغيب المكتوم وادركه القضاء المحتوم
ومرض ايامًا ثم قضى ولم يعرض عيده وانقضى وكتم ولده الملك المنصور ناصر الدين محمد
وفاته الى ان خرج من ذلك الاقليم وجاوزه وفاته ونحت ملازكرد بابها وسلم
الرتب اربابها وخرج ولد تقي الدين سالما بعسكره متقدم وجده في مقام والده باظهار
شعاره قايما وجاءت رسله الى السلطان تسأله في ابقاء بلاد ابيه بيده حتى يبقى
مستمرًا على جده وطلب من السلطان الميثاق له باغلاظ الايمان فلم يقبل الشرط
واشترط فشط وجلب له الشطط السخط واقام على التباعد ولم يتدارك بالوصول
ما منه فرط ونسبوه في استيحاشه الى العصيان وسعوا له في اسباب الحرمان حتى انتحى
له الملك العادل فمضى لاحضاره وجرى الامر على اشاره وسياتي ذكر ذلك في حوادث سنة ثمان
وتوفي في هذه السنة حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين ابن اخت
السلطان توفي بدمشق ليلة الجمعة تاسع عشر شهر رمضان يوم وفاة تقي الدين فاصيب

يا بني أخيه وأخته في يوم واحد كلاهما له ساعد وأي ساعد فيا لله من حسام
أغمد وتمام الجد وركن وهي وكنز دفن وبحر غاض وزند ما ورى وصبح كسف وبدر
كسف لقد غامت الأيام لغمه وثكلته الدولة ثكل أمه وأجرها وعضدها ومعاضدها
وهو الذي فتح نابلس وأبقاها السلطان معه وأبقى فيها من سنن العدل ما شرعه وقد
سبق في الكرماء ذكره وذكر في المكارم سبقه وبرز جده وقد وصفت مقاماته وتمت
صفاته فإن له مواقف في الجهاد مشكورة ومقاطف لجنا النصر مشهورة فقطع
الأجل عليه طريق الأمل وأعاد حلية الزمان به إلى العطل وأوهى عقد شبابه
الطري وحله وثلم حد شباه الطرير وفله وما زال في غزواته مثير التراب إلى أن
يحثى عليه التراب وسكنه وطالبه الثرى بحق خلقه منه فاسترهنه وغارت عليه
الأرض انطلاق سموه إلى السماء فاعتقلته ووجدته في أوج الفلك كالدبران فنقلته
وما كان أذكاه وأزكاه وأسمحه وأسخاه وأبهجه وأبكاه وأمنعه وأمناه وأوعاه
للفضائل وأحواه ولقد فجعت به صديقًا صادقًا وشفيقًا شفيقًا ورفيقًا رفيقًا
فلهفي عليه من شهم توطن التراب وسهم أصيب بعد ما أصاب وجواد بلا حجاب
لم يخطر بالبال من دونه حجاب لكل أجل كتاب وفي هذه السنة توفي علم الدين
سليمان بن جندر وقد سبق ذكره في غزواته ومواقفه ومقاماته في الخدمة فلما كان
والسلطان إلى الأين منشيها تعرض له مرض استأذن لأجله في العود إلى وطنه
حلب فسمح له السلطان بجميع ما طلب وتوجه من القدس سادس عشر ذي الحجة واستقام

على المحجة ونقص نحبه عند قربه من دمشق في قرية غباغب وستر التراب منه
المناقب ووصل الخبر بوفاته إلينا يوم الخميس ثامن عشري الشهر وفي هذه
فتك بالملك مظفر الدين قزل أرسلان بن ايلدكز في همذان ليلة الأحد مستهل شعبان
كان تولى الملك بعد وفاة أخيه المعروف ببهلوان سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ونجحت
إراداته ورجحت سعاداته وصلحت عاداته السلجقي طغرل بن أرسلان تحت حكمه
وهو ابن أخيه لأمه وله اسم السلطنة وللقزل حكمها وله عمدها ووسمها فلق السلطان من
تحت حجره وحكم نهيه وأمره فإنه لم يكن له صاحب ولا غلام إلا من عنده ولم ينفرد منذ
تولى بحله وعقده وهرب وجد تحت الليل واتصل به بعد ذلك من انضم إليه من
الخيل ودام غائبًا في نواحي دامغان مدة واشتد مصابه وأصاب شدة فاتصل
به عدة مماليك بهلوان الخاص وسلكوا معه نهج الإخلاص وأعادوه إلى سرير
ملكه وقويت يده وتأيدت قوته واجتمعت كلمته وتمكنت في الأمر والنهي جماعة
ورهبة قزل أرسلان ولازم ذعره وأخذ منه حذره وتنافس الأمراء ومماليك
بهلوان الذين يبغوه وأعلوا شأنه ورفعوه وسعى بعضهم ببعض وقابلوا كل إبرام
من مكرهم بنقض وقالوا هو ولد البهلوانية يغتالونك وبالسوء يتناولونك فابطش
بهم قبل أن يبطشوا بك فتتبع مقالهم وتتبع مجالهم وقتلهم بحضرته وهم غارون و
سالهم بأعيانهم وهم بالمغالاة فيه سائرون فنفر عنه كل آمن وحفظ بقية كل
منافرون الدنية وبقي بوجه عابس وفارقه بنو البهلوان بجماعته على مماليكهم

ولقوة شأنهم وقصده قزل ارسلان فازعجه واخرجه من دار مملكته واخرجه
واجلس سلطانا آخر موضعه وكبر عليه بالشوايب والنوايب مشرعة وخطب
لمعز الدين سنجر بن سليمان شاه واطعمه واطمعه وارضاه بالاسم واجراه على الرسم
وكاتب سلطانا وعقد له الصداقة واتهم كل منهما الآخر فتواثبا فاوقع قزل ارسلان
به وبالتركمان وعادت الفتن ملتهبة النيران وساق السلطان طغرل الى همذان فمضى
ورآه قزل ارسلان فخرج اليه ثقة بما سبق من الايمان فصرف عنانه وقبضه و
اعرض عنه واعرضه وحبسه في بعض القلاع وابعد عنه وانزه عن الابصار والاسماع
فاتسقت له المملكة واستقر منه السكون والحركة وكانت اصفهان منذ توفي
البهلوان قد اضطربت واخربت واتربت الساعة بها وخربت وقتل في ثلاث سنهالي
بمحاربة العوام الوف وتوالت بها خوف ورجوف وكانت الشحنة من جانب قزل
على الشافعية وقووا ايدي الترابية في تخريب المدرسة النظامية فاوجبت الضرورة
الى ان اصحابنا بادعوا شعار السلطان ووجدوا القوة به امام نوبته والامكان
فلما اعتقل طغرل واستتم امر قزل ارسلان مضى الى اصفهان فاخذ رؤساء الاصحاب
في المحال واجرى عليهم حكم القتل والاعتقال ثم عاد الى همذان وقد نوى وروى
ونال ما هوى ونشر من امره ما كان طوى وجلس على سرير الملك بضرب النوب الخمس
ووجد بعدم من يوحشه الانس ولها ولعب وشرب وطرب وغفل عن القضا المشتبه
ونام عن القدر المنتبه واغتر بالعيش الرفيه وحلم عن الخطب السفيه وبات في قصره

وقد غاب في سكره وهو بين خدمه وحشمه وعبيده وحرسه وغلمانه واربابه د
مستصحبيه ومستصلحيه فوجد على فراشه وهو قتيل ولم يدر كيف قتل ولم يكن
عليه سبيل فنسب قتله الى الاسماعيلية تارة والى الخاتون ابنا جنبه اخرى
والله اعلم بما حكمه عليه اجرى ولما اصبحوا قتلوا صاحب بابه وحل العقاب به
دون اربابه وجلس قتلغ اينانج ابن البهلوان موضعه وجمع له ملكه ومنعه ومضى
اخوه نصرة الدين ابو بكر الى اذربيجان وارانية سابقا اليها واستولى واما السلطان
فانه ابن منه وسلا من كان يواليه عنه فتعصبت له امراة متولي القلعة ودبرت
في خلاصه وهونت على زوجها امرا استصعبا به واغتصابه واستعانت بمن اعانها و
اعلنت باعلاء شانه شانها ولما برز دخل مدينة تبريز وكان بها الكبير احرج الاميرين ثم
جمع ومضى على سمت همذان فلقي قتلغ اينانج وعسكره بين اوهر وزنجان فكسره وهزمه
ونال جده وثلمه ومضى الى همذان وجلس على سرير ملكه وذلك في سنة ثمان وسيأتي
ذكر ذلك ان شاء الله تعالى وتوفي في هذه السنة بدمشق من المعروفين من اصحاب
السلطان صفي الدين ابو الفتح بن القابض وكانت وفاته في الثالث والعشرين من رجب
ولقد كان سريا بالحمد حريا في حلبة المكارم جريا ومن الخيانة في ولايته بريا ومن
العار عريا ولم يزل زند مضايه وريا وكانت له سياسة ورياسة ونفس ونفاسة
ورأي وفراسة وفطنة وكياسة ومروة وفتوة وثبات جنان وقوة وكان قد
خدم السلطان ايام عمه وهو في كفالة ابيه وعمه فلما ملك مصر استرجه في

اموالها وحكمة في اعمالها حتى نال المنى ووجد الغنى فقال له قد اكتفيت واستغنيت
وان صرفت الآن ما بالبيت فاصرفني عن العمل فقد نلت غاية الامل فعاش غنيا
ومات حميدا وورث السلطان بعض ماله وذلك ما فضل عن افضاله فانه فرق
على مماليكه املاكه وماله واخفى بعده وفاته ما بدا له حاله وفي هذه السنة
في شهر ربيع الاول توفي الحكيم الموفق ابن مطران وكان بارعا نظيفا عفيفا ظريفا
ونفعه الله في بداينه لهداية الاسلام ونال اسباب الاحترام وتقدم عند السلطان
وما شانه كبر وهو كبير الشان وكانت له دراية ودراسة وذكاء وفراسة ولم
يزل متلطفا في طبه متعطفا بحبه متحببا الى القلوب متقلبا من ثبوته في المحبوب
مبهج البهجة صحيح الحجة بوضوح المحجة ولم يزل له عند السلطان وذوي الجاه جاه
ومجد ابتناه ولمداواته بالشفاء شفاه حتى حان اجله وخان امله وبان عنه حلي
حاله وبان عطله وكانت له عندي يد اذكرها واشكرها وعارفة اعرفها
ولا انكرها وذلك في ذي القعدة سنة ثمانين كنت متوجها في خدمة السلطان
وفي صحبته متوليا للانشاء متفردا بمرتبته فلما وصلنا الى بعلبك انقطعت عنه بالمرض
وشكا جوهري العرض وانتهى اليه بدمشق ما الم بي من الالم فقسم فكره من خبر
السقم وركب ووصل في يومه حتى ادركني ومرضني وما تركني وداواني حتى ابللت و
ازال الله الانحراف لمزاجي بطبه فاعتدلت وصحبني الى دمشق وسبق الى اوليائي بالبشرى
وشكرت الله على النعمى وكذلك كان يطلب مرضاتي في جميع مرضاتي فلما مرض

الطبيب لم ينجع في مرضه الطب وتوفاه الرب وفي آخر هذه السنة توفي الفقيه
العالم الزاهد نجم الدين الخبوشاني بمصر وهو الذي بنى المدرسة عند ضريح الامام الشافعي رضي الله عنه
واحيا شعار التوحيد وبنى امره على التسديد وكان السلطان محبا له الى كل من يستدعيه
ويقضي له من الحوائج ما يقتضيه ووقف على المدرسة التي بناها وقوفا واعطاه في بنائها
الوفا فلما توفي طلب المدرسة جماعة من العلماء فلقوا بالاباء ثم شفع الملك العادل
في صدر الدين علي بن حمويه وهو شيخ الشيوخ ويعرف في العلم والعمل بالرسوخ
فكتب بها له ورتب بوقفها وتدريسها استقلالا له وذلك في اواخر سنة ثمان وثمانين ثم صرف
بعد السلطان عن المدرسة وتبدلت الوحشة من الانسة فصل كتب الى بعض
الاكابر في الدخول الى بيت المقدس اتفق دخول الشتاء وتواتر الانداء وتوافر الانواء
وثج الارض وسح السماء وانقطع الجلب واضاع الغلاء وبعد الراحة لقرب الاعداء ومل
العساكر لد ام الهيجاء والمقارعة واللقاء وكانت مدينة القدس محتاجة الى توفير
الهمة على تحصينها بالرجال والميرة والقوة والعدة والذخيرة ورايناها من احسن المدن
واحصنها واحكمها واوجدنا بها جدتها بعد عدمها ورتبنا بناء سورها على جوانب اودية
وسفوح متى تم لم يبق فيها للطمع من طموح وهذا امر لله وفي طاعته ولحفظ سره و
لنصرة دينه ولاعلاء كلمته ولحماية امته وما لنا فيه الا التيسرة وما رجاؤنا الا الآخرة و
المغفرة وما نصيبنا الا نصيب واحد من المسلمين المجدين والمؤمنين المعتبرين المهتدين فما اسعد
من ساعد فيه ووفى باسعاف عانيه هذا والكفر قد اناخ بكلكله ويحفل بجحفله وبرك

إلى الإسلام بكليته وعاد بمليته وقامت قيامته بقيامته وثار لثاره قيامه ورثى لمحنته
على الموت لمقبريه والبيت المقدس الذي شرفه الله وكرمه وعصمه كما عصم وحرم حرمه
مقام الأنبياء المرسلين ومقر الأولياء والصديقين وموضع معراج سيد المرسلين ورسول
رب العالمين وفيه نزل جبريل بالبراق وصعد المصطفى صلى الله عليه إلى السبع الطباق وأهدى
الله له الإسرا وأحلوله السراج المنير فيه إلى الإشراق على الآفاق وهؤلاء الملاعين قد أغذوا
لقصده وأعدوا للورود ورده وقد فرض في هذا الأوان نفض النوائب واستدعاء ذوي
الحمية من الأقاصي والأداني وإن لم يساعد وإلى الربيع القابل على إنهاض الجحافل صعب
الأمر واشتد واحتدم الخطب واحتد **فصل من كتاب في شكر صاحب الموصل**
على إنفاذ العساكر لحفظ الخندق قد أصبح البيت المقدس يقدس ويعرب عن فضيلة
منجده ويفصح بفقد وصل الرجال الواصلون بالنجح رجاء الحامون لحفظ خنادقه أرجاءه
وما فيهم إلا من أبان عن جده وأبان حده وألان الشديد بشده وثلم الحديد بثلم
الصخر وهده وهذه لا شك مقدمة لما وراءها من نتائج النجدات وجدوى سابقة
اللواحق من مناجح الجدات وعارفة معروفه في قمع العداة بإجراء العادات في إنجاز
العدات وللعدو انتظار لنجدات بحريته وإيقاب وومضات جمر تحت رماد يوشك
أن يكون لها التهاب والهمة البيابية لا تفتر في هذا الباعث إلى ما عث وعند عزائمه
حديث كل حادث **وفي شهر ربيع الآخر من هذه السنة كتبت منشور حسام الدين سياروخ النجمي بولاية**
القدس كانت ولاية القدس منذ يسر الله فتحه وحقق للآمال فيه نجحه وأطلع للنيل النصر

مسلمة إلى الفقيه ضياء الدين عيسى مفوضة وصعاب أعماله وشعاب أحواله بنظره وآرائه و
نصره آرابه مروضة وقد استناب فيه أخاه الظهير ظهيراً ولم يزل رواؤه وبهاؤه
به شهيراً شهيراً إلى أن استشهد في شعبان سنة خمس وثمانين وتوفي الفقيه عيسى في ذي
القعدة منها وانتقل إلى عليين فأبقى السلطان نوابه من بعده محافظة على عهده وكان
الأمير سياروخ بالقدس مقيماً وللنظر في مصالحه مستديماً وبضم من أمره ما يراه منشوراً
فكتبت له في التاريخ المذكور باستقلاله منشوراً   الحمد لله الذي أفضى من المسجد
الأقصى من دانا من الكفر ودنسه ونزه البيت المقدس من رجس أعدائه المشركين بأيدي
أوليائه الموحدين وطهره وقدسه وأنطق محرابه ومنبره بتلاوة الذكر المبين وأسكت
الناقوس وأخرسه نحمده على ما عصمه من الحوزة وحرسه ونرجوه من الشدة ونفيسه و
نبأ له أن يصلي على نبيه محمد المصطفى الذي شرع الدين وشرحه ومهد الشرع وأسسه
وبطل الكفر وعطله وأرغم الشرك وأتعسه وعلى آله وأصحابه الذين أعلى الله بهم
منار الحق وأضفى ملبسه وأصفى مورده وأزكى مغرسه   وبعد فإنا منذ فتح الله
لنا بيته المقدس وخفض بإعلاء أعلامنا راية الكفر ونكس وكشف بأيامنا من أيامنا وجه
الدين البشر من بعد ما كان تعبس وخصنا بفضيلة نجحه وجعل لنا به الحظ الأجزل الأفضل
الأنفس ما نزال نطلب ولياً لله يكون له ولياً ويعود عاطله بتأثير إحسانه وحسن
آثاره وإيثاره حالياً ويرجع بنظره الشافي وتدبيره الكافي من الحفظ منار الهدى
عالياً ولا نزال نعلي بالمستحق منه أن نحيي من رسوم الإيمان ونجدد من معالمه ما طمس

مقام أهل الضلالة

فيه دارا بابلها وقد اختبرنا الأمير حسام الدين فألفيناه لأهلية هذه الولاية
جامعا وإلى مضمار السبق في هذه المكرمة مسارعا ووجدناه بأعباء الأمانة ناهضا
ولأنداد المناصحة والصحة فيه ماخضا ماحضا واستخرنا الله تعالى وعولنا عليه في ولاية
مدينة القدس وأعمالها وعدقنا برأيه الراجح وسعيه الناجح مهام أشغالها وحكمناه
في تحصيل مصالحها وتسهيل مناجحها وإسداد ثغرها وسداد أمرها ورعاية أمورها وعمارة
حريمها وسورها وتطويل باع سكانها وتأهيل رباع أماكنها وإسكان مواطنها وتوطين
مسالكها وتطهيرها من أدناس الناس وتعميرها بالعدة والعدة والشدة والقوة
والبأس فليتول ذلك بقوة ناهضة ونهضة قوية ورؤية مبصرة وبصيرة روية
وليستشعر تقوى الله التي تقوى بها العزائم وتتوفر بها المحامد وتكمل المكارم جاريا
على مقتضى الشرع في كل ما يحله ويعقده ويقرره ويمهده ويصدره ويورده والله تعالى يوفقه ويسعده

دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة

والسلطان مقيم بالقدس في دار الأقساء جوار قمامة وأظهر بها لتقوية البلد الإقامة وقد قسم
سور البلد على أولاده وأخيه وأجناده فشرعوا في إنشاء سور جديد بخندق مديد وكان
يركب كل يوم مضحي شمس مصحي فينقل الصخر على قربوس سرجه فيستن الأكابر والأمراء في
نقل الحجارات بنهجه تلو رايته وهو يحمل حجرا في حجره ليعرف أن له قلبا لم يحمل حملا في
ذكره ولقد جد في حماية الصخرة المقدسة حتى حمل لها الصخور وانشرح صدره لانضمامها
إلى صدره حتى باشر صيد ومماليكه بها الصدور ودوما نقلوا إذ رتبها في الجنة نقل حجارتها

ليكون ملكا في دار دما وقصرا في دارتها وكل بنا آملت ووقفت عمارته ركب وتكرر إليه وجمع
الحجر بنفسه وأجناده عليه فإذا اكتفى انتقل إلى موضع آخر ونقل إليه الحجر ولقد بني به في
غرفات الحجر وآثره وإثارته سيرته الحسنة منه لا أثر وما أعمر إحسانه وأحسن ما عمر ودوام
البكور بالركوب وعرض وجهه الكريم للشحوب والتزم الأمر التزام الوجوب ولان
له الصخر لين الحديد لداود وجد في فرض جدته وأفاض الجود وكان يحفر الخندق صلدا
لا يتأتى قطعه ولا يتهيأ بكل آلة صدعه فاتخذ من الفولاذ قطاعات واخترع على الحدادين
آلات فأمكن الصلد ومن الجلد وتيسر الصعب ولان الصلب وصرخ الصخر لما خاف الحفر
وضج الحديد لجلد الجلمود وصفا قلب الصفا لإصاخة الصخود واعولت المعاول وجدلت
الجنادل وسمعت الصم أصوات السطور وخرج جرح الإساءة البهاء عن الأسر وفلقت القطع وقطعت
الفلق واتسع الضيق وتعمق الخندق وطاب العمل وطال الأمل وحز الحزم وجز الجبن
وركنت القوة وقوي الركن فلا ترى إلا بيوتا يعلو وخندقا يستفل وبناء يسمو وحجرا
ينزل وبرجا يستقف وبدنا يشرف وحجارة تبنى وعمارة تبنى وكلسا يحرق وأساسا يوثق
وطاقا يعقد وزوايا تمهد وطاقات تطلق ومرامي تخرق وسنابر تحجز وحفائر تقعر
ومصاعد تهندس وقواعد تثبت ومعارج تشرع ومخارج تفسح ومواح تترب ومدارج
ترتب حتى أحكم المكان بكل ما في الإمكان واتصلت الأبراج بالأبدان مشيدة الأركان و
السلطان يشرف كل يوم على عماله قوم فيبهجهم بإحسانهم ويجازيهم بإحسانه ويعبر
جنان المتولي من قوة جنانه ويبركه بما يبينا نفقه من عمله ويحلي بالفضل ما يبدو له

من عطله وكان ذلك دابه مدة اقامته وقد جدد عمارته بغرامته بل يرى ان كل مال
ينفقه ذخرا باق وان انفاق كريم فانفاق وما عنده خشية املاق بل يعده جارية
بالملائق حايز الارزاق وانه يتجلى له اعماله الصالحة يوم يكشف عن ساق وان وثق الله
واستمسك ادبره في حيز الخندق وتتابع السور بني بيت الله المقدس مع الاسلام على
ممر الدهور ولا يبقى عليه لمسلم فزع ولا فيه لكافر طمع فلو عاش تحت نصر عجزه وسلب عنه
الاسلام عزه ورأى من المعجزات ما حسره وتقهقر عن الباس الذي ان ثبت له قهره
فسبحان الذي اقدر السلطان على ما عجز عنه الملوك وهداه من الفضل الى نهج ضلوا فيه
السلوك **ذكر الحوادث مع الفرنج في هذه السنة ونبعته** رحل الفرنج يوم الثلثا ثالث
المحرم من الرملة الى عسقلان ونزلوا يوم الاربعا بظاهرها وتشاوروا في اعادة عمارتها
وكان سيف الدين يازكوج وعلم الدين قيصر والاسدية نازلين في بعض اعمالها مجدين في نقل
غلاتها وركب ملك الانكتير عصر يوم الخميس ومعه حزبه من جند ابليس فتناهد دخانا على
البعد وما عرف ما عنده من العسكر المعد فبات متوجها الى تلك الجهة وهو يتبعه
عسكره وامتد فما شعر اصحابنا الا بالكبسة وقد تعبت فما ارتاعت قلوبهم بل تثبتت
وذلك وقت المغرب وهم مخيمون مجتمعون على الانتظار فارغة الافكار من شغل الكفار
وكانوا نازلين في موضعين مقيمين في منزلين فلم ير العدو الا احد القسمين فقصد نحوه
واطلق عنانه لحربه ونعرف القسم الاخر هجوم العدو فهجروا ما ذا الهدو وركبوا الى العدو
يدفعوه حتى ركب رفقاؤهم المقصودون واجتمعوا وهم المسعودون وردوا العدو وشوطا

وصبوا عليه من قواع العذاب سوطا ثم نكا ثو الفرنج عليهم وتواصلوا وسبقوا اليهم
فاندفعوا بين ايديهم والفرنج ثابتهم وساقوا اثقالهم قدامهم وقد ثبت حفظها على
الاقدام اقدامهم وما فقد من اصحابنا من عرف الا اربعة ونجا الباقون وخواطرهم
موزعة وكانت نوبة عظيمة دفع الله خطرها وهون ضررها ❁ وبتاريخ الثلثا عاشر
المحرم ركب السلطان على عادته في نقل الحجارة والجد في العمارة ومعه الملوك اولاده
والامرا والقضاة والعلما والصوفية والزهاد والاوليا وخرج كل من في البلد وجا
المدد وهو قد حمل على سرجه واستوى في نهجه والناس ينقلون معه على خيولهم في
تفافيهم وذيولهم ولما دخل الظهر نزل في خيمة ضربها وليده الملك الظافر في الصحرا
واحضر فيها السماط لمن يدعوه من الامرا واحضر على ذلك السماط واحضر طعام مطابخه و
بسطه على ذلك البساط وكنت قد مضيت في ذي وتقريبه امد بني فلما فرغ وفرغنا وبلغ
مراده وبلغنا مما هناك الظهر وركب عائدا الى داره ايبا باينار وحسن اثاره فابوا
بسرور وانسوار وحسن اختياره **ذكر ثلث سرايا سرت وبوركت وبورك** كان
عز الدين جرديك جرد في سرية سرية بارية رقاب ذوي الغلول من الغل برية فاغارت
يوم الاربعا الحادي عشر من المحرم على بيت نوبا وفيها الفرنج بنية السكنى فغنمت اثني عشر
اسيرا وخيلا ودواب واناما كثيرا وفي يوم الثلثا ثاني صفر اغارت السرية وفيها جرديك
وعسكر القدس وجماعة من المماليك على ظاهر عسقلان واوقعت بناصرها على الكفرة الخذلان
وغنمت اسيرا اقدرت في الاغلال نسوى ما كسبته من الخيل والبغال م

بسرية فارس الدين ميمون القصري كانت ليلة الاحد رابع عشر صفر سلك الجرد
وسرت حتى اصبحت على يبنا وكمنت وصبرت الى ان استرسلت الفرنج الى الطريق وامنت ثم ظهرت
على قافلة من الفرنج عبرت فكبست وكسبت وكبرت واسرت واخذتها باسرها مع رجالها وبغالها
واحمالها واثقالها ثم اغارت على يافا فقتلت وفتكت وسفكت دما وهتكت وعادت بالغنيمة و
السبايا واستغنت بنقودها عن النسايا وعجز جماعة من الاسارى عن المشي فضربت اعناقهم
واوجب ذلك للباقين في المسير اعناقهم وعادت سالمة سالبة غانمة غالبة ذكر
خروج سيف الدين علي بن احمد المعروف بالمشطوب من الاسر قرر على نفسه قطيعة خمسين الف
دينار فادى منها ثلثين واعطى رهاين على عشرين ووصل الى القدس واجتمع بالسلطان يوم الخميس
منتهك شهر ربيع الاخر فقام اليه واعتنقه وتلقاه بالوجه الباشر واقطعه نابلس واعمالها
وحلي باياليته لها احوالها وعاش الى شوال من هذه السنة وتوفي الى رحمة الله باعمالها له
الجبينة بعين السلطان ثلث نابلس واعمالها لمصالح البيت المقدس وتشييد ركن سوره
الموسس وابقى باقيها على ولده وتركه في نصرته ويده نكتة لما خرج
المشطوب من الاسر تلقاه ولده روي البشر قوي الازر فوجده على زي اولاد الاتراك
مضفور الشعر فبدا منه الانكار والاكبار وقال ما للاكراد في شعورهم هذا الشعار
فقطع ضفيرته وقصر وفرته فتطير الناس من قطع شعره على ابيه وقالوا هذا دليل صح الاسقف
مصابه الذي ياتيه هلاك المركيس بصور اصابة المركيس بصور يوم الثلثا ثالث عشر شهر
ربيع الاخر فاستوفي رزقه لموافاة اجله ووصل الى الباب فالمع امله وقد دعي الى جهنمه

وما لك على انتظار مقدمه والجحيم في ترقبه والدرك الاسفل من النار في تلهبه
والسعير في تسعره ولظى في تلظيها لتنظره وقد قرب ان تكون الهاوية له حاوية والحامية
عليه حامية والزبانية في ايقاع العذاب به لمنزل الرجز بانية وقد فتحت النار له ابوابها
السبعة وهي جايعة الى التهامه وهو مليته بالاكل يستوي في الشبعة فاكل وتغدى وما دري
انه تردى واكل وشرب وشبع وطرب وخرج وركب فوثب عليه رجلان بل ذيبان امعطان
وسكنا حركته بالسكاكين ودكاه عند تلك الدكاكين وهرب احدهما ودخل الكنيسة و
قد اخرج النفس الخبيثة وقال المركيس وهو مجروح وفيه روح احملوني الى الكنيسة فحملوه وظنوا
انهم حاطوه لما نقلوه فلما ابصره احد الجارحين وثب اليه للحين وزاده جرحا على جرح و
ورحا على ورح فاخذ الفرنج الرفيقين فالفوهما من الفداية الاسماعيلية مرتدين فسالوهما
من وضعكما على تدبير هذا التدبير فقالا ملك الانكتير وذكر عنهما انهما تنصرا منذ
ستة اشهر وقد دخلا في الترهب والتطهر ولزما البيع والتزما الورع وخدم احدهما ابن
بارزان والاخر صاحب صيدا لقربهما من المركيس واستحكما بملازمتهما اسباب التانيس ثم
علقا بركابه وفتكا به وقتلا شر قتلة وجهل عليهما اشر جهلة فبالله من كافرين سفكا
دم كافر وفاجرين فتكا بفاجر فلما ظل المركيس مركيا وفي جهنم منكبا منكسا تحكم ملك
الانكتير في صور وولاها الكند هري وعذق به الامور ودخل بالملكة زوجة المركيس
في ليلته وادعى انه احق بزوجته وكانت حاملا فما منع الحمل من نكاحها وذلك اقطع
من سفاحها فقلت لبعض رسلهم الى من ينسب الولد فقال يكون ولد الملكة فانظر

إلى استباحة هذه الطائفة المشركة ولم يعجبنا فتك المركيس في هذه الحالة وإن
كان من طواغيت الضلال لأنه كان عدو ملك الانكتير ومنازعه على الملك والسرير
ومنافسه في القليل والكثير وهو يراسلنا ويساعده عليه ويتنزع ما أخذ من يديه
وكلما سمع ملك الانكتير أن رسول المركيس عند السلطان مال إلى الاستكانة بالمراسلة
والإذعان وأعاد الحديث في قرار الصلح وطمع في نيل صلاح له بانعقاد الصلح فلما قتل
المركيس سكن روعه وروعه وذهب ضره وضرعه وطاب قلبه وآب لبه واستوى
أمره واستشرى شره وكان قد تعصب لمعاداة المركيس للملك العتيق فأظهر له ود
الشفيق الشفيق ووهبه جزيرة قبرس وأعمالها واستبد بسداده اختلالها فلما هلك
المركيس عرف أنه قد أخطأ في تقويته وخشي أنه لا يسلم من عاديته ولا يأمن من غائلته
فلما عدم عدوه وجد هدوه وآب سكونه وثاب جنونه وغاض غيظه وحمه حطه
وقام من منبع الشرك وطه ومع هذا لم ينقطع بمحادثته ولم يحرف مقاطعته ومرت
رسل مراسلته وردت بمخادعته ومخاتلته ولم يتزل عن ادعاء أصدقائه أنه الملك
العادل وتصديق دعوته وراسل في طلب المناصفة على البلاد سوى القدس فإنه
يبقى لنا بمدينته وقلعته سوى كنيستهم المعروفة بقمامة فإنهم يعتقدونها ملتهم الرعا
فأبى السلطان أن يقبل هذا القرار وأبى لهم إلا النكاد وسامهم أن ينزلوا عن يافا
وعسقلان ويأخذوا على ما يبقى في أيديهم الأمان

ذكر استيلاء الفرنج على قلعة الداروم

وهذه قلعة الداروم على حد مصر وكانت منها مضرة كثيرة لما كانت مع

الكفر فلما فتحت حفظت وتركت وأبقيت وبالميرة والذخاير والرجال مليت وخربت
عسقلان وغزة دونها ونسلها علم الدين قيصر على أن يصونها فلما شرع الفرنج في إعادة
عمارة عسقلان تجددوا مرارا إليها وداروا حولها وأشرفوا عليها وأنفق السلطان في
جماعة وقوالها بها وشد بالنجدة قلوب أربابها ثم نزل الفرنج عليها بقضهم وقضيضهم
وبحمرهم وبيضهم وفارسهم وراجلهم وصامتهم وذابلهم ورامحهم ونابلهم واشتد
زحفهم عليها ونهوضهم إليها عشية السبت تاسع جمادى الأولى بعد أن أخذوا فيها
نقبا وحشوه وحشوه وأحرقوه وطلب أهلها الأمان فلم يجدوا وطلبوا من قيصر وجماعته
نجدة فلم يجدوا فلما عرفوا أنهم مأخوذون وأنهم موقنون موقودون عمدوا
إلى الخيل والجمال والدواب فعرقبوها وإلى الذخاير فأضرموها وألهبوها فتحوها بالسيف
وعرضوا أهلها على الحيف وأسروا منها عدة يسيرة وكانت هذه النوبة على الإسلام
كبيرة ثم لم يلبثوا بها ولم يعبثوا فيها ورحلوا عنها وتنحوا عن نواحيها ونزلوا على
ماء يقال له الحسي وقد طاش بهم الغي والبغي وذلك في يوم الخميس رابع عشر الشهر
وقد أنسوا بما ظنوه من الغلبة والقهر ثم تركوا خيامهم وساروا على قصد قلعة
يقال لها مجدل الحباب فخرجت عليهم أسد اليزكية المكمنة من الغاب فقاتلتهم
قتالا شديدا وتركتهم بحد الحديد بديدا وغادرت جلهم فقصدهم الجديد جديدا
وكرت عليهم فكررت في ردهم عن جنبهم تزديدا وقتل منهم في جملة من قتل
كند كبير وأتاهم من مبارزها لهم منيه وعادوا مفلولين مثلومين مخذولين

منهم ومن مشلولين مهضومين ثم رحل الفرنج من الحسى يوم الاحد سابع الشهر وتفرقوا
فريقين وبعضهم عاد الى عسقلان وبعضهم جاء الى بيت جبريل فتقدم السلطان الى العساكر
والامراء بان يكونوا لهم مبارزين وفي يوم السبت الثالث والعشرين نزلوا ثابت
الصافية بجموعهم الوافرة الوافية ورحلوا يوم الثلاثاء السادس والعشرين الى النطرون ثم ضربوا
خيامهم يوم الاربعاء على بيت النوبة واجتلينا تبيرا لهم المشوبة وسرت منا اليهم السرايا
وتوالت عليهم البلايا واظهر السلطان مقامه بالقدس ليبعد وحشة المقيم فيه من قربه
بالناس وفرق الابدان والابراج على الامراء والاجناد وذوي القوة والاستعداد و
امرهم بنقل الازواد ثم زال الرعب وطاب القلب وخرج الناس الى خيامهم يتخطفونهم
ويعسفونهم ويتحيفونهم ومن ذلك ان بدر الدين دلدرم كان في اليزك ليلة الجمعة
التاسع والعشرين فبعث من اصحابه والعسكر الى طريقهم من يأتي فامر لزم الكمين
فجازت بهم فرسان من الفرنج مستقيمين على النهج فخرجوا عليهم وقتلوا واسروا
وفازوا ونصروا وفي يوم السبت ترك الناس اليهم في خيامهم والهبوهم بضرامهم
وركب العدو وساق الى قلونيه وهي ضيعة من القدس على فرسخين ثم عاد بايد
الثار بادي الشر وعساكرنا قد ركبت اكتافه وهي تقطع اطرافه وتهز اعطافه
البيض لنحو اعطافه وفي يوم الثلاثاء ثاني جمادى الاخرة خرج كمينا في طريق يافا على
السابلة العابرة فظفروا وفازوا ونجوا واجاروا وكسروا واسروا

ذكر كبسة الفرنج عسكر مصر الواصل

كان السلطان يستحث عسكر مصر بكتبه ورسله ويدعوه نجدة

لاهل القدس على الكفر واهله فضرب العسكر خيامه على التل مدة حتى اجتمع الرفاق
وتهيا لمن تاخر عن السباق اللحاق وانضم اليه التجار وحصل لهم بكثرتهم الاعتزاز
وللعدو ولقد وهم الانتظار وعنده جواسيسه للاخبار فجاء الخبر من اليزكية الى
السلطان ليلة الاثنين التاسع من جمادى الاخرة ان ملك الانكتير ركب في سبعمائة
فارس والف تركبلي ومعه الف راجل وسار عصر الاحد سبر مخادع مخايل ولا
يدري اي جانب قصد ولاي نائب نصب فجرد السلطان امير آخر اسلم جوقا
على الواصل ليسلم وندب معه الطنبه وعدة من العادلية وامرهم بان ياخذوا
بالناس في طريق البرية فعبروا على ماء الحسى قبل وصول العدو اليه واتصلوا
بالقوم واخبروهم بالهم كشفوا الماء ولبس احد عليه وكان مقدم العسكر المصري
فلك الدين اخو العادل ولم يسال عن المنازل والمراحل وقصد اقرب الطرق
وغفل عما يعرو امن الغرق والفرق وترك الجمال على طريق اخرى سائرة وراى
الامنة ظاهرة واوجه الاسلام سافرة وجاء ونزل على ماء بالخويلفة واماني تغره
بالمواعيد المخلفة ونادى تلك الليلة انا حزنا مكان المخافة وقربنا السلامة من الآفة
فلا رحيل الى الصباح فاغتر الناس بالنداء الصراح وناموا مسترسلين وباتوا متغفلين
فصبحهم العدو عند انشقاق الصبح بالصدمة الشاقة والحدمة الحاقة وعاق
ان ذكا باذكاء بنت الداهية العاقة فجاءهم فجاءة والفجر لم يبد اضاءة والخيط الابيض
من الخيط الاسود لم يتبين وهبوب الاعين من هبوب الغفوة لم تعين وكل غرار في جفنه

ثاد وكل قلب بامنه ساد وكان جنب على فراش وكل عاش له النعاس غاش فلما
بغتوا بهتوا وطلبوا ان يفلتوا انما التفتوا وركب كل منهم على وجهه وربما كر بكرهه
ومنهم من ركب بغير عدته حصانه واسلم غلمانه واخوانه والهزموا خولا اثقال
فاوقعوا العدو وهم وراهم على الجمال والاحمال فوقع العدو في سوابقها واشتغلت
بها عن لواحقها فتفرقت في البرية وعاد مقطعها الى الديار المصرية ومنهم من عاج
على طريق الكرك فلم يقع في الشرك ولم يحصل في الدرك فاخذ الكفار جمالا لا تعد و
احمالا لا تحد وكانت هذه نكبة عظيمة ونائبة عميمة ونوبة ذات نبوة ونكبة
ذات كبوة ووقعة ذات روعة وجولة ذات لوعة فظنت الظنون وارجف المرجفون
وقالوا لقد حصل للفرنج من الظهر ما حملهم وينهضهم ومن المال ما يبطرهم ويحرضهم
ومن الان يقابلهم وباي عسكر وعدة يقاتلهم ووصل الجند مسلوبين منكوبين فسلاهم
السلطان عن اموالهم بما قوى من امالهم وحثهم على الحظ من الاجر بثارهم والجد
في دمار القوم وبوارهم ولها الملاعين بما ملا العين من المال عن القيل والقال
والقتل والقتال وحلا لهم ما جاءوه من الحال وجرى هذا كله والملك الافضل
والملك العادل غائبان وعساكر الموصل وسنجار وديار بكر متباطئة في الاتيان
بسبب غيبة الملك العادل والافضل وما جرى لهما من الاول كان الملك الافضل
طلب من والده البلاد فاطع الفرات ونزل عن جميع ما له من الولايات وانه اذا
عبر الى الرها وحران ملك تلك البلاد ان وعنا له من بها من ملوك الاطراف ودان

ورحل من القدس في ثالث صفر وقد ازمع السفر ووجه عزمه الماضي المضي سفره
واقام في دمشق حتى استعد واستجرى من ابيه ما كمل به واستنجد واطلق السلطان
عشرين الف دينار سوى ما صحبه من الخلع والتشريفات من مستعملات ثياب و
مصوغات نضار ثم سار في بحر بحر سيل خيله جار ذيل نقعه على المجرة شاغل بالسير
والسري اسرار ذوي الاسرة بادية على صفحات صفاحه نضرة النضر ووصل الى حلب
وقد سرى انوار التوفيق وحلب واحتفل اخوه الملك الظاهر لقدومه وقام له
بسنن الكرم ورسومه ورحب للترحيب به صدره وجنابه وسحب على ذروته
سحائبه واصحب نبض فضله سحابه ووقف خدمته ماثلا وهز عطف الابتهاج اليه
مائلا وافضى له مفاتيح بلده وقدم له كل ما في يده ولم يبق من الجميل شيئا الا
عمله ولا نوعا ولا نوعا من الفضيلة الا كمله وعرض عليه الحصن العراب والتحف
والثياب وخلع على خواص اصحابه وعوام اجناده وخصهم وعمهم من الجود بامداده
وعول على ان يسير معه الى الجهة التي يقصدها ويساعده على الضالة التي
ينشدها وسمع ناصر الدين ابن تقي الدين بما اقلقه ودفع منه الى ما ارهجه و
ارهقه ووصل رسوله الى الملك العادل وهو بالقدس لاجيا الى ظله راجيا
لفضله لايذا بجنابه عائذا ببابه مستجيرا بارعائه مستجيبا لدعائه مفوضا اما
حل به الى انوار آرائه مروضا ما حل امره بانواء الآئه فاحتمى له واحتمله ونوى في
تقويته امله وخاطب السلطان في حقه واستعطفه وشفع في حقه واستشفعه وقال انا اخي

وأستحضره وأمنه مما حذره وبقي هذه السنة حران والرها وشد من رجابه بذلك
ما وهبه ويعطيه من السنة الآخرة حماة والمعرة ثم قرر السلطان مع أخيه العادل
أن يأخذ تلك البلاد ويحويها ويملك حوزتها وجبيتها وينفق عنها ويكفيها واستقر أن ينزل
عن أقطاعه بمصر ونصف خاصته وإذا أخذ تلك البلاد لما تجاوره يجتهد في استخلاصه فأبدا
على الرضا بذلك وجه كراميته وأعتياصه واستزاد قلعة جعبر فمنع الملك الظاهر
من تسليمها في استظهر من أبيه بأضعافها واستظهر وتقرر مسير الملك العادل في
العشر الأول من جمادى الأولى وكتب السلطان بعد ذلك إلى الملك الأفضل نجاهدا راجعا
وذهب ذاك مسارعا ووصل إلى حران والرها فقرر تدبيرهما بالنحو المشتهى و
بلغ من مراده إلى أمد الأمد المنتهى وعاد في آخر جمادى الآخرة وقد استصحب ابن تقي الدين
ووصل في هذا الشهر إلى دمشق ابن صاحب الموصل علاء الدين وصاحب آمد ابن قرا ارسلان
قطب الدين وعسكر صاحب سنجار ومقدمه مجاهد الدين يرنقش واجتمعت بدمشق في
هذا الشهر بها الإسلام أنس والكفر يستوحش وأقامت تنتظر مسير الملك العادل النشيه عساكر
في خدمته وتجلي دايا بها في مطالع رايته **ذكر رحيل ملك الانكتير صوب**
عكا مظهرا أنه على قصد بيروت لما تعذر على الفرنج قصد القدس وعرفوا أن مرضهم في
التكبير ورأوا أن تعر بيروت قد براهم وعراهم من القوة ما منه عراهم وأنه قد قطع
عليهم طريق البحر بمراكبه وقد تحجبوا بمقاتليه وثوابيه فقالوا أخذ هذا البلد مبتني
وقصده متعين وإذا حاصرناه جذبنا السلطان وعساكره إلى جانبه وخلا القدس

من جهة كتائبه وحموته مضاربه فتبادر إليه من يافا وعسقلان من يجد في تملكه
إلى الإمكان فلما عرف السلطان ما عزموا عليه من القصد وقدروه من الكيد أمر الملك
الأفضل بمباراة القوم في الرحيل وقطعهم بكل سبيل عن تلك السبل وسبقهم إلى
مرج عيون حتى إذا تحقق من قصدهم المظنون سبقت العساكر إلى بيروت ودخلتها
وتلبث الفرنج ونكبتها عنها وحولتها وكتب السلطان إلى العساكر الواصلة إلى دمشق أن يكونوا
مع ولده وأن يضموا أمدادهم إلى مدده ونزل بمرج عيون والفرنج بعكا بعد لم يتجاوزوها ولم يبعد
ذكر نزول السلطان على مدينة يافا وفتحها ولما رحل ملك الانكتير وسار وخلى وراءه
الديار نزل في مدينتي يافا وعسقلان جمعا من منتخبي الرجال والفرسان ووصاهم
بالجلد في حماية البلد فانتهز السلطان فرصة الغيبة وأوفد إلى مشارع رجالهم غصة
الخيبة ونهض بعسكره الحاضر ولم يتمهل لانتظار العساكر ووافى يافا ووافاها بكل المنجنيق
الحجارة وأراق دماءها وساق دمارها وزحف الناس وحف الباس ورعبت المدينة
وزعت منها السكينة وقتل من بها وبيح واحد ماتها وكسح وجدت الأحمال المأخوذة من
قافلة مصر فأخذت وجانت وعلت الأيدي والسيوف من الدماء والأموال ونهلت ونفضت
كنائن ونطفت خزائن واستخرجت دفائن ووجدت مكامن وحصل استمتاعنا بأمتعة وانتفاعنا غنا
بكل منفعة وامتلأ بلد الكافر بالمسلمين وكان النابين قد سبقوا إليها وقرب الناس أن يستولوا
عليها وذلك يوم الجمعة العشرين من رجب وقد شارف من فيها النحب فلما طلبوا الأمان رد
الناس وكفوا وظنوا أن الغنيمة نضفوا فأتم خرج البطرك الكبير ومعه جماعة من المقدمين

الاكابر على ان يدخلوا تحت حكم الاسار ويسلموا جميع المال والعدة والذخاير على ان
يطلق كل واحد منهم باسير ويفدى صغير بصغير وكبير بكبير وشرعوا في الخروج
احادا وعشرات وعصبا متفرقات في ساعات حتى دخل الليل فاستمهلوا الى الصباح وطلبوا
وامتنعوا من يقف لحفظهم فبذلنا لهم ما عينوه من الافراج ومان الخرج منهم
من يستدعي زيادة التوثقة ونفيس خافهم بالمضايقة المرهقة حتى وصل تلك الاكثير
في البحر مراكب في سواد الليل لظلمة الكفر ودخل هو القلعة من الجانب البحري ونادوا
بشعار الغدر فاكتفينا منهم بمن حصل في الاسر وندمنا كيف خرجت اللقمة من الفم
ولا تنفع بعد فوات الفرصة الندم ولوان السلطان توقف في تامينهم واستمر على
توهينهم لقلعت اساس القلعة ونقضت رفعة تلك البقعة ولقد كان فتحا عظيما
وفضلا من الله عميما فمما امتلات الايدي بغنايم المدينة ووهنت اسباب
قواهم المتينة واستعد بما نهبوه من الكسوة المصرية وقرنا بالغنايم السنية وقتل
من اقام بالبلد واسر وكشط جلد تلك المدرة وبشر وحصل في البلد من مقدمي القلعة
نيف وسبعون وتركوا وهم بالثبور يدعون وكان القصد في الاول رجوعهم عن
قصد بيروت وخشي على فرصة حفظها ان يفوت فمن الله بحصول المقصود وقرنا
نجح الجهاد بغير بذل المجهود وانما وقع التندم كيف لم يقع في اخذ القلعة الشروع والتقدم
فتعاصت بعد الاذعان وتعذرت بعد الامكان وجمحت بعد الاصحاب وجنحت
بعد الاكثاب وافلتت وقد وقعت في الحبالة واستقلت بعد العثرة والاستقالة

وضعف الفرنج من تلك الكرة وآذن نشاطهم بالفترة وما انتعشوا ولا انجبروا
من تلك العثرة والكسرة وعاد السلطان وخيم على النطرون والعسكر قد ملا القلوب
قرير العيون وجاء اليه الملك الافضل ولده والملك العادل اخوه واسفرت بالمسار
الوجوه وكان ولده الملك الظاهر ايضا قد وصل وفي هذه الغزاة حضر ومعها حصل
وكذلك كان قطب الدين سكمان بن محمد بن قرا ارسلان حاضرا واخذ من السعادة حظا
وافرا وحصل بيده جرح يئس ان يبرى وظن تلك النعمى لا تبقى ثم اندمل جرحه
وفارق قداحه وجاءنا السنا قد خرجه واقام السلطان حتى اجتمعت العساكر وحفت
اوايلها الاواخر ووصل الملك المنصور ناصر الدين ابن تقيه في بيضه وسمره و مشرفيته
وسمهريته هذا والملك العادل متاخر في المخيم بسبب عارض السقم وملم الالم
ورحل السلطان ونزل بالرملة والعساكر في عدد الرمل والاسلام قرير العين من
اهله بجمع الشمل والفضاء قد امتلا والقضاء قد اجتمع والمقدور قد اسعد والسعد
قد قدر والنصر قد ابدا الصفو واذهب الكدر وتلك البرية قد حوت البرية وجمعت
العسكرية والكتيبة الجارية والكماة الجريئة والاعراب والعراب والمحارب والحراب
والاجواد والجياد والاسياد والاساد والبياض والسواد والعدد والاعداد

فصل في الحال من كتاب الى الديوان العزيز الخادم حاله على ما نهاه غير مرة
في مرابطة اهل الكفر مستمرة واداوة النصر على حفوظها مناره ولديها اخرى
منتشرة والحرب سجال وللاسلام في مضمار الظفر مجال وقد تجاوزت القصة عن

جد الإنهاء وكلما شارفت القضية الانتهاء عادت إلى الابتداء والحادثة متصلة والواقعة
مستقبلة والنعمة من الله في إجراء أوليائه على أجمل عاداته بإنجاز عداته في جمع عداته
مؤملة وما ينقضي يوم إلا عن نصرة تتجدد ونعمة تتمهد وجمع للعدو يتبدد وجمر للنكاية
فيه يتوقد وحد السيف فيه من حده بدم الشرك يتورد وفتح بكر من الحرب العوان
بلقاح البيض الذكور يتولد وآخرها تم في هذه الأيام من مرهجات الكفر ومبهجات الإسلام
حظوة تحلو ونوبة لها نبوة وهي أن الفرنج لما أعجزهم قصد البيت المقدس ولم
يستقم لهم ما يسولوه في الأنفس عكسوا عزمهم ونكسوا عزمهم وعادوا خائبين ونكصوا
هائبين واستأنفوا مكيدة أخرى وشرعوا في شر خلف الشرك به بمرى واجمعوا
على قصد مدينة بيروت وتوامروا على الإنجاز نحوها أعداء الله وأولياء الطاغوت
فسارت العساكر الإسلامية على مبادرتهم لمضايقتهم في مضايق طرقاتهم وتجرد الخادم
في خواصه وولى الخادم يافا موقنا من الله أن مدد نصره إليه يتوافى وحل البها
من معقلي سائر الإسلام ومستملي بنات الخلاف الأسد والعرين فما ذالت بساحتهم فساء
صباح المنذرين فأخذها بالسيف عنوة وأعاد ضرام النيران بها جنح الليل ضحوة وأتى
القتل والنهب على من وجد فيها من الكفار واستخرج ما بها من الأموال والعدد والذخائر
وخلص من المسلمين من كان بها في الإسار وأصبحت للفرنج فيها بشارى بالتبار وطلب من بالقلعة
الأمان على أن يسلموا من القتل ويستسلموا إلى الأسر ونزل البطرك والقسطلان والمرشان
وجماعة من المقدمين خرجوا ودخلوا تحت القهر فبينا هم مشتغلون بالنزول والمنقطعون

إلى الوصول جاءهم الغوث في البحر وظهرت منهم أمارة الغدر ورجع العدو عن
مقصده ورده الله وخذله وما كسب فاز من سبب دمائهم علة ولهلة وكان
المقصود ردهم عن موردهم وصدهم عن مقصدهم فأرى ما اقتضاه الله من فتح
الهدى وحتف العدى على الأرب واهتزت أعطاف البيض والسمر المنتشية من
كاس يحتسيها للطرب والقوم الآن قد اشتغلوا بمصالحهم واجتمعوا لضم ما انتشر من
أسبابهم وراسلوا في الصلح على أن نخلي لهم عسقلان فما أجيبوا وعلموا بجهلهم
أنهم ما أصابوا فيما دبروه لإدبارهم فأصيبوا والعساكر الإسلامية اليوم عليهم
مجتمعة ومسالك الممالك لضائقتهم ومضايقتهم متسعة وقد آن أن تحل معاقد
معاقلهم التي هي ممتنعة وكلما جدده الله من علو يظهر وعدو يقهر ونصر يزهر
ونصل بالظفر يشهر فهو ببركة بركات الاستمساك بطاعة المواقف الشريفة الإمامية
الناصرية ويحمد الله ويمن أيامها وفضل إنعامها دلائل النصر ظاهرة وأسباب الظهور
متناصرة ووجوه الآمال بنشر نجاحها وبشر ما في افتراحها سافرة

ذكر الهدنة العامة لما عرف ملك الانكتير أن العسكر قد اجتمع
والخرق عليه قد اتسع وأن القدس قد امتنع وأن العذاب به قد وقع وخضع
وخشع وقصر الجمع وعلم أنه لا قبل له بمن أقبل ولا ثبات مع الجحفل وقد
جفل فأظهر أنه إن لم يهادن أقام واستقل وللشر استقبل وأنه عازم على العودة إلى
بلاده لأمور مردها بعوده إلى مراده والبحر قد آن أن يمنع راكبه ويبتسم بالأمواج

عن اربه فان عاد تمم تبعت هواى وان حاربتم وعصيتم لقيت ها هنا عصاى واستقرت
نواى وبدلت العزيمان وملت الزيغان وقد نزلت عن القدس وانزل عن عسقلان
ولا تغتروا بهذه العساكر المجتمعة من الجهات فان جمعها في الشتاء ابى الشتات و
نحن اذا اقمنا على الشقاء والشقاء ربما انفسنا على البلاء فاجيبوا رغبتي واصيبوا
محبتي واودعوني العهد وادعوني وادعوني وودعوني فاحضر السلطان امراءه المشاورين
وشاورهم في الامر واظهرهم على السر واستطلع ما عندهم من الراى وبرد لهم الحديث
من المبادى الى الغايات وقال لهم نحن بحمد الله في قوة وفي ترقب نصرة مرجوة وانصارنا
المهاجرون البناد وودين وكرم ومروة وقد الفنا الجهاد والفنا به المراد والفطام
عن المالوف صعب ولما نصدع الى اليوم بما يبيد الله لنا شعب وما لنا شغل ولا معرك
الا الغزو ولا نحن ممن تشوقه اللعب وتسوقه اللهو واذا تركنا هذا العمل فما العمل واذا
صرفنا عنهم الامل ففيم الامل واخشى ان ياتيني في حال بطالتي الاجل ومن الف الحلبة
كيف يالف العطلة ورأى ان اخلف راى الهدنة ورأى واقدم بتقديم الجهاد اعتزازي
واليه اعتزائي وما انا بطالب البطالة فارغب عن استحالة هذه الحالة وقد رزقت عن
هذا الشيء فانا الزمه ولى بما يبيد الله من الامر احزمه واحزمه فقالوا له الامر على ما
تذكره والتدبير على ما تراه والراى ما تدبره ولا يستمر الا ما تمره من الامر ولا
يستقر الا ما تقدره وان التوفيق معك في كل ما تعقده وتحله وتورده وتصدره
غير انك نظرت في حق نفسك من عادة السعادة وارادة العبادة وايثار الفضيلة

الراجحة والاعتناء بالوسيلة الناجحة والانف من العطلة والعزوف للعزلة وانك تجد
في نفسك القوة والاستمساك ويقينك يعرفك بالامان في الادراك فانظر في احوال
البلاد فانها خربت وتشعثت والرعايا فانها نعكست وتعلثت والاجناد فانها نصبت و
وصبت والاجياد فانها عطلت وعطبت وقد اعوزت العلوفات وغلت الغلات
ولا جلب الا من الديار المصرية مع ركوب الاخطار المهلكة في البرية وهذا الاجتماع
مظنة التفريق ولا يدوم هذا الاتساع مع هذا الضيق فان المواد منقطعة والجواد
ممتنعة والمترب قد ترب والمعدم قد عطب والتبن اعز من التبر والشعير ما ليته
وجد وكان غالى السعر وهولاء الفرنج اذا يئسوا من الهدنة بذلوا روسهم في استفراغ
المكنة واستنفاد المنة وصبروا واعطوا المنية في طريق الامنية وابوا في الاقبال على دينهم
قبول الدنية والصواب ان نقبل من الله الاية التي انزلها وهي قوله وان جنحوا للسلم
فاجنح لها وحينئذ يعود الى البلاد سكانها وعمارها ويكثر في مدة الهدنة غلاتها
واثمارها وتستجد الاجناد عدتها وتستريح زمان السلم ومدتها فاذا عادت ايام
الحرب عدنا وقد استظهرنا وردنا ووجدنا القوت والعلف وعدمنا المشاق والكلف
ففي ايام السلم نستعد للحرب ونستجد الات الطعن والضرب فليس ذلك تركا
للعبادة وانما هو للاستجداد والاستعداد على ان الفرنج لا يفون على عهدهم لا
يتقون فاعقد الهدنة لجماعتهم ليتخلوا ويتفرقوا وقد شقوا بما لقوا وما بقيتم لهم
بالساحل من يقدر على المقاومة ويستقل بالملاومة وما زال الجماعة بالسلطان حتى

رضي والجانب الى لم اتقضى وكان قد بقيت بين العسكرين منزلة واحدة والعجاجات على
الطلايع متعاقدة فلو رحلنا رحلنا اليهم وعلى الملك اظلناهم لكن مراد الله غالب واجيب
ملك الانكتير من الصلح الى ما طلب وحضرت رسله لعقد الهدنة وكتبت نسختها وعينت
مدتها وبينت قضيتها وذلك في يوم الثلثاء الحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان
ثمانين الموافق لاول ايلول لمدة ثلث سنين وثمانية اشهر وحسبوا ان وقت انقضائها يوافق
وصولهم من البحر وتتصل امدادهم على الجند والحشر وعقدت هدنة عامة في البر
والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر وجعل لهم من يافا الى قيسارية الى عكا الى
صور وابدوا انما تركوه من البلاد التي كانت معهم الغبطة والسرور وادخلوا في
الصلح طرابلس وانطاكية والاعمال الداوية والاسبتارية فصل من كتاب الى الديوان العزيز
في شرح نوبة يافا ثم ايضا الامر الى عقد الهدنة قد سبقت مطالعة الخادم بانها حاله وما
هو لا بد مستمرا عليه من جهاد العدو وقتاله وما كان عليه الكفر من الجمع
الملتهم والجمر الملتهب والجند والحشر المضطرم المضطرب وانهم اجتمعوا على قصد
البيت المقدس وعزموا على بذل المجهود من النفايس والانفس وسلكوا الى القصد
كل طريق وتوافوا وتوافدوا من كل فج عميق ودنوا على ظن ان جنى الفتح لهم
دان وان شبا الحتف عنهم وان ولما قربوا عرفوا ان المرمى بعيد المرام وانهم لا
يستطيعون مقاومة عسكر الاسلام نكصوا على اعقابهم ونكسوا ما صوبوه من ارائهم
وآرائهم وعلموا عقبى ما جهلوه وقطعوا من اسباب العزم ما وصلوه ونكثوا من عقد

القصد ما ابرموه وشرعوا في امر آخر توهموه ومضوا واستانفوا الاستعداد واستنهضوا
الامداد وحصنوا بلادهم وجمعوا اليها اطرافهم وبلادهم ونحوا عسقلان ويافا بالقوة
الجامعة والعدة النافعة والشوكة الرادعة والشكة القاطعة واستظهروا فيها بكل
ما قدروا عليه من المنعة الحامية ورجال الصبر على النار الحامية ثم ساروا بجنودهم
المجموعة وجموعهم المحشودة وظلال الضلال الممدودة وصلال الصلادم المفؤدة
مستمطري شآبيب الانابيب مستنفري سراحين السراجيب وتوجهوا على سمت ثغر
بيروت مبنية الحصر وغفلوا عما اجراه الله لاوليائه على اعدائه من عوايد النصر ولما
في حسرهم وطار شررهم وخيف ضررهم انهض الخادم العساكر المنصورة الى مقابلتهم
ومبادرتهم ومقاتلتهم وترك في مماليكه وخواصه ورجال الاقدام ذوي استخلاصه
على مدينة يافا فاخذها بالسيف عنوة وحجبها من سنام الكفر ذروة وحل منه بغراته
اليها غزوة واستكمل للاسلام تملكها خطوة وقتل كل من حوته وسبا وتاب المشركين باني
بحده ومضجده فيه وما نباه غنم من اموالها المسلمون ما خف وثقل واسر من وجد
فيه وقتل ونهب من آلات الحيز ما خرج عن الحصر وابتذل كل ما صين من الغلال والعدد
والمال الذي ثمر للذخر وطلب اهل القلعة الامان من القتل خاصة دون الاسر وشرطوا
انهم لا يمكنون من الدخول اليهم من جاءهم للنجدة من البحر واخرجوا على سبيل
الرهينة مائة رجل من محتشميهم وكنودهم ومقدميهم مثل البطرك الكبير و
القسطلان والمرشان ومن يجري مجراهم من الفرسان فلما اصبحوا جاءهم ملكهم في البحر

فعدوا او امتنعوا بعد انقيادهم للعجز حين قدروا واوخم العهد وصالك في جموعه وبدت
الى عسكره من يامره برجوعه ووافت في البحر حافلة حافلة وتواردت في الاسراع
طلما انا جافلة فاجرى الخادم على الزمان حكم الاسترقاق وسيرهم الى دمشق في اقياد الوثاق
ورجع الى القوم فهزمهم وردهم الى عكا بعد ما نكا فيهم واضحك من دماهم البيض وابكى وعاد
الى العهد ونزل عليه وكدر الموارد لديه حين زحف اليه واجتمعت من اهل الاسلام العساكر
وانبعثت على المشركين في المضايقة الدوائر ورجا المؤمن وخاف الكافر وجالت بالا وحالها
الضمائر لما جالت عليهم الضوامر وعاينوا العذاب الواقع وعدموا الدافع وشاهدوا المصارع
فمازالت رسلهم تتردد بالضراعة وبذل الطاعة والنزول عن الاشتطاط والدخول
تحت الاشتراط والغبطة لما هز له الاسلام عطف الاغتباط واحتوى عليه بيد
الاحتياط وكانوا لا يجابون الا بالاباء ولا يلقى رسلهم الا بتصميم عزم اللقاء حتى حضر
اكابر الدولة وامراؤها واولياء الطاعة وكبراؤها واشاروا بعقد الهدنة والانتهاز
فيها للفرصة الممكنة واستقرت الهدنة على ما اعز للاسلام الانوف واذل من
الكفر الرقاب ورجح واتجه من اهل الاراء والالباب بعد ان تخلوا من البلاد و الالباب
المعاقل التي تملكوها وبعدوا من الطرق التي سلكوها وقبلوا الامان على الاماكن
التي استدركوها وما ادركوها وسلموا عسقلان وغزة والداروم وتلك الصافية
وغير ذلك من الاعمال والاماكن الوافرة الوافية واقتنعوا بيافا وعكا وصور و
استبدلوا من تطاولهم وقدرتهم العجز والقصور واوعزهم في ذلهم وصغرهم

وهانوا بعد الاعتزاز

في بذلهم وبلا متهم في سلمهم وعناهم في عدمهم ولانوا بعد الاستبداد ودانوا
للانقياد وهانوا بعد الاعتزاز واقروا بعد الانكار لتعود جفونهم الى الغرار
وامورهم الى القرار وخلوا ديارهم واخلوها وما بالوا اعز الاوطان الاوطار
وسلوها ومدة الهدنة التي اخذوا بها اليد واعطوا اليمين ثلث سنين وثمانية اشهر
اولها اول ايلول يوم الثلثاء الحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين ووضعت
الحرب اوزارها ورحضت بماء السلم اوضارها واخرجت من اهل النار ثارها وقصدت
الفرنج من وراء البحر ديارها ولا شك انهم يستبعدون في هذه المدة ويستمدون ما
يستطيعونه من القوة والعدة ويستجدون عزمة العودة وقد شرع الخادم في
تحصين الثغور وامرار الامور وابرام معاقد المعاقل واحكام قواعد الحق بتعفية
آثار الباطل واتمام اسوار القدس وخنادقه حتى يبقى على الدهر آمنا من طروق
العدو وطوارقه واعادة الاعمال والاحوال الى عادة عمارتها وحلية نضارتها
واجمام العساكر واراحتها ليوم نفعها الذي هو عين راحتها ولقد كان الخادم
للسلم متكرها ولا يرى ان يكون شبيه ملوك العصر عن الغزو مترفها
لكنه اجمع من عنده من الامراء وذوي الاراء على ان المصلحة في المصالحة راجحة
وان صفقة الكفر فيها خاسرة وصفقة الاسلام رابحة وان في اطفاء هذه الجمرة
وقد وقدت سكونا عاما وامنا تاما وتفريقا لجميع الكفار ليشمل النصر عليهم منا تماما
فهي سلم انكا من الحرب فيهم وانما نقصيهم من عقدة الدبار بل تنفيهم والحرب تجمع

هذه الأعداد الهائلة لهؤلاء الأعداء وتنفق هذه الأمداد المتواصلة من أهل النار
في النار وما صح لهم هذا الجمع على التكسير إلا في خمس سنين وما وافى إليهم مددهم
من المؤنة سوى شيئين وكل ما لهم في بلادهم نقلوه وأنفقوه وأيقنوا أن مرامهم
صعب وحققوه فحين انقضوا انقضوا وقد آن أن ينفضوا أو ينفضوا إلى أن تفرق شمل
هذه الجموع ويعزم ذاهبهم على الرجوع بكون الإسلام قد استظهر بقوته واستكثر
من عدته ومن جدته فرأى موافقة الإجماع وقبل مناصحة الأشياع وتفرق جمع
الكفر وباخ جمره وأمن مكره ومكيدته وانشرح صدر الإسلام وتضوع نشره و
توضح بسنا النصر فجره **ذكر ما جرى بعد الصلح** عاد السلطان إلى القدس
وعادت عادة سعادته واشتغل بإتمام السور والخندق وتكميل عمارته وفسح
للفرنج كافة في زيارة قمامة فجاؤوا ووجدوا الأمن والسلامة وزادوا وزاروا ولما
عجزوا أن يختاروا وأبوا أن يحاروا وافتح لفريق بعد فريق ووافوا في طريق من بعد
طريق وقالوا إنا كنا نقاتل على الذي وجدناه مع الصلح وما زلنا سائرين في ليل
القصد حتى وصلنا إلى الصبح وكان ملك الانكتير سأل السلطان وسأل منع الفرنج من
الزيارة إلا من وصل معه كتابه أو رسوله ورغب في أن يجاب سؤاله في ذلك وصاب
سؤله تقبل مقصوده أنهم يرجعون إلى بلادهم على حسرة الزيارة فيبقون على استنفار
الاستثارة ومن نار يبرد غليله ويشفي كربه ولم يبق له في مشقة العود أرب ولم
يتصل له بهذه الديار سبب فكان الأمر كما حسب فاعتذر إليه في الجواب الذي كتب

لمنعهم

وقيل له أنت أولى بردهم وردعهم فإنهم يصلون إلينا وأمرين ولي زيارة الكنيسة
قاصدين وما يقتضي كرمنا أن نرد الوفود ولا نبلغ من يقصدنا المقصود ومرض
ملك الانكتير مرضاً ألهاه عما أشبهها ولم يبلغ في هذا الغرض منتهاه وركب البحر
وأقلع وعجل في مفارقته وأسرع وسلم إلى من يليه وهو الكند هري ابن أخيه من أمه
وهو ابن ملك الافرنسيس من أبيه وتبعه في الجزائر ولم يبق الأول منهم للآخر
ذكر ما عزم عليه السلطان عزم على الحج وصمم وكتب إلى مصر واليمن
بما عليه عزم وأمر بأن يحمل له في المراكب كل ما يحتاج إليه من الأزواد والنفقات
والثياب والكسوات فقيل له لو كتبت إلى أمير المؤمنين وأعلمته بحجك وعرفته
بنهجك حتى لا يظن بك أمر أنت منه بريء ويعلم أن قصدك في المضي مضي والوقت
قد ضاق وبلغ الخبر الآفاق ثم هذه البلاد إذا تركتها على ما بها من الشعث ولم ترم
من حبلها المنتكث وهذه المعاقل التي في الثغور حفظها من أهم الأمور ولا تغتر
بعقد الهدنة فإن القوم على ترقب النكثة والغدر دأبهم وملي على البغي إلباهم
فما زالت الجماعة بالسلطان حتى حلوا من العزم ما عقده وأطفوا من نار جده فيه
ما أوقده فشرع في ترتيب قاعدة القدس في ولايته وعمارته وتهذيب عمله و
معاملته وكان الوالي بالقدس حسام الدين سياروخ وهو تركي يقتدي به في
زهادته وحسن الشيوخ وكان فيه لين وحدة وجلة في الخير متين ولم يزل مستوفياً
حق الأمانة مستعفياً من الولاية لطلب الصيانة فانصرف حميداً أثره كريماً مورده

الأمر

ومصادره وفوض السلطان ولاية القدس الى عز الدين جرديك وقال نهديك
في الامور يغنيك عن ان نهديك وانما اعتمدنا عليك لاجتماع خلال الكفاية والشهامة
والديانة فيك فتولاه اخذا بالحزم في مثبتك وثابتك وترويك وتانيك وولي
علم الدين قيصر اعمال الخليل وعسقلان وغزة والداروم وما والاها تخرج اليها و
تولاها وامر بنقل الغلات من البلقاء لتقوية الفلاحين واعانة المقطعين وكذلك
امر بنقل الغلات من مصر الى اعمال عسقلان ليعيد اليها الزراعة والعمران وسال
الصوفية عن احوالهم واذن سواله عنها باجابة سولهم وسوالهم فانه كان وقف دار
البطرك بجاورة قمامة لهم رباطا وجعل لهم كل يوم سماطا وزاد في الوقوف وحكمهم
في الانفاق بالمعروف وكان كنيسة صندحنا عند باب الاسباط للفقهاء الشافعية
مدرسة وردها بنية على التقوى موسسة وزاد في اوقافها ووفر موادها لا ذكا وطرائها
وامر ان تجعل الكنيسة المجاورة لدار الاسبتار بقرب قمامة بيمارستانا للمرضى واتخذ
فيها بيوتا فيها حاجات اصحاب الامراض على اختلافها تقضى ووقف مواضع عليها و
سير ادوية وعقاقير عزيزة الوجود اليها وفوض القضاء والنظر في هذه الوقوف
الى القاضي بها الدين يوسف بن رافع بن تميم وعول منه على امين كريم

ذكر خروج السلطان على عزم دمشق من القدس وعبوره على الحصون

خرج السلطان من القدس ضحوة الخميس خامس شوال وقد دبر الاحوال واقام بعدله
الاعتدال واناص الفضل والافضال وجاوز ناحية البيرة وقد جلا له سناء اياته المنيرة

جلالهم

وبات على بركة الداوية بالهمة الدوية والعزمة القوية ونزل على نابلس ضحوة
يوم الجمعة وجمع شتات مصالحها المتوزعة وكثرت الاستغاثات على سيف الدين علي
المشطوب صاحبها وانه طرق الزيادة الى مشاربها وزاد في رسومها ونوايبها فاقام
بها الى ظهر السبت حتى كشف مظالمها وافسح بالعدل والاحسان مباسمها واسقط
رسومها الجايرة واماتت سننها الصايرة واحيى بها شرعة الشريعة واضفى ظلال
الرعاية للرعية في مراعيها المريعة ورحلنا بعد الظهر وبتنا ليلة الاحد عند عقبة
الظهر حماد بموضع يعرف بالقرديسة ورتعنا في مروجها الانيسة واصبحنا راحلين ونزلنا
ضحوة على جنين وهناك ودعنا المشطوب وداع الابد فانه انتقل بعد ايام الى
رحمة الملك الصمد وكانت وفاته يوم الخميس السادس والعشرين من شوال ورحلنا
يوم الاثنين وجينا ضحوة الى بيسان وانال الحلول السلطان عنها البوس واشاع
الاحسان وصعد الى قلعتها المهجورة الخالية وابصر قلتها العالية وقال هذه اذا
عمرت دامت في حضانة الحصانة وكان رجلها الموثوق به مستودع الامانة والصواب
في بنايه وتخريب قلعة كوكب ولم يزل حتى بين كيفية بنايها ورتب ووعد باحكامها
واعلاء اعلامها ثم ظهر ظهرا وبات على قلعة كوكب وشاهدها وصعد نظر رايه وقت
العشاء وهناك لقينا بها الدين قراقوش وقد خرج من الاسر وتلقيناه بالبشر والبر
واقمنا بها يوم الاربعاء لتواتر الانداء وتوالي الانواء ورحلنا بكرة الخميس ونزلنا بقرب
قلعة صفد تحت الجبل وصعد السلطان اليها وامر بتدبير ما فيها من الخلل ثم بات

يوم الجمعة على طريق جبل عاملة ونزل ضحوة بضيعة يقال لها الحشر وهي عامرة بجنوة
على تبنين كأنها العش وسرنا منها وخيمنا على مرج تبنين وبتنا بأحوال قلعتها معتنين
وأصبح السلطان نحو الحيطان بها بإحواط المحيط بها متمنطقا في قلعتها ولأسباب اختلالها
متبسطا ووصى الوالي بعمارتها وجعل مصالحها بكفايته منوطة وسدادها بسداده منوطا
ثم رحلنا بكرة السبت وجزنا على قلعة هونين ونزلنا من الجبل وبتنا على عين
الذهب واجتمعنا بالثقل ورحلنا يوم الأحد وخيمنا بمرج عيون وجلس السلطان على
عادته في تدبير الممالك تلك الليلة وبمرج العيون ورحلنا عصر يوم الاثنين و
وصلنا الشقيف بالبكرى وقطعنا في الطريق الوعر والوهاد والدرك وعبرنا بين عمل
صيدا اليسرة وعلى وادي التيم يمنة على الضياع والقرى وعرسنا على مرج بلقيا ثم
مقابل مرج الفيقية ودفعنا إلى سلوك المسالك الصعبة ثم أصبحنا يوم الثلثاء على الدرجات
إلى البقاع من بلقيا ثم خيمنا على جسر كامد والسلطان مشغول في طريقه من تفقد العمارات
وتخير سنن الحسنات باقتناء المحامد ثم غدونا يوم الأربعاء وخيمنا بناحية قب الياس
وقد أصحرنا إلى الفضاء وأثناء ذلك النهار راتعين من الفواضل السلطانية في النعماء
ولما جن الليل جمعتنا بالحضرة السلطانية الأنوار وشرفت أسماعنا منه أسمار رجال
الفضل والكرم وسيرتهم لا الأسمار ودخل السلطان يوم الخميس إلى بيروت وأنجز
بالوصول إليها وعده الموقوت ونزلت الأثقال على مرج فلسطينة بالبقاع وأقامت
خمسة أيام على الاستراحة والارتياع ذكر وصول السلطان إلى بيروت ودخول بيمند

الابرنس عليه صاحب انطاكية والاستجارة به وذكر أسامة ولما وصل السلطان
إلى بيروت تلقاه واليها عز الدين أسامة بكل ما توفرت به الكرامة واستقبل
الأصحاب بصدر رحيب وظل خصيب وسماحة أريب وسجاحة لبيب وفتحت الأهراء
على غلاء الغلات بالثغور ورخصت أغلاقها وسبلها وما قيد إطلاقها وقرى وأضاف و
أدنى القطاف وأصفى النطاف وتلطف في الهدايا وأهدى الألطاف ورق على الصغير
والكبير التحف واختص للسلطان ولكل من معه الطرف وأغنى وأقنى وأعدم في الجود
الموجود وأفنى وأعطى الخيل والمماليك والجواري والملابس وبذل النفائس وزف
وفي مظلمة الضيق صح على أكفاء المحامد من أبكار المناقب العرائس وأظهر في مكان الشدة الرخاء وأهب
في إعصار الإعسار لرجال الرجاء من سماء السماح الرخاء وأحضر كل ما عنده مما كسبه
في الغنيمة جريا على كرم الشيمة من الجوخ الفرنجية والثياب البندقية والهنابات
الفضية والأكواب اللجينية والسروج واللجم الإلكسية والجزم والمهاميز والملابط
والعقاقير والعروض والدراهم والدنانير ففرق من ذلك ما جمعه ورفع إلى كل منه
ما أبهى قدره ورفعه وما انفصل عنه إلا كل مواصل بشكره مساجل أمثاله
بذكره مضوع عن كل ناد للكرام بنشره وأقام بالسلطان وبكل من صحبه
مدة مقامه والعجب والعجز ما صدق من اهتمامه ذكر وصول الابرنس
بيمند ودخوله على السلطان ولما أراد السلطان عن بيروت الانفصال
وذلك يوم السبت الحادي والعشرين من شوال قيل له إن الابرنس الانطاكي قد وصل

إلى الحرمة مستمسكاً بحبل العصمة داخلاً في حكم الذمة تثني له عنانه ونزل و
أقام وما ارتحل وأذن للابرنس بالدخول وشرفه في حضرته بالمثول وقربه وآنسه
ورفع مجلسه وأظهر له البشاشة والهشاشة وسكن من روعه روعة الجشاشة
وكان معه من مقدمي فرسانه أربعة عشر بارونا ووهب كلاً منهم تشريفاً سنياً
وأجزل لهم العطاء وأبدى لهم الاعتناء وكتب له من مناصفات أنطاكية معيشة بمبلغ
عشرين ألف دينار وخص أصحابه بمبار وأعجبه استرساله إليه ودخوله عليه بغير
أمان ولا جرم تلقاه بكل إحسان وودعه يوم الأحد وفارقه واتفق السلطان
أنه بمراده وافقه وانصرف المذكور مسروراً ورأى أسره مكسوراً بحسن المنح والمنن
مجبوراً **ذكر وصول السلطان إلى دمشق ودخوله إليها** لما خرج السلطان
من بيروت يوم الأحد بات بالمخيم على البقاع وأحضرنا تلك الليلة في نادي فضله
للمؤانسة والإمتاع وتجاذبنا أطراف الآراء وهزتنا منه أعطاف الآلاء واستمددنا منه
لطائف النعماء وقد قرب الدخول إلى البلد والوصول إلى الأهل والولد وكل يقترح
مقصوداً وينصب ابتهاجاً ويطير إلى سكنه ومسكنه ارتياحاً وابتهاجاً فرحلنا يوم الاثنين
وعبرنا عين الجر وبتنا على مرج سوس وقد شرح الله الصدور وطابت النفوس ووصل
إلينا من أعيان دمشق من سبق للتلقي والاستقبال وأظهر وابتدر ومبادئ أسباب
الإحسان والإجمال وجاءتنا فواكه دمشق وأطايبها واعتقبت بالواصلين إلينا مساكبها ومذانبها
ورحلنا يوم الثلاثاء وبتنا بالعرادة وجرى المتلقون من النجم بالتحف على العادة وأصبحنا

يوم الأربعاء ودخلنا إلى دمشق وقد أبرزت أثقالها وأبرزت نساؤها ورجالها وكان
يوم الزينة وخرج كل من بالمدينة وحشر الناس ضحى وأثاروا استبشاراً وفرحاً
وكانت غيبة السلطان عن دمشق أربع سنين في الجهاد طالت فاهتزت بقدومه
وأخالت وقرت بفضائله الأعين وأقرت بفواضله الألسن وذاعت أسرار السرور
وراقت جبرات الجود وطابت الأنفس وغابت الأبؤس وانجلت المكاره وتجلت
المكارم وافترت المباسم وهنئت بمواسمه المواسم وتهودت التهاني وهربت
الأماني وغنت المغاني ودنت الجاني وسبغت المحالي وطفرت المعالي وتجلت
الأحوال وتملت الآمال وراج الرجاء وراجت الأرجاء وفاض الجود واستفاض السعود
وعم العدل وتم الفضل وأشرقت الآفاق وأفاق الإشراق وكرم الفضلاء وفضل
الكرماء وحل في القلعة حلول الشمس في بروجها وقد حلت أوجه السعود بأوجها
وأخذت بحار سماحه في موجها وسلكت المناهج في نهجها وجاءت المناجح في نجحها بفوجها
وصفت شرعة الشرع لواردها وضفت حلة الكرامة على وافدها وفتحت مرتجات
أبواب الآلاء لمرتجيها واستمرت عادات إنجاز عدات الجوائز لمستنجديها ويسر البساط
لإسعاف العافي ومدت على السنن الأنام أوصاف الصافي وجلس السلطان في دار العدل
فأعدى المستعدي ولبى المستدعي وأجاب وأجار وأنال وأنار وجاد وأجاد وبدا
وعاد وفي هذا الشهر خلص بها الذين فرقوا من الأسر واجتمع بنا يوم وصولنا إلى طبرية
ولقي من السلطان الألطاف الخفية ووصل معه إلى دمشق وأقام إلى أن خلص أصحابه

من الأسر وتوجه إلى مصر وقد صان نفسه ببذل ماله وأخرج ثروته ودخل في إقلاله
وخرجت السنة والسلطان في أسنى سنائه وأبهى جلاله وأجلى بهائه والتاتار يرتعون في
رياض نعمائه ورسل الممالك الغربية والشرقية عنده يخطبونه ويطلبونه وينتظرون
عزمه ويرقبونه وهو يعدهم بانحسار الشتاء وانكساره وابتسام ثغر الربيع وافتراره
والتهاب زهر أزهاره وانتهاب سرح أبكاره وانتباه عيون نهاره واندلاق غدار
عواده وانبلاق أنوار نواره وانطباق نواظر نواضر ثماره واصطفاق أوراق أشجاره
وانفتاق كمامه واتساق نظامه وانتثار منظومه وانتظام منثوره وانفجار صبح
إسفاره وانفراج سفوره واجتماع كثيف أعشابه واستماع حفيف أقصابه والتماع بروق
سحابه واتساع طرز برد صحابه وانشقاق شقائقه وانعقاق عقائقه واشتمال شمائله
وإقبال قبائله وتأرج صبا صباحه وتبلج صبي صباحه وتورد وجنات جناته و
وتوقد جمرات ثمراته وتبسم ثغور أقحوانه وتنسم ضمير ضيمرانه ونصوع خدود تفاحه
وتبدد نهود رمانه واخضرار آس عذاره واحمرار خد جلناره وتشنف آذان
النادي بأقراط قطار الندى وتغرد رجافات الوادي بالوشي الوشيع من حلل الربا
حول الربى فإذا طاب النسيم ونسم الطيب ودعا البلبل ولبى العندليب وتعطر
عبير الربيع وتصور الشقيق كأنه جمر عجين النجيع ووافق مداد المرعى من المداد
المريع وحلا الجنى الجنيني وحلي النضر النضاري ونقل العذار البنفسجي واشتعل الخد
الجلناري الناري وتجم في الروض النجم السماوي المائي وابتسم الثغر الأقاحي

وتبسم الضوع الصباحي وتحرك العرف السحري وتأرج النشر الروضي وتبلج البشر
الوضي وانتشى النشا الشمالي الشمولي وانتعشت عائرات أعشاب الشعاب وقابلت
القبول خطبة الفضل بفصل الخطاب وصبت الصبا في محل خطبة المحل بصوب الصواب
فحينئذ الجماح الأصحاب إلى الإصحاب وصرف أشاجع الشجعان وأيمان أهل الإيمان
كل مواج العنان وراح السنان ونزعت النزائع إلى الحلاب ورشفت القواطع بشفاه الشفار
ضرب الضراب واجتمعت العساكر وعسكرت الجموع وبرزت الطلائع وسرى الطلوع ونهض
أهل الجد وجد أهل النهوض وفاضت المنابع ونبعت الفيوض وضرب البرادق السلطاني
حيث النصر ينزل والسعد يقبل واليمن يشمل والنجح يسهل والظفر يمثل والأمر
يمتثل والجد يسمن والهزل يهزل والعزم يولى والونى يعزل ويعم العدل مع اعتدال
الزمان كل مكان ولا يتنفس إلا بحديث الطاعة من يحدث نفسه بعصيان وأتمنا
على هذا العزم إلى آخر السنة والأجفان مغضوضة على طيب السنة وظل البرد الشديد
مديدا والجليد وآه والهواء جليدا وجد الشتاء في التشتيت جديدا والجبال قد اشتعلت
رؤوسها شيبا والثلوج قد زررت على أعناق أطوادها جيبا والجو في نظم ونثر والثرا
من الثراء نثر والهتون راكب ناكب والهتوف ساكن ساكت والمزن مرزن والحزن
حزين وللسماء سماط وللنشاص نشاط وللسحاب حباب وللبرق وللرعد انتحاب وانتحا
وللبرد من ثلجه برد وللطير من لهجه طرد وللغيث عيث وللوحل ريث وكانون
قد أكن الرئي وشباط قد شبت الشتاء والنار محبوبة مشبوبة وحدود الكلب مدروبة

وحدود الترب مضروبة والسلطان مشغول بالصيد والقنص متمهن في العمر للفرص
متنزه بالبزاة والصقور مختشا شاب الوحوش والطيور بكل جارح جارح وطاير طارح
يرى اهل الجدل وحمام الحمام كانه غريم لها لاهي الغرام وكل سهم ينقض انقضاض النجم
ويبط بطن البط بالحزم واكثر الجلوس بدمشق في دار العدل واعز المنجعيه بذر الفضل
وحكم وقضى واسخط بالحق وارضى ووقف وامضى وما منع بل اعطى واصاب وما اخطى
وجاد واجاد وابدى واعاد واوفد وافاد ولجيش زاد واغنى واقنى واجدى واسدى
واولى وولى واجار واجاز وفاز وقرب العلماء واكرم الفضلاء وفضل الكرماء وتكلم (وجاز)
عنده في المسائل الشرعية وطعن وامتزج ده بالوسائل المرعية وما كان احسن الى الحق
اصغاءه واسرع للباطل الغاءه ولكل ذي فضل منه حظ ولكل ذي حفظ منه حفظ
ولكل محروم منه رزق ولكل مرزوق منه الى الحمد سبق ولكل فهم عنده سوق
ولكل سهم عنده فوق ولكل اديب لديه داب ولكل غايب عدم من جوده
اعتاب ولكل مكرمة عنده باب ولكل دعوة عاف من اسعافه جواب ولكل مستجد
اجداء ولكل مستهد اهداء ولكل سايل نايل ولكل ناحل وابل ولكل ظامي ري
ولكل حايم ورد هني فما ابهج مرتبه وما اصح وزنه وما ابهج يده وما اوضح جده
وما اعلا حده وما احد علاه وما اجرى كفه وما اكفى جداه وما اكثر حياه واغزر
حباه وارجح رايه واجل نجاه وممن توفي في هذه السنة من الملوك سلطان الروم (ركن الدين) قلج ارسلان ع
وكانت وفاته يوم الخميس منتصف شعبان وكان له عشرة من البنين فولى كلا منهم اقليما

وتصدر به لينا اد ذلك الجانب تقويما فقوى كل منهم في ثغره واستقل بامره ودب
في طبعه حب الاستيلاء والاستبداد ومد عينه الى ما في يد صاحبه من البلاد وكان
الكبير بنيه قطب الدين ملكشاه قد استحكمت قواه واستطال هواه وهو يومئذ متولي
سيواس فاطلع في التملك على ابيه ملكه الوسواس وسعى الى ان ابعد من عند والده
اختيار الدين حسن بن غفراس ووصل له انه يريد ان يستولي على الملك وينفرد بانتهاج
المسلك وانتظام السلك وساعده صاحب ارزنكان واصر اختيار الدين الى المذكور واختاره
واستاذن السلطان ان يقصد دياره ويقيم عنده الى ان يصلح امره مع اولاده وياذن
له في العود الى بلاده فاستصحبه صاحب ارزنكان واوقع عليهم في الطريق التركمان
فقتلوه شر قتلة ومثلوا به وبولده اقبح مثلة فلما عرف ملكشاه ان زوجة والده خلا
وانه عن حسن بن غفراس سلا ساق اليه واخذ عليه ودخل قونية دار مملكته واستبد
بحوز حوزته وقوي بعزته وعز بقوته وقال لوالده انا بين يديك اشفق عليك
وانفذ اوامرك واوفر ما اثرك وقتل امرا كانوا لابيه والزم خدمته من لا يشتهيه
فبقي معه كالمعتقل يظن حاليا وهو في العطل واستكتبه انه ولي عهده والقايم
بالسلطنة معه ومن بعده وتصرف في خزانته وملك اقبرا وفرع وفرا وقطع وبرك
وقد مضى حديث ملك الالمان في ذلك الاوان وكيف وصل وعبر الى الشام وكيف قوي
طمعه في ومن الاسلام واستصحب معه والده الى قيسارية لقصد اخيه نور الدين سلطان شاه
وحصره واظهر انه بامر والده وانه شاد ظهره وخرج عسكر البلد وصف ووقف وكف

ورأى قلج ارسلان أن ولده مشغول وان عقد حراسته له محلول فخرج من الصف مفارقًا
للولد ومسابق ودخل الى البلد فاصفاه الولد الآخر واكرمه وبره واحترمه وانفصل
ملكشاه الى قونية وملك تلك الامكنة واستبد بالسلطنة وبقي قلج ارسلان يتردد
في بلاده وفي ضيافة اولاده ينتقل من بلد الى بلد ومن ولد الى ولد وكلهم يتضجر منه
ويعرض عنه حتى حصل عند ولده غياث الدين كيخسرو صاحب برغلو فقواه وآزره و
ضافره وظاهره وجمع وحشد له واخذ له وما اخذ له وجاء به الى قونية ودخلها وحلى
به عطلها وخرج ليأخذ اقسرا فتعذرت وتمنعت عليه وتعسرت واستوعب الاوجبة
وجمع العسكر ثم مرض فجاء به وقد توفي الى قونية في محفة وترك بينه قدامها ويظهر
انه من المرض الثقيل في خفة حتى دخل المدينة وقلعتها واحتاز بها واحتاز ملكها
استدعى الاعيان واستحلفهم واستمالهم وتالفهم ثم اظهر لهم وفاة ابيه وانه
ورث ملكه ومنزلته وقوي على قطب الدين ملكشاه اخيه وتوفي في هذه السنة
القاضي شمس الدين محمد بن موسى المعروف بابن الفراش كان من اهل الفضل
والرياسة والنبل وهو قاضي العسكر الحاكم المحكم والكريم المكرم والسلطان يعول
عليه في المهام وفي الامور العظام ويؤهله للرسايل واخذ المواثيق والعهود وتولى
الولايات والعقود ولما اخذ شهرزور رسلها اليه وعول فيها عليه وما برح بها حتى
انعم بها على صاحب اربل مظفر الدين فعاد القاضي شمس الدين فارسله السلطان الى
قلج ارسلان واولاده يصلح بينهم ويعيد امرهم الى سداد فتردد بينهم سنة

ولم تزل مساعيه منجحة مستنجحة وعاد ووصل الى ملطية وقد استكمل من عمره
لله العطية وتوفي بها في شهر ربيع الآخر من السنة وانتقل الى الله باعماله الحسنة

ودخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة

والسلطان مقيم بدمشق في داره ومماليك الاقطار في انتظاره والايام مشرقة
بمطالع انواره والليالي مترقبة صباحها لاسفاره ورسل الامصار يجتمعون على
بابه منتظرون لجوابه والوافدون قاطفون لجنا جنابه والضيوف في بيوض انعامه
عايمون وبعروض حقوقه قايمون والفقراء في رياض صدقاته رابعون وفي كلاء
كلايته راعون وادعون ودار الفضل به دارة واسوار المنى بالمنايح سارة و
السلطان يجلس في كل يوم وليلة لابتداء الجود وابتراء السعود وبث المكارم و
وكشف المظالم وتنفيذ المراسم وامضاء العزايم وتشييد الدعايم وتقرير العظايم
والاهتمام بمصالح الاسلام ومناجح الانام والاغتمام للمسلمين بما يتم في بلادهم
من الخطوب ويتم من الكروب ومجالسة العلماء ومساجلة الفضلاء وموالاة
الاولياء ومصافاة الاصفياء واعداء الملهوف واسداء المعروف وملّ ملازمة البلد
وخرج عن حكم الجلد وبرز الى الصيد شرقي دمشق بزاد خمسة عشر يومًا واوسع
لمن لم يوافقه على الخروج لومًا واستصحب اخاه العادل وابعد واوغل في البرية وظهروا
عن طمر الى الجهة الشرقية وطابت له الفرص وانقضى اربه القنص ثم عاد يوم الاثنين
حادي عشر صفر ووجهه بشره قد اسفر ووافق ذلك عود الحاج الشامي فخرج لتلقيه وسعادته

في التوفي ولما لقي الحجاج استعبرت عيناه لفقدانه من الحج ما تمناه وسألهم عن أحوال
مكة وأميرها وأهلها ومخصبها ومحلها وكم وصلهم من غلات مصر ومد فارها وعن المجاورين
والفقراء والوراد وأبنائها وإدرارها وسر بسلامة الحجاج ووضوح ذلك المنهاج ووصل
من اليمن ولد أخيه سيف الإسلام فتلقاه بالإكرام وأنزله في كنف الاهتمام

ذكر وفاة السلطان صلاح الدين رحمه الله بدمشق

جلس ليلة السبت سادس عشر
صفر في مجلس عادته وتجلى بسعادته ونحن عنده في أتم اغتباط وأعم نشاط حتى مضى
من الليل ثلثه وهو يحدثنا ونحن نحدثه ثم صلى به وبنا إمامه وجاز قيامه وانفصلنا
بإحسانه مغتبطين وبامتنانه مرتبطين وأصبحنا يوم السبت وجلسنا في الإيوان ننتظر
خروجه لوضع الخوان فخرج بعض الخدام وأمر الملك الأفضل أن يجلس موضعه على
الطعام فجاء وتصدر وتربع في دسته وجلس بيمنه وسمته وتطيرنا من تلك الحال
تقللنا بعد ذلك المآل ودخلنا إليه ليلة الأحد للاعادة ومرضه في الزيادة للعيادة صح
وتوفي بكرة الأربعاء السابع والعشرين ونقله الله من دسته العالي إلى أعلى
عليين ومات بموته رجاء الرجال وأظلم بغروب شمسه فضاء الإفضال وغاضت الأيادي
وفاضت الأعادي وانقطعت الأرزاق وادلهمت الآفاق وخاب الراجون وغاب
اللاجون وخاف الأمن وخاب الآمل وقنط السائل وتحيط النائل وطردت الضيوف
ونكر المعروف ودفن في القلعة في داره وفجع الزمان بأنواره وعدمت الأيام
والآمال نجاحها ودفن معه الكرم وغاب بعد وجوده وجوده العدم و العدم

وبقيت تلك الأيام لا أفرق بين الرجاء والضحى ولا أجد قلبي من سكر الهم وسقمه صحا ولا
محا وحال حالي وذال إذلالي وزاد بلبالي وبطل حقي واتسع خرقي وتنازل جاهي
وتنازق أشباهي وأعضلت أدوات الدواهي وبقيت المعارف متنكرة والمطالع مكفهرة
والعيون شاخصة والظلال قالصة والأيدي يابسة والوجوه عابسة وعادت أبكار
الخواطر عانسة ونجوم قرائح الحجى وشواردها لاسيما خانسة كانسة وبقي كل باب
مرتجى مرتجا ومنهج كل معروف منهجا وظن الغني غني وأخاف في ظن الإخلاف بظني حتى
تولى الملك الأفضل بدمشق مقام أبيه وقام بالأمر بعزم نابه وحزم نابه وعز
نابيه تعرف افتقاره إلى معرفتي ونفري وإلى عطل الملك ومحله من غراره حلت درى
ونضاره حلى درى فكتبت له وحليت عطله وشبت الكتب وشعبتها وحلت الرتب
ووسعتها وهززت اليراعة وأعززت البراعة وهجرت الجماعة ولزمت القناعة ه

ذكر الملوك من أولاد السلطان وذويه من بعده

خلف السلطان صلاح الدين رحمه الله سبعة عشر ولدا ذكرا وابنة صغيرة وأبقى ما آثر
أثيرة ومحاسن كثيرة ولم يخلف في خزانته سوى دينار واحد وستة وثلثين درهما فإنه
كان بإخراج ما يدخل من الأموال في المكرمات والغرامات مغرما وكان يجود بالمال
قبل الحصول ويقطعه عن خزانته بالحوالات عن الوصول فإذا عرف بوصول المال
وثنى عليه بأضعافه وحضر الأجناد من ذوي الغناء في الجهاد بلا فئة ولا جنة أحرى بالرد
إذا سأله بل تلطف له كأنه استمهله فإنه يقول ما عندنا شيء الساعة ومفهومه

انه يعطي وان كان يعطي وان نصيبه بالنوال الحظي وكان ولي عهده بالشام الملك
الافضل نور الدين علي وهو كان يسميه باسم علي ونور كنيته علي وهو الذي حضر وفاته وقام
بملكه فما بقال حضر وفاته وقام بسنة العزاء ورفض الاقتداء بابيه في ابلاء الالاء
واذناء الاولياء وخلع على الاماثل والامراء والافاضل العلماء وكان بالباب رسل
ووفود وملوك ورجال لهم في مسالك الرجاء سلوك فخابوا وغابوا وذهبوا وما ابوا

ذكر من تولى ممالكه بعده من اهله تولى ولده الملك العزيز عماد الدين
ابو الفتح عثمان مصر وجميع اعمالها وابقاها على اعتيادها ونقاها من شوائب اختلالها
واعتلالها واحيا سنتي الجود والباس وبنى القواعد من حسن السياسة على
الاساس واطلق كل ما كان يوخذ من التجار وغيرهم باسم الزكاة وضاعف ما كان
يطلق برسم العفاة وجاد واجاد وابدى الكرم واعاد وبسط وقبض وابرم ونقض
وحل وعقد وبر واقتصد ووضع ورفع ومنح ومنع وابصر وسمع وضر ونفع وقطع و
اقطع واصل وفرع ووعد وانجز واوعز بعضهم من اعوز وبرز وابرز وجاهد وجهز
وعمر الكتائب وفرض المواهب واجرى الصدقات وتصدق بالجرايات واورد
واصدر واجاز واجار واغنى واسعد وادنى وابعد وقدم امر بيت الله المقدس و
اعتمد فيه اعتماد الاشهر الاشهر وحمل له بعشرة الف دينار مصرية ليتصرف في وجوه
ضروريته ثم امده بالحمل وافاض عليه من الفضل وقرر وال اليه عز الدين جرديك
علي ولاية وفوض بيده برعايته والى حمل الغلات من مصر الى القدس واتى لحسنه

بوفاة السلطان من وفاته بلا انس وجلس في دار العدل ففصل ووصل واحسن وعدل
وقضى وحكم وامضى واحكم واحضر نواب دواوينه في ايوانه واستعرض منهم
قوانين سلطانه واسترد الضياع والاقطاع وعم الاصطفاء والاصطناع وحد
اقطاع من اقام بالشام والزم جند مصر بالخدمة والمقام وما ابقى الاماني بترك
من الضياع وصان حقوقي من الضياع وامر بتخليده واجد جرى تجديده فجاءني
كتابه الكريم بكل كرم ملتوب ومحبوه من الرفد محبوب ورعى في عهد الوالد و
اضاف الطارف عندي من العرف الى التالد هذا وانا غائب وبراي رائب ولسواه
كاتب ونائب وما احوجني في النوال الى السؤال واغناني استرسال في اغنائي
عن الارسال ولم تعتم مقاصدي وتسالى الى تسيير القصائد والرسائل
وما اعرب مبادرة واصلة للجاول بداد الافاضل ثم اتفق من عذر الفرنج في فسخ الهدنة
فاتى من تجهيز العساكر الى البيت المقدس بكل ما في المكنة ثم سمع بحركة المواصلة
ومن بايعهم ~~ومن بايعهم~~ وشايعهم وخرجوا من ايمانهم حانثين ولعقد ايمانهم ناكثين
فخيم ببركة الجب واستشار امراء اهل الراي واللب وجهز جيشا جايشا
وبعثا لعثار البدو لدانا عشا في كل مقدم مقداما وهماما هماما وضيغما ضرغاما
وقرما قمقاما فوصلوا الى دمشق وقد رجع العادل من حرب القوم وسلمهم وهزمهم
اعطاف الاستكانة بعد هزمهم ورأى ان الجد اعود والعود احمد وسياتي ذكر
ذلك في مكانه عند ذكر الملك العادل وما رفع الله تعالى من شانه ۞

ذكر دمشق وما جرى معها ومن تولاها وتولى الملك الأفضل نور الدين أبو
الحسن علي ولد السلطان دمشق والساحل وما جرى مع ذلك من البلاد ونفذت في
البلاد أوامره ونفذت في الرجال ذخايره ورتب الأمور أجمل ترتيب وهذب الشؤون
أكمل تهذيب وجلا السرير السلطاني بنوره وأسفر صباح الإقبال بإقباله بسفوره و
هدى وهدا وملأ بالبشر المبلج والنشر المتأرج الملا وهذب وأذهب ورغب وأرهب و ورتب وزبت صح
أعطى وأصلب وأثرى وأرث ولم الشعث وأبهى وأبهج وأجد المنهج المنهج وربح ونجح ومنح
ومنح وأرسى وأرسخ وبذ وبذخ ووعد وأوعد وجد وجدد الجدد وأذاع حسنه سر حمايته
وأعاذ ووجد الملاذ من وجد منه الملاذ وأمر وأمن ونصر ونظر وعز وأعز وجاد
وجز وسار وأسر وملك الباس والنابر وأشاع البر وأعاش وأشبع الجياع وروى
العطاش واستخلص ذوي الاختصاص واختص أهل الإخلاص ونص واستنهض وعرض
واستعرض وبسط عزمه الرباط وأحاط علمه وحاط وحفظ أولي الحفايظ ولاحظ العرف
وعرف أنه لا حظ لغير اللاحظ وصنع واصطنع وأسنى وأبدع ومد الظل وأسبغ
وسوى الفضل وسوغ وأمهى العوارف وأمهى الرواعف وحقق الحقوق ورتق
الفتوق وضم الملك ونظم السلك وجلس في دار العدل ورأى بالحكم الفصل وحزم وجزم
وعزم والتزم وزاد وزان وأغاث وأعان وبر أرباب الهدى وأمر من أمرار القوى
القوى وحمى النابه ومحا المكاره وفاض كرام العطايا واستفاض بطهارة السجايا بغرارة صح
وأوى إليه إخوته وضم جماعته وجبر أخاه الملك الظافر مظفر الدين خضر وأصحبه

عسكرًا مجرًا وأنهضه لإنجاد عمه الملك العادل فأناف في فضاء الفضايل وسار
بجحفله إلى الجحفل الحافل فالتزم الشروع وهزم الجموع وقارع القروم وكان الهازم
والعدو المهزوم وكانت حمص والمناظر والرحبة وبعلبك وما جرى معها في المملكة
الأفضلية داخلة وأمداد طاعات الولاة والأولياء بها متواصلة وصاحب حمص و
الرحبة الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه ابن عم السلطان وهو
أثير السلطان أنيل المكان فوصل إلى دمشق مطيعًا ولسر صدقه وبشر صداقته مذيعًا
مشيعًا فاختلى له الملك الأفضل حبًا شهيًا وأحله جنابًا وسيعًا وعقد له حبى الحب
وحباه بكل ما يسفر عن صفو مودة القلب ووفور مواد القرب وكذلك وصل
صاحب بعلبك الملك الأمجد مجد الدين بهرامشاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب
طايعًا وللأمر الأفضلي تابعًا فأدناه وأحباه وأحبه وحباه وأسناه وأسماه وآواه
وآتاه فتأكدت بينهم القرابة المشتبكة وتشبكت اللحمة المنتسجة وتمهدت الأخوة
الممتزجة وتفتحت أبواب الألفة المرتجة وتوافوا على التوافق وتصادقوا على التصادق
وتعاضدوا وأعلوا الأخذ بالتساعد وتعاقدوا وأعلوا ترك التقاعد ذكر
حلب وما جرى معها وتولى حلب وأعمالها وحصونها ومعاقلها وكرايم البلاد
وعقايلها الملك الظاهر غياث الدين أبو الفتح غازي وهو بحصافته وسماحته للطود
والجود الموازن والموازي وتلك مملكة أقطارها واسعة وأمصارها شاسعة وجوانبها
وحماها وبها آيات العدل دوالها وثوى في ولها وأعين رجال الرجاء وهز أعطاف العطايا

لوزارته ووزارته وسحب لحيا الاحيا سحائبه وابرزت مبراته وآثرت مآثراته وبهج
رمح عيبته وعناته ورعى رعيته فشبعت ورويت ظماء وعزاته وزخرت امواجه
ونمت ثواقب المنى ابراجه وصابت بما سماحه وطابت صباح صباحه وعنت بسيرته
كتب التواريخ وجرى قلمه وسبقه الى عطارد والمريخ وسعدت وفود وفوده ووفدت سعوده
واتم من امره النفاذ وكثر بطوله الالباذ وادنى الابرار واقصى الاشرار وخص الاعزة
الخواص بالاعزاز واوعز بما يعود به الى نضارة المغنى العود الذي ذوى لذوي الاعواز
ونمهد لسلطانه الاسباب واطرد لاحسانه القباب وجد من عثر من ايديه الانتعاش
وعشا الى جدواه المجدي وعاش وفرص الفرص ونفض الرخص وادى الفروض وقضى
القروض واستدنى من المناجح شاحطها واستدرك من المصالح فارطها وملك حل الحفظ
وسلك طرق التيقظ وفرق وجمع وخرق ورتع وغلب وبلغ ودمر اهل الكفر والنفاق
ودمغ وشفى واستشفى وكفى واكتفى وراع وراق وفات وفاق وطلب وادرك
واخذ وترك وفاض بالفضل وامر بالعدل وقدم الحزم وصمم العزم واحيا السنن
واولى المنن ولها بالجد عن اللهو وانتهى بالعدو الى الياس المر وبالولي الى النايل
الحلو وامر ونهى واوهن معاقد ذوي المكايد واوهى ووفى للوفي وصفا للصفي
واقر البيرة واعمالها على اخيه الملك الظاهر مجير الدين داود ولم يزل مقبولا امره
غير مردود ودخل في امره صاحب حماه وهو ناصر الدين ابن الملك المظفر تقي الدين
واتسع الملك واتسق السلك وكاتب الجوانب وراسل وفارق من راى وواصل

وطال باعه واطاع اشياعه وهمت همته بالزيادة وسمت لسمت الريادة

ذكر الملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب اخي السلطان وما جرى له بعد وفاة اخيه

كان الملك العادل مع السلطان في الصيد قبل وفاته وكان موافقه ومرافقه في متقنصاته
فلما عاد السلطان الى دمشق ودعه ومضى الى حصنه بالكرك للاستراحة غير
مطلع على سر الغيب في الاقضية المتاحة فنابه النايب ولم يحضر وقت احتضاره الاخ الغايب
فلما عرف وصل الى دمشق بعد ايام ولم يقم لتنفيس كرب الحادث ولم يحدث نفسه
بمقام ولم يوم ثلثا ولم يرم لبانا ورحل طالبا لبلاده بالجزيرة وكان السلطان جعل له
كل ما في شرقي الفرات من البلاد والولايات ومضى كالومض بارق وخوف ان يطرق
بلده طارق فلما وصل الى الفرات وجد تماحا فه دلابك الفرات فاقام بقلعة جعبر
ولم يستحضر العسكر رغبة في السلم والسلامة ومحبة للدعة المستدامة وسير الى الولايات
الولاة ووصى برعاية الرعاة وابستاف في ميافارقين وحاني وسميساط وحران والرها
وشحنها بالشحن واستقام امرها وحسب ان الاعداء اذا سمعوا بسمعة جمعوا جمعه وتدافعوا
لدفعه وسكن وسكت وثبت وثبت وعلم العدى انه في خفة فخفوا واعرضوا وصفوا
وما كفاهم ما هم فيه فهموا وما كفوا وساموا ثواب الطمع واشقوا الحركتهم
هلكتهم واذهب الله من بحبهم بركتهم

ذكر اهل الشتات وما قدر الله بجمعهم من الشتات

كان الامير بكتمر صاحب خلاط هجر الاحتياط وواصل النشاط
وضرب البشاير لموت صلاح الدين وظهر في النوب الخمس بشعار السلاطين وتلقب بالملك الناصر

وحدث أمله بحر العساكر وراسل صاحبي الموصل وسنجار وطير إليهم كتب الاستنفار
وضم إليه من ماردين وطارد وطاشر وارتاش وأتناش وخلط من خلاط الأوشاب
والأوباش فبينا هو في أتم غرور وأنم سرور وأحب حبور وأشب سعود وأرفد عيش
وأرغد عيش وأغفل قلب وأذهل لب وأطول أمل في أقصر أمد وأكثر مدد في أقل
مدد وقد خرج من الحمام ولم يدر أنه داخل إلى مغتسل الحمام واستشهد على أيدي
الإسماعيلية ولعل الله غفر له ونقله بشهادته إلى جنته العلية وذلك بخلاط
يوم الاثنين رابع عشر جمادى الأولى من هذه السنة وكان أيامه كانت أحلاما
رآها في السنة   وأول بادئ بالخروج متولي ماردين فإنه مرد وحشد المدد
ونزل على حصن الموزر بالعزم الموزر وهذا الحصن كان السلطان أقطعه من أعمال ماردين
حين كان أقطعه ماردين فلما صالحهم استبقاه واستثناه وأضافه إلى نائبه بالرها
وأعطاه   ثم تحرك أتابك مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل وخرج في
الجحفل الجحفل وأصافه أخوه عماد الدين زنكي بنصيبين وخرجوا لنداء اللقاء مجيبين و
قدموا الرسل إلى الملك العادل سيف الدين وقالوا اخرج من بلادنا وندخل في
مرادنا فكتب إلى بني أخيه يستنجدهم ويستنفرهم ويستنصرهم فأنجدوه بالأمداد
وأمدوه بالأنجاد نجادا ومن كل فج وأفواه فوجا بعد فوج وكان أنجاد حلب أقرب
ولدى الإسعاد أجلب ولما عرف الملك الأفضل اغتم واهتم وجمع عسكره وضم
خيله وعمه وكتب إلى صاحبي حمص وبعلبك واستدعى عسكرهما التركي فسار

أخوه الملك الظافر مظفر الدين خضر نصرة الملك العادل لعمه ومنتظرا أما المواصلة
فإنهم ما أسرعوا إلى أن أبطأوا وما أصابوا إلى أن أخطأوا وسمعوا أن المدد العادلية
الوافية متوافية وأن فيته كافة كافية مكافية فتجنبوا وتجبنوا وكانوا قد وصلوا
إلى رأس عين فأقاموا وسكنوا والملك العادل مخيم بظاهر حران في جموعه وجنوده
وأعلامه وبنوده ومساعديه ومسعوديه وعزمه على اللقاء مصمم وقلبه بنجح الظفر
متيم وجده غالب وحده سالب ولطيب الذكر جالب وسيف سيف الدين بالنصر
وابن لحظ الشمس من غار جبله السابر ثائر وتقارب العسكران في تواجه وتجابه و
رجال تناجي وتناجح وكان من قضاء الله المحتوم وسر قدره المكتوم تفليل غروب
القوم وتقليلهم وخاب تأملهم وحار تأميلهم وجفل الهم وريع رعيلهم وذلك بما
قدره الله من مرض أتابك صاحب الموصل ولم يطق الإقامة بالمنزل وأشفى على
الخطر وأشرف صفو حياته على الكدر فعاد إلى الموصل في محفة وكاد أن يتدارك ما ألم
به من ثقل المرض بخفة وفهق عماد الدين راجعا وتضرع صاحب ماردين وتذرع وتشفع
بالأمراء الأكابر وخضع خده ووقع عنه الرضا وصفح له عما مضى وأجرى على القاعدة
السلطانية معه وكان قد ضاق به الفضاء الرحب لولا العفو عنه وما وسعه ورأى
عماد الدين أن القوم خابوا واستكانوا وما رعوا له حق العهد كما كانوا اضطروا
إلى الانكفاء وكف عن اللقاء فخلا الجو وجلا الضوء وعلى البر وأتى الملك العادل الخبر
بوصول ابن أخيه الملك الظافر إلى الفرات في عسكر دمشق أهل الثبات وكتيبة منازله

سروج وهي من اعمال عماد الدين وامدة بابن نجم الدين وابن المقدم عز الدين ليث العرين
فنزلوا على سروج يوم السبت ثامن رجب وفتحوها يوم الاحد تاسعه واستولوا على البلد
واماكنه ومواضعه ورحل الملك العادل منتصف رجب الى الرقة وتسلمها في العشرين
منه وكانت اليد البيضاء فيها للملك الظافر على ما ذكر عنه ثم رحل وتملك الخابور جميعه
وعاد كل من عصاه من مقطعيه مطيعه وجاء الى نصيبين ونزل بظاهرها وشرع في ضم ذخائرها
فجاءت الرسل العمادية في طلب الصلح واستغل ليد الحرب بسنا السلم عن الصلح ورحل فنزل دارا
فبسط عذره وقبض دعره واتاه خبر صاحب الموصل بتسليم بلده من بعده الى نور الدين
ارسلان شاه ولده وجرى بينه وبينهم صلح وكان له في كل ثغرة تجارة وربح وكتب
الينا ان اهل خلاط كاتبوه وعلى تاخره عنهم عاتبوه وان كل صاحب حصن قد ضبط
موضعه وانتظر مطلعه فانهم تولاهم بعد بكتمر المعروف بهزار ديناري فلم يرضوا بالاته
خلاط ولم يروه كفوا للملك المهدي ثم اشرف العادل على خلاط فوجد اهلها قد كملوا
الانبساط وراى ان البرد يشتد وامد الحصر يمتد فعاد الى حران والرها واعرض عن
مخالطة خلاط وتاخر الى الربيع امرها فصل انشاته في المعنى الى الديوان العزيز
في آخر رجب عن الملك الافضل لا شك في احاطة العلم الاشرف بحال الذين حالوا
عن الانصاف بالانصاف ومردوا ومروا واطلاق الخلاف وعادوا عن خلق التلافي الى الاتلاف
وبددوا الانتظام في سلك العقد بشمل الايتلاف ونكثوا العهد ايمانهم حتى قيل كفروا
بعد ايمانهم وزادوا في بغيهم بغيهم وابدوا فوقهم في وجههم وزعموا انهم اذا عزموا

نالوا فرصة ووجدوا في العزيمة رخصة وجاءوا الى البلاد التي للحرم من انعام امير المؤمنين
صلوات الله عليه ليتملكوها واعتدوا باعتدادهم واعتزوا باعتزازهم واصبحوا اذا لم
يصيبوا ابصارهم وابصارهم ودخلوا في دائرة السوء وخرجوا من ديارهم واجمع صاحب
الموصل واخوه صاحب سنجار وصاحب ماردين وحشدوا واحتشدوا وما الظن بشكر
الحاسدين الحاشدين ووعدهم الشيطان واغراهم به فصدقوا اكذب الواعدين وكان العم
الملك العادل سيف الدين قد توجه الى البلاد لاتفاق امورها على السداد واتفاقا منهم
بالمواثيق محتفلا بالوفاق لحافل الافاق وهو في خواصه وذوي استخلاصه لم ينتظم
عسكره ولم ينضم اليه معشره ولم يصف لدفع الشوائب ورد النوائب موارده ومصادره
فلما عرف نكرهم وعلم في مكرهم مكرهم توافت اليه الجموع وحنت على قلبه الضلوع و
حنت الى اصله الفروع وتوافدت اليه بنواحيه في الجنود وتوافقت نجدة سيا عدت الشعوب
وامد الاخ الملك الظاهر من حلب بالامداد المتظاهرة والانصار المتناصرة وندب
الخادم اخاه الظافر خضرا وانهضه وسار معه عسكره الذي بدمشق عرضه وسمع الاخ
الملك العزيز خبر القوم وانهم من هول ورد الردى على الحوم فاخرج المضارب وابرزها
وانفق في العساكر وجهزها وذكر عدة النجدة فانجزها واهتبل فرصة الفريضة فانتهزها
واقبل على ذخيرة الفضيلة فاحرزها وتحركت السواكن وثارت الكوامن وهاجت الاوطان
واظهر الله مثل الاجتماع معجز آياته في اهل الشام وخص جمعهم بالشتات وحص من تلك
السادات اجنحة الثبات وشغل كلا منهم بوباله وباله وحطه من يفاع اعتلائه الى حضيض

اغتيالا له واعادهم على اعقابهم ناكصين وبعقابهم ناكسين وفي آرائهم وآرابهم ناقصين
واظهر الله في كل واحد من الاعداء آية للعادة خارقة وقدرة لاقدار الاولياء
وقابلهم وما قابلوه صح
للسعادة خالقة وقتلهم وما قاتلوا وغادر العادين عبرة للمعتبرين وعظة للمتفكرين
وعلم صاحب ماردين انه اخطأ وما اصاب فابان عن ندمه واناب وتعرض للعفو عنه
وتضرع وتشفع بالامراء في امره وتذرع فابديت له صفحة الصفح وعادت له بعد
عادية الخسر عادة الربح واجرى على القاعدة المستقرة في عهد الوالد رحمة الله عليه
ورضوا بما رضوه من الطاعة وثابوا اليه وكان لاخ الملك الظاهر خضر قد وصل الى الفرات
حين حكم الله لجموع اولئك بالشتات فعبر الى سروج يوم السبت ثامن رجب
قلب العدو ومن الفتح الذي وجب وجب وفتحها يوم الاحد ضحوة وجاءت هذه
المنحة من الله حظوة ورحل العادل بالعساكر الى الرقة لاسترجاع وديعتها المنيحة
وهذه ببركة استمرار العبيد الى طاعة المواقف المقدسة ويمن الايتمار لاوامرها
ويسفر بالوجوه لمواجهة سوافرها وما السعادة الا لمن شملته سعودها وما الجد
الا لمن وصله جودها وما الكرامة الا لمن كرمت عنده بالوفاء عهودها وما
العصمة الا لمن حمدت النعماء عقودها ذكر سيف الاسلام باليمن واقليم اليمن مستقر
للملك ظهير الدين سيف الاسلام طغتكين بن ايوب اخي السلطان وهو هناك سلطان
عظيم الشان مستول على جميع البلدان متمكن في مكانه بالامكان وكان قد وصل ولده
مع الحاج قبل وفاة السلطان بايام فلم يظفر بمرامه ووصل كتابه الى اخيه وهو غير

عالم بتوفيه فلما استقر الملك الافضل على سرير ابيه كاتب عمه سيف الاسلام بعمه
وعمي في كتابه بما كتب الله من همه والكتاب بانشائي عن الملك الافضل
يشتمل على شرح ما الم وخص به الرزء وعم وهذا الكتاب يشتمل على سيرته فكتبته بجميعه
صدرت هذه المكاتبة معزية عن النبأ العظيم والخطب الجسيم والرزء العميم والحادث
الاليم والكارث المقعد المقيم والنائب الناغب والمصاب الباحت والفجيعة الفاجعة
والنكبة الناكبة والطارقة الطارقة والملمة المولمة والبلية البارية والواقعة
الرائعة والصدمة الصادعة والحطمة اللافحة والروعة الفادحة والغمة التي
غامت بها الايام وعمت لها الانام واغتال منها الاسلام واختل النظام فقد
عدمت المطالع ضياءها والمشارع صفاءها والثغور سدادها والامور ثباتها والجفون
وضلت العلياء مجتمعها صح
غرارها والايدي ايدها والوجوه سفورها والصدور انشراحها والابصار نورها
فقد فقدت الدنيا بهجتها واهتدى الضلال الى الهدى واقوى نادي الندى
واقفرت مغاني الغنى واكفهرت محالي السنا وامرت مجاني المنى وخفيت مناهج
المناجح وعطلت مناهل المناجح وعميت مذاهب المواهب واظلمت مطالع
المطالب وارتجت ابواب الفتوح ودجت اضواء الوضوح ودرست معالم المعالي
وطمست زواهر الليالي واضطربت الدهماء واضطرمت الدهناء وبطلت مواسم
الحق وابهمت مطالع الخلق وانقطعت مسالك الجهاد وتحجبت ممالك البلاد واخلفت
عدات الاعداء على الاهواء وانكسفت انوار آمال الاولياء وذلك مما اجراه الله من قضائه

عز كرمه

المحتوم وأظهر من سر قدره المكتوم بمصاب مولانا الملك الناصر روح الله روحه
وروض في جنان رضوانه وعز فإن عفرانه ضريحه فقد عظم الخطب وجل وحل
عن الجلد حين حل وثلم غرب الصبر وفل وأجرى غرب الدموع وأذكى
كرب الضلوع وبت حبل اللاجين وشتت شمل الراجين وأعلمنا أن الدنيا الدنية
حبالها رثاث وعقودها أنكاث وسهولها أوعاث وقصورها أجداث وبرورها غرور
ومواهبها أحداث وسكونها قلق وأمنها فرق وصحتها سقم وأملها ألم وغبطتها
ندم ووجودها عدم وبقاؤها فناء ونعيمها بلاء ورخاؤها عناء وملكها هلك وسترها
هتك وأخذها ترك وسلمها حرب وصلحها فتك ووفاؤها غدر ووفاقها مكر وعرفها
نكر ووصلها هجر وخيرها شر ونفعها ضر وجبرها كسر ومتاعها قليل وباعها
في التطاول طويل وما لعثارها مقيل ولا لأرب فيها لا ريب ولا الباب فيها لبيب
فإن ظلها قالص وفضلها ناقص وعمرها قصير وغنيها فقير ودرها جرع ورزقها
خدع وحليها عطل وسعيها زلل وإجداؤها إجداب وإعطاؤها إعطاب وأسبا
اظلامها وإرغابها إرغام وسماحتها بخل وسجاحتها ختل وعقدها مفسوخ و
عهدها منسوخ وربحها خسار وجرحها جبار ويسارها إعسار وخصبها إمحال وحبورها
ضلال وعمارتها شعث وسمينها غث وعبث وحواها تراث ولا لمسكنها أساس
ولا لبانيها أثاث ولا ليدها في كيدها يد ولا لمكرها في جرمكها جد والسعيد
من استعد في معاشه للمعاد واستكثر مدة مقامه في الدنيا لسفر الآخرة من

الأزواد ومن نظر إليها بعين العقل وعرف أنها دار البلاء والبلى وتقوى فيها
بالتقوى وجد في الإعراض عن جدها والتأهب ليوم العرض بالجدوى ولقد كان
السلطان السعيد قدس الله روحه بحقيقتها عارفا وبطريقتها عارفا ولزخرفها عائفا
ومن ملكها آنفا ومن مالها متعففا فاشتغل عن الدنيا بالدين ونصبه الله بتأييده
في علم اليقين واقتدى بسنة النبي صلى الله عليه وسلم فما زاغ بصره وما طغى ونهى النفس عن
الهوى فإن الجنة هي المأوى ووقف جهده على إحياء معالم الهدى وإعلان شعار
التقى وإعلاء منار الجهاد وإشاعة سنن العدل والإحسان في البلاد والعباد
وإفاضة سجال الفضل والإفضال حتى كفل جوده بفيض الأرزاق وفي منح الآمال
أخلص لله عمله ولا ملك ملكا ولا تمول مالا إلا في سبيل الله أنفقه وبذله وكان كما
قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان لله كان الله له فلا جرم أذل الله له الملوك الأعزة
ووهب لأعطاف الدولة التي هي ملكه العزة وملكه الأقاليم والأمصار وأجرى مقادير
الأقدار فأزال عن مشارع الشريعة الأكدار وعطل البدعة بمصر واليمن والشام وقمع
أعداء الإسلام ومد الله في عمره حتى بلغ المراد وفتح البلاد ووفى حق الجهاد بالجد
والاجتهاد وقدر على ما عجز عنه الملوك ونهج في نصرة الدين نهجا أعوز من قبله
فيه السلوك وأخرج الفرنج عن الساحل وأبادهم وملك عليهم ديارهم وبلادهم
وأوهى على الكفرة معاقد معاقلها وطال بحقه على باطلها وأقصى عن المسجد الأقصى
مدنسيه وأزال عنه أيدي غاصبيه وأصرخ الصخرة المقدسة المطهرة وطهرها

من الارجاس وابعد عنها انجاس الانجاس ومحا الكفر وخذله ونصر الايمان واخذ له و
احال الكرم كل سنة جيدة واستمرت محاسن ايامه سنة بعد سنة وتعدلت بعدله
الجوانح وتزلزلت بباسه الجوانح ودانت ودنت له الممالك القاصية واذعنت و
عنت لحكمه الاماني العاصية وملكت القلوب والعقول مهابته ومحبته وعمت
الخواص والعوام عوارفه وعواطفه ونفذت في الشرق والغرب فراسته وقامت بالحمد
والشكر مواسمه ووفت بامل الداني والقاصي والطايع والعاصي مكارمه واسعده
الله وامهله حتى حقق في ذويه امله وولى كل اقليم من يعمل لله في العدل والاحسان
عمله ثم توفاه حميد الاثر كريم الورد والصدر ظافر الوطر بالغ الظفر صالح العمل
ناجح الامل طاهر الفطرة ظاهر النصرة كاسيا من الفخار عاريا من العار مرتديا بثوب
الثواب مرتويا من صوب الصواب مبتهجا بنضرة النعيم مستروحا بعرف نسيم التسنيم
وما كان ابهج الايام بايامه والاعصار بمرائيه والامصار بمحاسنه والاسلام بسلطانه
والافاق بسنا احسانه وما كان اسعدنا بجدوده واجدنا بسعوده واغنانا بعدله
وجوده فقد فقد الصباح فلا سنا ودفن السماح فلا جدى ولا جا وغاض البحر فلا غنى
وهوى الطود فلا ثبات وذوى الروض فلا نبات ووهى الركن فلا سند وانتهى اليمن فلا
جد وغلب الكمد فلا جلد وعم العزاء فلا عز ولا قوة ولا عضد انا لله وانا اليه
راجعون ولامره تابعون ولحكمه طايعون لا راد لارادته ولا صاد لمشيته ولا صادف
لمصادف قضايه ولا صارف لصرف بلايه ولقد كادت الانوار تغرب والمنابع تغور

والصنايع تبور والاحوال تحول والاهوال تهول واضواء العوارف لا تضيء و
وافياء العواطف لا تفيء وزهر النعماء لا تشرق وازهار الروض لا تونق ومعاقد الاسلام
تهي ومباسم الايام تنتهي لولا ان الله تدارك الارماق باطلاقه وتلافى الامال
بانبعاثه وجلا وجه النعمى من خلال البوس واهدى البشر بعد العبوس وانزل
السكينة عند الزلزال على النفوس واجرى الدولة على احسن العوايد وارشد المقاصد
واثبت القواعد من استمرارها على الانتظام واستقرارها في النظام واستبدارها
باقامة الوفاق واهلال بدورها غب المحاق وطلوع شموسها من الافاق وارتفاع
فروعها في سماء السمو وامتداد اصولها في منابت النمو وانفتاح احداقها النواظر عن
نور الابصار وانفتاق حدايقها النواضر عن نوار الازهار حتى اجتمعت الكلمة المفترقة
واتحدت وانتظمت الالفة المتبددة وتاكدت وسكنت القلوب الراجفة
وانست وسكتت الالسنة المرجفة وخرست وانارت الخواطر المظلمة وافاقت
الظنون الواجمة والافكار المقتسمة وزاد الرونق وزال الرنق وانجلى الغسق وتجلى
الفلق واستقامت الامور واستنامت الى حفظها الثغور ووصلت الكتب العزيزية
والظاهرية من مصر وحلب بكل ما انجح الارب ووصل السبب ومرى در النصر
وجلب وبكل ما اظهر القوة وقوى الظهر وشد الازر وامر الامر وبشر البشر
ونصر الحق وحقق النصر من الموافقة والموافاة والموالاة القاصية من الحدة
المتحدة بالموالاة والمتابعة والمشايعة في كل امر يروم وكل حلم يحلم وكل عزم م

في تبع العبيد بنعمته وكل عقد في نصر الهدى يلزم ويتمم ووصل المولى الملك العادل
فتولى امر الملوك بكل ما وافق ايثاره واشاع على عادة الوالد رحمه الله شعاره
ورفع مناره واخلى من كل شاغل باله ورفه اسراره واراح افكاره وما في
الجماعة الا من خطب الجمعة وخطب في الجمع واعرض عن الهوى للحق المتبع فالكلمة
متحدة وان كانت الانفس متعددة وما اختلفت هذه الدولة بل استمرت على تجدد
الايام متجددة وانما اشفق في حال الصدمة الاولى وبر والرزية الطولى على
بيت الله المقدس ومن غدر الفرنج بقصدها فان الغدر دسيسة لهم في الانفس فوقى
الله شرهم ودفع مكرهم واوهى امرهم ولم يزل من قلوبهم الرعب ولم يوثروا
على الصلح الحرب بل طلبوا ابقاء السلامة بابقاء السلم وخطبوا اجراءهم في الوفاء
بعقد الهدنة على الرسم وبركات نية المرحوم شملت ووصاياه نفذت وكملت
وتوجه الملك العادل الى بلاده بالجزيرة شرقي الفرات لاصلاح تلك الولايات
واخراس شقاشق الهادرين بالارجاف من اهل الشمات ليوذن بهيبة الاسد جمع
النقاد الى الشتات وليعد الى الانس شارد الولي الراشد ويرد بالياس مكايد
الحاسد الجاحد والحمد لله الذي اجرى الامن وقد عرت المخافة وانزل الرافة وقد نجا
الآفة وابقى الاسلام بعترته بعزه والكفر بذله وثبت قواعد الملك الناصر
جمع شمل اهله واجابهم سنتي احسانه وعدله وشيمتي افضاله وفضله وفي
دوام اقبال المجلس السامي دوام اقبالهم ونظام احوالهم وسبوغ ظلالهم وبلوغ آمالهم

ذكر ما افترضه الملك الافضل من حرمة جار الخلافة المعظمة وانفاذ رسوله بعده والدرع هدايا وتحف سنايا لما استقر الملك الافضل بدمشق في مقام والده وشفع
طارف ملكه بتالده واضاف موروث ملكه الى مكتسبه واكرم نسبه بكرم حسبه
بدا بالاهم الاوضح والاتم الانجح فقدم الى الديوان العزيز النبوي النجابين بالكتب
وانهى الحال فيما الم من الخطب ثم ندب ضياء الدين القسم بن الشهرزوري في الرسالة الى
منزل الرسالة وموقف الجلالة واصحبه عدة والده في الغزاة اوان لقاء العداة
سيفه ودرعه وحصانه واضاف الى ذلك من الهدايا والتحف والخيل العراب ما استنفد
وسعه وامكانه فما تهيا مسير الرسول الا في اواخر جمادى الآخرة حتى حصل كامل
ما اراده من الهدايا الفاخرة وحتى كاتب مصر وحلب واعلم بمسير رسوله حتى
لا يظن انه انفرد برسوله وقصد مداراة اخوته وفضل بفضل اخوته وذلك بعد
ان جدد نقش الدينار والدرهم بسمتي امير المؤمنين وولي العهد عدة الدين وامر
بانشاء الكتب وتحريرها وتقريب المقاصد فيها وتقريرها فصل
من الكتاب الى الديوان العزيز بعد ذكر الدعاء اصدر العبد هذه الخدمة والصدر
مشروح بالولاء وقلبه معمور بالصفاء ويده مرفوعة الى السماء للابتهال بالدعاء
ولسانه ناطق بشكر النعماء وجنانه ثابت من المهابة والمحبة على الخوف والرجاء
وطرفه مغض من الحياء ووجهه مقبل نحو قبلة الاستجداء وهمته في العبودية
فارعة ذروة العلاء وهو للارض مقبل وللفرض متقبل وبالطاعة ماثل

وللاستطاعة باذل، وللجهد والإخلاص عامر ضارع، ونحو حره من الفصحة والمناصحة
بادٍ وصادع، وهو يمتّ بما قدّمه من الموات وأسلفه من الخدمات، وذخره ذخرًا
لأوقات هذه الأوقات، واتخذه عصمة من النائبات، وعوذة من الطارقات، وعدّة
عند الملمات، وعمدة لدى الخطوب الكارثات، ومصرفًا لصروف الحادثات، ومألفًا
للشمل عند شمول الشتات، وعروة للاعتصام بها في أزمن الأزمات، وسلوة من
الأسى وأسوة لجراح المصيبات، ولا خفاء بما أحاط وفاض له من بحر البرح وضافه وأغاص
وأغاض بطاقته وأعاق أوان رجا جنى النجاح بطاقته لولا أن الله تداركه بفضله.
وأولاه ألطافه فإنه دهمه ما هدمه وفجأه ما فجعه وبغته من الرزء ما صدّ عنه
العيش وصدعه ونابه ما رابه وجرّعه مصابه صابه ووافاه من وفاة والده
رحمه الله ما كدّر صفو الحيوة ومحا عن صفحة صبحه آية الإياة وألمّ بالم الآمل والحال
الحلى إلى العطل وخلا عن العلل والنهل، وأذهب بهجة الأيام وأشمت الكفر بالإسلام
وسوّ الشرك منه ما ساء التوحيد وقرّب من إسفاف القلوب وإشفاء الكروب البعيد
وعطّل الجهاد وأراح الحديد وشبّ جفون العداة على أنها ما شبّت الإلحاد وشام
حدود العتاة على أنها ما شيمت إلا للفتن، وهذا الحادث أرجف المرجفون بحديثه
وأثاروا الكوامن الثائر وحرّكوا سواكن الأوتار بثائره وثائرته وأخرج أهل النفاق
رؤوسهم من كل نفق وعاد ثبات ساقهم إلى نفار وقلق ومن كان متمسكًا من ولاء
الدار العزيزة بالعروة الوثقى مستلئمًا من عدد آلائها ومدد إنعامها بالدرع الأوفى

الأوفى فإنه لا يحتفل بحفول اختلاف أهل الخلاف، ولا يحلحل طود مجاه الراسي
وحصاه الراسخ لعواصف ذوي الإجحاف، وقد أخاطب العلوم الشريفة مجدها الله
بأن الوالد السعيد الشهيد السديد المبير للشرك المبيد لم يزل أيام حيوته وإلى ساعة
وفاته مستقيمًا على حدّ الحزم مستنيمًا في حوزة بيضة الجهاد إلى بذل الجهد مستنفدًا
في كل ما يحوز به المراضي الشريفة وسعه مستفرغًا طاقته في الشغل الديني الذي كان
هدى بصره وسمعه فكم قبض من أبسطتها بالفتنة الفئة العادية وكم فرض سنة أعلت
سنانها المجتلين وأجلت جناتها للمجتدين الدعوة الهادية وكم أخرس دعاة الأدعياء
وجرين ولايات الأولياء وكانت بكتائبه وكتبه وسيوفه وأقلامه للأقاليم أقاليد
ولم تزل جنود الشيطان وجموع الطغيان في الممالك مماليك الدار العزيزة وعبيدها
عبابيد وأمطر بلاد الكفر من دماء أهلها شآبيب وأقام بها منار الإسلام مرة
منابره لما أنابت عن أعوادها أنابيب وأتبعها من كماة الوغى وحماة الورى
بمساعير وأجدها بضوامر وضوامر الظفر بضامير وهذه فتوحه تفوح بنشر
النصر وتضوع وعقوده تزدان في سلك الملك وتروع وتضرب الأمصار بأخبارها
في الجهاد شاهدة والأنجاد والأغوار في نصر عزمه واجدة والبيت المقدس
من فتوحاته والملك العقيم من نتائج عزماته وتوفره على العبودية لمالك رقه
سيدنا أمير المؤمنين أوفر حسناته وكل ذلك في طاعته ومناصحته وبركاته و
ما زال ظاهرًا على العدى ناصرًا للهدى معليًا معالم العلى مجيبًا مراسم التقى

مستنا سنن الشرع وفروضه مديما باعباء الطاعة بقدر الطاقة نهوضه وهو الذي
ملك ملوك الشرك وغل اعناقها واسر طواغيت الكفر وشد وثاقها وقمع عبدة
الصلبان وقصم اصلابها وجمع كلمة الايمان وعصم جنابها ونظم اسبابها وسد الثغور
وشيد الامور واذل للدار العزيزة كل عدو واخذ لها على يد كل ذي عتو
واستمرت على الايام مساعيه في الخدمة ناجحة ومعانيه على موازين الحجة
وسيرته حسنة وحسناته سائرة ومحاسنه ظاهرة وختم الله له بالسعادة
وتوفاه على الوفاء بالعبودية والعبادة وقضى وقد قضى من ارابه اربه وقدم بين
يديه اعماله الصالحة وبقي حسابه وقبض وعمله مبسوط وامره محوط ووزره
محطوط وعمله بالصلاح منوط وامله بالنجاح مشروط وملكه بحفظ الله وكلاءته
مضبوط والمذاهب مهذبة والمراتب مرتبة والاسباب محكمة والاحكام مسببة
والاجور جارية والاعمال راضية والمصالح مصونة والمناجح مضمونة والرعية
مرعية والعوائد مرضية والقواعد ممتثلة والمقاصد متحصلة والثغور مسدودة
والخطوب مشدودة واصول الدولة ثابتة وفروع الدوحة نابتة وما ترك امرا
بعده غير مستقيم ولا نهجا غير قويم ولا خلف لمن خلفه ما يحتاج الى تقريبه وتقريره
ولا ابقى لمن بقي له ما يفتقر الى ترتيبه وتدبيره وما خرج من الدنيا الا وهو في حكم
الطاعة الامامية داخل وفي متجرها الرابح الى دار المقامة راحل ولم تكن له وصية
الا بالاستمرار على جادتها والاستكثار من مادتها والاستسعاد بسعادتها والاستعداد

لعبادتها والاستجارة بظلالها والاستنارة بجلالها والاستعاذة بفضلها والاستزادة
من افضالها وما بنيت القواعد الا على اساس صوابها ولا امضيت العوائد الا على قياس
محابها ولا ابرم الا ما عقده ولا احكم الا ما اكده واقتفيت اثاره واجتليت انواره
واتبع ايثاره واستمرت في ايثار الاوامر الشريفة اوامره ومن كان في نصرة الدولة الامامية
الناصرية فان الله ناصره وما يفتخر العبد الا بما ورثه من ولائها من الفخار ودعة
من الائها الغزار وتعشه بربيعه من العثار وعرفه بعرفه المبر المبار ولا يتسم
بالملك الا من يتسامى بانه لها مملوك ولا يوصل الى السعادة الابدية الا مسلك
الى رضاها مسلوك ولئن مضى الوالد على طاعة امامه فالمماليك ولده واخوه
في مقامه والامر في كل مكان بالامن والسكون جار على نظامه والكفر مفلول
الغرب مخذول الحزب مجبول على الرعب مغلول بقيد السلم عن الحرب وان الله
اجرى المشركين مع كثرتهم على حكم القلة وخصهم لابقاء عزة الثغور الاسلامية
بالذلة وقد استمرت الحالة الى الان على الهدنة وهم لا يؤمنون اذا اجنوا بالمكنة فان
الغدر في طباعهم مركوز والسوء في غرائزهم مغروز والعبد اخذ بالحزم عائذ بتاييد
الله في العزم متيقظ لمخوف غدرهم متحفظ من مكر مكرهم ومستعد بكل
امكان مستنجد بكل ما يفتقر اليه من نجدة وقوة بكل مكان مستظهر بما تاكد له من
مظاهرة المواقف المقدسة في اموره مستبشر وجهه وجامته بها يسفر بظاهر
بقوته من ايدها واياديها قوي بظهوره مدل بما له من المواتب الاكيدة والسوابق

الحميدة والشوافع المقبولة والذرايع الموصولة موقن أن الرعاية تدركه وأن العناية
تملكه وأن اختصاصه بفضيلة المتانة القديمة جدد له فضل الاختصاص وأن فاتحة الجد
منه والإخلاص تفتح له باب الإحماد والاستخلاص ولما قصر رجاؤه على طوله بذلك
الطول وأنه يزداد بما يزداد به من الاصطفاء والاصطناع حسن الحلية وقوة النصرة
والحول عول على القاضي ضياء الدين في المثول بالخدمة الشريفة وإنهاء حاله والانتهاء
إلى مناجح آماله والاستشارة فيما يسفر عن صبح المراشد ونجح المقاصد ونضح المعاهد
وشرح الأحوال في المصادر والموارد وأن بلاغته وافية بالإبلاغ مليئة بإسباغ القول
في اقتفاء الطول المليء بالإسباغ وقد فاوضه فيما فوضه إليه واعتمد في استنجازه
واستنجاحه عليه لا زالت أيادي الدار العزيزة دارة غزيرة سارة أولياءها
بإحياء موات مواتها جديرة إن شاء الله تعالى

ذكر بعض مناقب السلطان صلاح الدين رحمه الله

كان مشغوفا في سبيل الله بالإنفاق مع توفر عزمه في الأعداء بإدناء الآجال
في الأولياء بإجراء الأرزاق وما عقر في سبيل الله فرس أو جرح إلا وعوض مالكه
مثله وزاده من فضله وحسب ما وهبه من الخيل العراب والأكاديش الجياد
للحاضرين معه في صف الجهاد منذ ثلاث سنين ثم منذ نزول الفرنج على عكا في رجب
سنة خمس وثمانين فكان تقديره اثني عشر ألف رأس من حصان وحجر وإكديش لهم
وذلك غير ما أطلقه من المال في أثمان الخيل المصابة في القتال ولم يكن له فرس
تركب إلا وهو موهوب أو موعود به صاحبه ملازم في طلبه وما حضر اللقاء إلا
استعار فرسا فركبه ومعه جنائبه فإذا نزل جاء صاحبه واستعاده فكلهم يركب
خيله ويطلب خيره وهو يستعير جوادا ويستغير في الجهاد اجتهادا وكان لا يلبس
إلا ما يحل لبسه ويطيب به نفسه كالكتان والقطن والصوف وكسوته يخرجها
في إسداء المعروف وكانت محاضره مصونة من الحضر وخلواته مقدسة بالطهر
ومجالسه منزهة من الهزء والهزل ومحافله آهلة بأهل الفضل وما سمعت له قط
كلمة تسقط ولا لفظة قط تسخط يغلظ على الكافرين الفاجرين ويلين للمؤمنين المتقين
ويؤثر سماع الحديث بالأسانيد وتكلم العلماء عنده في العلم الشرعي المفيد وكان
لمداومة الكلام مع الفقهاء ومشاركة القضاة في القضاء أعلم منهم بالأحكام
الشرعية والأسباب المرضية والأدلة المرعية وكان من جالسه لا يعلم أنه جليس
السلطان بل يعتقد أنه جليس أخ من الإخوان وكان حليما مقيلا للعثرات متجاوزا
عن الهفوات تقيا نقيا وفيا صفيا يغضي ولا يغضب ويبشر ولا يقطب ما رد سائلا ولا
صد نائلا ولا أخجل قائلا ولا خيب آملا ومن جملة مناقبه أنه تأخر عنه في بعض
سفراته الأمير أيوب بن كنان مشتغلا بمهماته فلما وصل سأله عن سبب تخلفه
وما الذي وقفه عن موقفه فذكر أن غرماءه لجوا فألحوا وضنوا بإطلاقه وشحوا
فأحضر غرماءه وتقبل بالدين وتكفل بالعين وأمر بأن أحيلهم على مصر بحسبتها
وهي اثنا عشر ألف دينار مصرية وكسر فقدم ثوابه ووفاها على المحل لما عرف إباءه
من بعض صون المال وحب البذل للفضل ولما كنا بالقدس في سنة ثمان و

كتب اليه سيف الدولة ابن منقذ من مصر وهو باليمن نائبه وقد وضحت في الكفاية منه مذاهبه
ان واحدا ضمن معاملة بمبلغ فاستنض منها الفي دينار وسحب ولما وصل الى الباب
وحل ومحل وخيل وكذب فجاء الى السلطان من اخبره بان الرجل على الباب وجاء انه
اليه بتقرب فقال له قل له ان ابن منقذ يطلبك فاجتهد ان لا يقع في عينيه فعجبنا
من حلمه وكرمه بعد ان قلنا قدم الرجل بقدمه الى حينه ۞ ومما اذكره له في
اول سفري معه الى مصر سنة اثنتين وسبعين ووردت بها من فضله العذب المعين انه
حوسب صاحب ديوانه عما تولاه في زمانه فكانت سياقة الحساب عليه سبعين الف
دينار باقية عليه فما طلبها ولا ذكرها واراه انه ما عرفها على ان صاحب الدست ما
انكرها وكان يرضى من الاعمال بما جاء عفوا صفوا ويحصل عنده حلوا وكله يخرج في
الجود والجهاد ورعاية الوفاد والقصاد ثم لم يرض لصاحب ديوانه المذكور بالعطلة
ولم يبا انزواه في بيت العزل والعزلة فولاه ديوان جيشه وولاه ما دنت له به
مجاني جاهه وعيشه ۞ ولما كنا بظاهر حران في سنة احدى وثمانين عم بصدقاته
الفقراء والمساكين وكتب الى نوابه في الولايات باخراج الصدقات وقال لي اكتب الى
الصفي بدمشق ان يتصدق بخمسة الف دينار صورية فقلت له الذهب الذي
عنده مصرية قال فيتصدق بخمسة الف دينار مصرية واشفق من صرف المصري بالصوري
فيكون رحمه ما وبركه في كتب الاجر اثما فسمح وسمح وتاجر الله وربح وسمعت بعد ذلك
الصفي وكان في الخير يجاري كل مضمار اصحبت فقهاء المدارس بدمشق وكانوا استمائة

فاطلقت لهم بستمائة دينار ۞ ولما عزم على الرحيل من حران اقام بها الفضل
وبث الاحسان وقال لي يوم الرحيل انظر كم بقي بالباب من الوافدين ابناء السبيل
وهذه ثلثمائة دينار اقسمها عليهم بالقلم وفضل على اقدارهم في القسم وكانوا عدة
يسيرة لم تبلغ عشرة ولم تجد مسرة فعينت لكل اسم قسما وعينت بهم خلفا ورسما
فبلغ اربعمائة دينار ثم وقفت افكر واردد النظر اليه واكرر فسالني ما الذي
عملت وكم قسمت المبلغ وكم ثمت فقلت جرى قلمي بقسمة اربعمائة دينار فهل انقص
من كل قسم ربعا فقال اجر ما جرى به القلم واحسن صنعا ۞ وكان رحمه الله الحا
اذا اطلق لعاف عارفة وقلت له هذه ما تكفيه زادها مضاعفة وكان اصحاب المظالم
وارباب المطالب والراغبون في الرغائب يحضرون عندي ويعرفون في انجاز وعودهم والنجاح
قصدهم بذل جهدي فاكتب لهم توقيعات بمتوقعاتهم وانتهى في الاملاء بنهاية
ما مولاهم فيجريها ويمضيها ويضع علاماته فيها ويرتضيها واذا القى توقيعا لخطي علم
عليه ولم يقف بتشره على سر مطاويه انسا بما الفه من صحتي ومناصحتي وكفالتي
وكفايتي للمهمات بكفايتي وكان يامرني باجابة كتب الملوك واصحاب الاطراف عن
كتبهم في حالتي سلمهم وحربهم وهي تشتمل على اسباب متنوعة واراب متفرعة
بحسب الحوادث المتجددة والبواعث المتمهدة فاذا قلت له بماذا اكتب وما الذي
اخاطب فيقول انت اعرف وبحسب ما تعلم من حالنا تتصرف فاكتب من عندي
الاجابة وتوافق منه الاصابة فقد كنت مطلعا على سره مضطلعا بامره وما يخفى علي

مراده وانا اتيقن لمن والاه ووداده فاني بهدايته الاغراض والتمييز بين اهل
القبول واهل الاعراض فكم اصلح قلبي بينه وبين من عاداه وراض الجامح من سخطه
وقاده الى الهدى برضاه وكان يغضب للكبائر ولا يغضي على الصغائر ويرشد الى
الهدى ويهدي الى الرشاد ويسدد الامر ويامر بالسداد وكان مماليكه وخواصه
بل امراؤه واجناده اعف من الزهاد العباد   وراى يوما دواة محلاة بالفضة
فانكر حال الحلية وادعا خطر القنية فقلت على سبيل المدافعة وطريق المناظرة و
الممانعة او ليس تحل حلية السلاح واستصحابه في الكفاح فدواتي اداة الجمع ومداد
مدادي انفع ويراع يراعتي القصير اطول واقتل وما اجتمعت هذه العساكر
الاسلامية الا بقلمي ولا تفرقت جموع الكفر الا بكلمها من جوامع كلمي فقال ما هذا
بدليل ولا يعدل تحريما الى تحليل حتى قلت له ان الشيخ ابا محمد والد الامام ابي المعالي
قد ذكر وجها في جوازه ونحن نتبعه فلا وجه مع هذا الوجه المحلل لمن حظره ويمنعه ثم
لم اكتب بعدها عنده الا من دواة الشبه وتجنبت طرق الشبه وتركت المحلاة وصارت
الشبهية مجتباة مجتناة   وكان محافظا على الصلوات الخمس في اوائل اوقاتها
مواظبا على اداء مفروضاتها ومسنوناتها ما رايته صلى الا في جماعة ولم تؤخر له صلاة من
ساعة الى ساعة وكان له امام راتب ملازم مواظب فان غاب يوما صلى به من حضره
من اهل العلم اذا عرفه متقيا متجنبا للاثم   وكنت لملازمتي اياه يقدمني اماما في
الصلوات ومستشارا في المشورات وكان ياخذ بالشرع ويعطي به وينفق من حلال

المال وطيبه   ويجود بالموجود وبالمعدوم في الحال ان جاء الوجود ثم يتجدد
جده الا ويستوعبها انجاز الوعد ولم يكن عنده منجما لمن كان من المنجمين ولا قبول
لمنطق المنطقيين فلا يفضل يوما على يوم ولا زمانا على زمان الا بتفضيل الشرع واستقصا
الدين في كل قاصر وداني ولا يتشيعف ولا يتطير ولا يتعين وقتا ولا يتخير بل اذا عزم توكل
على الله واقبل على محكم امره واعرض عن مظان الاشباه فكم فلسفة الفلسفة ودلت
بمعرفته على المعرفة وما زال ناصرا للتوحيد قامعا اجمع اهل البدع بالتبديد مستجليا
سنا السنة متحليا حلي الجنة شافعي المذهب اصولا وفروعا معتقدا الا معقولا
مقموعا بدين اهل التنزيه ويقصي اهل التشبيه ويديم استفادة فقه الفقيه واستزادة
نباهة النبيه ووجاهة الوجيه فالعالمون في عدله والعاملون في فضله والبلاد في امنه
والعباد في منه والبرية في بر شيعته والاسلام في حمية حميته والدين في ادالة دولته
وشرعة الشريعة صافية ومادة المودة له وافية بوفائه وقامت بعده طريقة طرية
من العار عرية وبر البرية من الشاينات والشائبات بريه وبالحرية حرية وبسرور السر
سرية فقد عزت وفضلت وظهرت بعز بنيها وافضلها وطاهرها وفخرت بمفاخرها وورثت
بر والهمة اثار ماثرها وتبلجت الافاق وتارجت بتباشير بشائرها وطيب بشائرها وبرزت
الارض في ازهارها والسماء في زواهرها   والحمد لله مجري الاقدار ومصفي الاكدار ومدبر
الليل والنهار ومدبر الايراد والاصدار   تم الفتح القسي في الفتح القدسي

بحمد الله وحسن عونه يوم الاحد لتسع بقين من رمضان المبارك [illegible]

كتبه عبد السلام

اما بعد معشر الكتاب

حفظكم الله و